مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية
سلسلة الأدلة والكشافات

ملف رقم (١٩١)

التكشيف الاقتصادي للتراث

نفقات الخلفاء والأمراء (١)
موضوع رقم (١٧٣)

إعداد
الدكتور / أحمد جابر بدران
إشراف
أ . د / علي جمعة محمد

فهرس محتويات ملف (١٩١)
نفقات الخلفاء والأمراء (١) موضوع (١٧٣)

١٧٣ نفقات الخلفاء والأمراء ج ٤

ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة جـ ٤ / ١١

١ – عثمان بن عفان يصل خالد بن أسيد بأربعمائة ألف درهم جـ ١ ص ١٩٨ .

٢ – عثمان بن عفان يعطى أبا سفيان بن حرب مائتى ألف من بيت المال جـ ١ص ١٩٩ .

٣ – عثمان بن عفان يأمر لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال جـ ١ص ١٩٩، جـ ٣ ص ٣٨ .

٤ – عثمان بن عفان يعطى الحارث بن الحكم مائة ألف من بيت المال جـ ١ص ١٩٩، جـ ٣ ص ٥٤ .

٥ – عثمان بن عفان يشترى أرضا ويضيفها إلى المسجد جـ ٢ ص ١٥٤ .

٦ – عثمان بن عفان يعطى زيد بن ثابت عشرة آلاف دينار من بيت المال جـ ٣ ص ٧، ٨ .

٧ – ما أمر به الحجاج بن يوسف وعبد الملك بن مروان لكعب الأشقرى شاعر المهلب جـ ٤ ص ٢١٦ .

٨ – معاوية بن أبى سفيان يستعمل زياد بن أبيه على الحج، ويجيزه بألف ألف درهم جـ ١٦ ص ١٨٨ .

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة جـ ٤ / ١١٧

١ – أبو جعفر المنصور ينفق مائة ألف درهم على بناء مدينة بغداد جـ ١ ص ٣٤١ .

٢ – ما أنفقه المهدى فى موسم الحج سنة ١٦٠ هـ جـ ٢ ص ٣٦ .

٣ – المأمون يولى طاهر بن الحسين خراسان والمشرق ويعطيه عشرة آلاف ألف درهم جـ ٢ص ١٧٨ .

٤ – ما أنفقته زبيدة زوجة هارون الرشيد فى جقة واحدة جـ ٢ص ٢١٤ .

٥ – نفقات قصر ومطبخ خمارويه جـ ٣ ص ٥٥ – ٦٢، ٧٦ .

٦ – أبو جعفر الأصبهانى ينفق ثلاثمائة ألف درهم على تحصيل العلم جـ ٣ ص ٦٧ .

٧ – ما عوض به ابن طولون ضحايا حريق كنيسة مريم بدمشق جـ ٣ ص ١٤ .

٨ – نفقات المقتدر وهو خليفة جـ ٣ ص ٢٣٤ .

٩ – نفقات أنوجور بن الأخشيد والى مصر جـ ٣ ص ٢٩١، ٣٢٦ .

١٠ – نفقات معز الدولة بن بوية فى بناء دار بغداد جـ ٣ ص ٣٢٧ .

١١ – ما كان فى مواكب الخلفاء الفاطميين من الأموال والمتاع والطعام جـ ٤ ص ٧٩، ٨٦، ٩٧، ٩٩ .

١٢ – ما أنفقته جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان فى موسم الحج سنة ٣٦٦هـ جـ ٤ص ١٢٦ .

١٣ – عندما تسلم القادر بالله الحكم شغبت الجند يطلبون رسم البيعة جـ ٤ص ١٥٩ .

١٤ – كانت النفقات فى عسكر عسقلان (٥٢٥ هـ) للأمراء مائة دينار وللأجناد ثلاثين دينارا جـ ٥ جـ ٤ ص ٢٤٤ .

١٥ – نفقات زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله العباسى جـ ٦ ص ٢٢٥ .

١٦ – ما أنفقه الملك الظاهر بيبرس فى خروجه إلى الشام العودة إلى مصر جـ ٧ ص ١٥٣، ١٦١ .

١٧ – نفقات الظاهر بيبرس على المطبخ والوفود والدواب جـ ٧ ص ١٩٨ .

١٨ – سيف الدين بكتمر أمير الحج ينفق فى الحجاز خمسة وثمانين ألف دينار مصرية جـ ٨ ص ١٤٦ .

١٩ – ما أنفقه الملك المظفر بيبرس على أمراء الطبلخاناه جـ ٨ ص ٢٦٠ .

٢٠ – السلطان قلاوون يفرض للعاجزين من الجند لكل منهم ثلاثة آلاف درهم فى السنة جـ ٩ ص ٥٣ .

٢١ – ما أنفقه السلطان قلاوون فى سفره إلى الحجاز جـ ٩ ص ٥٨ – ٦٠ .

٢٢ – ما أنفقه السلطان قلاوون على الأمراء جـ ٩ ص ٧٩، ٢١١، ٢١٢ .

٢٣ – نفقات اسطبلات السلطات قلاوون جـ ٩ ص ١٠٥، ١٦٨، ١٧٠ .

٢٤ – السلطان الملك الناصر ينعم فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمائتى ألف دينار مصرية جـ ٩ ص ١١٩، ١٧٤ .

٢٥ – من ما أنعم به السلطان قلاوون على مغنية جاءت من الشام جـ٩ ص ١٣٠ .

٢٦ – ما أنعم به السلطان قلاوون على المقدمين وأمراء الطبلخاناه جـ٩ ص ١٤٦ .

٢٧ – نفقات السلطان قلاوون على شراء الخيول جـ٩ ص ١٦٧ .

٢٨ – نفقات السلطان قلاوون على جهاز بناته وعلى البناء والطعام جـ٩ ص ١٧٦، ١٧٧، ١٨٨ .

٢٩ – ما أعطاه الأمير قوصون للأمراء والجنود جـ١٠ ص ٢٣، ٣٠ .

٣٠ – ما أنعم به السلطان الملك الناصر أحمد جـ١٠ على الأمراء ص ٦١، 74

٣١ – ما أنعم به السلطان الملك الصالح على الأمراء جـ١٠ ص ٩٠، ٩١، ٢٧٤ .

٣٢ – ما أنعم به السلطان الكامل على الأمراء جـ١٠ ص ١٢٠، ١٣٥ .

٣٣ – ما أنعم به السلطان الناصر حسن على الأمير طاز جـ١٠ص ٢١٨ .

٣٤ – نفقات السلطات الملك الأشرف جـ ١١ جـ١٠ ص ٦٩، ٧٠ .

٣٥ – ما أنفقة الأمراء على المماليك السلطانية جـ ١١ص ١٥٢، ٣٤٢ .

٣٦ – ما أنعم به السلطان الظاهر برقوق على الأمراء جـ ١١ص ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٧٦، ٢٨٢، ٣٤٥ .

٣٧ – رسم نفقة العساكر بالشام عشرون ألف دينار جـ ١٢ ص ١٧ .

٣٨ – نفقات الأمراء والمماليك السلطانية زمن السلطان الظاهر برقوق جـ ١٢ص ٤٧، ٤٩، ٥٧، ٦٣، ٨٨، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٠، ٣١٦ .

٣٩ – صرفت النفقة للمماليك السلطانية زمن الملك المنصور عبد العزيز لكل مملوك مثقالا وألف درهم فلوسا جـ ١٣ ص ٥٩ .

٤٠ – ما أنفقه السلطان الملك الناصر على المماليك السلطانية والأمراء ومن له عادة بالنفقة جـ ١٣ ص ١٠١، ١٠٢، ١٣٠ .

٤١ – ما أنفقه السلطان الناصر فى سفره إلى البلاد الشامية جـ ١٣ ص ١٥٢ .

٤٢ – الملك الأشرف برسباى يوقف الانفاق على المماليك السلطانية جـ ١٣ ص ٢٤٨ .

٤٣ – نفقات المماليك السلطانية زمن السلطان المؤيد لكل واحد مائة دينار ناصرية جـ ١٤ ص ١٦، ٣٥، ٤٤، ٥٢، ٧٠ .

٤٤ – السلطان المؤيد يخرج كسوة المماليك نحو ثمانية آلاف دينار جـ ١٤ص ١٠٥ .

٤٥ – نفقة المماليك فى سلطنة الملك المظفر أحمد أربعمائة ألف دينارجـ ١٤ ص ١٧٠، ١٨٥ .

٤٦ – نقص النفقات على المماليك لقلة أموال خزانة السلطان ططرجـ ١٤ ص ٢٢٢ .

٤٧ – عدد المماليك الذين يأخذون النفقة فى سلطنة الملك الصالح محمد ثلاثة آلاف ومائتى مملوك والمبلغ مائة وستون ألف دينار جـ ١٤ص ٢٢٣ .

٤٨ – ما أنفقه السلطان برسباى لأجل الغزو جـ ١٤ص ٢٧٦ .

٤٩ – نفقة الجامكية زمن السلطان برسباتى كل شهر ثلاثون ألف دينارجـ ١٤ ص ٢٧٧ .

٥٠ – ما أنفقه السلطان برسباى على المجاهدين جـ ١٤ ص ٢٨١ .

٥١ – نفقات السلطان برسباى على المماليك قبل الغزو إلى بلاد المشرق جـ ١٤ص ٣٣٠ .

٥٢ – ما أنفقه السلطان برسباى على المماليك المجردين إلى مكة جـ ١٠ص ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، جـ ١٥ ص ٩٠ .

٥٣ – نفقات السطان برسباى فى سفره جـ ١٥ ص ٣٤ .

٥٤ – مجمل نفقات المماليك السلطانية فى مرض السلطان برسباى جـ ١٥ص ١٠٤ .

٥٥ – نفقات المماليك زمن السلطان الملك العزيز يوسف جـ ١٥ص ٢٢٦ .

٥٦ – نفقات المماليك زمن السلطان الملك الظاهر جقمق جـ ١٥ص ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٩، ٢٨٠، ٤٣٥ .

٥٧ – نفقات السلطان جقمق على العسكر المجرد إلى الشام جـ ١٥ص ٢٩٢ .

٥٨ – ما أنفقه السلطان الظاهر جقمق على وسول شاه رخ جـ ١٥ص ٣٤٤ .

٥٩ – نفقات السلطان الظاهر جقمق الخاصة ص ٤٥٧، ٤٥٨ .

٦٠ – نفقة المماليك السلطانية فى سلطنة المنصور عثمان فى آخر صفر سنة ٨٥٧ هـ جـ ١٦ ص ٢٩ .

٦١ – تقسيم نفقات المماليك على أقسام متعددة، نفقة كاملة مائة دينار، نصف نفقة، ربع نفقة، وعشرة دنانير جـ ١٦ص ٦٤، ١٠٥ .

٦٢ – نفقات السلطان الأشرف اينال على المجاهدين من المماليك السلطانية جـ ١٦ص ١٥٠ .

٦٣ – نفقة المماليك فى سلطنة الملك المؤيد أحمد مائة دينار لكل واحد جـ ١٦ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤ .

٦٤ – نفقة المماليك السلطانية فى سلطنة الملك الظاهر خشقدم جـ ١٦ص ٢٥٩، ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٨٠، ٣٨٢ .

ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ ٤ / ٥

١ – كان مقدار ما يصرف من الشمع بين يدى عز الدين بختيار بن أحمد بن بويه ألف من فى كل شهر جـ ١ ص ٢٤٢ .

٢ – الأموال والضياع التى صرفها المأمون للناس فى حفل زفافه من بوران بنت الحسن بن سهل جـ ١ ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

٣ – المأمون يعطى أخاه المعتصم وابنه العباس عندما ولاهما مصر والشام والجزيرة والثغور كل واحد خمسمائة ألف للاستعانة بها جـ ٢ ص ٢٧٢ .

٤ – مقدارنا أنفقه الملك الناصر فى بناء قصر الزهراء فى قرطبة جـ ٤ ص ١٧٧ .

٥ – المهدى يعمل متنزها ينفق عليه خمسين ألف ألف درهم جـ ٦ ص ٢٢ .

الذهبى، سير أعلام النبلاء جـ ٤ / ١٦

١ – معاوية يخصص أموالا لزوجات الرسول ﷺ فى كل سنة جـ ٢ ص ١٣٠، ١٣١ .

٢ – عمر بن عبد العزيز يجيز عامله على الكوفة بعشرة آلاف درهم ليستعين بها جـ ٥ ص ١٤٩ .

٣ – المنصور يصرف لعامله على المدينة مائة ألف دينار معونة له جـ ٦ ص ٢١٢ .

٤ – المنصور يعطى كل شخص من عمومته صكا بعشرة آلاف درهم لصرفها من بيت المال جـ ٧ ص ٨٤ .

٥ – مقدار ما أنفق المأمون على زواجه من بوران بنت الحسن بن سهل جـ ١٠ ص ٢٨٦ .

٦ – المعتصم ينفق ما فى بيوت الأموال لمدة سنتين على بناء حصن طوانة فى الثغور جـ ١٠ ص ٢٩١، ٢٩٢ .

٧ – مقدار ما أنفق المأمون والمعتصم فى حربهما لبابك الخرمى وأتباعه جـ ١٠ ص ٢٩٤ .

٨ – كانت نفقة المائدة فى قصر المتوكل كل يوم مائة وعشرين درهما جـ ١١ ص ٢٧٠ .

٩ – مقدار ما أنفق المتوكل على بناء بعض القصور جـ ١٢ ص ٣٦، ٤٠ .

١٠ – كانت مؤونة أحمد بن طولون فى اليوم ألف دينار جـ ١٣ ص ٩٤ .

١١ – مقدار ما أنفق المعتضد على بناء قصر له جـ ١٣ ص ٤٦٧ .

١٢ – مقدار ما ينفقه وزير المطيع من الثلج والشمع فى كل يوم جـ ١٥ ص ١١٧ .

١٣ – مقدار مقدار ما أنفق معز الدولة على دار بناها له جـ ١٦ ص ١٩٠ .

١٤ – الوزير الصاحب بن عباد يوزع على فقهاء بغداد خمسة آلاف دينار فى السنة جـ ١٦ ص ٥١٣ .

السبكى، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٤ / ٥

١ – كان المأمون من لكرم بمكان بحيث أنه فرق فى ساعة ستة وعشرين ألف درهم جـ ١ ص ٢١٧ .

٢ – كان الملك الظاهر بيبرس يهب لمن يحفظ مختصر المزنى مائة دينار وذلك فى سنة ٦٦٤ هـ جـ ٢ ص ١٧٥ .

٣ – السلطان محمود بن سبكتكين يوزع سنة ٣٩٦ هـ على العرب فى البادية من خاص ماله، ثلاثين ألف دينار جـ ٤ ص ١٦ .

٤ – صلاح الدين الأيوبى ينفق ألف ألف دينار مصرية سنة ٥٦٥هـ فى محاربة عند دخولهم دمياط ص ٣٣٤ .

٥ – الوزير فخر الدين الجوينى (ت ٦٤٧ هـ) ينفق على العسكر مائتى ألف دينار جـ ٥ ص ١٥٢ .

السخاوى، الضوء اللامع جـ ٤ / ١

١ – كانت نفقة إبراهيم بن الظاهر برقوق (ت ٨٠٩هـ) خمسة آلاف كل يوم جـ ١ ص ٣٢ .

أبو شامة، كتاب الروضتين فى تاريخ الدولتين جـ ٤ / ٣

١ – كان لنور الدين زنكى برسم نفقة الخاص فى كل شهر من جزية أهل الذمة ألفى قرطيس يصرفها فى كسوته ونفقته وحوائجه المهمة.. ويستفضل منه ما يتصدق به آخر الشهر جـ ١ ص ١١ .

٢ – قيمة الجواهر والذهب التى كانت فى مراكب الملك العاضد جـ ١ ص ١٧٣ .

٣ – الملك العاضد ينفق على جيش صلاح الدين الأيوبى أثناء حصاره للافرنج بدمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها. جـ ١ ص ١٧٣ .

أبو عبيدة، كتاب النقائض

١ – عبيد الله بن زياد ينفق أكثر من مائتى ألف درهم لتجديد الحلف ما بين بكر بن وائل وبين تميم بالبصرة جـ ٢ ص ٧٢٩ .

ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب

١ – الرشيد ينفق على أهل مكة والمدينة فى أحد مواسم الحج مليون وخمسين ألف دينار جـ ١ ص ٣٠٩ .

٢ – الأموال التى أنفقت فى حفل زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل جـ ٢ ص ٢٣

٣ – المعتصم يبعث إلى قائده الأفشين ثلاثين ألف ألف درهم ليتقوى بها على قتال الخرمية جـ٣ ص٤٩، ٥٠

٤ – المعتصم يصل الأفشين وجنده بعشرين ألف ألف درهم بعد هجومهم على عمورية جـ٢ص٥١

٥ – كان الخليفة المقتدر متلفا للأموال مبذرا جـ٢ص٢٨٥

٦ – مقدار ما أنفق معز الدولة على بناء مدينة الزهراء بالاندلس جـ٣ ص ٢

٧ – مقدار ما أنفق المنتصر بالله الأموى على بناء مدينة الزهراء بالأندلس جـ٣ ص ٣،٤

٨ – أنفق نور الدين زنكى فى يوم واحد على ؟ مائتى ألف دينار جـ٤ص١٨١

٩ – كان يصرف على مطبخ جامع الأزهر فى شهر رمضان أيام قانصوه الغورى ستمائة وسبعين دينارا ومائة قنطار عسل وخمسمائة أردب قمح جـ٨ص١٤٠

١٠ – السلطان سليم العثمانى يرتب لأهل الحرمين فى كل سنة سبعة آلاف أردب حنطة جـ٨ ص ص١٤٦

الكتبى، فوات الوفيات

١ – مقدار النفقات أيام الظاهر بيبرس على الجيش والمطبخ وخزانة الكسوة و المخابز جـ١ص٢٤٥

٢ – خماويه بن أحمد بن طولون يعين وكيلا له لابتياع وشراء الجواهر لحرمه وجواريه جـ١ ص٣٧٣

٣ – مقدار ما أنفق سليمان بن على الهاشمى على قريش والانصار أيام ولايته أحد مواسم الحج فى خلافة أبى العباس السفاح جـ٢ص ٧٠، ٧١

٤ – كان الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازى صاحب الشام ينفق على موائد الطعام ووجوه البر فى دمشق عشرين ألف درهم يوميا جـ٤ ص٣٦٢

المقدسى، البدء والتاريخ

١ – عثمان بن عفان عبد الله بن خالد أربعمائة ألف درهم والحكم بن أبى العاص مائة ألف درهم جـ٥ ص ٢٠٠

٢ – أبو جعفر المنصور ينفق على جيش يزيد بن حاتم لقتال الأباضية بالمغرب ثلاثة وستين ألف ألف درهم جـ٦ ص٨٧

٣ – ما أنفقه المعتصم على جيش الأفشين لقتال بابك الخرمى جـ٦ ص١١٧ ، ١١٨

مؤلف مجهول، الإمامة والسياسة

١ – الوليد بن عبد الملك يأمر قوة بن شريك أن يدفع إلى موسى بن نصير من بيت مال مصر ما أراد ص٣١٨

٢ – عبد الملك بن مروان بأمر لموسى بن نصير بمائة ألف كان قد أغرمها له فيأخذها من الاخماس ص٣٠٣

ياقوت الحموى، معجم الأدباء

١ – على بن محمد بن الفرات الوزير أنفق على المحدثين من بيت المال عشرين ألف درهم جـ٣ ص٢٤١

٢ – دفتر جرايات أحمد بن طولون على الأشراف فى مصر جـ٥ص١٥٨

٣ – مقدار ما ينفقه الصاحب إسماعيل بن عباد الوزير فى وزارته فى وجوه البر والصدقات والعطايا جـ٦ص٢٤٩

١٧٣ نفقات الخلفاء والأمراء جـ٥

ابن خلدون، كتاب العبر جـ٤ / ٧٧

١ – الفضل بن يحيى يبذل ليحيى بن عبد الله بن الحسن ألف ألف درهم بعد أن أعطاه الأمان : جـ١ص٢٥

٢ – ما أنفقه المأمون على زواجه من من بوران بنت الحسن ابن سهل جـ١ ص ٣٠٥ : ٣٠٧

٣ – احصاء بنى العباس بن عبد المطلب أيام المأمون للإنفاق عليهم فكانوا ثلاثين ألف بين ذكر وأنثى جـ١ص٣١٠

٤ – جوهر الصقلى قائد جيش الفاطميين يحمل معه إلى مصر ألف حمل من المال جـ١ ص٣١٧،٦٥٢،٦٥٣

٥ – معاوية بن أبى سفيان يأمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم جـ١ ص٤٧٠

٦ – بلغ عدد الحمامات فى بغداد زمن المأمون خمسة وستين ألف حمّام جـ١ ص٦١٠

٧ – نفقات الوليد بن عبد الملك على بناء الجامع الأموى بدمشق : جـ٢ص٤٦٩، ٤٧٠

٨– عثمان بن عفان يعطى مروان بن الحكم خمسة عشر ألف درهم، ويعطى عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألف درهم جـ٢ص١٠٤

٩ - معاوية بن أبى سفيان يعطى زياد بن أبيه ألفى ألف درهم جـ٣ص١١

١٠ - المختار بن أبى عبيد يبعث لعمر بن عبدالرحمن ابن الحرث والى الكوفة لابن الزبير سبعين ألف درهم : جـ٣ ص٦١ ، ٦٢

١١ - المختار بن أبى عبيد يبعث لمحمد بن الحنفية أربعمائة ألف درهم : جـ٣ص٦٣

١٢ - ما أنفقه أبو جعفر المنصور على بناء مدينة بغداد جـ٣ ص٤٢٠

١٣ - المهدى يعطى عيسى بن موسى عشرة آلاف درهم وضياعا بالزاب وكسكر مقابل تنازله عن ولاية العهد جـ٣ ص٤٤٣

١٤ - ما أنفقه المهدى أ ثناء بموسم الحج جـ٣ ص٤٧٢

١٥ - ما أنفقه هارون الرشيد أنا موسم الحج جـ٣ ص٤٧٢

١٦ - الأمين يبيع ما فى الخزائن من الأمتعة ويضرب آنية من الذهب والفضة ليفرقها فى الجند أثناء حصار بغداد جـ٣ ٥٠٧

١٧ - نفقات جيش الأفشين لمحاربة بابك الخرمى سنة ٢٢٢ هـ جـ٣ ص٥٥١ ، ٥٥٦

١٨ - مبلغ ما وزعه الأفشين على عسكره بعد القبض على بابك الخرمى جـ٣ ص٥٥٥

١٩- المعتصم يعطى عشرة آلاف درهم لمن يوصل كتابه إلى الأفشين قبل توغله فى بلاد الروم جـ٣ ص٥٥٨

٢٠- نفقات المتوكل على بناء المتوكلية جـ٣ ص٥٩٠

٢١- نفقات المستعين على تحصين بغداد ببناء الأسوار والخنادق جـ٣ ص ٦٨

٢٢ - ما فرضه ابن طاهر للمستعين من الأموال بعد موافقته على خلع نفسه من الخلافة جـ٣ ص٦١٣

٢٣ - المعتز يأمر لسعيد بن صالح بخمسين ألف درهم ويوليه معونة البصرة جـ٣ ص ٦١٥ ، ٦١٦

٢٤ - مبلغ ما أعطاه خمارويه لمازيار قائد المعتضد جـ٣ ص٦٩٨

٢٥ - ما أنفقه عمرو بن الليث من الأموال والهدايا إلى الخليفة الموفق جـ٣ ص٧٠١

٢٦ - مبلغ ما أعطاه خمارويه بن طولون لمازبار بطرسوس سنة ٢٧٧هـ من الأموال والسلاح والثياب جـ٣ص٧٢٨

٢٧ - أبو عبد الله البريدى ينفق فى عسكره بولاية الأهواز خمسين ألف دينار جـ٣ ص٨٨٥

٢٨ - معز الدولة بن بويه يبنى دارا وينفق عليها ألف ألف دينار جـ٣ ص٩٤٥

٢٩ - مبلغ ما أرسله طغرل بك إلى الخليفة القائم بأمر الله جـ٣ ص٩٤٥

٣٠ - السلطان ألب أرسلان يعطى أرمانوس ملك الروم عشرة آلاف ويطلق سراحه جـ٣ ص٩٧٦

٣١ - تاجر فارسى من المترددين إلى الهند ينفق ثمانية عشرة ألف دينار مصرية فى كسوة الكعبة لانقطاعها فى سنة ٥٣٢هـ من دار الخلافةجـ٣ ص١٠٦

٣٢ - مبلغ ما أنفقه الملك الظاهر بيبرس على الخليفة المستنصر فى القاهرة جـ٣ ص١١٠٩ ، ١١١٠

٣٣ - نفقات عبد الرحمن بن معاوية على بناء القصر والمسجد الجامع بقرطبة جـ٤ ص٢٦٤

٣٤ - مبلغ الهدية التى قدمها عبد الملك بن جهور إلى الأمير عبد الرحمن الناصر بن محمد الأموى :جـ٤ ص٢٩٩ : ٣٠١

٣٥ - مبلغ الهدية التى قدمها جعفر المصحفى إلى الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر جـ٤ ص٣١٣

٣٦ - الحكم المستنصر الأموى يعطى أبا الفرج الأصفهانى ألف دينار من الذهب ثمنا لنسخة من كتابه الأغانى قبل أن يخرجه بالعراق جـ٤ ص٣١٧

٣٧ - مبلغ الهدية التى قدمها دبيس بن صدقة إلى السلطان محمود السلجوقى جـ٤ ص٦١٨

٣٨ - أرسل ابن طولون من وارد مصر إلى الموفق (زمن المعتمد) ٢٫٢٠٠٫٠٠٠ (ألفى ألفى ومائتى ألف) دينارا ورقيقا وطرزا جـ٤ ص٦٥٢

٣٩ - أحمد بن طولون ينفق على بناء جامعة بمصر مائة وعشرين ألف دينار جـ٤ ص٦٥٢

٤٠ - كانت نفقة مطابخ أحمد بن طولون ألف دينار فى كل يوم جـ٤ ص٦٥٧

٤١ - مبلغ ما أرسله خمارويه بن أحمد بن طولون إلى مازيار الخادم صاحب طرسوس جـ٤ ص ٦٥٧

٤٢ - معز الدولة بن بويه يبنى دارا فى ضواحى بغداد وينفق عليها ألف ألف دينار جـ٤ص٩٤٣

٤٣ - مبلغ ما أنفقه أبو كاليجار بن سلطان الدولة فى بغداد سنة ٤٣٦هـ من الأموال على الجند وهدايا الخليفة جـ٤ ص١٠٣٤

٤٤ - ما أنفق على زواج الخليفة المقتدى من ابنة السلطان ملكشاه جـ٥ ص١٨، ١٩

٤٥ - مبلغ ما أهدى إلى السلطان ملكشاه من ألف أرسلان والسلطان جلال الدين من بعده جـ٥ ص٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٨

٤٦ – مبلغ ما دفعه نور الدين زنكى إلى صاحب قلعة جعبر مقابل تنازله عنها لنور الدين جـ٥ ص٥٥٤

٤٧ – نفقات نور الدين زنكى على جيش أسد الدين شيركوه إلى مصر جـ٥ ٦١٩

٤٨ – مبلغ ما أرسله نور الدين زنكى من الأموال والثياب والأسلحة مددًا لصلاح الدين الأيوبى فى مصر جـ٥ ص٦٢٥

٤٩ – كان على سيف الإسلام طغركين بن أيوب صاحب اليمن دين قدره مائتا ألف دينار مصرية فقضاها عنه صلاح الدين الأيوبى جـ٥ ص٦٤٨

٥٠ – صلاح الدين الأيوبى يعطى عائلات أسرى الفداوية والاسبتارية خمسين دينارا مصرية لكل واحد جـ ٥ ص٦٧١

٥١ – ما أنفقه الملك المنصور لاشين على تجديد جامع ابن طولون جـ٥ ص٨٨١

٥٢ – مبلغ الهدية التى أرسلها يوسف بن يعقوب ملك المغرب إلى السلطان الناصر سنة ٧٠٤ هـ : جـ٥ ص٩٣ ، ٩٠٤

٥٣ – نفقات السلطان الناصر محمد بن قلاوون أثناء موسم الحج :جـ٥ ص٩٢١

٥٤ – مبلغ الهدية التى أرسلها السلطان الناصر إلى ملك بنى مرين بالمغرب الأقصى إلى السلطان الناصر : ص٩٤٦،٩٤٧

٥٥ – مبلغ الهدية التى أرسلها الناصر إلى ملك بنى مرين بالمغرب الأقصى :جـ٥ ٩٤٦،٩٤٧

٥٦ – أهل حلب يجمعون ألف ألف درهم للنفقة على إصلاح أسوار حلب فى ولاية كمشيقا الحموى : جـ٥ ص١٠٦٧

٥٧ – لم يكن لصلاح الدين الأيوبى ذخيرة من المال لكثرة إنفاقه فى المصالح فشرع فى جمع المال حتى اجتمع لديه مائة ألف دينار :جـ٥ ص٧٩

٥٨ – صدقة بن مزيد صاحب الحلة يصل فضل بن ربيعة ابن حازم آل جراح بتسعة آلاف دينار : جـ٦ ص ١٦

٥٩ – مبلغ الهدية التى أرسلها صلاح الدين الأيوبى إلى ملك المغرب الخليفة يعقوب المنصور سنة ٥٨٥هـ :جـ٦ ص ٥١٤

٦٠ – الخليفة يعقوب المنصور يبعث بالمال والخيل والعطاء إلى قائد جيشه أبى محمد بن الشيخ أبى حفص بعد هزيمة ابن غانية سنة ٦٥ هـ جـ٦ ص ١٥٨٤

٦١ – مبلغ الهدية التى أرسلها المنصور بن أبى عامر إلى أبى البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى صاحب مدينة فاس : جـ٦ ص٦٤

٦٢ – مبلغ الهدية التى أرسلها السلطان أبو الحسن ابن عثمان (ت٧٤١هـ) سلطان بن مرين إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون جـ٦ ص٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣

٦٣– مبلغ الهدايا التى تلقاها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (ت٦٨٥هـ) بعد عودته منتصرا فى الأندلس جـ٦ ص٤٠٢، ٤٣ .

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة

تأليف
جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

[الطبعة الأولى]
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

الأَزْدِىّ ، فسار المذكور وقبض على جماعة من أهل خراسان وقتلهم . وفيها توجّه الأميرُ عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن محمد العبّاسىّ ابن أخى الخليفة أبى جعفر المنصور الى مَلَطْية فأقام بها سنة حتى بناها ورمّ شَعَثَها وأسكنها الناس . وفيها حجّ بالناس الخليفةُ أبو جعفر المنصور وعاد من الحجّ فزار بيت المقدس وسلك الشامَ فى طريقه ونزل الرَّقّة فقتل بها منصورَ بن جعفر العامرىّ ثم سار الى الهاشميّة وهى مدينة الكوفة وأمر بالشروع فى بناء مدينة بغداد واختطّها .

مدينة بغداد وبناؤها

وذكر الذهبىّ بناءَ بغداد فى سنة خمس وأربعين ومائة قال : وفى هذه السنة أُسّستْ مدينة السلام بغداد وهى التى تُدعى مدينة المنصور، سار المنصور يطلب موضعا يتّخذه بلدا فبات ليلةً موضعَ القصر، فطاب له المبيت ولم ير إلا ما يُحبّ ، فقال : ها هنا ابنوا فإنه طيّب ويأتيه مادّةُ الفرات ودجلة والأنهار ، فخطّ بغداد ووضع أوّلَ لَبِنَة بيده وقال : بسم الله وبالله والحمد لله ابنوا على بركة الله ، وسأل راهبًا هناك عن أمر الأرض وصحّتها وقال : هل تجدون فى كتابكم[1] أن تُبنى ها هنا مدينة ؟ قال : نعم، يبنيها مِقْلاصٌ[2]، قال : فأنا[3] كنت أُدعى بذلك، وطلب المنصورُ الصُّنّاع والفَعَلَة من البلاد وأحضر المهندسين والحكماء والعلماء، وكان فيمن أُحْضِر حجّاج بن أرْطاة وأبو حنيفة، ورُسِمت له بالرماد سورُها وأبوابُها وأسواقُها، ثم بُنيت حتى كَمَل المُهِمّ منها فى عام والباقى فى أربع سنين ، وكانت بقعة بغداد مزرعة تُدعى المباركة لستين نفسا فعوّضهم المنصورُ عنها وأرضاهم، وقيل : إنه ليس فى الدنيا مدينة مدوّرة سواها، وعمِل فى وسطها دار المملكة بحيث إنه اذا كان فى قصره كان

(١) فى ف : « كتبكم » . (٢) ذكر ياقوت فى معجمه فى الكلام على بغداد (ج ١ ص ٦٨) : أن مقلاص اسم لص وأن أبا جعفر كان يدعى بهذا الاسم فى كلام كثير .
(٣) فى ف : «فاذا» .

جميع أطراف البلد إليه سَواء، وسكنها المنصور ونقل إليها خزائنه، وقيل سَعَتُها مائة وثلاثون جَريبا، وأنفق عليها مائة[1] ألف ألف درهم .

وقال بدر المعتضدىّ قال لنا أمير المؤمنين : انظروا كم سَعَة مدينة المنصور ؟ فحسبنا فإذا هى ميلان مكسّران فى ميلين ، وقيل : مسافة ما بين كل باب و باب ألف ومائتا ذراع، وكلّها مبنيّة بالآجر واللَّبِن، واللَّبِنة ذراع فى ذراع، وزنتها مائة رطل وسبعة عشر رطلا . ولها أربعة أبواب بين الباب والباب ثمانية وعشرون برجا وعليها سُوران، ثم بنى الجامعَ والقصر، وفى صدر القصر القبّةُ الخضراء، ارتفاعها ثمانون ذراعا، ودامت حتى سقط رأسُها فى ليلة مطر ورعد فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة؛ وكان لا يدخل هذه المدينةَ أحدٌ راكبا[2] سوى المنصور وابنه محمد المهدىّ .

وقال الصُّولى قال أحمد[3] بن أبى طاهر : ذَرْع بغداد — يعنى الجديدة — ذَرْع الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب ، وفى نسخة أخرى غير رواية الصّولى : أنها من الجانبين ثلاثة وأربعون ألف جَريب وسبعمائة، قال الصّولى وذكر ابن أبى طاهر : أن عدد حَمّاماتها كانت ذلك الوقت ستين ألفا ، وقال : أقلّ ما يدير[4] كل حمام خمسة أنفس، وذكر أن بإزاء كل حمّام خمسة مساجد .

قال الذهبىّ : وكذا نقَل الخطيبُ فى تاريخه، وما أعتقد أنا هذا قط ولا عُشْر ذلك، ثم قال الخطيب : حدّثنى هلال بن الحسن[5] قال : كنت بحضرة جدّى إبراهيم

(١) فى ف : ثمانية عشر ألف ألف وفى ياقوت : أنه أنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف دينار وفى رواية أخرى : أربعة ألف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم . (٢) قال ياقوت : لم يدخلها أحد راكبا إلا داود بن على عم المنصور متفرسا وكان يحمل فى محفة وكذلك محمد المهدى ابنه . (راجع معجم البلدان ج ١ ص ٦٨٤) . (٣) كذا فى هامش م وهو الموافق لما فى كتاب بغداد لأحمد ابن أبى طاهر المتقدّم وفيما سيأتى وفى م : أحمد بن طاهر وفى ف : أحمد بن أبى صالح وكلاهما تحريف . (٤) كذا فى الذهبى وهو الصواب . وفى الأصول : «يريد» بالراء . (٥) فى الذهبى : «المحسن» بالميم .

(٢١١) مُسْلِم . وفيها حجّ بالناس الخليفة محمدٌ المهدىّ ونزع المهدىّ كُسْوَةَ البيت الحرام وكساه كُسْوة جديدة ، فقيل : إنّ حَجَبَةَ الكعبة أَنْهَوْا إليه أنّهم يخافون على الكعبة أن تُهْدَم لكثرة ما عليها من الأستار، فأمر بها فجُرِّدَت عنها الستور ، فلما انْتَهَوْا الى كُسْوة هشام بن عبد الملك بن مَرْوان وجدوها ديباجا غليظا الى الغاية . ويقال : إن المهدىّ فرّق فى حَجّته هذه فى أهل الحَرَمَيْن ثلاثين ألف ألف درهم منها دنانير كثيرة، ووصل إليه من اليمن أربعمائة ألف دينار(١) فقسّمها أيضا فى الناس، وفرّق من الثياب الخام مائةَ ألف ثَوْب وخمسين ألف ثوب ؛ ووسّع فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلّم وقرّر فى حرسه خمسمائة رجل من الأنصار ورفع أقدارَهم . وفيها خَلَع المهدىّ ابنَ عمه عيسى بنَ موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس من ولاية العهد وجعلها فى ولده موسى الهادى . وفيها توفى ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر التميمى العِجْلىّ أبو إسحاق البَلْخىّ . وأصله من كورة بَلْخ من أبناء الملوك، حجّ أدهمُ ومعه امرأة فولدتْ بمكة ابراهيمَ هذا، فطاف به أبوه حول الكعبة ودار به على الحلق فى المسجد وقال : ادعوا له .

قال ابن مَنْدَة : سمعتُ عبدَ الله بنَ محمد البَلْخىّ ، سمعتُ عبد الله بن محمد العابد، سمعتُ يونس بنَ سليمان البلخىّ يقول : كان ابراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه شريفا كثيرَ المال والخَدَم والجنائب(٢) والبُزاة؛ فبينا إبراهيم يأخذ كلابه وبُزاته للصيد وهو على فرسه يَرْكُضه إذ هو بصوت يناديه : يا إبراهيم ، ما هذا العبث ! أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا . اتق الله وعليكَ بالزاد ليوم الفاقة ، قال : فنزل عن دابته ورفض الدنيا .

(١) كذا فى الأصول . وفى الطبرى وابن الأثير : « مائتا ألف دينار » . (٢) الجنائب : جمع جنيبة وهى الدابة تقاد .

وذكر الذهبى بإسناد عن ابراهيم بن أدهم أنه قيل لإبراهيم بن أدهم : ما كرامةُ المؤمن على الله ؟ قال : أن يقول للجبل تحرّكْ فيتحرك ، قال : فتحرك الجبل، فقال : ما إيّاكَ عَنَيْت .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وثمانيةُ أصابع ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا سواء .

ذكر ولاية عيسى بن لُقْمان على مصر

هو عيسى بن لُقْمان بن محمد بن حاطب الجُمَحىّ (بضم الجيم وتقدّمها نسبةٌ الى جُمَح) أميرُ مصر، وليها بعد عزل موسى بن عُلَىّ اللخمىّ من قبل أمير المؤمنين محمد المهدىّ على الصلاة والخراج معا فى سنة إحدى وستين ومائة، وكان دخوله الى مصر فى يوم الاثنين لثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً بَقِين من ذى الحجة سنة إحدى وستين ومائة ؛ فجعل على الشُّرْطة الحارثَ بن الحارث الجُمَحىّ وهو من بنى عمه ، ثم سكن عيسى هذا المُعَسْكَر على عادة أمراء مصر ودام على إمرة مصر مدّة يسيرة، ثم جاءه الخبر بعزله عن إمرة مصر فى جُمادى الآخرة(١) لاثنتى عَشْرة بَقِيتْ منها من سنة اثنتين وستين ومائة ، وولاية واضح مولى أبى جعفر المنصور . فكانت ولايةُ عيسى هذا على مصر نحوَ خمسة أشهر، وهى بسفارة يعقوب بن داود . وكان سبب تقدّم يعقوب بن داود عند المهدىّ لما أحضره المهدىّ عنده فى أمر الحسن بن ابراهيم
(٢١٢) العَلَوىّ فقال يعقوب : يا أمير المؤمنين، إنك قد بسطتَ عدلَك لرعيّتك وأنصفتَهم وأحسنتَ إليهم فعظُم رجاؤهم، [وانفسحت آمالهم](٢)؛ وقد بَقِيتْ أشياء لو ذكرتُها [لك](٢) لم تدع النظر فيها، وأشياءُ خَلْفَ بابك يُعمَل فيها ولا تعلَم بها، فان جعلت

(١) فى الكندى : « من جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ومائة : وليها أربعة أشهر » .
(٢) الزيادة عن الطبرى فى حوادث سنة ١٥٩ هـ .

ذكر ولاية محمد بن السَّرىّ[1] على مصر

هو محمد بن السَّرىّ بن الحكم بن يوسف الأمير أبو نصر الضَّبّىّ البَلْخىّ ، ولِىَ إمْرةَ مصر بعد وفاة أبيه السَّرىّ بن الحكم فى يوم الأحد مُسْتَهَلّ جُمادى الآخرة سنة خمس ومائتين، ولّاه المأمون على الصلاة والخراج معًا كما كان والدُه. وسكن المعسكرَ، وجعل على شُرْطته محمد بن قابس[2] ثم عَزَله وولّى أخاه عبيد الله . ولما ولِى مصرَ كان الجَرَوىّ قد غلَب على أسفل أرض مصر وجمع جموعًا وخرج عن الطاعة فتهيّأ محمد هذا لقتاله وجهّز اليه العساكرَ المصرية، ثم خرج هو بنفسه لقتاله، ووقع له معه حروبٌ ووقائع ؛ و بينما هو فى ذلك مَرِض ولزم الفراش حتى مات ليلة الاثنين لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين . فكانت ولايتُه على مصر استقلالًا سنة واحدة وشهرين وثمانية أيام . وتولّى مصرَ من بعده أخوه عبيد الله بن السَّرىّ، وكان شابًّا عاقلا مدبّرا حازما سيوسًا، مهّد الديارَ المصرية فى ولايته وأباد أهلَ الفساد وحارب الجَرَوىّ غير مرّة وأحبّته الرعيّةُ، غير أنه لم تَطُل أيامُه وعاجلته المنيّة .

* * *

ما وقع من الحوادث فى سنة ٢٠٥

السنة الأولى من ولاية محمد بن السَّرىّ على مصر وهى سنة خمس ومائتين — فيها حجّ بالناس عبيد الله بن الحسن العَلَوىّ وهو والى الحرمين مكّة والمدينة . وفيها ولّى المأمون طاهرَ بن الحسين على جميع بلاد خُراسان والمشرق وأعطاه عشرة آلاف ألف درهم ، وكان ولَدُه عبد الله بن طاهر قد قدِم على المأمون من الرَّقّة فولّاه

(١) ورد هذا الاسم فى الكندى هكذا : « أبو نصر بن السرى » وهى كنيته كما فى المقريزى (ج ١ ص ٣١٠) . (٢) فى كتاب الولاة والقضاة للكندى : « محمد بن قشاشى » .

على الجزيرة . ثم ولّى المأمونُ عيسى بن محمد بن خالد على أذْرَبِيجَان وإرْمِينِيَة وأمَرَه بقتال بابَك الخُرّمىّ . وفيها استعمل المأمونُ عيسى بن يزيد الجُلُودىّ على محاربة الزُّطّ ، وكانوا قد طَغَوا وتجبّروا. وفيها توفّى يعقوب بن إسحاق بن زيد[1] بن عبد الله ابن أبى إسحاق الإمام أبو محمد الحَضْرَمىّ مولاهم البَصْرىّ قارئ أهل البصرة بعد أبى عمرو بن العَلاء وأحد الأئمة القرّاء العشرة ، أخذ القرآن عن أبى المُنْذر سَلّام الطويل وأبى الأشهب العُطَارِدىّ ومهدىّ بن ميمون وغيرهم، وسمِع حروفًا من حمزة، وتصدّى للإقراء فقرأ عليه خَلْقٌ ، وكان أصغرَ من أخيه أحمد بن إسحاق، ومات فى ذى الحجّة . وفيه يقول محمد بن أحمد العِجْلىّ يمدحه : (٢٩٢)

أبوه من القُرّاء كان وجَدُّه * ويعقوب فى القرّاء كالكوكب الدُّرّى
تَفَرُّدُه محضُ الصّواب ووجهُه * فمَنْ مِثلُه فى وقته وإلى الدهر

وفيها توفّى أبو سليمان الدّارانىّ ، اسمُه عبد الرحمن بن أحمد بن عطيّة ، وقيل : عبد الرحمن بن عسكر العَبْسىّ الدّارانىّ، كان من واسط وتحوّل الى الشام ونزل دَارَيّا (قرية غربىّ دمشق)، وكان إمامًا حافظا كبيرَ الشأن فى علوم الحقائق والورع أثنى عليه الأئمة، وكان له الرياضات والسياحات، وله كرامات وأحوال. رحمه الله تعالى آمين.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى رَوْح بن عُبَادة فى جُمادى الأولى، وأبو عامر العَقَدىّ [عبد الملك بن عمرو][2] ، ومحمد بن عُبَيْد، ويعقوب الحَضْرَمىّ، ومحمد بن عبيد الطَّنَافِسىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وآثنان وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا .

(١) كذا فى تهذيب التهذيب، وفى الأصلين : «يزيد» . (٢) الزيادة عن ف وطبقات ابن سعد . وذكر فى الطبقات : أنه توفى سنة أربع وعشرين ومائتين .

وبنتُ عمّـه وأمُّ ولده الأمين محمد المقتول بيد طاهر بن الحسين بسيف المأمون، وقد تقـدّم ذكر ذلك كلّه . وماتت زبيـدة وهى أعظم نساء عصرها دينًا وأصلًا وجَمالًا وصِيانةً ومعروفًا ، أُحصى ما أنفقته فى حجّة واحدة فكان ألفى ألف دينار ، قاله أبو المظفّر فى مرآة الزمان .

قلت : ولعلّها عَمّرت فى هـذه الحجّة المصانعَ التى بطريق الحجاز أو بعضها اهـ . وكان فى قصر زبيدة مائة جارية تَقرأ القرآن . فكان يُسمعُ من قصرها دَوِىٌّ كدَوِىّ النّحل من القراءة، ولم تَزَل زُبيـدةُ فى حَشَمها أيام زوجها الرشيد وفى أيام ولَدِها محمد الأمين وفى أيام آبن زوجها عبد الله المأمون، لم يتغيّر من حالها شىءٌ إلى أن ماتت فى هذه السنة؛ وقيل فى سنة ستَّ عشرةَ ومائتين وهو الأشهر. وأما ما فعَلَته من المآثر والمصانع بالحجاز وغيره فهو معروف لا يُحتاج إلى ذكره هنا، وكانت مع هذا الجمـال والحِشمة فصيحةً لبيبـةً عاقلةً مُدبِّرة؛ قيل : إنّ المأمون دخل اليها بعد قتل آبنهـا الأمين يعتذر اليها ويُعزّيها فيه ويُسكّن ما بها من الحزن، فقال لها: يا ستّاه، لا تأسَفى[1] عليـه فإنى عِوَضُه لك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، كيف لا آسَفُ[2] على ولد خلّف أخا مثلك ! ثم بكت وأبكت المأمون حتى غُشى عليه .

قلت : ولم يكن قَتْلُ الأمين بإرادة أخيه المأمون وانما آقتحمه طاهر بن الحسين وقتله من غير إذن المأمون، وحقَد المأمونُ عليه لذلك ولم يَسَعْه الا السكوت .

(١) كذا فى هامش م . وفى الصلب : « تبأسى » بالباء . وفى ف : « تيأسى » بالياء .
(٢) وردت هـذه الكلمة فى الأصلين مشابهة لما تقدم فى الحاشية السابقة . ولم ينبه فى م على نسخة أخرى فرجحنا ما وضعناه لتلازم السياق .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى أبو زيد الأنصارىّ صاحب العربيّة بالبصرة واسمه سعيد بن أَوْس، والعَلَاء بن هلال الباهلىّ بالرَّقّة، ومحمد ابن عبـد الله الأنصارىّ القاضى بالبصرة ، ومَكّىّ بن ابراهيم الحَنْظَلىّ ببَلْخ ، وعلىّ ابن الحسن بن شقيق بمَرْو، ومحمد بن مبارَك الصُّورىّ بدمشق، وإسحاق بن عيسى ابن الطّبّاع ببغداد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا وأحد وعشرون إصبعا .

ذكر ولاية عيسى بن منصور على مصر

هو عيسى بن منصـور بن موسى بن عيسى الرافقىّ[1] مولى بنى نصر بن معاوية أميرُ مصر ، وليها من قِبل أبى إسحاق محمد المعتصم بعد عزل عَبْدَوَيْه بن جَبَلة عنها فى مستهلّ سنة ستَّ عشرةَ ومائتين على الصلاة، وسكن عيسى بالمعسكر على عادة الأمراء ، وجعل على شُرطته أبا المغيث يونس بن ابراهيم[2] . وفى أيام ولايته انتقضت عليه أسـفل الأرض بغَرْبِها[3] أعنى بالوجه البحرىّ، وانضم الأقباطُ عليهم وذلك فى جمـادَى الأولى ، وحشَدوا وجمعوا فكثُر عددُهم وساروا نحوَ الديار المصرية؛ فتجهّز عيسى وجمع العساكر والجندَ لقتالهم فضعُف عن لقائهم وتقهقر بمن معـه ، فدخلت الأقباط وأهـلُ الغربية مصر وأخرجوا منها عيسى هـذا على أقبح وجه لسوء سيرته ، وخرج معه أيضا متولّى خراج مصر وخلعوا الطاعة ؛ فقَـدِم الأفشينُ

(١) كذا فى ف والكندى (ص ١٨٩ طبع بيروت) بفتح الراء وكسر الفاء، نسبة الى الرافقة، وهى بلدة كبيرة على الفرات متصلة البناء بالرقة . وفى م والمقريزى : « الرافعىّ » بالعين . (٢) فى الكندى « موسى بن ابراهيم ابن عمه » . (٣) كذا فى م . وفى ف : « عربها » . وفى الكندى : « عربها وقبطها » .

فساقىٌّ معمولة، ويفيض الماء منها إلى مجارٍ تَسْقِى سائرَ البستان[1]؛ وغرس فى أرض البستان من الرَّيحان المزروع فى زِىّ نُقُوش معمولة وكتابات مكتوبة، يتعاهدها البستانىّ بالمقاريض حتى لا تزيد ورقةٌ على ورقة لئلا يُشْكِل ذلك على القارئ؛ وحمل إلى هذا البستان النخلَ من خُراسان وغيرها؛ ثم بنَى فى البستان بُرْجا من الخشب الساج المنقوش بالنقر النافذ، وطعّمه ليقوم هذا البرجُ مَقام الأقفاص؛ وبلّط أرضه وجعل فيه أنهارا لطافا يجرى فيها الماء المُدبَّر من السواقى؛ وسرّح فى البرج من أصناف القَمارىّ والدَّباسىّ[2] والنوبيات[3] وما أشبهها من كلّ طائر يُستحسن صوتُه، وأطلقها بالبرج المذكور، فكانت تشرب وتغتسل من تلك الأنهار؛ وجعل فى البرج أوكارا فى قواديس لطيفة مُمكّنة فى جوف الحيطان ليُفْرِخ الطيورُ فيها؛ وعارض لها فيه عيدانا مُمكّنة فى جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوبَ بعضُها بعضا بالصياح؛ وسرّح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودَجاج الحَبَش ونحو ذلك شيئا كثيرا . وعمل فى هذا البستان مجلسا له سمّاه دارَ الذهب، طلَى حيطانه كلّها بالذهب واللازَوَرْد فى أحسن نقش؛ وجعل فى حيطانه مقدار قامة ونصف صورا بارزة من خشب معمول على صورته وصُوَر حظاياه والمغنيات اللاتى تُغنّيه

(١) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «وفرش» . (٢) الدباسى : جمع دبسىّ (بالضم)، طائر صغير منسوب الى دبس الرطب لأنهم يغيرون فى النسب، كالدهرىّ . والأدبس من الطير : الذى فى لونه غبرة بين السواد والحمرة . وهذا النوع قسم من الحمام البرىّ وهو أصناف : مصرىّ وحجازى وعراقىّ، وهى متقاربة، لكن أخرها المصرىّ ولونه الدكنة، وقيل : هو ذكر اليمام . وفى الأصل : «الدبابيس» وهو تحريف . (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ٤٠٨ طبع بولاق) .
(٣) كذا فى الأصل . وفى المقريزى والخطط التوفيقية : «النونيات» . وقد راجعنا شرح القاموس وحياة الحيوان للدميرى والحيوان للجاحظ وغيرها من الكتب التى تحت أيدينا فلم نعثر على ما ذكره المؤلف ولا على ما ذكر فى المقريزى والخطط التوفيقية .

فى أحسن تصوير وأبهج تزويق؛ وجعل على رءوسهن الأكاليلَ من الذهب والجواهر المُرَصّعة، وفى آذانها الأخراصَ[1] الثِّقال؛ ولُوّنت أجسامُها بأصناف تشبه الثياب من الأصباغ العجيبة، فكان هذا القصرُ من أعجب ما بُنِى فى الدنيا .

وجعل بين يدى هذا القصر فسقيّة ملأها زِئبقا؛ وسبب ذلك أنه اشتكى إلى طبيبه كثرةَ السهر وعدمَ النوم، فأشار عليه بالتكبيس، فأنف من ذلك وقال: لا أقدر على وضع يد أحدٍ علىّ؛ فقال له الطبيب : تأمر بعمل بِرْكة[2] من زئبق، فعمل البركة المذكورة، وطولُها خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا عرضًا وملأها من الزئبق، فأنفق فى ذلك أموالا عظيمة؛ وجعل فى أركان البركة سِكَكا من فضة، وجعل فى السكك زنانيرَ من حرير محكمة الصنعة فى حِلَق من فضّة، وعمل فَرْشا من أدم يُحْشَى[3] بالريح حتى ينتفخ فيُحكَم حينئذ شدُّه، ويُلْقَى على تلك البركة الزئبق ويشدّ بالزنانير الحرير التى فى حِلَق الفضة المقدم ذكرها، وينزل خمارويه فينام على هذا الفَرْش، فلا يزال الفرش يرتجّ ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه . وكانت هذه البركة من أعظم الهِمَم الملوكيّة العالية؛ وكان يُرَى لها فى الليالى المقمرة مَنْظَرٌ عجيب إذا تألّف نور القمر بنور الزئبق .

قال القضاعىّ : ولقد أقام الناس مدّة طويلة بعد خراب هذا القصر يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة .

(١) الخرص (بالضم ويكسر) : حلقة الذهب والفضة ومنه الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم وعظ النساء وحثهن على الصدقة فجعلت النساء تلق الخرص والخاتم، وقيل : بل القرط بحبة واحدة وهى من حلى الذهب . (٢) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «فأمر» . (٣) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «محشيا» .

ثم بنَى خُمارَوَيْه فى القصر أيضا قبّة تُضاهى قبة الهواء سماها الدّكة، وجعل لها السّتر الذى يقِى الحرّ والبرد فيُسدلُ حيث شاء ويُرْفع متى أحبّ؛ وكان كثيرا ما يجلِس فى هذه القبة ليُشرِف منها على جميع ما فى داره من البستان والصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة . ثم بنى مَيْدانا آخر أكبرَ من ميدان أبيه . وبنَى أيضا فى داره المذكورة دارا للسباع وعمِل فيها بيوتا كل بيت لسبُع لم يسع البيتُ غيرَ السبُع ولَبُؤَته، وعمِل لتلك البيوت أبوابا تُفتح من أعلاها بحركاتٍ، ولكلّ بيت منها طاقةٌ صغيرة يدخل منها الرجل الموكّل بخدمة ذلك البيت لفَرْشه بالرمل؛ وفى جانب كل بيت حوض من الرّخام بميزاب من نُحاس يصبّ فيه الماء[1]، وبين يدى هذه البيوت رَحبة فَسيحة كالقاعة فيها رمل مفروش، وفى جانبها حوض كبير من رخام يُصَبّ فيه ماء من مِيزابٍ كبير، فإذا أراد سائسٌ من سُوّاس[2] بعض السباع المذكورة [أن] يُنظّف بيت ذلك السبُع أو يضعَ له غذاءَه من اللحم، رفع البابَ بحيلة من أعلى البيت وصاح على السبُع يخرجُ الى الرحَبة المذكورة؛ ثم يرُدّ الرجلُ الباب وينزِل الى البيت من الطاقة ويكنُسه ويبدّل الرملَ بغيره من الرمل النظيف، ويضَع غِذاءه من اللحم فى مكانه بعد ما يُقطّع اللحم قِطعا ويغسِل الحوضَ ويملؤه ماء، ثم يخرج الرجلُ ويرفع البابَ من أعلاه كما فعل أوّلا، وقد عرَف السبُع ذلك، فحالما يُرْفع الباب دخل السبُع الى بيته وأكل ما هُيِّئ له من اللحم؛ فكانت هذه الرحبة فيها عِدّةُ سِباع ولهم أوقات يُفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرُج الى الرحبة المذكورة وتتشمّس فيها ويُهارِش بعضُها بعضا فتُقيم يوما كاملا إلى العَشِىّ وخمارويه وعساكره تنظر إليها؛ فإذا كان العَشِىّ يصيح

(١) كذا فى المقريزى والخطط التوفيقية . وفى الأصل : «يصب منه الماء» .

(٢) فى الأصل : «سياس» ، وسائس واوى العين فيجمع على سوّاس لا سياس .

عليها السُّوّاس فيدخل كل سبُع إلى بيته لا يتعدّاه إلى غيره . وكان من جملة هذه السباع سبُعٌ أزرقُ العينين يقال له[1] "زُرَيْق" قد أنِس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لا يؤذِى أحدًا وراتبُه على عادة السباع ، فلا يلتفِت إلى غذائه بل ينتظر سِماط خمارويه، فإذا نُصبت المائدة أقبل زريقٌ معها وربَض بين يدى خمارويه، فيبْقَى خُمارَوَيْه يرمِى إليه بيده الدّجاجةَ بعد الدجاجة والقِطعةَ[2] الكبيرةَ من اللحم ونحوَ ذلك مما على المائدة؛ وكانت له لَبُؤَةٌ لم تأنَس بالناس كما أنِس هو، فكانت محبوسة فى بيت وله وقت معروف يجتمع بها [فيه][3]، وكان إذا نام خمارويه جاء زريق وقعد ليحرُسه، فإن كان [قد][3] نام على سريره ربَض بين يدى السرير وجعل يُراعِيه مادام نائما، وإن نام خمارويه على الأرض قعد قريبا منه وتفطّن لمن يدخُل أو يقصِد خمارويه لا يغفُل عن ذلك لحظة واحدة؛ وكان فى عنق زريق طوق من ذهب فلا[4] يقدِر أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائما لمراعاة زريق له وحِراسته إياه، حتى أراد الله إنفاذ قضائه فى خمارويه كان بدِمَشق وزريق بمصر، ولو كان زريقٌ حاضرا لما كان يصِل إلى خمارويه أحدٌ، فما شاء الله كان .

وكان خمارويه أيضا قد بنَى دارا جديدة للحُرَم من أمّهات أولاد أبيه [مع[5] أولادهنّ وجعل معهنّ المعزولاتِ من أمهات أولاده] وجعل فيها لكل واحدة حُجْرة واسعةً، لتكون[6] لهم بعد زوال دولتهم، وأقام لكلّ حجرة من الخدم

(١) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «يقال لها» .

(٢) عبارة المقريزى : «والفضلة الصالحة من الجدى» . (٣) الزيادة عن المقريزى والخطط التوفيقية . (٤) كذا فى المقريزى والخطط التوفيقية . وعبارة الأصل : «وكان مادام خمارويه فى النوم لا يقدر أحد يدنو منه من حواشيه وألزامه مادام نائما من مراعاة زريق ... الخ» .

(٥) زيادة عن المقريزى . (٦) عبارة المقريزى فى هذا الموضع : «... حجرة واسعة نزل فى كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته وفضل عنه منها شىء ...» .

والأسمطة الواسعة ماكان يفضل عن أهلها منه شيء كثير؛ وكان الخدم الموكّلون بالحُرَم من الطبّاخين وغيرهم يفضُل لكلّ منهم مع كثرة عددهم الشيء الكثير من الدّجاج ولحم الضأن والحلْوَى والقطَع الكبار من الفالوذَج[1] والكثير من اللّوزينَج[2] والقطائف[3] والهَبَرات[4] من العصيدة التي تُعرَف اليوم بالمأمونيّة وأشباهِ ذلك مع الأرغفة الكِبار؛ وآشتهر بمصر بيعُ الخدم لذلك؛ فكان الناس يأتونهم لذلك من البعد ويشترون منهم ما يتفكّهون به من الأنواع الغريبة من المآكل؛ وكان هذا دواما في كلّ وقت بحيث إن الرجل إذا طرَقه ضيف خرَج من فَوْره الى باب دار الحُرَم فيجد ما يشتريه ليتجمّل به لضيفه ممّا لا يقدِر على عَمَل مثله . ثم أوسَع خُمارَوَيْه آصطبلاته لكثرة دوابّه فعمِل لكلّ صِنْف من الدوابّ إصطبلا حتى للجمال[5]، ثم جعل للفُهُود دارا مفردة، ثم للنُّمورة دارا مفردة، وللفيَلَة كذلك، وللزرافات كذلك؛ وهذا كان سوى الاصطبلات التي كانت في الجيزة ومثلها في نَهْيا ووَسِيم وسَفْط وطُهُرْمُس؛ وكانت هذه الضياع لا تزرع إلا القُرْط[6] برسم الدوابّ؛ وكان للخليفة أيضا إصطبلات بمصر سوى ذلك، فيها الخيل لحَلْبَة السباق

---

(١) الفالوذج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل . قال في شفاء الغليل : فالوذ وفالوذق معربان عن بالوذة؛ قال يعقوب : ولا تقل فالوذج؛ قاله الجوهري . وفي الحديث : «كان يأكل الدجاج والفالوذ» . (٢) اللوزينج من الحلواء : شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز . فارسيّ مُعرب . (٣) في لسان العرب مادة (قطف) «القطائف : طعام يسوّى من الدقيق المرق بالماء، شبهت بخمل القطائف التي تفترش» . (٤) الهبرات : جمع هبرة وهي القطعة . وفي المقريزي : «والهراش من العصيدة ... الخ» . (٥) تبسط المقريزي في وصف هذه الإصطبلات عما هنا فأتى ببيان واف عنها وعدّد أصنافها؛ فلتراجع فيه . (٦) القرط : نبات يزرع بمصر عليه تسمن الدواب .

وللرباط في سبيل الله برَسْم الغَزْو، وعلى كل إصطبل وكلاء لهم الرزق السَّنِيّ والأموال المتسعة[1] .

وبلغ رزقُ الجيش المصريّ في أيام خُمارويه في السنة تسعَمائة ألف دينار؛ وكان مصروف مطبخ خمارويه في كل شهر ثلاثةً وعشرين ألفَ دينار، وهذا سوى مصروف حرَمه وجواريه وما يتعلق بهنّ[2] . وكان خمارويه قد آتخذ لنفسه من مولّدي الحَوْف وسائر الضياع قوما معروفين بالشجاعة وشدّة البأس؛ لهم خَلْق تامّ وعِظَم أجسام، وأجرى عليهم الأرزاق ووسّع لهم في العطاء، وشغَلهم عما كانوا فيه من قَطْع الطريق وأذيّة الناس بخدمته، وألبسَهم الأقبية من الحرير والديباج وصاغ لهم المناطق وقلّدهم بالسيوف المحلّاة يضعونها على أكتافهم إذا مَشَوْا بين يديه وسمّاهم المختارة؛ فكان هؤلاء يقاتلون أمام جُنْد خمارويه أضعاف ما يقاتله الجند . وكان إذا ركب خمارويه ومضى الحجّاب بين يديه ومشى موكبُه على ترتيبه ومضت أصناف العسكر وطوائفه، تلاهم السودان وعِدّتهم ألفُ أسودَ لهم دَرَق من حديد محكمةُ الصنعة وعليهم أقبية سود وعمائمُ سود، فيخالهم الناظرُ إليهم بحْرا أسود يسير على وجه الأرض لسواد ألوانهم [وسوادِ ثيابهم][3]، ويصير لبريق دَرَقهم وحُلَى سيوفهم والخُوَذ التي على رءوسهم من تحت العمائم زِيٌّ بَهِج الى الغاية؛ فإذا مضى السودان قدِم خمارويه وقد آنفرد عن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحوُ نصف غَلْوة[4] سهم، وخواصّه تحُفّ به . وكان خمارويه طويل القامة ويركب فرسا تاما فيصير كالكوكب، إذا أقبل لا يخفى

---

(١) كذا في المقريزي . وفي الأصل : «والأحوال المتسعة»، وهو تحريف . (٢) عبارة المقريزي : «سوى ما هو موظف لجواريه وأرزاق من يخدمهن» . (٣) الزيادة عن المقريزي . (٤) كذا في المقريزي . والغلوة : رمية سهم أبعد ما يقدر عليه . وفي الأصل : «بقدر نصف ميدان سهم» .

على أحد كأنه قطعة جبل . وكان خمارويه مَهِيبا[1] ذا سطوة، قد وقع فى قلوب الناس أنه متى أشار إليه أحد بيده أو تكلّم أو قرُب منه خِقَه ما يكره؛ وكان إذا سار فى موكبه لا يُسْمَع من أحد كلِمة ولا سعْلة ولا عطسة ولا نحنحة البتّة كأنّما على رءوسهم الطير؛ وكان يتقلّد فى يوم العيد سيفا بحمائل، ولا يزال يتفرّج ويتنزّه ويخرُج الى المواضع التى لم يكن أبوه يخرج اليها كالأهرام ومدينةِ ٱلعقاب[2] ونحوِ ذلك لأجل الصيد، فإنه كان مشغوفا به ، لا يكاد يسمع بسبُع إلا قصده ومعه رجال عليهم لُبُود فيدخلون الى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابته عَنْوة وهو سليم، فيضعونه فى أقفاص من خشب محكمةِ الصنعة تَسَع الواحد من السباع وهو قائم؛ فإذا قدِم خمارويه من الصيد سار القفص [وفيه السبع][3] بين يديه . وكانت حَلْبَة السِّباق فى أيّامه تقوم عند الناس مقام الأعياد لكثرة الزينة وركوبِ سائر الجند والعساكر بالسلاح [التامّ والعُدَدِ الكاملة][3]، ويجلِس الناس لرؤية ذلك كما يجلِسون فى الأعياد . قلت : والتشبيه أيضا بتلك الأعياد لا بأعياد زماننا هذا، فإن أعيادنا الآن كالمآتم بالنسبة لتلك الأعياد السالفة . انتهى .

وقال القُضَاعِىّ : وكان أحمد بنُ طولون بَنَى المَنْظَر لعرض الخيل . قال : وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربع ؛ والأربع العجائب : منها كان عرض الخيل بمصر، ورمضانُ بمكّة، والعيدُ بطَرَسُوس، والجمعةُ ببغدادَ . ثم قال القضاعىّ : وقد ذهب ٱثنتان من الأربع : عرضُ الخيل بمصر، والعيدُ بطَرَسُوس. انتهى .

---

(١) فى الأصل : «مهابا» .
(٢) هكذا ورد اسم هذه المدينة بالأصل والمقريزى ، ولم نجدها فى المراجع التى بين أيدينا .
(٣) الزيادة عن المقريزى .

وقال المقريزى : وقد ذهبت الجمعة ببغداد[1] بعد القضاعى بقتل هُولاكو[2] للخليفة المُسْتَعْصِم ببغداد ، وزالت شعائر الإسلام من العراق؛ [وبقِيت مكة[3] شرّفها الله تعالى ، وليس فى شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه : إنّه من عجائب الإسلام] . انتهى كلام المقريزى رضى الله عنه .

قلت : وما زال أمرُ خمارويه فى تزايُد إلى أن ماتت حَظِيّته بُوران التى بَنَى لها القصرَ المعروف ببيت الذهب المقدّمَ ذكرُه ، فكدّر موتُها عيشه وٱنكسر ٱنكسارا بان عليه . ثم إنه أخذ فى تجهيز ٱبنته قطرِ النّدَى لمّا تزوّجها الخليفة المعتضِد، فجهّزها جَهازا ضاهَى به نعمة الخلافة . وقد ذكرنا سبب زواج الخليفة بٱبنته قطر الندى المذكورَ فى أوائل ترجمته، ووعدنا بذكر جَهازها فى آخر الترجمة فى هذا المحلّ .

وكان من جملة جَهازها دَكّة أربعُ قِطع من ذهب عليها قبّة من ذهب مُشبّك[4] فى كل عين من التشبيك قُرْطٌ معلّق فيه حبّة من جوهر لا يُعرَف لها قيمة ، ومائة هاون من الذهب . وقال الذهبىّ : وألف هاون من ذهب . قال القضاعىّ : وعقد المعتضد النكاح على ٱبنته قطرِ الندى فحملها أبو الجيش خمارويه إلى المعتضد مع

---

(١) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «وقد ذهب بعد القضاعى الخطبة ببغداد بعد قتل...الخ» .
(٢) قتل هولاكو طاغية التتار الخليفة المستعصم بالله سنة ست وخمسين وستمائة ، كما سيأتى للمؤلف بيانه ؛ وذلك أن الخليفة المستعصم خرج فى سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان ، ولما اقتربوا من منزل هولاكو حجبوا عن الخليفة وقتلوا عن آخرهم وأحضر الخليفة بين يدى هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة ، ثم عاد إلى بغداد فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيرا من الذهب والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، فلما عاد إلى هولاكو أمر بقتله بمشاورة الوزير العلقمى ونصير الدين الطوسى . (راجع عقد الجمان فى حوادث سنة ٦٥٦ هـ) .
(٣) تكملة عن المقريزى أغفلها المؤلف .
(٤) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «أربع قطع من ذهب مشبكى من كل ... الخ» .

أبى عبد الله بن الجصّاص[١]، وحمل معها من الجَهاز ما لم يُرَ مثلُه ولا يُسْمَع به . ولمّا دخل إلى خمارويه ابنُ الجصّاص يودّعه قال له خمارويه : هل بقِيَ بينى وبينك حساب؟ قال : لا ؛ فقال خمارويه : أُنظر حَسَنا[٢]، فقال : كَسْرٌ بَقِيَ من الجَهاز؛ فقال خمارويه : أحضروه، فأخرج ربع طومار[٣] فيه ثَبَتُ ذكرِ نفقة الجهاز فإذا فيه أربعمائة ألف دينار، فوهبها له خمارويه . قال محمد بن علىّ الماذرائى[٤] : فنظرتُ فى الطومار فإذا فيه : "[و][٥] ألف تِكّة الثمن [عنها][٥] عشرة آلاف دينار". قال القضاعىّ : وإنما ذكرت هذا الخبر ليُستدلّ به على [أشياء : منها][٥] سعة نفس أبى الجيش خمارويه؛ ومنها كثرة مال ٱبن الجصّاص، حتى إنّه قال : كَسْرٌ بَقِىَ من الجَهاز، وهو أربعمائة ألف دينار، لو لم يُذَكَّره بذلك لم يذكره ؛ ومنها : عِمارة مصر فى ذلك الزمان لما طُلِب فيها ألف تِكّة من أثمان عشرة دنانير قُدِر عليها فى أيسر وقت بأهون سَعْى، ولو طُلِب اليوم خمسون لم يُقْدَر عليها . انتهى كلام القضاعى .

قال المقريزى : ولا يعرف اليوم فى أسواق القاهرة تِكّة بعشرة دنانير إذا طُلِبت توجد فى الحال ولا بعد شهر، إلا أن يُعْتَنى[٦] بعملها . انتهى كلام المقريزى .

ولمّا فَرَغ خُمارويه من جَهاز ٱبنته قطر النَّدى أمر فبُنِى لها على رأس كل منْزِلة تنزل فيها قصرٌ فيما بين مصر وبغداد، وأخرج معها خمارويه أخاه خَزْرَج[٧] بن أحمد ابن طولون فى جماعة مع ٱبن الجصّاص، فكانوا يسيرون بها سيرَ الطفل فى المَهْد ؛

(١) هو الحسين بن عبد الله أبو عبد الله الجوهرى المعروف بابن الجصاص . (٢) رواية المقريزى : «أنظر حسابك» . (٣) الطومار : الصحيفة . (٤) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «محمد بن دينار الماردينى» . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤ (٥) زيادة عن المقريزى . (٦) عبارة المقريزى : «إلا أن يتعنى بعملها فتعمل» . (٧) رواية المقريزى : «أخاه شيبان بن أحمد بن طولون» .

فكانت إذا وافت المنزلةَ وجدت قصرا قد فُرِش ، فيه جميع ما تحتاج إليه . وقد عُلِّقت فيه الستور وأُعِدّ فيه كلّ ما يصلح لمثلها . وكانت فى مسيرها من مصر الى بغداد على بُعْد الشُّقة كأنّها فى قصر أبيها، حتى قَدِمت بغدادَ فى أوّل المحرّم سنة ٱثنتين وثمانين ومائتين؛ وهى سنة قُتِل فيها خمارويه المذكور، على ماسيأتى ذكره .

ولمّا دخَل بها الخليفة المُعْتضِد أحبّها حبّا شديدًا لجمال صورتها وكثرة آدابها . قيل : إنّه خلا بها فى بعض الأيّام فوضَع رأسه على رُكْبتها ونام ، وكان المعتضد كثيرَ التحرز على نفسه؛ فلمّا نام تلطّفت به وأزالت رأسَه عن ركبتها ووضعتها على وسادة، ثم تنحّت عن مكانها وجلست بالقُرْب منه فى مكانٍ آخر؛ فٱنتبه المعتضد فزِعا ولم يجدها، فصاح بها فكلمته فى الحال؛ فعَتَبها على ما فعلت من إزالة رأسه عن ركبتها، وقال لها : أسلمتُ نفسى لكِ فتركتِنى وحيدا وأنا فى النوم لا أدرى ما يُفْعل بى ! فقالت[١] : يا أميرَ المؤمنين ، ما جهلتُ قَدْرَ ما أنعمت به علىّ ، ولكن فيما أدّبنى به والدى خمارويه : أنى لا أجلس مع النِّيَام ولا أنام مع الجلوس؛ فأعجبه ذلك منها الى الغاية . قلت : لله درّها من جواب أجابته به ! .

ولمّا فَرَغ خمارويه من جَهاز ٱبنته قطر النَّدى المذكورة وأرسلها إلى زوجها المُعْتضِد بالله، تجهّز وخرج إلى دِمَشق بعساكره، وأقام بها إلى أن قُتِل على فِراشه فى السنة المذكورة .

قال العلامة شمس الدين فى تاريخه مرآة الزمان : كان خُمارَوَيْه كثيرَ الفساد بالخَدَم، دخل الحمّامَ مع جماعة منهم فطلَب من بعضهم الفاحشةَ فامتنع الخادم

(١) كذا فى ابن خلكان (ج ١ ص ٢٤٥) : وفى الأصل : «فقالت : إذا ما كنت كالّة لأمير المؤمنين وإنما فعلت ذلك لما ... الخ» .

يدلّ عليه، وقال البَيْهَقِىّ : كان يَرى رأىَ الكَرّامية، وذكر عنه أشياء غير ذلك، وكان خبيثَ اللسان يقع فى حقّ كِبار العلماء . وفيها توفّى عبد الملك بن محمد بن عبد الله الحافظ أبو قِلابة الرَّقاشِىّ، مولده بالبصرة سنة تسعين ومائة، وسمع يزيدَ بن هارون وغيرَه، وروى عنه المَحَاملِىّ وآخرون[1] .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستُّ أذرع وتسعُ أصابع، مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وأربعَ عشرةَ إصبعا .

+
+ +

ما وقع من الحوادث فى سنة ٢٧٧

السنة السابعة من ولاية خُمارَويه على مصر، وهى سنة سبع وسبعين ومائتين — فيها آتفق يَازَمانُ الخادم مع خمارويه صاحب الترجمة ودعا له على المنابر بطَرَسُوس، وسببه أن خمارويه آستماله وتلطّف به وبعث له بثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة دابّة وسلاحٍ كثير . وفيها حَجّ بالناس هارون بن محمد العباسىّ الهاشمىّ على العادة . وفيها توفى أحمد بن عيسى أبو سَعيد الخَرّاز الصُّوفىّ البغدادىّ أحد المشايخ المذكورين[2] بالزهد، كان من أئمة القوم وجِلّةِ[3] مشايخهم؛ قال الجُنَيد : لو طالبنا اللهُ بحقيقة ما عليه أبو سَعيد الخَرّاز لهلكنا، قيل له[4]: وعلى أىّ شىء حالُه؟ قال: أقام كذا وكذا سنة يَخْرِز ما فاته [الحقُّ][5] بين الخُرْزتين، يعنى ذكر الله تعالى . وفيها توفى إبراهيم ابن إسحاق بن أبى العَنْبَس[6] أبو إسحاق الزُّهْرىّ الكُوفِىّ، وَلِىَ قضاءَ بغداد ثم صرفه

(١) كذا فى عقد الجمان . وفى الأصل : «وآخر» . (٢) كذا فى مرآة الزمان وعقد الجمان . وفى الأصل : «المذكورة» . (٣) فى الأصل : «جملة» وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٤) كذا فى الأصل : وفى تاريخ ابن عساكر (ج ١ ص ٤٢٧) : «قال على الدينورىّ : قلت لابراهيم بن شيبان : وأى شىء كان حاله؟ فقال : أقام كذا وكذا الخ» . (٥) التكملة عن تاريخ ابن عساكر وبها يستقيم المعنى . (٦) كذا فى الأصل وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى عقد الجمان : «ابراهيم بن إسحاق بن أبى العينين أبو إسحاق الكوفى» .

الموفّق، أراد منه أن يدفعَ إليه أموالَ الأوقاف فامتنع، وكان عالمـا محدّثا حَمَلَ الناسُ عنه الحديثَ الكثيرَ . وفيها توفى محمد بن إدريس بن المُنذِر بن داود بن مِهْران الحافظ أبو حاتم الرَّازى الحَنْظلىّ مولى بنى تَميم بن حَنْظلة الغَطَفانىّ، وقيل: سُمّى الحنظلىّ لأنه كان يسكن بالرَّىّ بدرب حَنْظلة، كان أحدَ الأئمة الرحّالين عارفا بعِلَل الحديث والجَرْح [و] التعديل، رحَل إلى خُراسان والعراقَين والحجاز واليمن والشام ومصر، ومات بالرَّىّ فى شعبان . وفيها توفى يعقوب بن سُفْيان الحافظ أبو يوسف الفارسىّ الفَسَوِىّ صاحب التاريخ والمصنَّفات الحِسان، كان إمامَ أهل الحديث، سافر [الى] البلاد ولقِىَ الشيوخَ، قال : كتبتُ عن ألف شيخ وأكثر، وكلُّهم ثقاتٌ، وقال أبو زُرْعة الدِّمَشْقىّ : قَدِم علينا يعقوبُ دِمَشْق وتعجّب أهلُ العراق أن يَرَوْا مثله .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسُ أذرع وإصبعان، مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وثمانىَ عشرةَ إصبعا .

+
+ +

ما وقع من الحوادث فى سنة ٢٧٨

السنة الثامنة من ولاية خمارويه على مصر، وهى سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين — فيهـا فى الثامن والعشرين من المحرّم ظهر فى السماء كوكب ذو جُمّة[1] . وفيها قال أبو المظفر بن قِزَأُوغْلى وغيره من المؤرّخين : غار نيلُ مصر حتى لم يبق منـه شىء . قال الذَّهبىّ : ولم يتعرّض المُسَبِّحىّ[2] فى تاريخه إلى شىء من ذلك . وغَلَتِ الأسعارُ

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير وعقد الجمان ومرآة الزمان . وعبارة ابن الأثير: «... كوكب ذو جمة وصارت الجمة ذؤابة» . وفى الأصل : «ذوجه» وهو تحريف . (٢) هو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى الحرانى المؤرخ، قال فى العبر : كان رافضيا . له تصانيف عديدة، منها : تاريخ مصر، والتلويح والتصريح من الشعر، ودرك البغية فى وصف الأديان وغير ذلك . ولد سنة ٣٦٦ ومات سنة ٤٢٠ (راجع ابن خلكان ج ١ ص ٧٣٦ وحسن المحاضرة وشرح القاموس مادة سبح) .

نساء المأمون إليه . وفيها توفى أبو حفص عمر[1] بن مسلم وقيل : آبن مَسْلمة الحَدّاد[2] النَّيسابورى ، أصله من قرية على باب نَيْسابور يقال لها كُورداباذ[3] على طريق بُخَارى . — قلت : وباذ بالتفخيم فى جميع ما يأتى فيه لفظة باذ مثل فيروز باذ وكلاباذ وما أشبه ذلك ، لا يصحّ معنى ذلك إلا بالتفخيم ، ومتى رُقّق كما يتلفّظ به أولاد العرب ذهب معنى الآسم — كان النَّيْسابورىّ هذا عظيمَ الشأن أحدَ السادة الأئمة من كبار مشايخ القوم ، وله الكرامات المشهورة ، ذُكِر عند الجُنَيد[4] فقال : كان رجلا من أهل الحقائق . وفيها توفّى محمد بنُ وهب أبو جعفر العابد صاحب الجُنَيد ، قال : سافرتُ لألْقَى أبا حاتم العطّار البَصْرىّ الزاهد فطرقتُ عليه بابَه فقال : مَنْ؟ فقلتُ : رجلٌ يقول : ربّىَ الله ، ففتح الباب ووضَع خدّه على الأرض وقال : طأْ عليه ، فهل بَقِىَ فى الدنيا مَنْ يُحْسِن أن يقول ربّىَ الله! . وكانت وفاته ببغداد ، وتولَّى الجُنَيد غَسْلَه وتكفينَه والصلاةَ عليه ، ودُفن إلى جانب سَرِىّ السَّقَطِىّ . وفيها توفّى مُصعَب بن أحمد بن مُصعَب أبو أحمد القَلانِسِىّ[5] ، وُلد ببغداد ، وكان عظيم الشأن من أقران الجُنَيد وكان صاحب كرامات وأحوال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة فى السنة المذكورة خمسَ عشرةَ ذراعا وآثنتان وعشرون إصبعا .

(١) كذا فى الأصل . وفى مرآة الزمان : «عمرو بن سلام وقيل : آبن سلمة» . وفى عقد الجمان : «عمرو بن أسلم والأصح أنه عمرو بن سلمة» . وفى تاريخ الاسلام للذهبى : «عمرو بن سلم وقيل : عمرو بن سلمة وقيل : عمر بن سلم» .
(٢) كذا فى عقد الجمان ومرآة الزمان وتاريخ الاسلام للذهبى وهو الصواب لأنه كان يحترف الحدادة . وفى الأصل : «المداد» وهو تحريف .
(٣) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وفى الأصل : «كوراباذ» .
(٤) هذا ماتفيده عبارة مرآة الزمان وتاريخ الاسلام للذهبى . وفى الأصل : «ذكر عنه الجنيد... الخ» .
(٥) فى الأنساب للسمعانى : «هذه النسبة الى القلانس (جمع قلنسوة) وعملها ، ولعل بعض المنتسب اليه كانت صنعته القلانس» .

\+ + +

ما وقع من الحوادث فى سنة ٢٧٢

السنة الثانية من ولاية خُمَارويه على مصر ، وهى سنة آثنتين وسبعين ومائتين — فيها وقع خلاف بين أبى العبّاس بن الموفَّق وبين يَازَمان الخادم فى طَرَسُوس ، فأخرج أهلُ طَرَسُوس أبا العبّاس عنهم ، فقَدِم الى أبيه ببغداد . وفيها دخل حَمدانُ[1] بن حمدون وهارون الشارِىّ[2] بالخوارج مدينةَ المَوْصل وصلَّى الشارِىّ بالناس فى الجامع . وفيها تحرّكت الزَّنْج بواسِط وصاحوا : أنكلاى[3] يا منصور ، وكان أنكلاى وسليمان بن جامع و[أَبان بن على][4] المهلَّبىّ والشعرانىّ وغيرهم من قوّاد الزَّنْج محبوسين فى بغداد فى بئر فتح السَّعِيدىّ[5] ، فكتب إليه الموفَّق بأن يبعث رءوسَهم ففعل ، وصُلبت أبدانُهم على الجسر . وفيها غزا الصائفةَ يازمان الخادم . وفيها حجّ بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبدالله بن العباس . وفيها توفِّى أحمد بن مهدىّ بن رُسْتَم الحافظ أبو جعفر الأصبهانىّ أحدُ الثِّقات الحفّاظ الرحّالين فى طلب الحديث والعلم ، كان صاحبَ صلاة وتعبُّد وآجتهاد ، لم يُفرش له فراشٌ منذ أربعين سنة ، وأنفق على تحصيل العلم ثلثمائة ألف درهم ، وصنَّف المُسْنَد . وفيها توفِّى الحسن بن إسحاق بن يزيد أبو علىّ العطّار ، قال عبد الرحمن بن هارون : كنّا فى البحر سائرين إلى إفريقيّة فركَدَت علينا[6] ريح ، فأرْسَينا[7]

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث هذه السنة . وفى الأصل : «أحمد» .
(٢) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث هذه السنة نسبة الى الشراة وهم الخوارج . وفى الأصل : «السارى» بالسين المهملة ، وهو تصحيف .
(٣) كذا فى الطبرى وآبن الأثير ومرآة الزمان . وفى عقد الجمان : «أنكلانى» . وفى الأصل : «أيكاى» .
(٤) الزيادة عن عقد الجمان .
(٥) فى مرآة الزمان والطبرى : «أن قواد الزنج هؤلاء كانوا محبوسين ببغداد فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فى يد غلام من غلمان الموفق يقال له فتح السعيدى» .
(٦) فى الأصل : «عليها» والتصويب عن عقد الجمان .
(٧) فى الأصل : «فأمرينا» .

مريم، وإنما بَنَوْها على آسمها؛ فقال ابن طولون : مالك [و] للاعتراض على الشيخ! ثم أمر بسبعين ألف دينار من ماله، وأن يُعطَى لكل من آحترق له شيء ويُقبل قولُه ولا يُستحلف، فأعطَوْا لمن ذهَب ماله. وفضَل من المال أربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ ثم أمر بمال عظيم أيضا ففُرِّق فى فقراء أهل دمشق والغُوطَة، وأقلّ[1] ما أصاب الواحد من المستورين دينار.

وعن محمد بن على الماذَرَائى[2] قال : كنت أجتاز بتُرْبة أحمد بن طُولون فأرى شيخا ملازما للقراءة[3] على قبره، ثم إنى لم أره مدّة، ثم رأيته فسألته فقال : كان له علينا بعض العدل إن لم يكن الكلّ، فأحببتُ أن أصله بالقراءة؛ قلت : فلِمَ آنقطعتَ؟ قال : رأيتُه فى النوم وهو يقول : أُحبّ ألّا تقرأ عندى، فما تمرّ بآية إلا قُرِّعتُ بها وقيل : أَمَا سمعت هذه ! انتهى.

قطائع ابن طولون

قلت : ولمّا وَلِى أحمد بن طولون مصرَ سكن العَسكرَ على عادة أمراء مصر من قبله، ثم أحب أن يبنى له قصرا فبنَى القطائع. والقطائع قد زالت آثارها الآن من مصر ولم يبق لها رسم يُعرف، وكان موضعها من قبّة الهواء، التى صار مكانَها الآن قلعة الجبل، الى جامع ابن طولون المذكور، وهو طُول[4] القطائع؛ وأما عرضها فانه كان من أوّل الرُّمَيْلة من تحت القلعة الى الموضع الذى يُعرف الآن بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين؛ وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل.

(١) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «وأقل من اصابة المستورين دينار» . وهى غير واضحة.

(٢) كذا فى الكندى . وقال ياقوت : الماذرائى نسبة الى ماذرايا قرية بالبصرة نسب اليها الماذرائيون كتاب الدولة الطولونية بمصر . وفى المقريزى : « محمد بن على المادرانى » . وقال السمعانى فى أنسابه : المادرانى نسبة الى مادرانا بلدة من أعمال البصرة . وفى الأصل : «المارديني» . وفى عقد الجمان : «المارداني» وكلاهما تحريف .

(٣) كذا فى عقد الجمان . وفى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى : « ملازما للقبر » .

(٤) فى المقريزى (ج ١ ص ٣١٣) : « وهذا أشبه أن يكون طولها » .

وقبّة الهواء كانت فى السطح[1] الذى عليه قلعة الجبل. وتحت قبة الهواء كان قصرُ ابن طُولون. وموضع هذا القصر المَيْدان السلطانى الآن الذى تحت قلعة الجبل بالرُّمَيْلة[2]. وكان موضع سوق الخيل والحمير والبغال والجمال بستانا. ويجاورها المَيْدان الذى يُعرف اليوم بالقُبَيْبات؛ فيصير الميدانُ فيما بين القصر والجامع الذى أنشأه أحمد بن طولون المعروف به. وبجوار الجامع دار الإمارة فى جهته القبلية، ولها باب من جدار الجامع يُخرَجُ منه الى المقصورة المحيطة بمُصَلّى الأمير الى جوار المحراب، وهناك دار الحَرَم. والقطائع عدّة قِطَع يسكن فيها عبيد الأمير أحمد بن طُولون وعساكره وغلمانه.

قلت : والقطائع كانت بمعنى الأطباق التى للماليك السلطانية الآن، وكانت كلّ قطيعة لطائفة تسمّى بها، فكانت قطيعة تسمّى قطيعةَ السودان، وقطيعةَ الروم، وقطيعةَ الفرّاشين — وهم نوع من الجمدارية الآن — ونحو ذلك. وكانت كل قطيعة لسكن جماعة ممن ذكرنا وهى[3] بمنزلة الحارات اليوم. وسبب بناء ابن طولون القصرَ والقطائع كثرةُ مماليكه وعبيده، فضاقت دار الإمارة عليه، فركب الى سفح الجبل وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى، واختطّ موضعهما وبنَى القصر والميدان المقدّم ذكرهما؛ ثم أمر لأصحابه وغلمانه أن يختطّوا لأنفسهم حول قصره ومَيْدانه بيوتا؛ واختطّوا وبنَوْا حتى آتصل البناء بعمارة الفُسْطاط — أعنى بمصر القديمة — ثم بُنِيت القطائع وسمّيت كل قطيعة باسم مَنْ سكنها. قال القُضاعىّ : وكان للنوبة قطيعةٌ مفردة تُعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفرّاشين قطيعة [مفردة][4] تعرف بهم، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم؛ وبنى القُوّادُ مواضعَ [متفرّقة][4]،

(١) فى المقريزى : « فى سطح الجرف الذى عليه قلعة الجبل » . (٢) عبارة المقريزى : « ... تحت قلعة الجبل، والرميلة التى تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كانت بستانا » .

(٣) فى الأصل : « وهم » . (٤) الزيادة عن المقريزى .

البغدادى . بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفى بالله علىّ فى سنة خمس وتسعين ومائتين، وله ثلاث عشرة سنة ، ولم يلِ الخلافةَ أحدٌ قبله أصغر منه . وخُلِـع من الخلافة أوّلَ مرّة بعبد الله بن المعتز فى شهر ربيع الأوّل فى سنة ستّ وتسعين ومائتين، ثم أُعيد وقُتل آبن المعتزّ، ثم خُلِـع فى سنة سبعَ عشرةَ وثلثمائة بأخيه القاهر ثلاثة أيام، ثم أُعيد إلى الخلافة إلى أن قُتِل فى هذه السنة . وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى الحوادث من هذا الكتاب كلّ واقعة فى موضعها . وآستُخْلِف من بعده أخوه القاهر محمد، وكنيته أبو منصور، وعمره يومَ ولِى الخلافة ثلاثٌ وثلاثون سنة. وكانت خلافة المقتدر خمسا وعشرين سنة إلّا بضعة عشرَ يوما، وكانت النساء(١) قد غلَبن عليه، وكان سخيّا مبذّرا يصرف فى السنة للحجّ أكثرَ من ثلثمائة ألف دينار، وكان فى داره أحدَ عشرَ ألفَ غلام خَصِىّ غيرَ الصَّقالبة والروم؛ وأخرَج جميعَ جواهر الخلافة ونفائسها على النساء وغيرهنّ(٢)؛ وأعطى الدُّرّة اليتيمة لبعض حَظَاياه، وكان زِنتُها ثلاثة مثاقيل؛ وأخذت زيدان القهرمانةُ سُبْحة جوهر لم يُر مثلُها، [قيمتها ثلثمائة ألف دينار](٣)؛ هذا مع ما ضيّع من الذهب والمسك والأشياء والتُّحَف . قيل : إنه فرّق ستين حُبًّا(٤) من الصينىّ . وقال الصولىّ: كان المقتدر يُفرِّق يومَ عرفةَ من الإبل والبقر أربعين ألفَ رأس، ومن الغنم خمسين ألفا . ويقال : إنه أتلف من المال فى أيّام خلافته ثمانين ألفَ ألفِ دينار. وخلّف المقتدر عدّة أولاد ذكورٍ وإناث . وفيها توفّى أحمد ابن عُمَيْر بن يوسف الحافظ أبو الحسين بن جَوْصَى(٥) ، كان حافظَ الشام فى وقته، كان إماما حافظا مُتْقِنا رحّالا . قال الدارقطنىّ : تفرّد بأحاديث وليس بالقوىّ .

(١) فى الأصل : «وكان الناس» . (٢) كذا فى عقد الجمان . وفى الأصل : «على النساء ومحقه» . (٣) زيادة عن عقد الجمان . (٤) الحب : الجرّة الضخمة والخابية . (٥) فى القاموس وشرحه (مادة جوص) : «ابن جوصى كسكرى ، ويكتب أيضا جوصا بالألف» اهـ .

وفيها توفّى الحسين بن صالح أبو علىّ بن خَيْرَان(١) الفقيه الشافعىّ القاضى، كان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء . وفيها توفّى عبد الوهّاب بن عبد الرزّاق بن عمر بن مسلم أبو محمد القرشىّ مولاهم الدمشقىّ، حدّث عن هشام بن عمّار وطبقتِه، وروى عنه أبو الحسين الرازىّ وغيرُه . وفيها توفّى محمد بن يوسف بن إسماعيل أبو عمر(٢) القاضى الأزدىّ مولى جرير بن حازم، ولِى قضاءَ مدينة المنصور، وكان عالما عاقلا ديّنا متفننا. وفيها توفّى أبو عمرو(٣) الدمشقىّ أحد مشايخ الصوفيّة، صحِب آبن الجَلّى وأصحابَ ذى النون، وكان من عظماء مشايخ الفقه، وله مقالات وأحوال .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو الحسن أحمد بن القاسم الفرائضىّ، والمقتدر بالله جعفر بن المعتضد، قتل فى شوّال عن ثمان وثلاثين سنة، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن يوسف القَرَبْرِىّ، وأبو عمر محمد بن يوسف القاضى، وأبو علىّ بن خَيْرَان الشافعىّ الحسين بن صالح .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

ذكر ولاية محمد بن طغج الأولى على مصر

هو محمد بن طُغْج بن جُفّ بن يَلْتِكِين(٤) بن فُورَان بن فُورى، الأميرُ أبو بكر الفَرْغانىّ التركىّ . مولدُه فى يوم الاثنين منتصف شهر رجب سنة ثمانٍ وستين ومائتين

(١) كذا فى عقد الجمان والمنتظم وشذرات الذهب والبداية والنهاية وفيما سيأتى فيمن ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة . وفى الأصل : «أبو على الخزاز» وهو تحريف . (٢) كذا فى المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية وشذرات الذهب وابن الأثير . وفى الأصل : «أبو عمرو» بالواو وهو تحريف . (٣) فى شذرات الذهب وكتاب دول الاسلام للذهبى : «أبو عمر» . (٤) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان مضبوطا بالعبارة ، وكذلك ضبطت فيه بالعبارة بقية الأسماء (ج ٢ ص ٥٩) . وفى الأصل : «يلكتكين» .

وقد نيّف على الثمانين . قيل : إنّه سأله سائل : هل يتحقّق العارف بما يبدو له ؟ فقال : كيف يتحقّق بما لا يثبت ! وكيف يطمئن الى ما يظهر ! وكيف يأنس بما لا يخفى! فهو الظاهر الباطن؛ ثم أنشأ :

فمَنْ كان فى طول الهوى ذاق سَلْوَةً * فإنّى من لَيْلَى بها غيرُ وائق
وأكثر شيء نِلْتُه من وِصالها * أمانىُّ لم تصدُق كلمحة بارق

وله :

تَغَنّى العود فآشتقنا * الى الأحباب إذ غَنَّى
وكنّا حيثما كانوا * وكانوا حيثما كنّا

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى أبو الفضل أحمد ابن عبد الله بن نصر بن هلال السُّلَمىّ ، وأبو بكر الصَّنَوْبَرىّ الحلَبىّ أحمد بن محمد ، والحسين بن يحيى بن عبّاس القطّان ، والمستكفى بالله عبد الله بن المكتفى خُلِع فى جُمادى الآخرة وسُمِل وسُجِن ثم مات بعد أربعة أعوام ، وعلىّ بن إسحاق المادَرانىّ[1] ، وأبو الحسن علىّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح الوزير ، وأبو القاسم عمر بن الحسين الخِرَقىّ الحنبلىّ صاحب «المختصر» ، وأبو علىّ محمد بن سعيد القُشَيْرىّ الحرّانىّ الحافظ ، والإخشيذ محمد بن طُغْج التركىّ فى ذى الحجة بدمشق عن ستّ وستين سنة ، والقائم بأمر الله نزار ، ويقال : محمد بن المهدىّ عبيد الله ، مات بالمهديّة فى شوّال ، وأبو بكر الشِّبْلىّ شيخ الصوفيّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ الماء القديم ثلاث أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وستّ أصابع .

(١) كذا فى شذرات الذهب وأنساب السمعانى ، نسبة الى مادرانا : بلدة من أعمال البصرة . وفى الأصل : « الماردانى » ، وهو تحريف .

ذكر ولاية أُنُوجُور بن الإخشيذ على مصر

هو أنوجور[1] بن الإخشيذ محمد بن طُغْج الأمير أبو القاسم الفَرْغانىّ التركىّ . وأنوجور اسم أعجمىّ غير كنية[2] ، معناه باللغة العربية محمود . ولى مصر بعد وفاة أبيه الإخشيذ فى يوم الجمعة لثمانٍ بقين من ذى الحجّة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، ولّاه الخليفة المطيع لله على مصر والشام وعلى كلّ ما كان لأبيه من الولاية ؛ فإنّه كان أبوه آستخلفه وجعله ولىّ عهده ، فأقرّه الخليفة على ما عهده له أبوه . ولما ثبت أمر أُنُوجُور المذكور صار الخادم كافورُ الإخشيذىّ مدبّر مملكته ، فكان كافور يُطْلِق فى كلّ سنة لآبن أستاذه أُنُوجُور هذا أربعمائة ألف دينار ، ويتصرّف كافور فيما يبقى . ثم قبض كافور على أبى بكر محمد بن علىّ بن مُقاتل صاحب خراج مصر فى يوم ثالث المحرّم سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، وولّى مكانه على الخراج محمد بن علىّ المادرانىّ[3] . ولما تمّ أمر أُنُوجُور بدمشق خرج منها وصحبتُه الأستاذ كافور الإخشيذى الى مصر ؛ فدخلها بعساكره فى أوّل صفر ؛ فأقام بها مدّة ، ثم خرج منها بعساكره الى الشام أيضا لقتال سيف الدولة علىّ بن عبد الله بن حَمْدان ؛ فإنّ سيف الدولة كان بعد خروج أُنُوجُور من دمشق ملكها . ولما خرج أنوجور من مصر الى الشام فى هذه المرّة خرج معه عمّه الحسن بن طُغْج أخو الإخشيذ ، ومدبّر دولته الخادم كافور الإخشيذىّ ؛ فخرج سيف الدولة من دمشق وتوجّه نحو الديار المصريّة حتّى وصل الى الرَّمْلة ؛ فالتقى مع المصريّين ؛ فكان بينهم وقعة هائلة آنكسر

(١) أنوجور ، ضبطه صاحب عقد الجمان بالعبارة فقال : « بفتح الهمزة وضم النون والجيم بعدها وقبلها واو ساكنة وفى آخره راء ساكنة » . (٢) فى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ٢ ص ١٤) : « ... قال الذهبىّ فى « العبر » : ومعناه محمود مقامه » . (٣) راجع (الحاشية رقم ٢ ص ٧٧) .

ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة . أقامه خادمه كافور الإخشيذىّ[1] الخصىّ فى مملكة مصر باتفاق حواشى والده والجند، وأقرّه الخليفة المطيع لله على ذلك . وصار كافور الإخشيذىّ هو القائم بتدبير مملكته والمتصرّف فيها كما كان أيّام أخيه أنُوجُور. وجمع له الخليفة جميع ما كان لأبيه وأخيه من أعمال الديار المصريّة والممالك الشاميّة والثغور والحرمين الشريفين. وأطلق كافور لعلىّ هذا فى السنة ما كان يُطلقه لأخيه أنوجور، وهو فى كلّ سنة أربعمائة ألف دينار. وقويت شوكة كافور بعد موت أنوجور وتولية علىّ هذا أعظم مما كانت أيّام أنوجور. ومولد علىّ المذكور (أعنى صاحب الترجمة) لأربع بقين من صفر سنة ستّ وثلثمائة . ودام علىّ هذا فى الملك، وله الاسم فقط والمعنى لكافور، إلى سنة إحدى وخمسين وثلثمائة . [و] وقع بمصر الغلاء واضطربت أمور الديار المصريّة والإسكندرية بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميّين الواردين إليها من المغرب، وتزايد الغلاء [وعزّ[2] وجود القمح]. ثم قدم القرمطىّ إلى الشام فى سنة اثنتين[3] وخمسين وثلثمائة ووقع له بها أمور، وعجز المصريّون عن دفعه عنها لشغلهم بالغلاء والمغاربة الفاطميّين. ومع هذا قلّ ماء النيل فى هذه السنين فارتفعت الأسعار أكثر مما كانت عليه، ووهنت ضياع مصر وقُراها من عدم زيادة النيل، وعظُم الغلاء وكثُرت الفتن، وسار ملك النوبة إلى أسوان ووصل الى إخميم وقتل ونهب وسبى وأحرق . وعظُم اضطراب أعمال الديار المصرية قبليّاً وبحريّاً . ثم فسد ما بين علىّ بن الإخشيذ صاحب مصر وبين مدبّر مملكته كافور الإخشيذىّ، ومنع كافور الناس من الاجتماع به، حتّى اعتلّ علىّ المذكور بعلّة أخيه أنُوجُور ومات لإحدى عشرة خلت من المحرّم سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وحُمل الى المقدس ودُفن عند أبيه الإخشيذ وأخيه

(١) فى الأصل : «أقامه خادم كافور الإخشيذى» وهو تحريف . (٢) الزيادة عن المقريزى (ج ١ ص ٣٢٩) . (٣) فى المقريزى : « فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة» .

أنُوجُور . وبقيت مصر من بعده أيّاما بغير أمير ، وكافور يُدبّر أمرها على عادته فى أيّام أولاد الإخشيذ ومعه أبو الفضل جعفر بن الفُرات. ثم ولى كافور إمرة مصر باتّفاق أعيان الديار المصريّة وجندها. وكانت مدّة سلطنة علىّ بن الإخشيذ المذكور على مصر خمس سنين وشهرين ويومين .

* * *

ما وقع من الحوادث فى سنة ٣٥٠

السنة الأولى من ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر، وهى سنة خمسين وثلثمائة . أعنى بذلك أنّه ولى فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة . وقد ذكرنا تلك السنة فى أيّام أخيه أنُوجُور ، فلذلك ذكرنا أن سنة خمسين وثلثمائة أوّل السنين لعلىّ هذا على مصر بهذا المقتضى — فيها (أعنى سنة خمسين وثلثمائة) دخل غلام[1] سيف الدولة بن حمدان الى بلاد الروم وسبى ألف نفس وغنم أموالا كثيرة . وفيها أخذ ملك الروم أرمانوس[2] بن قُسطنطين من المسلمين جزيرة أقريطش من بلاد المغرب . وكان الذى افتتح أقريطش عمر[3] بن شعيب ، غزاها وافتتحها[4] فى حدود سنة ثلاثين ومائتين، وصارت فى يد أولاده إلى هذا الوقت . وفيها شرع معزّ الدولة بن بُوَيه فى بناء دار هائلة عظيمة ببغداد وأخرب لأجلها دورا وقصورا، وقلع أبواب الحديد التى كانت على أبواب مدينة المنصور، وألزم الناس ببيع أملاكهم ليُدخلها فى البناء، ونزل فى الأساسات ستّا وثلاثين ذراعا، فلزمه من الغرامات عليها الى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، وصادر الدواوين وغيرها[5] ، وجعل كلّما حصّل له شىء أخرجه فى بنائها . وقد درست هذه الدار من قبل سنة ستمائة،

(١) يريد به «نجا» غلام سيف الدولة كما تقدم . (٢) كذا فى ياقوت وشرح القاموس . وفى الأصل : «رومانوس» . (٣) كذا فى الأصل وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى معجم ياقوت : «عمرو بن شعيب» . (٤) فى الأصل : «غزاها وافتتح» . (٥) فى الأصل : «وغيرهم» .

ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة . أقامه خادمه كافور الإخشيذى[1] الخصىّ فى مملكة مصر باتفاق حواشى والده والجند، وأقرّه الخليفة المطيع لله على ذلك . وصار كافور الإخشيذى هو القائم بتدبير مملكته والمتصرّف فيها كما كان أيّام أخيه أنُوجُور . وجمع له الخليفة جميع ما كان لأبيه وأخيه من أعمال الديار المصريّة والممالك الشاميّة والثغور والحرمين الشريفين . وأطلق كافور لعلىّ هذا فى السنة ما كان يطلقه لأخيه أنوجور، وهو فى كلّ سنة أربعمائة ألف دينار . وقويت شوكة كافور بعد موت أنوجور وتولية علىّ هذا أعظم مما كانت أيّام أنوجور . ومولد علىّ المذكور (أعنى صاحب الترجمة) لأربع بقين من صفر سنة ستّ وثلثمائة . ودام علىّ هذا فى الملك، وله الاسم فقط والمعنى لكافور، إلى سنة إحدى وخمسين وثلثمائة . [و] وقع بمصر الغلاء واضطربت أمور الديار المصريّة والإسكندرية بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميّين الواردين إليها من المغرب، وتزايد الغلاء [وعزّ وجود القمح][2] . ثم قدم القرمطىّ إلى الشام فى سنة اثنتين[3] وخمسين وثلثمائة ووقع له بها أمور، وعجز المصريّون عن دفعه عنها لشغلهم بالغلاء والمغاربة الفاطميّين . ومع هذا قلّ ماء النيل فى هذه السنين فارتفعت الأسعار أكثر مما كانت عليه، ووهنت ضياع مصر وقُراها من عدم زيادة النيل، وعظُم الغلاء وكثُرت الفتن، وسار ملك النوبة إلى أسوان ووصل الى إخميم وقتل ونهب وسبى وأحرق . وعظُم اضطراب أعمال الديار المصريّة قبليّها وبحريّها . ثم فسد ما بين علىّ بن الإخشيذ صاحب مصر وبين مدبّر مملكته كافور الإخشيذى، ومنع كافور الناسَ من الاجتماع به، حتّى اعتلّ علىّ المذكور بعلّة أخيه أنُوجُور ومات لإحدى عشرة خلت من المحرّم سنة خمس وخمسين وثلثمائة، وحُمل الى القدس ودُفن عند أبيه الإخشيذ وأخيه

(١) فى الأصل : «أقامه خادم كافور الإخشيذى» وهو تحريف . (٢) الزيادة عن المقريزى (ج ١ ص ٣٢٩) . (٣) فى المقريزى : « فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة » .

أنُوجُور . وبقيت مصر من بعده أياما بغير أمير، وكافور يُدبّر أمرها على عادته فى أيّام أولاد الإخشيذ ومعه أبو الفضل جعفر بن الفُرات . ثم ولى كافور إمْرة مصر باتفاق أعيان الديار المصريّة وجندها . وكانت مدّة سلطنة علىّ بن الإخشيذ المذكور على مصر خمس سنين وشهرين ويومين .

* * *

ما وقع من الحوادث فى سنة ٣٥٠

السنة الأولى من ولاية علىّ بن الإخشيذ على مصر، وهى سنة خمسين وثلثمائة . أعنى بذلك أنّه ولى فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة . وقد ذكرنا تلك السنة فى أيّام أخيه أنُوجُور، فلذلك ذكرنا أن سنة خمسين وثلثمائة أوّل السنين لعلىّ هذا على مصر بهذا المقتضى — فيها (أعنى سنة خمسين وثلثمائة) دخل غلام[1] سيف الدولة بن حَمْدان الى بلاد الروم وسبى ألف نفس وغنم أموالا كثيرة . وفيها أخذ ملك الروم أرمانوس[2] بن قُسْطَنْطين من المسلمين جزيرة أَقْرِيطِش من بلاد المغرب . وكان الذى افتتح أقريطش عمر[3] بن شعيب، غزاها وافتتحها[4] فى حدود سنة ثلاثين ومائتين، وصارت فى يد أولاده إلى هذا الوقت . وفيها شرع معزّ الدولة بن بُوَيْه فى بناء دار هائلة عظيمة ببغداد وأخرب لأجلها دورا وقصورا، وقلع أبواب الحديد التى كانت على أبواب مدينة المنصور، وألزم الناس ببيع أملاكهم ليُدخلها فى البناء، ونزل فى الأساسات ستّا وثلاثين ذراعا، فلزمه من الغرامات عليها الى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم، وصادر الدواوين وغيرَها[5]، وجعل كلّما حصّل له شىء أخرجه فى بنائها . وقد دَرَست هذه الدار من قبل سنة ستمائة،

(١) يريد به «نجا» غلام سيف الدولة كما تقدّم . (٢) كذا فى ياقوت وشرح القاموس . وفى الأصل : «رومانوس» . (٣) كذا فى الأصل وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى معجم ياقوت : «عمرو بن شعيب» . (٤) فى الأصل : «غزاها وافتتح» . (٥) فى الأصل : «وغيرهم» .

وأقام بتدبير مملكة ولده العزيز جوهرا القائد بانى القاهرة وصاحب جامع الأزهر المقدم ذكره .

قال آبن خلكان : إنه تُوفّى يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الآخر . وقيل : الثالث عشر [وقيل لسبع خَلَوْن][1] منه . نخالف ما قلنا[2] فى اليوم والشهر إلّا أنه وافق فى السنة . قال : و (معدّ بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة) . انتهى . قلت : وكان المعزّ عاقلا حازما أديبا جوادا ممدّحا ، فيه عدل وإنصاف للرعية ، فمن عدله [ما] حكى عنه أنّ زوجة الإخشيذ الذى كان ملك مصر لمّا زالت دولتهم أودعت عند يهودىّ بغلطاقا[3] كلّه جوهر، ثم فيما بعدُ طالبته فأنكر؛ فقالت: خذ كُمّ البغلطاق وأعطنى ما فضل فأبى؛ فلم تزل به حتّى قالت: هاتِ الكُمّ وخذ الجميع فلم يفعل؛ وكان فى البغلطاق بضع عشرة درّة؛ فأتت المرأة إلى قصر المعزّ فأذن لها فأخبرته بأمرها، فأحضره وقرّره فلم يُقرّ؛ فبعث إلى داره من خرّب حيطانها فظهرت جرّة فيها البغلطاق؛ فلما رآه المعزّ تحيّر من حسنه، ووجد اليهودىّ قد أخذ من صدره درّتين، فاعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار؛ فسلّمه المعزّ بكماله للمرأة. فآجتهدت أن يأخذه المعزّ هدية أو بثمن فلم يفعل؛ فقالت : يامولاى ، هذا كان يصلح لى وأنا صاحبة مصر، وأمّا اليوم فلا؛ فلم يقبله المعزّ وأخذته وآنصرفت .

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) فى الأصل : « نخالف ماقلناه فى قوله الثانى فى اليوم...الخ» . وابن خلكان له ثلاثة أقوال كل منها يخالف ماقاله المؤلف فى اليوم والشهر، فلهذا لم نجد لقوله : «فى قوله الثانى» معنى ، فحذفناه . (٣) كذا فى الأصل وتاريخ ابن إياس (ج ١ ص ٤٧) . وفى مورد الطافة للمؤلف (ص ٣ طبع أوربا) : « ثوب طاق» . وقد ذكر ابن إياس فى تاريخه هذا الخبر بعبارة أوسع . أما البغلطاق فقد ذكره المرحوم على مبارك باشا فى خططه أثناء كلامه على الملابس قال : «هو شبه المضربية» (راجع الخطط التوفيقية ج ١ ص ٥٢) .

وكان المعزّ قد أتقن فنونا من العلم والأدب . ومن شعره قوله :

لله ما صنعتْ بنا * تلك المحاجر فى المعاجر[1]
أمضَى وأقضَى فى النفو * س من الخناجر فى الحناجر
ولقد تعبْتُ ببينكم * تعَبَ المُهاجر فى الهواجر

ذكر ركوب الخلفاء الفاطميين فى أوّل العام من كلّ سنة

والمعزّ هذا هو الذى آستنّ ذلك كلّه، فكان أمره إذا كان أواخر ذى الحجّة من كلّ سنة آنتصب كلُّ من المستخدَمين فى الأماكن الآتى ذكرها لإخراج آلات الركوب :

فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صِبْيان الرِّكاب[2] حول الخليفة، وهو الصَّماصم[3] المصقولة المذهّبة، [مكان السيوف][4]، والدبابيس الملبّسة الكيمُخْت[5] الأحمر والأسود مدوّرة الرأس مضرّسة ؛ ولتوت[6] رءوسها مستطيلة ؛ وآلات يقال لها المستوفيات، وهى عمد حديد طول ذراعين مربّعة الشكل، لها مقابض مدوّرة فى اليد ، وعُدَد معلومة أيضا من كلّ صنف يتسلّمها نقباؤهم ؛ وستّمائة حربة بأسنّة مصقولة تحتها جُلَب[7] فضّة، كل آثنتين فى شرابة تُعطَى لثلثمائة عبد [من] السودان الشباب يقال لهم أرباب السلاح الصغير[8] ويعطى لكل منهم درقة . هذا من خزائن السلاح .

(١) المعاجر : ضرب من الثياب . (٢) صبيان الركاب : وظيفتهم حمل السلاح حول الخليفة فى المواكب وعدّتهم تزيد على ألفى رجل ، ولهم اثنا عشر مقدما . (٣) فى الأصل : « هو من الصماصم » والتصويب عن المقريزى (ج ١ ص ٤٤٦) وصبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٤) . (٤) زيادة عن المقريزى وهامش الأصل . (٥) ضرب من الجلود المدبوغة . (٦) لتوت : كلمة فارسية معربة ، جمع لت ، واللت : القدوم والفأس العظيمة . (٧) الجلب ، جمع جلبة ، وهى القطعة من فضة وغيرها تضم نصاب الحربة بسنانها . (٨) فى المقريزى : «أرباب السلاح الصغر» .

لكل واحد دَرَقَةٌ من دَرَق اللَّمْط[1] واسعة وسيف، ويسيرون رَجّالة . هذا ما يخرج من خزائن السلاح .

ثم يحضُر حامى خزائن السروج، وهو من الأستاذين المُحَنَّكين[2]، إليها مع مُشارفها وهو من الشهود المعدّلين[3]، فيخرج منها من خاصّ[4] الخليفة من الرِّكاب المُحَلَّى ما هو برسم ركوبه، وما يُجنب فى الموكب مائةُ سرج تُشدّ على عدّة حُصُن . ويقال : كلّ مركب مصوغ من ذهب وفضّة ، أو من ذهب مثّل فيه المينا ، وروادفها وقرابيسها من نسبتها . ومنها مرصّع بحَبّ اللؤلؤ الفائق . والخيل مطوّقة بأعناق الذهب وقلائد العنبر، وفى أيدى أكثرها خلاخل مُسطّحة بالذهب، ومكان الجلد من السروج الديباجُ الأحمرُ والأصفر وغيرُهما من الألوان المنقوشة ؛ قيمة كلّ دابّة وما عليها ألف دينار . فيُشَرَّف الوزيرُ منها بعشرة لركوبه وأولاده ومن يشاء من أقاربه . ويَتسلّم ذلك كلّه عرفاءُ الإصطبلات .

(١) اللط : اسم لقبيلة من البربر بأقصى الغرب ، ينسب اليها الدرق ، لانهم ينقعون الجلود فى الحليب سنة فيعملونها فينبو عنها السيف القاطع . (٢) الأستاذون : هم المعروفون بالخدام والطواشية ، وكان لهم فى دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وأجلهم المحنكون ، وهم الذين يدوّرون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة ، وهم أقربهم اليه وأخصهم به . وقد ذكر صاحب صبح الأعشى لهم عدّة وظائف ، منها : شدّ تاج الخليفة ، وتولى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة ، وحمل رسائل الخليفة الى الوزير، وغير ذلك . (٣) الشهود المعدّلون : وظيفتهم من الوظائف الدينية مثل وكالة بيت المال والمحتسب وحضور مجلس القاضى . فاذا جلس القاضى بالمجلس جلس هؤلاء الشهود حواليه يمنة ويسرة على مراتبهم فى تقدّم تعديلهم ، فيجلس الشاب المتقدم التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل . وكان من مصطلحهم ألا يعدّل شاهد إلا بأمر الخليفة . (راجع صبح الأعشى فى أرباب الوظائف الدينية ج ٣ ص ٤٨٦) . (٤) فى المقريزى : « منها برسم خاص الخليفة » .

ثم يخرج من الخزانة أيضا لأرباب الدواوين المرتّبين فى الخِدَم مراكبُ على مقدارهم ، عليها من العُدّة دون ما تقدّم ذكرهم[1] ، وعدّتهم ثلثمائة خيل وبغال . ثم يُنتدب حاجبٌ يفرّق لأرباب الخِدَم كلّ واحد سيفا وقلما ؛ فيحضُر سَحَر اليوم المذكور إلى منازل أرباب الخِدَم بالقاهرة ومصر ، ولهم رسوم من الرِّكاب من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار . فإذا تكمّل ماوصفنا وتسلّمه أربابه من العُرَفاء يجلس[2] الخليفة فى الشبّاك لعرض الخيل الخاصّ المقدّم ذكرها ، ويقال له يوم عَرْض الخيل ؛ فيُستدعَى الوزيرُ بصاحب الرسالة ، وهو من كبار الأستاذين المُحَنّكين، فيمضى مسرعا على حصان دَهْراج[3]، فيعود ويُعلم باستدعاء الوزير؛ فيخرج الخليفة من مكانه راكبًا فى القصر والناس بين يديه مشاةٌ، فينزل بمكان[4] لا بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك، وعليه سترٌ؛ فيقف زِمامُ القصر[5] من جانبه الأيمن وصاحبُ بيت المال[5] من جانبه الأيسر . فيركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء . فيترجّل الأمراء من باب القصر والوزيرُ راكب، ويدخل من باب العيد فى هذا اليوم ، وينزل عند أوّل الدهاليز الطِّوال ، ويمشى وحوله حاشيتُه وأقاربه إلى الشبّاك ، فيجلس على كرسيّ جيّد ورجلاه تطأ الأرض . فعند ما يجلس يرفع الأستاذان جانبى الستر الذى على الخليفة[6]. فإذا رأى الوزيرُ الخليفةَ وقف وسلّم وخدَم بيده إلى الأرض خمس مرّات[7] . ثم يُؤذَن له فى الجلوس على كرسيّه ،

(١) كذا فى الأصل . وفى المقريزى : «دون ما تقدّم ذكره ما تقرب عدّته من ثلثمائة مركب على خيل ... الخ» . (٢) فى الأصل : « ثم يجلس » ويظهر أن كلمة « ثم » مقحمه . (٣) حصان دهراج : سريع السير . (٤) كذا فى الأصل . وفى المقريزى : « فينزل بالسدّ ... الخ » . (٥) زمام القصر وصاحب بيت المال : وظيفتان من وظائف الأستاذين المحنكين . (٦) كذا فى الأصل . وفى المقريزى وصبح الأعشى : « يرفع الأستاذان جانبى الستر فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة » . (٧) فى المقريزى : «ثلاث مرات» .

ويقرأ القرّاء آياتٍ لائقةً بذلك الحال نصف ساعة . ثم تُعرض الخيولُ كالعرائس بأيدى شدّاديها، فيقرأ القرّاءُ عند تمام العرض ويُرْخى جنبات الستر. ويقوم الوزيرُ فيدخل ويقبّل يد الخليفة ورجله؛ ثمّ ينصرف فيركب من مكان نزوله والأمراء فى ركابه ركبانا ومُشاةً إلى قريب من داره. فإذا صلّى الإمام الظهرَجلس الخليفة لعرض ما يَلبَسه فى الغد من خزائن الكسوة الخاصّة، ويكون لباسه البياض، فيُعين منديلا خاصًّا وبدلة . ويتسلّم المنديل شادّ التاج الشريف، ويقال له شَدّ الوَقَار[1]، وهو من الأستاذين المحنّكين وله ميَزة، فيشدّها شدّةً غريبةً لا يعرفها سواه، شكل الإهليلَجة. ثم يُحضِر إليه اليتيمة، وهى جوهرة عظيمة لا تُعرف لها قيمة ، فتنظم وحولها ما هو دونها من الجواهر؛ وهى موضوعة فى هلال من ياقوت أحمر ليس له مثالٌ فى الدنيا، زنته أحد عشر مثقالا ، وقيل أكثر، يقال له الحافر، فتنظم فى خرقة حرير أحسن ما يمكن من الوضع ، ويخاط على[2] التاج بخياطة خفيفة ، فيكون ذلك بأعلى جبهة الخليفة، وبدائرها قصب الزمرذ الذّبابىّ[3] العظيم القدر .

ثمّ يؤمر بشدّ المِظَلّة التى تشاكل تلك البدلة، وهى اثنا عشر شوزكا[4]، عرض أسفل كلّ شوزك شبر وطوله ثلاث أذرع وثلث؛ وآخر الشوزك من فوق دقيق جدا . فيجتمع ما بين الشوازك فى رأس عمودها دائرة[5] . والعمود من الزان ملبّس بأنابيب الذهب[6] . وفى آخر أنبوبة تلى الرأس فلكة بارزة قدر عرض إبهام . فيشدّ

(١) فى المقريزى : « ويقال له شدّة الوقار » . (٢) فى المقريزى : « ويخيطها شادّ التاج بخياطة خفيفة، فتكون بأعلى ... الخ » . (٣) سمى بالذبابى لقرب لونه من لون الذباب الكبير المائل الى الخضرة . (٤) كذا فى الأصل وصبح الأعشى . وفى المقريزى : « شوركا » بالراء المهملة . (٥) فى المقريزى : « بدائرة » . (٦) فى الأصل : «ملبوس بالأنابيب الذهب فى آخر الأنبوبة فلكة » : وما أثبتناه عبارة المقريزى .

آخر الشوازك فى حلقة ذهب . ولِلمظلة أضلاع من خشب الخَلَنْج[1] مربّعات مكسوّة بالذهب على عدد الشوازك خفاف بطول الشوازك . وفيها خطاطيف لِطَاف ، وحِلَقٌ يُمْسك بعضُها بعضا تنضمّ وتنفتح ، ورأسها كالرّمّانة ، ويعلوه أيضا رمّانة صغيرة كلها ذهب مرصّع بجوهر، ولها رفرف دائر عرضه أكثر من شبر ونصف ، وتحت الرمانة عُنُق مقدار ستّ[2] أصابع . فاذا أُدخلت الحلقةُ الذهب الجامعة لآخر الشوازك فى رأس العمود ركّبت عليها الرمانة ولُفّت فى عرضى دَبِيقِىّ[3] مذهب، فلا يكشفها منه إلّا حاملها عند تسليمها وقت الركوب .

ثمّ يؤمر بشدّ لواءى الحمد المختصّين بالخليفة، وهما رمحان [طويلان ملبّسان بمثل[4] أنابيب عمود المِظَلّة إلى حدّ نصفهما] برأسهما لواءان حريرا أبيض مرقوما بالذهب ملفوفين على رماحهما ، ويُخْرَجان بخروج المِظَلّة، فيحملهما أميران .

ثمّ يخرج إحدى وعشرون راية لطيفة من حرير مرقوم[5]، ملوّنة بكتابة فى كلّ واحدة بما يخالف لونها [ونص كتابتها[6]] : ﴿ نَصْرٌ مِنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ . طُولُ كلّ راية ذراعان فى ذراع ونصف، فتسلّم لواحد وعشرين رجلا .

ثمّ يخرج رمحان فى رءوسهما أهِلّةٌ من ذهب فى كلّ واحد سَبُعٌ من ديباج أحمر وأصفر، وفى فمه طارةٌ[7] مستديرة، يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما ، ويتسلمهما فارسان يسيران أمام الرايات .

(١) الخلنج : شجر بين صفرة وحمرة يكون بأطراف الهند والصين تخذ منه الأوانى . فارسىّ معرب . (٢) فى المقريزى : « يكون مقداره ثلاث أصابع » . (٣) فى المقريزى : « فى عرض ويبق » . (٤) مابين القوسين هو عبارة المقريزى . وفى الأصل : « طوال ملبس عليهما مثل عمودا المظلة برأسهما ... الخ » . (٥) فى الأصل : « بكتوب » . (٦) زيادة عن المقريزى . (٧) فى الأصل : «طائرة» . والتصويب عن المقريزى وصبح الأعشى .

ثمّ يخرج السيف الخاصّ ، وحليته [ذهب][(١)] مرصّعة بالجواهر ، فى خريطة مرقومة بالذهب ، لا يظهر سوى رأسه ، فيَخرج مع المِظلّة ، وحامله أميرٌ عظيم القدر ، وهو أكبر حامل .

ثمّ يخرج الرمح ، وهو رمح لطيف ، فى غلاف منظوم من لؤلؤ ، وله سنان مختصر بحلية ذهب [وله شخص مختص بحمله][(٢)] . ودَرَقة بكوامخ ذهب وسيعة ، تنسب إلى حمزة بن عبد المطّلب ، فى غِشاء حرير ، فيحملها[(٣)] أمير مميّز له جلالة . ثمّ يعلم الناسُ سلوكَ الموكب . والموكبُ دورتين : إحداهما[(٤)] كُبرى ، وهى من باب القصر إلى باب النصر ، مارّا إلى الحوض حوض عزّ الملك[(٥)] . ثمّ ينعطف على اليسار إلى باب الفتوح إلى القصر . والأخرى هى الصغرى : إذا خرج من باب النصر سار حول السور ودخل من باب الفتوح إلى القصر . فكان إذا ركب ساروا بين يديه بغير آختلال ولاتبديل . فإذا أصبح الصبح يوم غرّة العام آجتمع أرباب الرتب من القاهرة ومصر وأرباب السيوف والأقلام ، فصفّوا بين القصرين ، ولم يكن فيه بناء كاليوم بل كان خلاء . ويبكّر الأمراء إلى دار الوزير ، فيركب الوزير من غير آستدعاء ، ويسير أمامه تشريفه المقدّم ذكره[(٦)] ، والأمراء بين يديه رُكّابًا ومُشاة ، وأمامه بنوه وإخوته ، وكلّ منهم يُرخى الذؤابةَ بغير حنك ، وهو فى أُبّهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل

(١) فى الاصل : « وحليته » . والتصويب والزيادة عن المقريزى . (٢) زيادة عن صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٣) . (٣) فى الأصل : « فيحمله » . (٤) عبارة المقريزى «ثم تشعر الناس بطريق الموكب ، وسلوكه لا يتعدى دورتين» . (٥) حوض عز الملك ، كان هذا الحوض خارج باب النصر قريبا منه ، وقد محيت آثاره ، كما يؤخذ من صبح الأعشى (ج ٣ ص ٥٠٨) . (٦) يلاحظ أنه لم يتقدم له ذكر فيما ذكر المؤلف . ولعل المؤلف نقل هذا الجزء من كلام المقريزى الذى تقدّم للتشريف ذكر فيه ، فأثبت كلمتى « المقدّم ذكره » سهوا . (٧) كذا فى الأصل والمقريزى وصبح الأعشى . ولعله من اصطلاحات ذلك العصر . والموجود فى اللغة : تحنك الرجل إذا أدار العمامة من تحت حنكه .

بالحنك ، متقلدًا سيفًا مذهّبا ؛ فيدخل أهله عند القصر فى أخصّ مكان لا يصل الأمراء إليه ؛ ويدخل الوزيرُ من باب القصر راكبًا وحده إلى دهليز العمود ، فينزل على مصطبة هناك ويمشى إلى القاعة ويجلس بها . فإذا دخلت الدّابة لركوب الخليفة وأسندت إلى الكرسىّ الذى يركب عليه الخليفة من باب المجلس أُخرجت المِظَلّة إلى حاملها منذ كشفها بإعانة جماعة من الصقالبة[(١)] برسم خدمتها ، فيركُزها فى آلة من حديد متّخذة شكل القرن المصطخب[(٢)] ، وهو مشدود فى ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد بعقبها ، فيُمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب لا يضطرب فى ريح عاصف .

ثمّ يخرج السيف فيتسلّمه حامله ، ويُرخى له ذؤابةً[(٣)] ما دام حاملا له .

ثمّ تخرج الدواة فيتسلّمها حاملها ، وهو من الأستاذين المحنّكين ، وهى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان ، وهى من الذهب ، وحليتها من المَرْجان ، تلفّ فى منديل شرب بياض مذهب . وفيها يقول بعض الشعراء :

أَلِينَ لداودَ الحديدُ كرامةً * فقدّره فى السَّرْد كيف يُريدُ
وَلَانَ[(٤)] لك المَرْجَانُ وهو حجارةٌ * على أنّه صعب المرام شديدُ

ثمّ يخرج الوزير ومن معه وينضمّ إليه الأمراء ، فيقف إلى جانب الدّابة ، فيرفع صاحبُ [المجلس][(٥)] السِّتْرَ ، فيخرج منه الخليفة بالهيئة المشروحة قبل تاريخه : من

(١) الصقالبة : جيل حمر الألوان صهب الشعور تتاخم بلادهم بلاد الخزر وبعض بلاد الروم . وكان النخاسون يجلبونهم للاتجار فى أنحاء العالم . وهم أحد طوائف العسكر فى أيام الخلفاء الفاطميين ، ويسمى باسمهم شارع بالقاهرة بين حارة زويلة وخان أبى طاقية . (راجع شرح القاموس والخطط التوفيقية ج ٣ ص ٢٨) . (٢) فى صبح الأعشى : «المصطحب» بالحاء المهملة ، ولم تتبين المراد منه . (٣) فى الاصل : « ويرخى له دابة ... حامله له » ، وهو تحريف . (٤) فى الأصل : « ألين لك ... الخ » . وما أثبتناه رواية المقريزى . (٥) التكملة عن المقريزى وصبح الأعشى .

ونعـوته . ومرّة يشرّف الخليفـةُ أحدا[1] من أقارب الوزير، فيستدعيه القاضى . ثمّ يتـلو[2] ذلك ذكرُ القـاضى [وهو القارئ[3]] فلا يسـع القاضى أنـ يقول نعوتَ نفســه بل يقــول [المـملوك[3]] فلان [بن فلان[3]] . وقرأه [مرّة[3]] آبن [أبى[3]] عقيـل القاضى فقال[4] عن نفسه : العبد الذليل ، المعترف بالصنع الجميل ، فى المقام الجليــل ، أحمد بن عبد الرحمن بن [أبى] عقيل . أو غير ذلك بحسب ما يكون آسم القاضى . ثمّ يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر، فيصعَدون، وكُلّ له مقامٌ يَمْنَـةً أو يَسْرةً ؛ ثمّ يُشيرُ إليهـم الوزير فيأخذ كلّ واحد نصـيبا من اللواء الذى يحاذيه، فيسـتُرون الخليفـة ويسـترون ؛ ثمّ يخطب الخليفـةُ خطبةً بليغة . فإذا فرَغ كشفوا ما بأيديهـم من الألوية ويتزلون أوّلا بأوّل القَهْقَـرَى . ثمّ ينزل الخليفـةُ إلى مكانه الذى خرج منـه ، ويركب فى زِيّه المفخّم إلى قريب من القصر، فيتقـدّمه الوزير، كما ذكرنا، ويدخل مـن باب العيــد ، فيجلس فى الشّباك، وقد نُصِب منـه إلى فسقية كانت فى وسـط الإيوان سِمَـاطٌ طـوله عشرون قصبةً، عليه من الخُشْكَان[5] والبِسْتَنْدُود[6] والبَرْمَاوَرْد[7] مثل الجبل الشاهق ، وفيه كلّ قطعة منها ربع قِنْطار فما دون ذلك إلى رطل[8] ؛ فيدخل الناس فيأكلون

(١) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : «أبدا» وهو تحريف . (٢) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : « ثمّ يتلو ذلك فاذا جاء ذكر القاضى ... الخ » . (٣) زيادة عن المقريزى . (٤) فى الأصل : « فقال من قال عن نفسه » ولا يستقيم الكلام به . (٥) خشكان ، ويعرف فى مصر بالخشتنان ، وهو نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شـكل حلقة مجوّفة يملأ وسطها باللوز أو بالفستق . (٦) البستندود ، وأصـله بالفارسـية (بُسْتَدَه) : طعام فارسىّ مصنوع من دقيق وبلح . (٧) البرماورد والبزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى ونخذ الست ولقمة الخليفة ، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض . (٨) عبارة المقريزى : « وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل » . وعبارة صبح الأعشى : « فتفرّق الحلوى من ربع قنطار الى عشرة أرطال الى رطل واحد » .

ولا منْعَ ولا تَحْجَر، فيمرّ ذلك بأيدى الناس، وليس هذا ممّا يُعتدّ به، بل يُفرّق إلى النـاس ، ويُحمل إلى دورهم. ونذكر مصروفها فى ترجمة العزيز؛ فإنّه أوّل من رتّبها فى عيد الفطر خاصّةً .

\+ \+ \+

وأمّا سِمَاط الطعام [ففى يوم عيد الفطر آثنتان[1]] أولى وثانية، وفى عيد النحر مرّة واحدة . ويُعبّى السِّماط فى الليل، وطوله ثلثمائة ذراع فى عرض سبع أذرع، وعليه من أنواع المآكل أشياءُ كثيرة. فيحضُر إليه الوزير أوّلَ صلاة الفجر والخليفةُ جالسٌ فى الشـبّاك ، ومُكّنت النـاسُ منه فآحتملوا ونهبوا ما لا يأكلونه ، ويبيعونه ويدّخرونه . وهذا قبل صلاة العيد . فإذا فُرغ من صلاة العيد مُدّ السِّماطُ المقدّم ذكرُ فيُؤكل، ثم يمدّ سِماطٌ ثانٍ من فِضّة، يقال له المدوّرة، عليها أوانى الفِضّة والذهب والصّينى، فيها من الأطعمة الخاصّ ما يُسْتَحَى من ذكره . والسِّماطُ بطول القاعة ؛ وهو خشب مدهون شـبه الدكك اللاطية، عرضه عشر أذرع . ويُحطّ فى وسط السماط واحد وعشرون طبقا فى كلّ طبــق واحد وعشرون خروفا ؛ ومن الدجاج ثلثمائة وخمسون طائرا، ومن الفراريج مثلها، ومن فراخ الحمام مثلها . وتتنوّع الحلوى أنواعا، ثم يُمَدّ بخلل تلك الأطباق أصحن خزفيّات فى جَنَبات السِّماط، فى كلّ صحن تسع دجاجات فى ألوان فائقة من الحَلْوَى، والطَّبَاهِجة[2] المُفتقة بالمسك الكثير. وعدّة الصحون خمسمائة صحن، مرتّب كلّ ذلك أحسن ترتيب . ثم يُؤْتَى بقصرين من حَلوى قد عُملا بدار الفِطْرة، زنة كلّ واحد سبعةَ عشرَ قنطارا؛ فيُمْضَى بواحد من طريق

(١) زيادة عن المقريزى (ج ١ ص ٣٨٧) .
(٢) الطباهجة (معرّب تباهة) : ضرب من قلى اللحم المشرح .

قصر الشوك[١] إلى باب الذهب ، ويشق بالآخر من الجانب الآخر[٢]، فينصبان أوّل السِّماط وآخره. ثم يخرجُ الخليفة راكبًا فينزل على السرير الذى عليه المدورة الفضّةُ، وعلى رأسه أربعةٌ من كبار الأستاذين المحنّكين، وأربعةٌ من خواصّ الفرّاشين . ثمّ يستدعى الوزير فيجلس عن يمينه ،والأمراء ومَنْ دونهم [فيجلسون][٣] على السّماط ؛ فيتداول الناس السِّماطَ ، ولا يُرَدّ أحدٌ عنه حتّى يذهبَ عن آخره؛فلا يقوم الخليفةُ إلّا قريب[٤] الظهر. ثم يخرُج الوزير ويذهب إلى داره؛ويُعمَل سِمَاطٌ يقارب سماطَ الخليفة . وهكذا يقعُ فى عيد النحر فى أوّل يوم منه . انتهى الركوب فى عيد الفطر .

+ + +

وأمّا ركوب الخليفة فى عيد الأضحى، فهو أيضا بالزّىّ المقدم ذكره والصلاة كذلك ، إلّا أنّ الركوب يكون فى أيّام متتابعة ، أولها يوم العيد إلى المصلى ، ثمّ يركب ثانىَ يوم ثم ثالث يوم من باب الريح، وهو فى ركن القصر[٥] ، والباب مقابل سعيد السعداء ؛ وكان الموضع المذكور فضاء لاعمارة فيه ؛ فيخرج الخليفةُ من باب الريح[٦]، فيجد الوزيرَ واقفا فيمشى بين يديه إلى المنحر[٧]، فينحر فيه ماشاء الله أن ينحر، ويُعطى الرسوم. ورسومُ الأضحية كرسوم ركوب الخليفة أوّل العام،

(١) فى الأصل : «قصر الشرف» . وما أثبتناه عن المقريزى . (٢) عبارة المقريزى : «ويشق بالآخر بين القصرين» . (٣) زيادة عن المقريزى . (٤) فى الأصل : «الى قريب» . (٥) فى الأصــل : « من ركن القصر » . والتصويب عن المقريزى . (٦) فى الأصل : « من باب العيد » . وسياق كلام المقريزى ، وكلام المؤلف أيضا ، يعين ما أثبتناه . (راجع المقريزى ج ١ ص ٤٣٧) . (٧) المنحر : الموضع الذى اتخــذه الخلفاء لنحر الأضاحى فى عيد الأضحى وعيد الغــدير ، وهو العيد الذى كانت تزوّج فيــه الأيامى وتفرق الهبات على كبار رجال الدولة وتنحر فيه النحائر وتفرق على أرباب الرسوم وتعتق الرقاب وغير ذلك . وكان موضع المنحر أرض فضاء بالدرب الأصفر. ومحله اليوم مجموعة المبانى الواقعــة غربى جامع سعيد السعداء بين شارعى الدرب الأصفر والتمبكشية بقسم الجمالية (راجع الجزء الأوّل من المقريزى ص ٤٣٥) .

ويُفــرّق الضحايا إلى المساجد وجوامع القــاهرة وغيرها . فإذا انقضى ذلك خلَع الخليفةُ على الوزير ثيابَه الحمر التى كانت عليه ، ومنديلا آخر بغير اليتيمة [و] العِقْد المنظوم عند ما يطلُع من المَنْحــر ؛ فيشقّ الوزير بذلك القاهرة إلى باب زويلة ، ويسلك على الخليج إلى باب القنطرة ، ويدخل دار الوزارة ؛ فلذلك يُفَضَّل عيدُ النحر على عيد الفِطْر لكونه يُخلع فيه على الوزير .

+ + +

وأمّا الركوب لفتح خليج السدّ[١] عند وفاء النيل ، فهو يُضاهى ركوبَهم فى أوّل العــام . نذكر منه على سبيل الاختصار نبذةً يسيرة. إذا كان ليالى الوفاء حُمِل إلى المِقْياس[٢] من المطابخ نحوُ عشرة قناطير خبز، وعشرة خراف مشويّة، وعشر جامات حلوى ، وعشر شمعــات ، وتوجّه القرّاءُ وأربابُ الجوامع فيقرءون تلك الليلة بجامع المقياس[٣] حتّى يكونَ الوفاء؛ فيهتمّ الخليفة لذلك ويركب ويستدعى الوزير على العادة، ويسير بالزىّ المقدّم من غير مِظَلّة، وينزل بالصناعة[٤]؛ ثمّ يركبُ

(١) لفتح خليج السدّ : يقصد المؤلف بذلك ركوب الخليفة لفتح الخليج أى لرفع السدّ الواقع عند فم الخليج يوم وفاء النيل فى كل عام . (راجع ج ١ من المقريزى ص ٤٧٠ ، ٤٩٣) . (٢) المقياس ، المقصود به مقياس النيل الواقع فى النهاية الجنوبية لجزيرة الروضة تجاه مصر القديمة . (راجع تاريخ المقياس فى ج ١٨ من الخطط التوفيقية) . (٣) كان هذا الجامع بقلعة الروضة فى النهاية الجنوبية للجزيرة بجوار المقياس من الغرب . بناه أبو النجم بدر الجمالى بأمر الخليفة المستنصر بالله الفاطمىّ فى نحو سنة ثمانين وأربعمائة ، ثم عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب وغيره . وقد خربه الفرنسيون عند دخولهم مصر . وأزال آثاره حسن باشا المانسترلى وأنشأ بدله السلاملك الخاص لجلوس الرجال بسرايه بجوار المقياس من الجهة الغربية ، وهو باق الى اليوم . (٤) الصناعة ، ويقال لهـا دار الصناعة ، ومنها أخذ الترك كلمــة « ترسانة » ، وأخذ الفرنسيون كلمة «أرسنال» . والصناعة هى المكان المخصص لانشاء وتعمير جميع السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة ، سواء أكانت حربية أم خاصة بركوب الخليفة أو الملك أو من المراكب التى تنقل الغلات السلطانية والأحطاب وغيرها . وأوّل دار أنشئت للصناعة بمصر فى عهد العرب كانت بجزيرة الروضة على ساحلها الجنوبى الشرقى . وفى عهد الإخشيذ نقلت الى الشرق بساحل مصر . وكان الساحل فى ذلك الوقت ينتهى الى الطريق التى =

وفيها عُمِل فى الدّيار المصرية المأتمُ فى يوم عاشوراء على حسين بن علىّ رضى الله عنهما، وهو أوّل ما صُنِع ذلك بديار مصر. فدامت هذه السُّنّة القبيحةُ سنين إلى أن آنقرضت دولتهم، على ما سيأتى ذكره.

وفيها كانت وَقعةٌ بين عِزّ الدولة بن معزّ الدولة أحمد وبين آبن عمّه عضد الدولة بن رُكْن الدولة الحسن بن بُوَيْه، وقعة هائلة أُسِر فيها غلامٌ تُرْكىّ لعزّ الدولة؛ فآشتدّ حزنُه عليه، وآمتنع عزّ الدولة من الأكلِ والشرب وأخذ فى البُكاء وآحتجب عن الناس وحرّم على نفسه الجلوسَ فى الدَّسْت؛ وبذل لعَضُد الدولة فى الغلام المذكور جاريتين عوّادتين كان قد بُذِل له فى الواحدة مائة ألف درهم؛ فردّه عَضُدُ الدولة عليه.

وفيها حجّ بالناس أبو عبد الله أحمد بن [أبى][1] الحسين العَلَوىّ. وحجّت فى السنة جميلةُ بنت ناصر الدولة بن حَمْدان، ومعها أخواها إبراهيم [وهبةُ الله][2] حجّةً ضُرِب بها المثَل، وفرّقت أموالًا عظيمةً؛ منها أنّها لمّا رأت الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار، وسقت جميعَ أهل الموسم السَّوِيقَ بالسكر والثّلج. كذا قال أبو منصور الثعالبىّ. وقُتِل أخوها هبةُ الله[3] فى الطريق. وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية، وفرّقت المال فى المجاورين حتى أغنتهم، وخلعت على كِبار الناس خمسين ألف ثوب. وكان معها أربعمائة عَمّارِيّة. ثم ضَرَب الدهر ضَرَبانَه وآستولى عضدُ الدولة

(١) التكلة عن المنتظم ومرآة الزمان وتاريخ الاسلام للذهبى. (٢) فى الأصل: «ومعها أخوها ابراهيم حجة ... الخ». والتصحيح والزيادة عن المنتظم وعقد الجمان ومرآة الزمان وتاريخ الاسلام للذهبى. (٣) كذا فى مرآة الزمان وعقد الجمان. وسبب قتله أنه جرى قتال بين أصحابها وبين الحجاج الخراسانيين على الماء، فأصاب أخاها هبة الله سهم فقتله. وفى الأصل: «وقتل أخوها إبراهيم».

ابن بويه على أموالها وحصونها؛ فإنّه كان خطبها فامتنعت، ولم يَدَع لها شيئا إلى أن آحتاجت وآفتقرت. فآنظر إلى هذا الدهر كيف يرفع ويَضَع!.

وفيها تُوُفّى المستنصر بالله صاحبُ الأندلس أبو العاصى الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموىّ. بقى فى الملك ستةَ عشرَ عامًا، وعاش ثلاثا وستين سنة. وكان حسن السيرة، جمع من الكتب مالا يُحَدّ ولا يُوصف.

وفيها تُوُفّى السلطان ركن الدولة أبو علىّ الحسن بن بويه بن فَنّاخُسْرُو بن تمام ابن كوهى بن شيرزيل الأصغر بن شيركوه بن شيرزيل [الأكبر][1] الدَّيْلمىّ، صاحب أصبهان والرَّىّ وهَمَذَان وعِراق العجم كلّه. وهؤلاء الملوك الثلاثة: عضدُ الدولة ونخرُ الدولة ومؤيّد الدولة أولاده[2]. وكان مَلِكًا جليلا سعيدا فى أولاده، قسم عليهم الممالك، فقاموا بها أحسنَ قيام. وملك ركنُ الدولة أربعا وأربعين سنةً وأشهرا. وكان أبو الفضل بن العميد وزيرَه، والصاحبُ إسماعيل بن عَبّاد كان وزيرَ ولَدَيْه مؤيد الدولة ثم نخر الدولة. ومات ركن الدولة المذكور فى المحرّم. وبُوَيْه بضم الباء الموحّدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة، وفنّاخُسْرُو بفتح الفاء وتشديد النون وبعد الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة وبعدها واو. وقد ضبطتُه لكى يُعرَف بعد ذلك آسم من يأتى من أولاده فى هذا الكتاب.

وفيها تُوُفّى إسماعيل الشيخ أبو عمر السلمىّ[3]، كان من كِبار المشايخ وله قدمُ صدق وحكاياتٌ مشهورة، رحمه الله.

(١) الزيادة عن ابن خلكان. (٢) كذا فى ابن خلكان وعقد الجمان. وفى الأصل: «إخوته»، وهو خطأ. (٣) كذا فى المنتظم وعقد الجمان ومرآة الزمان والبداية والنهاية لابن كثير. وفى الأصل: «أبو عمرو السليمى».

وفيها توفّى الوزير يعقوب بن يوسف بن كِلِّس أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر . كان يهوديًّا من أهــل بغداد ثم آنتقل إلى الرملة وعمــل سمسارا ، فآنكسر عليــه مالٌ فهَرَب إلى مصر . وتاجَر لكافور الإخشيذىّ فرأى منه فطنةً ، فقال : لو أسلم لصلح للوزارة ، فأسلم ؛ فقصده الوزير[1] يوم ذلك ، فهرب آبن كلِّس هذا إلى المغرب ، وترقَّى إلى أن وزَّره العزيزُ صاحب الترجمة ســنة خمس وستين وثلثمائة . فآســتقامت أمور العزيز بتدبيره إلى أن مات . فلما أشرف على الموت عاده العزيز وغمّه أمرُه . فقال له العزيز : وَ دِدتُ أنك تباع فأشتريك بمُلكي أو تُفتَدَى فأَفديك بولدى ، فهــل من حاجة [توصى بها ؟][2] فبكى آبن كلِّس وقبَّــل يده وجعلها على عينيه ، ثم أوصى العزيزَ بوصايا ومات . فصلّى عليــه العزيز وألحده فى قبره بيــده فى قبّة فى دار العزيز كان بناها العزيز لنفسه ، وأغلق الدواوين بعده أيّاما . وقيل : إنه كان حسُن إسلامُه وقرأ القرآن والنحو ، وكان يجمع العلمــاء والفضلاء . ولـمّا مات خلَّف شيئا كثيرا . وقيل : إنه كُفِّن وحُنِّط بمــا قيمته عشرة آلاف دينار ، قاله الذهبىّ وغيره من المؤرخين ، ورثاه مائة شاعر .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيهــا توفّى أبو القاسم طلحة ابن محمد بن جعفر الشاهد . وأبو عبد الله[3] محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مُفَرِّج

(١) يريد بالوزير أبا الفضــل جعفر بن الفرات . وعبارة وفيات الأعيان وعقد الجمان : « وكان أبو الفضل جعفر بن الفرات يحسده ويعاديه ، فلما مات كافور قبض ابن الفرات على جميع الكتّاب وأصحاب الدواوين ، وقبض على يعقوب بن كلس فى جملتهم ، فلم يزل يتوسل ويبذل الأموال حتى أفرج عنــه . فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه وغيره مالا وتحمل به وسار مستخفيا طالبا بلاد المغرب ... الخ » .
(٢) زيادة عن وفيات الأعيان وعقد الجمان ومرآة الزمان . (٣) كذا فى شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ ، وهو الموافق لـما تقدّم فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٣٨ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . ويكنى أيضا أبا بكر ، كما فى تذكرة الحفاظ . وفى الأصل : «أبو عبد الله ابن محمد ... الخ » .

القُرْطُبىّ قاضى الجماعة . ووزير مصر يعقوب بن يوسف بن كلِّس . وأبو بكر محمد ابن عبد الرحمن بن صُبْر[1] الحنفىّ المعتزلىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم ثلاث أذرع سواء . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة السادسة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر وهى ســنة إحدى وثمانين وثلثمائة .

فيها خُلع الخليفة الطائع عبدُ الكريم فى تاسع عشر شعبان ، وتولّى القادرُ الخلافة . وســببه أن أبا الحسين[2] بن المعلِّم كان من خواصّ بهاء الدولة فحبسه الطائع ؛ وجاء بهــاء الدولة إلى دار الخلافة وقد جلس الطائع متقلِّدًا ســيفا . فلمّا قرُب [منــه][3] بهاءُ الدولة قبَّــل الأرض وجلس على كرسىّ ؛ وتقــدّم أصحابه فجذبوا الطائعَ بحمائل سيفه وتكاثروا عليــه ولفّوه فى كساء ، وحُمِل فى زَبْزَب[4] فى الدِّجلة وأُصــعد الى دار الملك ، وآختلط[5] الناس وظنّ أكثرهم أنّ القبض على بهاء الدولة ، ونُهبت دارُ الخلافة ؛ وماج الناس ، إلى أن نُودِىَ بخلافة القادر . وكُتِب على الطائع كتابٌ بخلع نفسه ، وأنه سلّم الأمر إلى القادر بالله ؛ فتشغّبت الجُنْد يطلبون رسم البَيْعة ، وتردّدت الرسُل بينهم وبين بهاء الدولة ، [ومنعوا الخطبة بآسم القادر][3] ، ثم أرضَوْهم وسكَنوا ؛ وأُقيمت الخطبة للقادر فى الجمعة الآتية .

(١) ذكره شارح القاموس فى مادة « صبر » فى المستدرك وقال إنه بالضم .
(٢) كذا فى المنتظم وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى وهامش الأصل . وفى الأصــل : « أبا الحسن بن المعلم » . وفى مرآة الزمان وتجارب الأمم : «أبا الحسن المعلم » . (٣) زيادة عن المنتظم ومرآة الزمان . (٤) زبزب : سفينة صغيرة . (٥) كذا فى مرآة الزمان والمنتظم . وفى الأصل : « وشاش البلد وظن أكثر الناس » .

قريب باب الخوخة . ثم أنعم الخليفة على رفيقه أبى منصور وجعله رئيس اليهود، وحصلت له نعمة ضخمة .

قال : وكان الحافظ فى كلّ ســتة أشهر يجرّد عسكرا إلى عَسْقَلان بمـا يتحقّقه من عَزَمات الفرنج[1] فى القلّة والكثرة مع من هو فيهـا مقيم من المركزية والكنانيـة وغيرهم؛ فكان القـلّة من الفرسان من ثلثمائة إلى أربعمائة (يعنى الذين يُسَـيِّرهم فى التجريدة)، والكثرة من أربعمائة إلى ستمائة؛ ويقدّم على كلّ مائة فارس أميرا، ويسلّم للأمير الخريطة ؛ وهذا آسم[2] لحمل أوراق العرض من الديوان ليتّفق مع والى عسقلان على عرضهم . ثم يُسَلِّم إليــه مبلغًا من المـال يُنفقه فيمن فاتتــه النفقة. وكانت النفقة للأمراء مائة دينار، والأجناد ثلاثين دينارا . فآتفق أنّ والى عسقلان أرســل كتأبا يعرّف الخليفة أنّ عنــد الفرنج حركة؛ فجرّد الخليفة فى تلك المرة العُدّة الكبيرة، وفيهم جلال الدين جلب راغب[3] الأمير الذى كشف صحة موت حسن آبن الخليفة بسقية السمّ ؛ فسيّر إليه الخليفة مائة دينار، وهى علامة التجريد والآهتمام ؛ فتجهّز المذكور للسفر فى جملة الناس، وفى نفسه تلك الجناية التى قدّمها عند الخليفة فى ولده حتى قتله . فلمّا كان السفر جلس الخليفة ليخدموه بالوداع ويدعو لهم بالنصر والسلامة؛ فدخلوا إليه ومثلوا بين يديه لذلك وآنصرفوا إلّا جلال الدين جلب راغب المذكور . فقال الخليفــة : قولوا للأمير : ما وقوفك دون أصحابك ! ألك حاجة ؟ فقال : يأمرنى مولانا بالكلام . فقال له : قــل . قال : يامولانا ليس على وجه الأرض خليفة ابن بنت رسول الله غيرك . وقــد كان الشيطان آستزلّنى فأذنبت ذنبا

(١) فى النسخة الفتغرافية : «الركزية» . (٢) كذا فى الأصلين الفتغرافى والمطبوع . ولعل صوابه : «وهذا رسم» . (٣) فى الأصلين «جلب غالب» . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤٣ من هذا الجزء) .

عظيما، عفو مولانا أوسع منه . فقال له : قل ما تريد غير هذا، فإنّا غير مؤاخذيك به . فقال : يامولانا، قد توهّمت بل تحقّقت أنّى ماضٍ فى حالة السخط منك، وقد آليت على نفسى أن أبذلها فى الجهاد، فلعلّى أموت شهيدا فيُضيع ذلك سخطُ مولانا علىّ . فقال له الخليفة : أنت غنىٌّ عن هذا الكلام، وقد قلنا لك : إنّا ما آخذناك[1]، فأىّ شىء تقصد؟ قال : لا يسيّرنى مولانا تبعًا لغيرى، فقد سرت مرارًا كثيرة مقدّما، وأخشى أن يُظَنّ هذا التأخير للذنب الذى أنا معترف به . قال : لا ، بل مقــدّما وصاحب الخريطة . وأمر بنقل الحال عن المقدّم الذى كان تقرّر للتقدمة والخريطة . فسُرّ جلال الدين جلب راغب بذلك . ثم أعطاه الخليفــة أيضا مائتى دينار، وقال له : اِتّسع بهذه .

قال : وكان الأغلب على أخلاق الحافظ الحلم . ومرِض الخليفة مرضته التى تُوُفّى فيها ، فحُمل إلى اللؤلؤة[2] خارج القصر فأثخن فى المرض فمات بهـا . وظهر من وصيّته أنّ ولده أبا منصور إسماعيل ، وهو أصــغر أولاده ، هو الخليفة من بعده، مع وجود ولدين كاملين ، همـا أبو الحجّاج يوسف وهو أبو الخليفة العاضــد الآتى ذكره ، وأبو الأمانة جبريل . فعُقدت عليه الخلافة من بعده ، ونُعت بالظافر بأمر الله، وأن يستوزر له الأمير نجم الدين بن مَصّال[3]" . اِنتهى كلام صاحب المقلتين .

وقال آبن القلانسىّ : «وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورد الخــبر من مصر بوفاة الحافظ بأمر الله، وولى الوزارة أمير الجيوش أبو الفتح بن مَصّال المغــربىّ؛ فأحسن السيرة وأجمل السياســة ، فآستقامت الأحوال . ثم حدث بعــد ذلك من

(١) فى الأصلين : «ما وخذناك» . (٢) يريد منظرة اللؤلؤة . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٦ من الجزء الرابع من هذه الطبعة) . (٣) هو نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال، كما فى خطط المقريزى وعقد الجمان .

أنهم قصروا فى قتال الحلبيين، وسلق منهم جماعة فى القدور، وجعل آخرين فى بيت وأحرقه، فأخذه الله بغتةً . ومات سكران فجأةً، وقيل : بل ٱبتُلى فى بدنه، وتقطعت أوصاله . وكان أخوه علاءُ الدين كَيْقُبَاد محبوسًا فى قلعة ، وقد أمر كَيْكَاوُس بقتله ، فبادروا وأخرجوه، وأقاموه فى المُلك . وكانت وفاة كَيْكَاوُس فى شوّال ، وهو الذى أطمع الفرنج فى دِمْياط .

وفيها تُوُفّى خُوَارَزْم شاه وٱسمه محمد بن تُكُش بن إيل أرسلان بن أَتْسِز ابن محمد بن أَنُوشتِكين السلطان علاء الدين المعروف بخُوَارَزْم شاه .

قال ٱبنُ واصل[1] : نسبُه ينتهى إلى إيلتِكين أحد مماليك السلطان أَلْب أَرْسلان ٱبن طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقىّ، وكانت سلطنة خوارَزم شاه المذكور فى سنة ست وتسعين وخمسمائة عند موت والده السلطان علاء الدين تُكُش .

وقال عِزّ الدين بن الأثير : كان صَبُورًا على التعب وإدمان السَّيْر غير مُتَنَعِّم ولا مُقْبِل على اللّذات ، إنّما همّته فى المُلك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيّته ، وكان فاضلا عالمًا بالفقه والأصول وغيرهما ، وكان مُكْرِما للعلماء مُحِبًّا لهم مُحْسِنًا إليهم يُحبّ مناظرتهم بين يديه ويُعظّم أهل الدين ويتبرّك بهم .

— قلت : وهذا بخلاف ماذكره أبو المظفّر ممّا حكاه عن الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِىّ ، لمّا توجه إلى خُوَارَزْم شاه هذا رسولاً من قِبَل الخليفة الناصر لدين الله فإنّه ذكر عنه أشياء من التكبّر والتعاظم عليه ، وعدم الألتفات له ، وإنّه صار لا يفهم كلامَ السُّهْرَوَرْدِىّ إلّا بالتَّرْجُمان ، ولعلّه كان فعل ذلك لإظهار العظمة ، وهو نوع من تجاهل العارف — قال : وكان أعظم ملوك الدنيا وٱتّسعت ممالكه شرقا وغربا

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وهابته الملوك حتّى لم يبق إلّا من دخل تحت طاعته وصار من عسكره . ومحق أبوه التتار بالسيف وملك منهم البلاد . ووقع له أمور طويلة حتّى إنّه نزل هَمَذَان ، وكان فى عسكره سبعون ألفًا من الخُطَا ، فكاتب القُمّىّ[1] عساكره ووعدهم بالبلاد ، فٱتّفقوا مع الخُطَا على قتله . وكان خاله من الخُطَا وحلفوه ألّا يُطلعه على ما دبّروا عليه ، فجاء إليه فى الليل وكتب فى يده صورة الحال[2] ، فقام وخرج من وقته ومعه ولداه : جلالُ الدين وآخر ، ولمّا خرج من الخَيْمة دخل الخُطَا والعساكر من بابها ظنًّا منهم أنّه فيها ، فلم يجدوه فنهبوا الخزائن ، يقال : إنّه كان فى خزائنه عشرة آلاف ألف دينار ، وألف حِمْل قماش أطلس ، وعشرون ألف فرس وبغل ، وكان له عشرة آلاف مملوك ، فتمزّق الجميع وهرب ولداه إلى الهند ، وهرب خُوَارَزْم شاه إلى الجزيرة ، وفيها قلعة ليتحصّن بها ، فمات دون طلوع القلعة المذكورة فى هذه السنة ، وقيل : فى سنة سبع عشرة[3] وستمائة . والله أعلم .

وفيها تُوُفّى الملك القاهر عِزّ الدين مسعود [ٱبن أَرْسلان[4] بن مسعود بن مودود ٱبن زَنْكى أبو الفتح] صاحب الموصل ، وترك ولدا صغيرا ٱسمه محمود ، فأخرج الأميرُ بدرُ الدين لؤلؤ زَنْكِىّ[5] أخا القاهر من الموصل وٱستولى عليها ، ودبّر مملكة محمود المذكور .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢١٦ من هذا الجزء . (٢) عبارة الذيل على الروضتين : «وكتب فى يده صورة الحال ووقف بإزائه ، فنظر إلى السطور وفهمها ، وهو يقول : خذ لنفسك فالساعة تقتل ، فقام وخرج من تحت ذيل الشقة ومعه ولداه ... الخ » . (٣) وذلك كما فى كتاب الكامل لابن الأثير وعقد الجمان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٤) زيادة عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٥) هو المنصور عماد الدين زنكى بن أرسلانشاه بن مسعود ابن مودود بن زنكى (عن عقد الجمان) .

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه [(١)] رمى المنجنيق الذى قُبالة البـاب الشرقىّ رَمْيًا كثيرا فخسف خَسْـفًا كبيرا إلى جانب البَـدَنة ، ودام ذلك إلى اللّيـل فطلبوا الأمان على أنفسهم من القتـل وأن يمكّنهـم من التوجّه إلى طرابُلُس فأجابهم؛ فخـرجوا يوم الثلاثاء سَـلْخ الشهر، وكُتِبت البشائر بالفتح والنصر إلى سائر الأقطار . ثم فى يوم السبت رابع شوّال خيّم السلطان الملك الظاهر بعساكر[ه] على طرابُلُس فسيّر صاحبها [(٢)] إليه يستعطفه فبعث إليـه الملك الظاهر [فارس الدين] [(٣)] الأتابَك [و] [(٤)] سيف الدين [بلبان] [(٣)] الرومىّ على أن يكون له من أعمال طرابُلُس نصفٌ بالسويّة، وأن يكون له دارُ وكالة فيها ، وأن يُعْطَى جَبلة واللّاذِقيّة بخراجهما من يوم خروجهما عن الملك الناصر إلى يوم تاريخه، وأن يُعْطَى نفقاتِ العساكر من يوم خروجه؛ فلمّا علم الرساله عَزَم على القتال وحَصَّن طرابُلُس، فنصَب الملك الظاهر المجانيق؛ ثم تردّدت الرُّسـل ثانيا وتقرر الصلح أن تكون عِرْقَةُ وجَبلة [(٥)] وأعمالها للبرنس صاحب طرابلس، وأن يكون ساحل أَنْطَرْطُوس [(٦)] والمَرْقب وبَانْيَاس وبلاد هذه النواحى بينه وبين الدّاويّة [(٧)]، والتى كانت خاصالهم، وهى بارين [(٨)] وحِمص القديمة تعود خاصا للملك الظاهر، وشَرَط أن تكون عِرْقَةُ وأعمالها، وهى ست وخمسون قرية، صدقةً من الملك الظاهر عليه، فتوقّف صاحب طرابُلُس وأنِف ؛ فلمّا بلغ الملك الظاهر آمتناعه صمّم على ما شَرَط عليه حتى أجابه ، وعُقِد الصلح بينهما مدّة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام .

(١) فى الأصلين : « وفى يوم الأحد خامس عشرينه » وهو خطأ وتصحيحه عن النهج السديد وما تقدّم وما سيأتى ذكره للؤلف . (٢) يريد الأبرنس صاحب طرابلس كما فى النهج السديد وما سيأتى بعد قليل ذكره للؤلف . (٣) زيادة عن النهج السديد . (٤) التكلة عن عيون التواريخ والسلوك ونهاية الأرب والنهج السديد . (٥) فى الأصلين هكذا : « أن تكون عرقة ومسل وأعمالها » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٦) فى الأصلين : « وأن يكون صاحب أنطرطوس... الخ » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والنهج السديد . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وفى يوم السبت حادى عشر شوّال رَحَل الملك الظاهر عن مَرْج صافيثا ، وأذِن إلى صاحب حَمَاة وصاحب حِمْص بالعَوْد إلى بلادهم ، وسار الظاهر حتى دخل دِمَشْق يوم الأربعاء خامس عشر شوّال ،وعَزَل القاضى شمسَ الدين أحمد بن خلّكان [(١)] عن قضاء دِمَشْق، وكانت مدّة ولايته عشر سنين، وولّى عِوضَه القاضىَ عِزّ الدين محمد بن عبد القادر بن عبـد الخالق المعروف بآبن الصائغ . ثم فى يوم الجمعة رابع [(٢)] عشرين شوّال خرج الملك الظاهر من دِمَشْق قاصدًا القُرَيْن [(٣)]، فنزل عليه يوم الآثنين سابع [(٤)] عشرين الشهر، ونصَب عليه المجانيق، ولم يكن به نساء ولا أطفال بل مُقاتِلة، فقاتلوا قتالا شديدًا ، وأخذت النُّقُوب للحِصْن من كلّ جانب ، فطلب مَنْ فيـه الأمان، فأُمِّنوا يوم الآثنين ثالث عشر ذى القعدة، وتَسَلّم السلطانُ الحِصْن بما فيه من السلاح ثمّ هدمه ، وكان بنـاؤه من الحجر الصَّلْد وبين كلّ حجرين عُود حديد ملزوم بالرصاص ، فأقاموا فى هدمه آثنى عشر يوما وفى حِصارِه خمسة عشر يوما .

وفى يوم الآثنين سادس عشرين [(٥)] الشهر نزل الملك الظاهر على كردانة قرية قريبة من عكّا، ولَبِس العسكرُ وسار إلى عَكّا وأشرف عليها، ثم عاد إلى منزله . ثمّ رحل منها يوم الثلاثاء قاصدًا مصر، فدخلها يومَ الخميس ثالث عشر ذى الحِجّة، وكان جملة ما صرَفه الملك الظـاهر فى هـذه السَّفْرة من حين خروجه من مصر إلى حين عَوْده إليها ما يُنِيف على مائة [(٦)] ألف دينار وثمـانين ألف دينار عَيْنًا . وفى اليوم الثـانى من وصوله إلى قلعة الجبل قَبَض على جماعة من الأمراء منهم : الأمير علم الدين سَنْجَر

(١) سيذكره المؤلف سنة ٦٨٢ هـ . (٢) فى الأصلين : « يوم الجمعة خامس عشرين شوّال » وهو خطأ كما يفهم مما تقدّم . (٣) القرين : حصن من حصون الأرمن ، وكان لطائفة يقال لهم الإسبتار، وهو من أمنع الحصون على صفد (عن نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٣) . (٤) فى الأصلين : « ثامن عشرين » وهو خطأ . (٥) فى عيون التواريخ : « سادس عشر القعدة » . (٦) عبارة عيون التواريخ : « وجملة ما صرفه السلطان فى هذه السفرة على العسكر ثمانمائة ألف دينار » .

رشّت دماؤهم الصعيدَ فلم يَطِرْ * منهـم على الجيش السـعيد غُبارُ

شَكَرَتْ مساعيك المعاقلُ والوَرَى * والــتُّرْب والآســادُ والأطيـارُ

هـــذى مَنَعتَ وهؤلاء حميتهـم * وسَقَيْتَ تلك وعمّ ذا الإيسـارُ

فَلأَمْلأَنَّ الدهرَ فيك مدائحًا * تبـقى بَقِيتَ وتذهب الأعصـارُ

وهى أطول من ذلك . وقال الشيخ ناصر الدين حسن بن النَّقيب الكنانىّ الشاعر (١) — رحمه الله تعالى — قصيدة وكان حاضر الوقعة منها :

ولمّـا ترامَيْنا الفُـرات بخيلنا * سَكَرْناه (٢) منـا بالقُوَى والقوائمِ

فأوقفتِ التيّـارَ عن جَرَيانه * إلى حيث عُدْنا بالغنى والغنائمِ

وقال الموفّق (٣) عبد الله بن عمر الأنصارى — رحمه الله — وأجاد :

المـلك الظاهر سلطاننا * نَفْـديه بالأموال والأهلِ

اِقتحم المـاءَ لِيُطفِى به * حرارة القلب من المُغْـلِ

ثم توجّه الملك الظاهر إلى نحـو الديار المصريّة ، فخرج ولده الملك السـعيد لتلقيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر جُمادى الآخرة ، فاجتمع به بين القُصَيْر (٤) والصالحيّة فى يوم الجمعـة ثانى عشرينـه (٥) ، فترجلا واعتنقا طويلا ؛ ثم ركبا وسارا جميعا إلى القلعـة وبين يديهـم أسارى التتار رُكّابا على الخيـل ، ثم فى سابع شهر رجب أفـرج الملك الظـاهر عن الأمير عز الدين أَيْبَك الدِّمْياطى من الاعتقال ، وكانت مدّة اعتقاله تسع سنين وعشرة أيام ، ثم خَلَع الملك الظاهر على أمراء الدولة ومقدّمى الحَلْقة وأعطى ،

(١) هو ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بالنفيسى وبابن النقيب الكنانى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٧ هـ . (٢) فى الأصلين . « سكاه » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والمنهل الصافى وفوات الوفيات . (٣) هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارى المعروف بابورن . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٥) فى الأصلين : «حادى عشرينه» . والتصحيح عن التوفيقات الالهامية وما تقدّم ذكره للمؤلف قريبا .

كلّ واحد منهـم ما يليق به من الخيل والذهب والحوائص والثّياب والسيوف ، وكان قيمة ما صرفه فيهم فوق ثمانمائة ألف دينار ، وفى سادس عشرين شعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الدين سَـنْجَر الحلبى الغَتْمِى المُعِزّى . وفى يوم الاثنين ثانى عشر شوّال استدعى الملك الظاهر الشيخ خَضِرًا إلى القلعة وأحضره بين يديه .

قلت : والشيخ خَضِر هـذا هو صاحب الزاوية (١) بالحسينية بالقرب من جامع الظاهر (٢) . انتهى . وأَحْضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة مُنكَرة ، وكَثُرَ

(١) زاوية الشيخ خضر ، قال المقريزى فى (ص ٤٣٠) من الجزء الثانى من خططه : إن هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القـاهرة بخط زقاق الكحل ، تشرف على الخليج الكبير ، عرفت بالشيخ خضر ابن أبى بكر بن موسى المهرانى العدوى شـيخ الملك الظاهر بيبرس ، بناها له الظـاهر فى سـنة ٦٦٠ هـ ودفن الشيخ خضر بها فى سـنة ٦٧٦ هـ . وأقول : يتضح ممـا ذكر بالمصادر الخاصة بهـذه الزاوية أنها كانت واقعة بزقاق الكحل خارج باب الفتوح وعلى الجانب الشرقى من الخليج المصرى تجاه أرض الطبالة ، وأنها كانت بالقرب من جامع الظـاهر بخط الحسينية وأنها كانت موجودة لغاية القرن العاشر الهجرى بدليل أن الشيخ عبد الوهاب الشعرانى الذى توفى سـنة ٩٧٣ هـ قال : إن قبر الشيخ خضر ظاهر يزار . وبالبحث عن موقع زقاق الكحل تبين لى من المصادر الصريحة أن مكان هـذا الزقاق اليوم الطريق الذى يسمى فى مصلحة التنظيم سكة الظاهر ، وعلى ألسنة العامة شارع المنسى فيما بين ميدان الظاهر وضريح المنسى .

وبالبحث فى سكة الظاهر عن مكان زاوية الشيخ خضر تبين لى أنها اندثرت ودخلت فى المساكن . ومكانها اليوم المربع القائم عليه المنزلان رقما ٢٩ و ٣١ الواقعان فى نهاية شارع الإمابى من الجهة الشرقية على يسار الداخل من سكة الظاهر فيما بين هذه السكة وشارع الخليج المصرى .

(٢) جامع الظاهر ، ذكر المقريزى فى (ص ٢٩٩) من الجزء الثانى من خططه أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر صاحب الترجمة فى ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة فى سنة ٦٦٥ هـ ويسمى جامع العافية . وأقول : إن هذا الجامع يقع بميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة وهو من أكبر جوامعها يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ مترا مربعا وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة . وبالبحث تبين أن هذا الجامع تعطلت منه إقامة الشعائر من أول القرن العاشر الهجرى بسبب سـعته وتعذر الصرف عليه ، ثم تخرب وسقطت قبته الكبيرة التى كانت فوق إيوان المحراب ، ثم سقطت مئـذنته ولم يبق منـه الآن إلا جدرانه الخارجية المبنية بالحجر النحيت . وذكر الجبرتى أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزنا للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها ، ثم جعل قلعة وثكنة للجنود فى زمن الحملة الفرنسية ، ثم جعل مخبزا للجراية ومعملا للصابون فى زمن محمد على باشا الكبير ثم جعل فى زمننا مذبحا لجيش الاحتلال الانجليزى . وقد بطل الذبح فيه من سنة ١٩١٥ ولهذا يعرف الى اليوم باسم المذبح . وفى سنة ١٩١٨ غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته متنزها عاما . وفى سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب وجعلته مصلى .

والمصروف فى مطبخ الملك الظاهر عشرةُ آلاف رطل كلّ يوم عنها وعن توابلها عشرون ألف درهم نُقْرَة[١]، و يُصْرَف فى خزانة الكسوة[٢] فى كل يوم عشرون ألف درهم، و يُصْرَف فى الكُلَف الطارئة المتعلِّقة بالرُّسُل والوفود فى كلّ يوم عشرون ألف درهم، و يُصْرَف فى ثمن قُرْط دوابّه ودوابّ مَن يلوذُ به فى كلّ سـنة ثمانمائة ألف درهم، ويقوم بكُلَف الخيل والبغال والجمال والحَمير من العلوفات خمس عشرة ألف عليقة فى اليوم، عنها ستمـائة إردب، وما كان[٣] يقوم به لمَن أوجب نفقته وألزمها عليـه تُطحَنُ وتُحمَل إلى المخابز المُعَدّة لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أرباب الرواتب فى كلّ شهر عشرون ألف إردب؛ وذلك بالديار المصريّة خاصة[٤]. وهذا خلاف الطوارئ التى كانت تَفِد عليه فما يُمْكِن حصرُها. وكُلَفُ أسفاره وتجديد السـلاح فى كلّ قليل؛ وما كان عليه من الجوامك[٥] والجرايات لمماليكه ولأرباب الخِدَم؛ فكان ديوانه يفِى بذلك كلّه، ويحمل لحاصله جملةً كبيرة فى السّـنة من الذهب. وكان سبب ذلك أنه رَفَع أيدى الأقباط من غالب تعلقاته فافتقر أكثرُهم فى أيّامه، وباشروا الصنائع كالتجارة والبناية؛ ولا زال أمرهم على ذلك حتى تراجع فى أواخر الدولة الناصريّة محمد بن قلاوون. انتهت ترجمـة الملك الظاهر بيبرس، رحمـه الله تعـالى.

(١) الدراهم النقرة: أصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة والعبرة فى وزنها بالدرهم وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا وقدر بست عشرة حبة من حب الخروب فتكون كل خروبتين ثمن درهم وهى أربع حبات من حب البر المعتدل (عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣). (٢) فى الأصلين: «فى جراية الكسوة». وما أثبتناه عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان. (٣) عبارة فوات الوفيات: «ويصرف للخابز للجرايات، خلاما يصرف لأرباب المراتب لمصر خاصـة كل شهر عشرون ألف إردب». (٤) عبارة الذيل على مرآة الزمان: «وأما الطوارئ التى كانت تطرأ عليه فما يمكن حصرها». (٥) فى ذيل مرآة الزمان «الجامكيات».

ونذكر بعض أحواله، إن شاء الله تعالى، فى حوادث سنينه كما هو عادة هذا الكتاب على سبيل الاختصار. وقد أطلتُ فى ترجمته وهو مستحِقّ لذلك، لأنّه فرع فاق أصـله، كونَه كان من جملة ممـاليك الملك الصالح نجم الدين أيُّوب فزادت محاسنه عليـه.

وأمّا مَنْ يأتى بعده فلا سبيل إليه. ويُعجبنى فى هذا المعنى المقالةُ الثانية عشرة من قول الشيخ الإمام العـالم العارف الرّبّانىّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهانىّ المعروف بشَوْرَوة[١] رحمـه الله فى كتابه الذى فى اللّغة وسمّـاه «أطباق الذهب» يشتمل على مائة مقالة [وأثنتين] أحسن فيها غاية الإحسان، وهى:

«ليس الشريفُ مَنْ تطاول وتكاثر[٢]، إنّمـا الشريفُ مَنْ تَطَوّل وآثر؛ وليس المحسنَ من رَوَى القرآن، إنما المحسن مَنْ أرْوَى الظمآن؛ وليس البِرُّ إبانةَ الحروف بالإمالة والإشباع، لكنّ البِرَّ إغاثةُ الملهوف بالإنالة والإشباع؛ ولا خيرَ فى زُكّاة[٣] لا يُسْدِى معروفا، ولا بَرَكةَ فى لَبِنة[٤] لا تُرْوِى[٥] خَروفا؛ فوا[ها][٦]لك، لمن تَدّخر أموالك! أنْفِق أُلْفَك، قبـل أن يُقسم خَلْفَك؛ إنّ منازل الخَلْق سَواسِيَة، إلّا من له يدٌ مُواسِية؛ فأرفعُهم أنفعَهم، وأسودَهم أجودَهم، وأفضلُهم أبذلهُم؛ وخيرُ الناس مَنْ سَقَى مِلْوَاحا[٧]،

(١) فى الأصلين: «بشفروة». وتصحيحه عن ترجمته بأوّل إحدى نسخ هذا الكتاب المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٠٩ أدب. وقد ضبط بالقلم فى النسخة المذكورة (بالشين المعجمة والواو وسكون الراء وفتح الواو الثانيـة ثم هاء). (٢) فى أطباق الذهب: «من تطاول وكاثر بل الشريف... الخ». (٣) زكّاة (كهمزة) من يكثر إعطاء الزكاة. (٤) اللبنة من الإبل والغنم: الغزيرة اللبن. (٥) فى أطباق الذهب: «لا تشبع». (٦) تكملة عن أطباق الذهب. (٧) الملواح: هنا العطشان.

فى قولك مَين ولا يشوبه تَميق؛ فنحن نقَدّك [سيف][1] البغى، ومن سَلّ سيف البغى قُتِل به، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله؛ فيُرسَل إلينا من خواص دولتك رجلٌ يكون منكم مِمّن إذا قطع بأمرٍ وقفتم عنده، أو فصل حكما آنتهيتم إليه، أو جزَم أمرا عوّلتم عليه؛ يكون له فى أوّل دولتكم حُكمٌ وتمكين، وهو فيما يُعَوّل عليه ثقةٌ أمين؛ لنتكلّم معه فيما فيه الصلاح لذات البَيْن، وإن لم يكن كذلك عاد بخُفّى حُنَين.

وأمّا ما طلَبه الملك من الهديّة من الديار المصريّة فليس نبخل عليـه، ومقداره عندنا أجلّ مقدار وجميع ما يُهدَى إليه دون قدره، وإنّمـا الواجب أن يُهدى أوّلا مَن آستهدَى؛ لتُقابَل هديتُه بأضعافها، ونتحقّق صـدق نيّته، وإخلاص سريرته؛ ونفعلَ ما يكون فيه رضا الله عزّ وجلّ ورضا رسوله فى الدنيا والآخرة، لعلّ صَفْقتَنا رابحة فى معادنا غير خاسرة. والله تعالى الموفّق للصواب». آنتهى.

ثم سافر القصّاد المذكورون، وعاد السلطان من الصّيد فى ثالث صفر إلى بركة الحجّاج وآلتقى أميرَ الحاج وهو الأمير سـيف الدين بَكْتَمُر الجُوكَنْدار أمير جاندار، وصحبته رَكْب الحاجّ والمحمل السلطانىّ، فنَزل عنده السلطان وخلَع عليـه؛ ثم ركب وتوجّه حتى صـعِد قلعة الجبل عصر النهار، ودخل عَقيبَ دخوله المحملُ والحجاج، وشكر الحاجّ من حسن سـيرة بَكْتَمُر المذكور مع سرعة مجيئه بخلاف العادة؛ فإن العادة كانت يوم ذاك دخول المحمل فى سابع صفر، وقبل ذلك وبعد ذلك. وعمل بَكْتَمُر فى هذه السَّفرة من الخيرات والبرّ والخلَع على أمراء الحجاز وغيرهم شيئا كثيرا؛ قيل: إنّ جملة ما أنفقه فى هذه السفرة خمسةٌ وثمـانون ألف دينار مصريّة، تقبل الله تعـالى منه. ثمّ فى صُفر هذا وصـلَ الخبر إلى السلطان بأنّ قازان على عَزْم الركوب وقَصْد الشـام، وأنّ مقدّم عسـاكره الأمير بُولاى قـد قارب

(١) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك.

الفُرات، وأنّ الذى أرسله من الرسل خديعة. فعند ذلك شرَع السلطان فى تجهيز العساكر، وتهيّأ للخروج إلى البلاد الشامية، ثم فى أثناء ذلك ورَد على السلطان قاصدُ الأمير كَتْبُغا المنصورىّ نائب صَرْخَد، وكَتْبُغا هـذا هو الملك العادل المخلوع بالملك المنصور لاجين المقدّم ذكرهما، وأخبَر أنه وقَع بين حَماة وحِمْص وحصن الأكراد بَرَدٌ وفيه شىء على صـورة بنى آدم من الذكور والإناث، وصُوَر قرود وغير ذلك، فتعجب السلطان وغيره من ذلك. ثمّ فى ليلة الجمعة ثامن عشر جُمادى الأولى فى وقت السحر تُوُفّى الخليفة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن علىّ[1] الهاشمىّ العباسىّ بمسكنه بالكَبْش[2] ظاهر القاهرة ومصر المُطلّ على بركة الفيل[3]، وخُطِب له فى ذلك اليوم بجوامـع القاهرة ومصر، فإنهم أخفَوْا موته إلى بعد صلاة الجمعـة، فلمّا آنقضت الصلاة سُـيِّر الأمير سـلّار نائب السلطنة خَلْف جماعة الصوفيـة ومشـايخ الزوايا[4] والرُّبُط[5] والقضـاة والعلمـاء والأعيـان مـن الأمراء وغيرهم للصلاة عليـه، وتولّى غُسله وتكفينه الشـيخ كَرِيم[6] الدين شـيخ الشيوخ بخانقاه

(١) فى الأصلين: «أحمـد بن محمد». وتصحيحه عما تقدم ذكره للمؤلف (ج ٧ ص ١١٨) والدرر الكامنة. (٢) راجع الحاشـية رقم ٢ ص ٧٢ من الجزء السابع من هـذه الطبعة. (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٤) الزوايا مفردها زاوية، وكان هـذا الآسم يطلق قديما على كل مسجد صغير، فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح، يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردّد على زاويته من الناس. وأما الآن فيطلق آسم زاوية على كل مسجد صغير ليس له مئذنة وليس فيه منبر يخطب عليه فى صلاة الجمعة. وكل مسجد فيه منبر يسمى جامعا حيث يجتمع الناس فيه ويخطب على منبره فى صلاة الجمعة. (٥) الربط مفردها رباط، وقد شرح المقريزى فى خططه (ص ٤٢٧ ج ٢) معنى كلمة رباط فى جميع أوضاعها، والذى يقصده المؤلف منها هى الربط أى الدور التى يسكنها جماعة من الصوفية أهل طريق الله الزاهدين فى الدنيا والمقيمين فى الربط على طاعة الله، يدفعون بدعائهم البلاء عن البلاد والعباد. (٦) هو عبد الكريم بن الحسين بن عبد الله الآملى الطبرى كريم الدين أبو القاسم شيخ الخانقاه السعيدية بالقاهرة. توفى سنة ٧١٠ هـ (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة).

البغدادى . والأمير سيف الدين طُغْرِيل الإيغانى ، والأمير سيف الدين الذُكز[1] السلاح دار ، ومعهم نحو ثلاثين أميراً من أمراء الطبلخاناه بعد ما أنفق فيهم الملك المظفّـر ، فأعطى بُرُلْغِى عشرة آلاف دينـار ، وأعطى لكل مقـدّم ألفَى دينـار ، ولكلٍّ من الطبلخاناه ألف دينار ، ولكلّ واحد من مقدَّمى الحَلْقة ألف درهم ، ولكل واحد من أجناد الحَلْقة خمسمائة درهم ، ونزلوا بمسجد التِّبْن[2] خارج القاهرة ولم يتقدّموا ، ثم عادوا بعـد أربعة أيّام إلى القاهرة . وكان الباعث على عَوْدهم أن كتب آقوش الأفرم نائب الشـام وردت على الملك المظفّر : تتضمّن وصول الملك الناصر إلى البُرْج[3] الأبيض ، ثم عاد إلى الكَرَك فاطمأنّ الملك المظفر وأرسل إلى بُرُلْغِى ومن معه من المجرَّدين بالعَوْد فعادوا بعـد أربعة أيام . فلم يكن إلا أيّام وورد الخبر ثانيًا بمسير الملك الناصر محمد من الكَرَك إلى نحو دمشق ، فتجهّز العسكر المذكور فى أربعـة آلاف فارس وخرجوا من القاهرة فى العشرين من شعبان إلى العَبّاسـة . فورد البريد من دِمَشق بقدوم أَيْتَمُش المحمّدى من قِبَـل الملك الناصر بمشافهة إلى الأفرم ذكرها للمظفّر . ثم إنّ الأفرم بعد قدوم أَيْتَمُش بعث الأمير علاء الدين أَيْدُغْدِى شُقَيْر الحُسَامى ، والأمير جُوبان لكشف خبر الملك الناصر ، وأنهما توجّها من الشام إلى جهة الكَرَك . فوجدا الملك النـاصر يتصيّد وأنّه عوّق أَيْتَمُش عنده ، فسُرّ المظفّر بذلك ، وكان الأمر بخلاف ذلك ، وهو أنّ أمرهما : أنّه لمّـا سيّرهما الأفرم لكشف خبر الملك الناصر قدِما على الملك الناصر ، ودخلا تحت طاعته ، وعرّفاه أنهما جاءا لكشف خبره وحلفا له على القيام بنُصْرته سِرًّا ، وعادا إلى الأفرم بالجواب المذكور . وكان الناصر هو الذى أَمَرهما بهذا القول ، فظنّ

(١) ورد فى السلوك هذا الاسم هكذا : «ساكز» . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣١ من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٤٧ من هذا الجزء .

الأفرم أنّ أخبارهما على الصدق ، فكتب به إلى المظفّر . ثم إنّ الأفرم خاف أن يطرُق الملكُ النـاصر دِمَشق على غَفْلة فجرّد إليـه ثمانية أمراء من أمراء دِمَشق ، وهم : الأمير سـيف الدين قُطْلُوبَك المنصورى ، والأمير سيف الدين الحاج بهادُر الحلبى الحاجب ، والأمير جُوبان ، والأمير كُجْكُن ، والأمير علم الدين سَنْجَر الجاولى وغيرهم ليُقيموا على الطُّرقات لحفظها على من يخرُج من الشام وغيره إلى الملك الناصر . وكتب إلى الملك المظفّر يستحثّه على إخراج عساكر مصر لتجتمع عنده مع عساكر دِمَشق على قتال الملك الناصر ، وأنّه قد جدّد اليمين للظفّر وحلّف أمراء دمشق ألّا يخونوه ولا ينصروا الملك النـاصر . فلمّا قرأ المظفّر كتاب الأفرم اضطرب وزاد قلقُه . ثم ورد عليه كتاب الأمير بُرُلْغِى من العبّاسة بأنّ مماليك الأمير آقوش الرومى تجمّعوا عليه وقتـلوه وساروا ومعهم خزائنُـه إلى الملك النـاصر ، وأنّه لحق بهـم بعضُ أمراء الطبلخاناه فى جماعة من ممـاليك الأمراء وقـد فسد الحال ، والرأى أن يخرُج السلطان بنفسه .

فلمّا سمع الملك المظفّر ذلك أخرج تجريدةً أخرى فيها عدّةُ أمراء أكابر ، وهم : الأمير بِجاس[1] وبَكْتُوت وكثير من البُرْجيّة ، ثم بعث إلى بُرُلْغِى بألفى دينار ووعده بأنه عازم على التوجّه إليه بنفسه .

فلمّـا ورد كتاب الملك المظفر بذلك وبقدوم التجريدة إليه عزم على الرحيل إلى جهة الكَرَك ، فلمّا كان الليل رحل كثير ممّن كان معه يريدون الملك الناصر ، فثَنى عزمَه عن الرحيل ثانيـا ، وكتب إلى المظفّر يقول : بأنّ نصف العسكر سار إلى الملك الناصر وخرج عن طاعة الملك المظفّر ، ثم حرّض الملكُ المظفّر على الخروج

(١) فى السلوك وتاريخ سلاطين المماليك : « بشاس » . وفى ابن إياس : « بجماس » .

مائة وتَقْدِمة ألف بالديار المصرية، وهو إذ ذاك لايُحسِن يتلفّظ بالشهادتين، فكان مباشرو إقطاعه يدخلون إليــه مع أرباب وظائفه فيجدون الفقيهَ يُعلِّمــه الشهادة وقراءة الفاتحة وهو كالتَّيْس بين يدى الفقيه ! فكان ذلك من جملة ذنوب الملك الظاهر بَرْقُوق التى عدّدُوها له عند خروج الناصرى[1] ومَنْطاش[2] عليه، ونَفَرت القلوبُ منــه حتى خُلِع وحُبِس حسب ما يأتى ذكره . ولم أُرِدْ بذلك الحطَّ على الملك الظاهر المذكور غيرأنّ الشىء بالشىء يُذْكر . انتهى .

ثم فعلَ السلطان الملك الناصر ذلك مع مماليكه وعساكره ، فكان يسأل المملوك عن ٱسمــه وٱسم تاجره وعن أصله وعن قدومه إلى الديار المصرية ، وكم حضر مَصَافّ ، وكم لعب بالرمح [وعن][3] سنّه ، ومَنْ كان خَصْمَه فى لعب الرُّمح ، وكم أقام سنة بالطبقة ؟ فإن أجابه بصدق أنصفه وإلا تركه ، ورسَم له بجامكيّة هيّنة حتى يصل إلى رُتبة من يُقْطَع بباب السلطان ، فأعجَب الناس هذا غايةَ العجب . وكان الملك النـاصر أيضا يُخَيِّر الشيخ المسِنّ بين الإقطاع والراتب، فيُعطيه مايختــاره، ولم يُقطع فى هــذا العرض إلا العاجزَ عن الحركة ، فيرتِّب له ما يقــوم به عِوضًا عن إقطاعه .

وٱتّفق للسلطان أشياء فى هــذا العَرْض ، منها : أنّه تقدّم إليــه شابٌّ تام الخِلقة فى وجهه أثرُ يُشبِه ضَرْبةَ السيف ، فأعجبه وناوله مِثالًا بإقطاع جيِّد ، وقال له : فى أىّ مصاف وقع فى وجهك هــذا السيف ؟ فقال يا خَوَنْد : هذا ما هو أثر سَــيف ، وإنّما وقعتُ من سُلَّم قصار فى وجهى هذا الأثر، فتبسّم السلطان وتركه ،

(١) هو يلبغا بن عبــد الله الناصرى الأتابكى اليلبغاوى الأمير سيف الدين . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٣ هـ .   (٢) هو تمربغا بن عبد الله الأفضلى المدعو منطاش الأمير سيف الدين المتغلب على الديار المصرية . توفى سنة ٧٩٥ هـ .   (٣) زيادة عن المقريزى .

فقال له الفخر ناظر الجيش : ما بَقِى يصلُح له هــذا الخبزُ، فقال الملك النـاصر : قد صدَقنى وقال الحق، وقد أَخَذ رزقَه، فلو قال : أُصِبتُ فى المصافّ الفــلانى، من كان يُكَذِّبه ! فدعت الأمراء له وٱنصرف الشابُّ بالإقطاع . ومنها : أنّه تقدّم إليه رجل دميمُ الخَلْق وله إقطاعٌ ثقيلٌ، عِبْرتُه[1] ثمانمائة دينار، فأعطاه مِثالًا وٱنصرف به ، عِبْرتُه نصف ما كان فى يده، فعاد وقبّل الأرض، فسأله السلطان عن حاجته؟ فقال : الله يحفظ السلطان ، فإنّه غَلِط فى حَقِّ ، فإنّ إقطاعى كانت عِبْرتُه ثمانمـائة دينار، وهــذا عِبْرتُه أربعمائة دينـار ؛ فقال السلطان : بل الغلط كان فى إقطاعك الأول ، فٱمْضِ بمـا قَسَم الله لك ؛ وأشياء من هــذا النوع إلى أن ٱنتهت تفــرقة المثالات فى آخر المحرّم سنة ستّ عشرة وسبعمائة، فوفّر منها نحو مائتى مِثال[2] .

ثم أخَذ الســلطان فى عَرْض مماليك الطِّباق ووفّر جوامكَ[3] عِدّة منهم، ثم أفرد جهةَ قَطْيا[4] للعاجزين من الأجناد، وقرّر لكلّ منهم ثلاثة آلاف [درهم][5] فى السنة . ثم إن الســلطان ٱرتجع ما كانت المـماليك البُرْجيّة ٱشترته من أراضى الجيزة وغيرها . وٱرتجع السلطان أيضًا ما كان لبيبَرْس وسَلّار وبُرُلْغِى والجُوكُنْدار وغيرهم من الرِّزَق[6]

(١) ذكرت فى الحاشية رقم ١ ص ٩٣ من الجزء الثامن من هذه الطبعة أن العبرة معناها مقدار المساحة ، وهذا خطأ ، صوابه أن العبرة فى الاصطلاح المـالى القديم معناها مقدار المربوط من الخــراج أو الأموال على كل إقطاع من الأرض، وما يحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف .   (٢) المقصود هنا أن الملك الناصر وفر نحو مائتى إقطاع ممـا كان بأيدى الجند .   (٣) الجوامك : المرتبات .   (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .   (٥) زيادة عن السلوك والمقريزى .   (٦) الرزق : مفــردها رزقة ، وهى الأطيان التى كان يعطيها الخلفاء والملوك والسلاطين بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانيــة إلى بعض الناس على سبيل الإحسان والإنعام رزقة بلا مال . ومن تلك الأراضى ما هو موقوف صرف ريعه على المساجد والخوانك والرباطات والأضرحة وغيرها من الجهات الخــيرية للقيام بمصالحها ودوام عماراتها والصرف على القائمين بإدارتها . ومنها غير الموقوف فيصرف ريعه إلى مستحقيه ، والرزق التى من هــذا النوع تنحل بٱنقراض أصحابها ، وممـا ورد فى هذا الكتاب يتبين أن الملك الناصر ٱرتجع الرزق أى نزعها من واضعى اليد عليها .

وفيها آهتمّ السلطان لحركة السفر إلى الحجاز الشريف، وتقدّم كريم الدين الكبير ناظر الخواصّ إلى الإسكندرية لعمل الثّياب الحرير برسم كسوة الكعبة، وبينا السلطان فى ذلك وصلت تقدمةُ الأمير تنكز نائب الشام، وفيها الخيل والهُجُن بأكوار[1] ذهب وسلاسل ذهب وفضّة ومقاود حرير، وكانت عِدّة كثيرة يطول الشرح فى ذكرها. ثم أيضا وصلت تقدمة الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل صاحب حَماة، وهى أيضا تشتمل على أشياء كثيرة، وتولّى كريم الدين تجهيز مايحتاج إليه السلطان من كلّ شىء حتى إنه عمل له عِدّة قُدُور من ذهب وفضّة [ونُحاس][2] تُحمل على البَخاتى ويُطبَخ فيها للسلطان، وأحضر الخَوَلة لعمل مَباقل ورياحين فى أحواض خشب تُحمَل على الجمال فتسير مزروعة فيها وتُسقَى بالماء، ويُحصَد منها ما تدعو الحاجة إليه أولا بأوّل، فتهيأ من البقل والكُرّاث والكُسبُرة والنعناع وأنواع المشمومات والرَّيحان شىء كثير، ورتّب لها الخَوَلة لتعاهدها بالسقية وغيرها، وجُهّزت الأفران وصُنّاع الكُماج[3] والجُبْن المَقْلِى وغيره. وكُتبت أوراق عليق السلطان والأمراء الذين معه وعِدّتهم آثنان وخمسون أميرا، لكل أمير ما بين مائة عَليقة [فى كل يوم][4] إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة، وكانت جملةُ العَليق فى مدّة سفر السلطان ذَهابا وإيابا مائةَ ألف إردبّ وثلاثين ألف إردب [من الشعير][4] وحَمل تنكز من دِمَشق خمسمائة حِمل على الجمال ما بين حَلْوَى وسكر وفواكه ومائة وثمانين حِمل حبّ رُمّان ولَوز، وما يحتاج إليه من أصناف الطبخ، وجهّز كريم الدين الكبير من الإوزّ ألف طائر، ومن الدّجاج ثلاثة آلاف طائر، وأشياء كثيرة من ذلك.

---

(١) أكوار، جمع كور، وهو الرحل. (٢) زيادة عن السلوك. (٣) الكماج: خبز غير مخمر يصنع من الدقيق الأبيض الخالص، يخبز فى الرماد (عن قاموس استينجاس).
(٤) زيادة عن السلوك.

وعيّن السلطان للإقامة بديار مصر الأمير أَرْغُون الناصرىّ النائب ومعه الأمير أَيْتَمُش المحمّدىّ وغيره. ثم قَدِم الملك المؤيّد صاحب حَماة إلى القاهرة ليتوجّه فى رِكاب السلطان إلى الحجاز، وسافر المَحْمِل على العادة فى ثامن عشر شوّال مع الأمير سيف الدين طُرُجى[1] أمير مجلس، ورَكِب السلطان من قلعة الجبل فى أوّل ذى القعدة، وسار من بركة الحُجّاج فى سادس ذى القعدة وصحبتُه المؤيد صاحب حماة والأمراء وقاضى القضاة بدر الدين بن جَماعة الشافعىّ وغالبُ أرباب الدولة، وسار حتى وصل مكّة المشرّفة بتواضُع زائد بحيث إنّ السلطان قال للأمير جَنْكَلِى بن البابا: لا زلتُ أُعَظِّم نفسى إلى أن رأيت الكعبة المشرّفة وذكرتُ بوس الناس الأرض لى، فدخلتْ فى قلبى مهابةٌ عظيمة ما زالت عنى حتى سجدتُ لله تعالى. وكان السلطان لما دخل مكة حَسَّنَ له قاضى القضاة بدر الدين بن جَماعة أن يطوف بالبيت راكبا كما فعل النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقال له الملك الناصر: ومن أنا! حتى أَتَشَبَّه بالنبىّ صلى الله عليه وسلم، والله لا طفتُ إلا كما يطوفُ الناس! ومَنع الحُجّاب من مَنْع الناس أن يطوفوا معه، وصاروا يُزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد منهم فى مدّة طَوافه وفى تقبيله الحجرَ الأسود.

قلتُ: وهذه حجّةُ الملك الناصر الثانية. ولما كان الملك الناصر بمكّة بلغه أن جماعة من المُغل ممّن حجّ فى هذه السنة قد آختفى خوفا منه فأحضرهم السلطان وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم. وغَسَل السلطان الكعبة بيده وصار يأخذ أُزُرَ إحرام الحُجّاج ويَغسِلها لهم فى داخل البيت بنفسه، ثم يدفعها لهم، وكثُر الدعاء له. وأبطل سائرَ المُكُوس من الحرمين الشريفين، وعَوّض أميرَى مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام، وأحسن إلى أهل الحرمين، وأكثر من الصدقات.

---

(١) فى الأصلين: «طرغى» بالغين المعجمة، وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وتاريخ آبن إياس.

وفى هـذه السنة مهّـد السلطان ما كان فى عَقَبة أَيْلَة من الصخور، ووسّـع طريقها، حتى أمكن سلوكُها بغير مَشَقّة، وأنفق على ذلك جُمَلًا مستكثرة، وآتفق لكريم الدين الكبير ناظر الخاصة أمر غريب بمكة فيه موعظة، وهو أن السلطان بالغ فى تواضعه فى هذه الحِجّة للغاية، فلما أُخرجت الكسوة لتُعْمَل على البيت صَعِد كريم الدين المذكور إلى أعلى الكعبة بعد ما صلّى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر فى الخيّاطين، فأنكر الناس آستعلاءه على الطائفين، فبعث الله عليه وهو جالس نُعاسًا سقط منه على رأســه من عُلْو البيت فلو لم يتداركوه مَنْ تحته لهَلَك، وصرخ الناس فى الطواف صَرْخةً عظيمة تعجُّبا من ظهور قدرة الله تعـالى فى إذلال المتكبرين! وآنقطع ظُفر كريم الدين وعلِم بذنبه فتصدّق بمـال جزيل .

وفى هذه السَّفْرة أيضا أجرى السلطان المـاء لخُلَيْص[1] وكان آنقطع من مدّة سنين، ولَقِى السلطانُ فى هذه السَّفْرة جميعَ العُرْبان وملوكها من بنى مَهْدِى[2] وأمرائها وشطى[3] وأخاه عسّافا وأولاده وأشراف مكة من الأمراء وغيرهم، وأشرافَ المدينة وينْبُع وغيرهم، وعَرَب خُلَيْص وبنى لَأْم[4] وعُرْبان حَوْران[5] وأولاد مُهَنّا[6] : موسى وسليمان وفَيّاضًا وأحمد وغيرهم، ولم يتفق آجتماعهم عند ملك غيره، وأنعم عليهم بإقطاعات وصِلَات وتدلّلُوا على السلطان، حتى إن موسى بن مُهَنّا كان له ولدٌ صغير فقام فى بعض

(١) خليص : حصن بين مكة والمدينة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) بنو مهدى : بطن من بنى طريف من جذام من القحطانية، منازلهم بالبلقاء من بلاد الشام، وهم بطون كثيرة وأفخاذ متسعة (عن نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى) . (٣) هو شطى بن عتبة (كما فى صبح الأعشى وهامش الدرر الكامنة) . وفى أصل الدرر : «ابن عية» . وفى المنهل الصافى : «ابن عبيـد» . وهو أمير آل عقبة عرب البلقاء والكرك إلى تخوم الحجاز . توفى ليـلة عيد الأضحى سنة ٧٤٨ هـ (عن المصادر المتقـدمة) . (٤) بنو لأم : من آل ربيعـة من عرب الشام (عن شرح القاموس) . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٦) فى الأصلين : «عيسى» والتصحيح عن السلوك والدرر الكامنة .

الأيام ومدّ يده إلى لحية السلطان وقال له : يا أبا علىّ بحياة هذه اللحية ومَسَك منها شَعَرات إلّا ما أعطيتَنى الضَّيْعة الفلانية إنعامًا علىّ، فَصَرخ فيه فخرُ الدين ناظر الجيش وقال له : شل يدَك، قطع الله يدك! تَمُدّ يدك إلى السلطان، فتبسّم له السلطان وقال : هذه عادةُ العرب، إذا قصدوا كبيرًا فى شىء فيكون عظمتُه عنـدهم مسك لحيته، يريد أنه آستجار بذلك المَسّ، فهو سُنّةٌ عندهم؛ فغَضِب الفخر ناظر الجيش وقام وهو يقول : إن هؤلاء مناحيس وسُنّتهم أنحس. ثم عاد السلطان بعد أن قَضى مناسكه إلى جهة الديار المصرية فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سـنة عشرين وسبعمائة بعد أن خَرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحُجّاج، وركب السلطان بعد آنقضاء السِّماط فى موكب عظيم، وقد خرج النـاس لرؤيته وسار حتى طلَع القلعة، فكان يومًا مشهودا، وزُيّنت القاهرة ومصر زينةً عظيمة لقدومه، وكثُرت التهانى وأد باب الملاهى .ن الطبول والزمور، وجلس السلطان على تخت المُلك وخلَع على الأمراء وألبس كريم الدين الكبير أطلسين، ولم يتّفق ذلك لمتعمّم قبله . ثم خلَع السـلطان على الملك المؤيد إسماعيل صاحب حَمَاة وأركبـه بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية ببين القصرين، وحَمَل وراءَه الأمير قِجْليس السِّلاح دار السِّلاح، وحَمَل الأمير أُلْجاى الدوادار الدواةَ، وركب معه الأمير بيبرس الأحمدى أمير جاندار والأمير طَيْبَرس، وسار بالغاشية والعصائب[1] وسائر دَسْت[2] السلطنة وهم بالخِلَع معـه إلى أن طلَع إلى القلعـة، فكان عدّةُ تشاريف من سار معـه مائةً وثلاثين تشريفًا فيها ثلاثة عشر أطلس والبقية كَنْجى[3] وعَمَل الدار وطَرْد وحش، وقبّـل الأرض وجلس على ميمنة

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) العصائب جمع عصابة، وهى راية عظيمة من حرير أصفر مطرّزة بالذهب عليها ألقاب السلطان وآسمه (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) . (٣) الكنجى (القطنى) : نسيج من الحرير والقطن، كان يصنع بادئ أمره فى مدينة كنجة (جنزة) من إقليم أران (عن دوزى) . و راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

من تعلّقات السلطنة والمصروف منها فى كل يوم ، فصارت تُعْرَض عليه كل يوم ويُباشر ذلك بنفسه فتوفّر مالٌ كثير وشقّ ذلك على الدواوين .

ثم سافر السلطان إلى الوجه القبلى للصيد وعاد فى ثالث عشر المحرّم سنة خمس وعشرين وسبعمائة . وفى هذه السنة قَدِم على الملك الناصر رُسُل صاحب اليَمَن ، ورُسُل صاحب اسطنبول ، ورُسُل الأَشْكُرِى ، ورُسُل متملّك سِيس ، ورُسُل إلقان بوسعيد ، ورسل صاحب مارِدِين ، ورسل آبن قَرَمان ، ورسل متملّك النوبة ، وكلهم يبذلون الطاعة . وسأل رُسُلُ صاحب اليمن المَلِكِ المجاهِد[1] إنجادَه بعسكر من مصر وأكثر من ترغيب السلطان فى المـال الذى باليمن ، فرَسَم السلطان بتجهيز العسكر إلى اليمن صحبة الأمير بِيبَرْس[2] الحاجب ومعه من أمراء الطبلخاناه خمسة ، وهم : آقُول الحاجب ، وبَحْماس الجُوكُنْدار ، وبَلَبان الصَّرْخَدِىّ ، وبَكْتَمُر العلائى الأُسْتادار ، وأُلْجاى الناصرىّ الساقى ، ومن العشرات : عِزّ الدين أَيْدَمُر الكُونْدُكِىّ[3] وشمس الدين إبراهيم التُّرْكُمانِىّ ، وأربعة من مُقَدَّمِى الحَلْقة ، وهؤلاء العسكر لهم مقدّمة أخرى كالجاليش عليها الأمير سيف الدين طَيْنَال الحاجب ، ومعه خمسة من أمراء الطبلخاناه وهم : الأمير طَطُقرا الناصرى وعلاء الدين علىّ بن طُغْرِيل الإيغانىّ وجَرِبَاش أميرُ عَلَم ، وأَيْبَك الكُونْدُكِى[4] وكُوكاى طاز ، وأربعة من مقدَّمى الحَلْقة ، ومن العشرات بَيْبَان الدَّوادارى وطُرُنْطاى الإسماعيلىّ والى باب القلعة ، ومن مماليك السلطان ثلثمائة فارس ، ومن أجناد الحَلْقة تتمّة

(١) هو على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول الملك المجاهد سيف الدين أبو يحيى ابن الملك المؤيد هزبر الدين آبن الملك المظفر آبن الملك المنصور نور الدين التركمانى الأصل صاحب اليمن . تولى الملك بعد أبيه فى سنة ٧٢١ هـ وتوفى سنة ٧٦٤ هـ (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة) .

(٢) ورد فى السلوك بجاز بالزاى المعجمة . وورد فى آبن إياس بالزاى والسين معا .

(٣) فى الأصلين : « الكوكندى » . وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك .

(٤) فى الأصلين : « الكوكندى » . وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ الجزرى (الموجود منه الجزء الأخير فى ثلاثة مجلدات بالتصوير الشمسى محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩٥ تاريخ) .

الألف فارس ، وفُرِّقت فيهم أوراقُ السَّفَر ، وكُتِب بحضور العُرْبان من الشرقيّة والغربية لأجل الجمال .

ثم خرَج السلطان إلى سِرْيَاقوس[1] على العادة فى كل سنة وقبَض على الأمير بَكْتَمُر الحاجب بها ، وعلى أمير آخر فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل . ثم قَدِم على السلطان الأمير تَنْكِز الناصرىّ نائب الشام وأقام إلى عاشره وعاد إلى الشام ، ثم أنفق السلطان على الأمراء المتوجِّهين إلى اليَمَن فقط ، فحُمِل إلى بِيبَرْس ألف دينار وإلى طَيْنَال ثمانمائة دينار ، ولكل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم[2] ، ولكل من العشرات مبلغ ألفى درهم ، ولمقدّمى الحَلْقة ألف درهم ، وحضر العُرْبان . وباعوا الأجناد موجودَهم وآكْتَرَوُا الجمال ، فآنحطّ سعر الدينار من خمسة وعشرين درهما إلى عشرين درهما من كثرة ما باعوا من الحُلَل[3] والمصاغ . ثم برَزُوا من القاهرة إلى بِرْكة الحاجّ[4] فى يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ، وسافروا من البِرْكة فى يوم الخميس ثانى عشره . ثم خرَج السلطان إلى سِرْياقوس ومعه عِدّة من المهندسين ، وعيّن موضعا على نحو فرسخ من ناحية سِرْياقوس ليُبْنَى فيه خانقاه[5] ، فيها مائةُ خَلْوة لمائة صُوفِىّ وبجانبها جامع تُقام فيه الخُطبة ، ومكان برَسْم ضيافة الواردين وحَمّام ومطبخ ، ونَدَب آق سنقر شادّ العمائر لجمع الصُّنّاع ، ورتّب أيضا قصور سِرْياقوس برسم الأمراء والخاصكيّة ، وعاد فوقع الآهتمام

(١) سرياقوس ، من القرى القديمة فى مصر ، وهى الآن من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية ، واقعة على الشاطئ الشرقى لترعة الإسماعيلية فى شمال القاهرة ، وعلى بعد ١٨ كيلو مترا منها .

(٢) فى السلوك : « مبلغ ألف درهم » . (٣) فى السلوك : « من الحلى والمصاغ » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٥) خانقاه الناصر بناحية سرياقوس ، سيأتى الكلام عليها فى هذا الجزء .

من باب الشعرية[1] ، وجامع[2] فتح الدين محمـد بن عبد الظاهر بالقرافة . وغير ذلك من المدارس والمساجد ، وهذا كله بديار مصر .

وأما ما بُنِيَ بالبلاد الشاميـة فى أيامه فكثيرٌ جدًّا . وآخرُ ما بناه الملك النـاصر السواقى التى بالرَّصـد[3] ، ومات قبل أن يُكملها . وكان الملك النـاصر فى آخر أيامه شُـغِفَ بحُبّ الجوارى المولَّدات وحُمِلْنَ إليـه ، فزادت عِدَّتُهنّ عنـده على ألف ومائتى وَصِيفة .

وخلَّف من الأولاد الذكور أبا بكر ومحمدا وإبراهيم وعليًّا وأحمد وبَجك ويوسف وشعبان وإسماعيل ورمضان وحاجى وحسينا وحسنا وصالحا . وتسلطن من ولده لصُلْبه ثمـانية : أبو بكر وبجك وأحمد وإسماعيـل وشعبان وحاجى وحسن وصالح ثم حسن ثانيـا حسب ما يأتى ذكرُ ذلك كله فى محلّه إن شاء الله تعـالى . وخلَّف من البنات سبعا .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تاريخه : وكان الملك الناصر مَلِكًا عظيما محظوظا مُطاعا مَهِيبًا ذا بطشٍ ودهاء وحَزْم شـديد وكَيْدٍ مَديد، قلَّمـا حاول أمرا فآنخرم عليه فيه شىءٌ يُحاوِله ، إلّا أنه كان يأخذ نفسَه فيه بالحزم البعيد والآحتياط .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) ذكره المقريزى فى خططه بآسم جامع آبن عبد الظاهر (ص ٣٢٤ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع بالقرافة الصغرى قبلى قبر الليث بن سعد . كان موضعه يعرف بالخندق . أنشأه القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر كاتب السر بجوار قبر أبيـه . وأول خطبة أقيمت فيه كانت فى يوم الجمعة ٢٤ صفر سـنة ٦٨٣ هـ ، ثم قال : وكان عامرا إلى أن خرب ما حوله وهو قائم على أصوله .

وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع قـد آندثر وزالت معالمه بسبب ما أقيم على أرضه من المقابر . وكان واقعا بجبانة الإمام الليث بالقرب من تربة الفخر الفارسى خارج القاهرة . ومما يلاحظ أن المؤلف ذكر هذا الجامع بتقدير أنه من منشآت عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون فى حين أنه بنى فى سنة ٦٨٣ هـ أى فى عهد الملك المنصور قلاوون . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٠ من هذا الجزء .

أَمْسك إلى أن مات مائةً وخمسين أميرًا . وكان يصبِر الدهرَ الطويل على الإنسان وهو يكرهه . تحدّث مع الأمير أَرْغُون الدَّوادار فى إمساك كريم الدين الكبير قبل القبض عليه بأربع سنين ، وهَمّ بإمساك تَنْكِز لَمَّـا وَرَد من الحجاز فى سـنة ثلاث وثلاثين بعـد موت بَكْتَمُر الساقى . ثم إنه أمهله ثمـانى سنين بعد ذلك . وكان ملوك البلاد الكِبار يهابونه ويُراسلونه . وكان يتردّد إليه رُسُل صاحب الهند وبلاد أُزْبَك خان وملوك الحبشة وملوك الغرب وملوك الفرنج وبلاد الأَشْكُرِى وصاحب اليمن . وأمّا بُو سعيد ملك التّتار فكانت الرسلُ لا تنقطع بينهما، ويُسَمَّى كُلٌّ منهما الآخر أخًا . وكانت الكلمتان واحدة[1] ، ومراسيمُ الملك الناصر تَنْفُذ فى بلاد بو سعيد، ورُسُلُه يتوجهون إليه بأطلابهم وطبلخاناتهم بأعلامهم المنشورة . وكان كلما بَعُد الإنسان من بلاده وَجَدَ مهابتَه ومكانتَه فى القلوب أعظم . وكان سَمْحًا جَوادًا على من يَقرَّبه ، لا يبخَلَ عليه بشىء كائنا من كان . سألت القاضى شرف الدين النَّشْو : أنفق[2] يوما ألف ألف درهم ؟ قال : نعم [وكثير . وفى يوم واحد أنعم على الأمير بَشْتَك بألف ألف درهم] فى ثمن قرية يُبْنَى[3] التى بها قبرُ أبى هُرَيْرَة على ساحل الرملة . وأنعم على موسى بن مُهَنَّا بألف ألف درهم، وقال لى (يعنى عن النَّشْو) : هـذه ورقةٌ فيها ما آبتاعه من الرقيق فى أيام مباشرتى . وكان ذلك من شعبان سنة آثنتين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، فكان جُملتُه أربعمائة ألف وسبعين ألف دينار مصرية . وكان يُنْعِم على الأمير تَنْكِز فى كل سنة يتوجَّه إليه إلى مصر، وهو بالباب ما يزيد على ألف ألف درهم . ولمَّـا تزوّج الأميرُ سيف الدين

(١) فى أحد الأصلين : « وصارت الكلمات واحدة » . (٢) زيادة عن المنهل الصافى .

(٣) قال ياقوت : « إنه بليد قرب الرملة فيه قبر صحابى ، يقول : بعضهم هو قبر أبى هريرة ، وبعضهم يقول : قبر عبد الله بن أبى سرح . وذكر المرحوم أحمد زكى باشا فى تصحيحات الجزء الأول من مسالك الأبصار أنها فى عصرنا هذا من أعمال غزة بأرض فلسطين .

قوصون بآبنة السلطان وعمل عرسه حمل الأمراء إليه شيئا كثيرا، فلما تزوج الأمير سيف الدين طغاى تمر بآبنته الأخرى. قال السلطان : ما نعمل [له] [1] عرسا، لأن الأمراء يقولون : هذه مصادرة . ونظر إلى طغاى تمر وقد تغير وجهه، فقال للقاضى تاج الدين إسحاق يا قاضى : اعمل ورقة بمكارمة الأمراء لقوصون، فعمل ورقة وأحضرها، فقال السلطان : كم الجملة ؟ قال : خمسون ألف دينار، فقال : أعطها لطغاى تمر من الخزانة . وذلك خارج عما دخل مع الزوجة من الجهاز . وأما عطاؤه للعرب فأمر مشهور زائد عن الحد . انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى بآختصار. وهو أجدر بأحوال الملك الناصر، لأنه يعاصره وفى أيامه، غير أننا ذكرنا من أحوال الملك الناصر ما خفى عن صلاح الدين المذكور نبذة كبيرة من أقوال جماعة كثيرة من المؤرخين . والله تعالى أعلم .

***

السنة الأولى من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، وهى سنة عشر وسبعمائة على أنه حكم فى السنة الماضية من شهر شوال [2] إلى آخرها .

فيها (أعنى سنة عشر وسبعمائة) قبض الملك الناصر على الأمير سلار وقتله فى السجن حسب ما تقدم ذكره فى أصل الترجمة، ويأتى أيضا ذكر وفاته فى هذه السنة .

وفيها توفى العلامة قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية فى يوم الخميس الثانى والعشرين

(١) الزيادة عن المنهل الصافى. (٢) فى أحد الأصلين : «من شهر رمضان» . وأما الأصل الآخر فلم يذكر هذه العبارة . وما أثبتناه عما تقدم ذكره فى الحاشية رقم ٤ ص ١٦٥ من هذا الجزء .

من شهر ربيع الآخر بالمدرسة السيوفية [1] بالقاهرة . وكان بارعا فى علوم شتى، وله آعتراضات على آبن تيمية فى علم الكلام، وصنف شرحا على الهداية وسماه «الغاية» ولم يكمله .

وتوفى الشيخ الإمام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد [بن على بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس] [2] بن الرفعة الشافعى المصرى . كان فقيها مفتنا مفتيا، وكان يلى حسبة مصر القديمة . وشرح التنبيه [3] والوسيط [4] فى الفقه فى أربعين مجلدا . ومات فى ثامن [5] عشر رجب ودفن بالقرافة . رحمه الله .

وتوفى الشيخ رضى الدين أبو بكر بن محمود بن أبى بكر الرقى الحنفى المعروف بالمقصوص . مات بدمشق ودفن بالباب الصغير . وكان فقيها فاضلا عالما بعدة فنون، ودرس وأفتى سنين كثيرة .

وتوفى الشيخ الإمام العلامة قطب الدين محمود بن مسعود [بن مصلح] [6] الشيرازى، كان عالما بالفلسفة والمنطق والأصول والحكمة، وله فيهم مصنفات تدل على فضله . وتولى قضاء بلاد الروم، ولم يباشر القضاء، ولكن كانت نوابه تحكم فى البلاد . وكان معظما عند ملوك التتار [وكان] [7] من تلامذة [8] النصير الطوسى؛ وبه تخرج فى علم الأوائل . وبنى له تربة بتبريز، وبها دفن .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٢) الزيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى وشذرات الذهب والسلوك . (٣) هو كفاية النبيه فى شرح التنبيه فى الفقه الشافعى، توجد منه بعض أجزاء من نسخ متعددة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بأرقام كثيرة . (٤) هو المطلب العالى فى شرح وسيط الإمام الغزالى فى فقه الإمام الشافعى، توجد منه بعض أجزاء مخطوطة من نسخ كثيرة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت أرقام كثيرة.
(٥) فى الأصلين : «فى ثانى عشر رجب» . وتصحيحه عن السلوك والمنهل الصافى والدرر الكامنة .
(٦) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة . (٧) زيادة عن عقد الجمان .
(٨) فى الأصلين : «من تلامذته» . والتصحيح عن المنهل الصافى والدرر الكامنة .

وهو أوّل من اتّخذ من ملوك مصر ديوانًا للإسطبل السلطانىّ وعمل له ناظرا وشهودًا وكتّابًا لضبط أسماء الخيل، وأوقات ورودها وأسماء أربابها، ومبلغ أثمانها ومعرفة سُوّاسها وغير ذلك من أحوالها. وكان لا يزال يتفقّد الخيول، فإذا أُصيب منها فرس أو كَبِر سنّه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجَشّار(١) بعد ما يحمل عليها حصانا يختاره، ويأمر بضبط تاريخه، فتوالدت عنده خيول كثيرة، حتى أغنته عن جلب ما سواها. ومع هذا كان يرغب فى الفرس المجلوب إليه أكثر ممّا توالد عنده. فعظُم العربُ فى أيامه لجلب الخيل وشمِل الغنى عامّتهم، وكانوا إذا دخلوا إلى مشاتيهم أو إلى مصايفهم يخرجون بالحُلى والحُلَل والأموال الكثيرة، ولبسوا فى أيامه الحرير الأطلس المعدنىّ بالطرز الزَّركش والشاشات المرقومة، ولبسوا الخلَع البابلىّ والإسكندرىّ المطرّز بالذهب، وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصّع وعمل لهم العناتر(٢) بالأكر الذهب والأساور المرصّعة بالجوهر واللؤلؤ، وبعث لهنّ بالقماش السكندرى وعمل لهنّ البراقع الزَّركش، ولم يكن لُبسُهم قبل ذلك إلا الخَشِن من الثياب على عادة العرب. وأجلّ ما لَبِس مُهنّا أميرهم أيام الملك المنصور لاجين طرد وحش. لمودّة كانت بين لاجين وبين مهنّا بن عيسى، فأنكر الأمراء ذلك على الملك المنصور لاجين فاعتذر لهم بتقدّم صحبته له وأياديه عنده، وأنه أراد أن يكافئه على ذلك.

وكان الملك الناصر فى جَشّاره(٣) ثلاثة آلاف فرس، يُعرَض فى كلّ سنة نِتاجها عليه فيُسلّمها للركّابين من العُربان [لرياضتها](٤) ثم يُفرّق أكثرها على الأمراء

(١) الجشار: صاحب مرج الخيل. والجشر: أن تنزو خيلك فترعاها أمام بيتك. «عن القاموس».
(٢) فى الأصلين: «العنابر». وما أثبتناه عن «دوزى». والعناتر جمع عنترى، وهو صديرى ينزل الى الركب ويلبس فوق القميص والقباء. (٣) الجشار «بالضم»: لعله الإصطبل.
(٤) زيادة عن السلوك.

الخاصّكيّة، ويفرح بذلك ويقول: هذه فلانة بنت فلانة أو فلان بن فلان، عُمرها كذا، وشراء أمّها بكذا وشراء أبيها بكذا.

وكان يَرْسُم للأمراء فى كلّ سنة أن يُضَمّروا الخيول، ويُرتّب على كل أمير من أمراء الألوف أربعة أرؤس يُضَمّرها. ثم يَرْسُم لأمير آخور أن يُضمّر خيلا من غير أن يفهم الأمراء أنّها للسلطان، بل يُشيع أنّها له، ويُرسلها للسِّباق مع خيل الأمراء فى كلّ سنة. وكان للأمير قُطْلُوبُغا الفخرىّ حصانٌ أدهم، سَبَق خيل مصر كلّها ثلاث سنين متوالية، فأرسل السلطان إلى مُهنّا وأولاده أن يُحضروا له الخيل للسِّباق، فأحضروا له عدّة وضمّروا، فسبقهم حصان الفخرىّ الأدهم.

ثم بعد ذلك ركب السلطان إلى ميدان القَبَق(١) ظاهر القاهرة فيما بين قلعة الجبل وقُبّة النصر، وهو أماكن الترب الآن، وأرسل الخيل للسَّبق، وعدّتها دائما فى كلّ سنة ما يُنيف على مائة وخمسين فرسا. وكان مُهنّا بعث للسلطان بحِجْرة شَهْباء للسِّباق على أنها إن سَبَقت كانت للسلطان وإن سُبِقت رُدّت إليه بشرط ألّا يركبها للسِّباق إلا بدويّها الذى قادها إلى مصر. فلمّا ركب السلطان والأمراء على العادة ووقفوا ومعهم أولاد مُهنا [بالميدان](٢) وأُرسلت الخيولُ من بركة الحاج كما جرت به العادة، وركب البَدَوىّ حِجْرة مُهنّا الشهباء عريا بغير سَرْج، ولبس قميصا ولاطئة(٣) فوق رأسه. وأقبلت الخيول يتبع بعضُها بعضًا والشهباءُ قُدّام الجميع، وبعدها على القرب منها حصانُ الأمير أيدغمش أمير آخور يُعرف بهلال، فلمّا وقف البَدَوىّ بالشهباء بين يدى السلطان، صاح بصوت ملأ الخافقين: السعادةُ لك اليوم يا مُهنّا، لاشقيت! وألقى بنفسه إلى الأرض من شدّة التعب فقدّمها مُهنّا للسلطان، فكان هذا دأب الملك الناصر فى كلّ سنة من هذا الشأن وغيره.

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة.
(٢) زيادة عن السلوك. (٣) اللاطئة: قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

قلت : وترك الملك الناصر فى جُشاره ثلاثة آلاف فرس، وترك بالإسطبلات السلطانية أربعـة آلاف فرس وثمـانمـائة فرس، ما بين مُجورة ومهارة وحُولة[1] وأكاديش، وترك من الهُجُن الأصائل والنِّياق نيّفا على خمسة آلاف سوى أتباعها . وأما الجمال النُّقْر والبغال فكثير .

وكان الملك الناصر أيضًا شَغُوفا بالصيد، فلم يَدع أرضًا تُعرف بالصيد إلّا وأقام بها صَيّادين مقيمين بالبريّة أوان الصيـد، وجلَب طيـور الجوارح من الصُّقورة والشواهين والسّناقر والبُزاة، حتى كثُرت السناقرُ فى أيامه . وصار كلُّ أمير عنـده منها عشرة سناقر وأقلّ وأكثر . وجعل [له][2] البازْدارِيّةَ[3] والخُونْدارِيّةَ[4] وحُرّاس الطير، وما هو موجود بعضه الآن، وأقطعهم الإقطاعات الجليـلة ، وأجرى لهم الرواتب من اللّحم والعَليق والكساوى وغير ذلك، ولم يكن ذلك قبله لمَلِك، فترك بعـد موته مائة وعشرين سـنقرا ، ولم يُعهد بمثل هذا لملِك قبله ، بل كان لوالده الملك المنصور قلاوون سنقرٌ واحد. وكان المنصور إذا رَكِب فى المَرْكب للصيد كان بازداره أيضا راكبًا والسنقر على يده . وترك الملك الناصر من الصُّقورة والشواهين ونحوها مالا يَحصر كثرة . وترك ثمانين جَوْقةَ كلاب بكلابزيّتها، وكان أخلَى لها موضعا بالجبل . وعُنِي أيضا بجمع الأغنام وأقام لهـا خَوَلة، وكان يبعث فى كلّ سـنة الأميرَ آقبغا عبد الواحد فى عِدّة من المماليك لكَشْفها، فيكشف المراحات من قُوص إلى الجيزة،

(١) فى الأصلين : « وخولة » . وما أثبتناه عن السلوك . (٢) زيادة عن السلوك .
(٣) هى وظيفة البازدار، وهو الذى يحمل الطيور الجوارح المعدّة لصيد على يده . وخص بإضافته إلى الباز الذى هو أحد أنواع الجوارح دون غيره، لأنه هو المتعارف بين الملوك فى الزمن القديم (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٩) . (٤) هى وظيفة الخوندار، وهو الذى يتصدى لخدمة طيور الصيد من الكراكى والبلشونات ونحوها، ويحملها إلى موضع تعليم الجوارح . وأصـله : « حيوان دار » أطلق الحيوان فى عرفهم على هـذا النوع من الطيور، كما أطلق على من يتعاطى معامل الفروج الحيوانى (صـبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠) .

ويأخذ منها ما يختاره من الأغنام، ويجرّده مرّة إلى عَيْذاب[1] والنُّوبة لجَلْب الأغنام . ثم عَمِل لها حوشا بقلعة الجبل؛ وقد ذكرنا ذلك فى وقته، وأقام لها خَوَلة نصارى من الأَسْرَى .

وعُنِي أيضا بالإوزّ وأقام لهـا عِدّةً من الخدّام وجعل لها جانبًا بحوش الغنم . ولمـا مات ترك ثلاثين ألف رأس من الغنم سـوى أتباعها ، فاقتـدى به الأمراء وصارت لهم الأغنـام العظيمة فى غالب أرض مصر . وكان كثير العنـاية بأرباب وظائفه وحواشـيه من أمراء آخوريّة والأوجاقيـة وغِلمان الإسطبل والبَازْدَارِيّة والفرّاشين والخَوَلة والطبّاخين . فكان إذا جاء أوانُ تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بمـا جَرَت به عادته ممـا رتبـه له فى كلّ سـنة مع أمير آخور وأوجاق وسايس وركبدار، ويترقّب عَوْدَهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأميرُ عليهم، فإن شحّ الأميرُ فى عطاياتهم تنكّر عليه وبكّته بين الأمراء ووبّخه، وكان قرّر أن يكون الأمير آخور بينهـم بقسمين ومن عَدَاه بقسم واحد . وكان أيضـا إذا بعث لأمير بطير مع أمير شِكار أو واحد من البَازْدَارِيّة يحتاج الأمير أن يُلْبِسـه خِلعةً كاملة بحِياصة ذهب وكَلَفْتَاه زَرْكَش، فيعود بها ويُقبّل الأرض بين يديه فيستدنيه ويُفتّش خِلعته . وكانت عادته أن يبعث فى يوم النحر أغنام الضحايا مع الأبقار والنُّوق إلى الأمراء، فبعث مرّة مع بعض خَوَلة النصارى إلى الأمير بَلَبغا[2] حارس طيره ثلاثة كِباش فأعطاه عشرة دراهم[3] فلوسا وعاد إلى السلطان، فقـال له : وأين خِلْعتك؟ فطرح الفـلوس بين يديه وعرّفه بقدرها ، فغضِب وأمر بعض الخدّام أن يسير بالخَوَلِىّ إلى عنده ويُوبّخه ويأمره أن يُلبسه خِلعـة طَرْد وَحْش . وكانت حرمتـه ومهابته وافرةً قد

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦٩ من الجزء السابع من هـذه الطبعة . (٢) فى السلوك : « إلى الأمير بيبغا » . وفى الدرر الكامنة : « بيبغا تتر حارس الطير » . توفى بعد وفاة النـاصر محمد ابن قلاوون . (٣) فى أحد الأصلين : « فأعطاه عشرة آلاف درهم » .

السلطان المقدّم إبراهيم[1] بن أبى بكر بن شدّاد بن صابر أن يَمْشى فى ركابه ومعه عشرة من رجاله فى ذَهابه و إيابه، ثم قبَض النَّشْوُ بعد ذلك على [تاج الدين][2] آبن الأزرق وصادره حتّى باع أملاكه، وكان من جمـلة أملاكه مِلْكٌ بشاطئ النيـل، فآشتراه منه الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الخَطِيرىّ، وكان بجانبه ساقيةٌ فهَدَم الخطيرى الدار والساقية وعمرهما جامعا بُخُطّ[3] بولاق على شاطئ النيل .

قلت : وكان أصل موضع هذا الجامع المذكور أنّه لمـّا أُنْشِئت العمائر ببولاق عَمّر الحاج محمد بن عِزّ الفرّاش بجوار الساقيةِ المذكورة داراً على النيل، ثم آنتقلت بعـد موته إلى آبن الأزرق هـذا فكانت تُعرف بدار الفاسقين، من كثرة آجتماع النصارَى بهـا على ما لا يُرْضِى الله تعالى، فلمّا صادره النَّشْو باعها فيما باعه فآشتراها الخَطِيرى بثمانية آلاف درهم، وهَدَمها وبَنى مكانها ومكانَ الساقيةِ جامعا أنفق فيه أموالًا جزيلة فى أساساته مخافةً من زيادة النيل، وأخذ أراضى حوله من بيت المال، وأنشأ عليها الحوانيتَ والرِّباع والفنادق . فلمّـا تمّ بناؤه قَوِىَ عليه ماءُ النيل فهَدَم جانبًا منه فأنشأ تُجاهه زرِيبة رمى فيهـا ألف مَرْكَب موسوقة بالحجارة، قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزى رحمـه الله وهو حجّة فيما ينقُله . لكن أقول لعله وَهِمَ فى هـذا وأراد أن يقول : وسَـقَ ألف مركب بالحجارة فسَبَق قلمُه بمـا ذكرناه، قال : وسُمّى هـذا الجامع بجامع التوبة، وجاء فى غاية الحسن، فلما أُفْرِج عن آبنِ الأزرق من المصادرة آدَّعَى أنّه كان مُكْرَهًا فى بيـع داره، فأعطاه الأميرُ أَيْدَمُر الخَطِـيرىّ

(١) كان أصله من الغربية، ولى أبوه تقدمة بالمحلة . ثم ترقى حتى ولى تقدمة الدولة، وآشتهر فى دولة الناصر وتمكن جدا بحيث إنه كان يتحدث مع السلطان بغير واسطة . مات تحت العقوبة فى صفر سنة ٧٤٢هـ . (عن الدرر الكامنة) .

(٢) زيادة عن خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣١٢) .

(٣) هذا الجامع هو المعروف بجامع الخطيرى بشارع فؤاد الأول ببولاق مصر . وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٣ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

ثمـانيـة آلاف درهم أُخرى حتى آسترضاه، ولا يكون جامعه بنِى فى أرض مُكْرَهة . آنتهى . وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى أمر الملك الناصر .

وأمّا النشو فإنّه لا زال على آبن الأزرق هذا حتّى قَبَض عليه ثانيا وعاقبه حتى مات، وذلك فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

ثمّ فى سنة ثمـانٍ وثلاثين وسبعمائة أنعم السلطان الملك الناصر فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمـائتى ألف دينار مصريّة، وهم : قَوْصُون وأَلْطُنْبُغَا المـاردانىّ ومِلِكْتَمُر الحِجازىّ وبَشْتَك . وفى هذه السنة وُلد للسلطان آبنه صالح من بنت الأمير تَنْكِز نائب الشام، فعَمِل لها السلطان بَشْخَاناه[1] ودائر بيت زَرْكَش، وتكِملة البَذْلة من المخـدّات والمقاعد بمـائتى[2] ألف دينار وأربعين ألف دينار، وعَمِل لهـا الفَرَح سبعة أيام . وفى هـذه السنة وقَع للملك الناصر غريبة، وهو أنّه آستدعَى من بلاد الصعيد بألفى رأس من الضَّأْن، وآستدعَى من الوجه البحرىّ بمثلها لتتمّة أربعة آلاف رأس . وشرع السلطان فى عَمَل حُوش[3] برسمها و برسم الأبقار البُلْق، فوقَع آختياره على موضع بقلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة، قد قُطِعت منه الحجارة لعمارة القاعات

(١) بشخاناه : الكلة (الناموسية) المزركشة (عن دوزى) .

(٢) فى السـلوك : «بمائة ألف وأربعين ألف دينار» .

(٣) ذكره المقريزى فى خططه بآسم الحوش بقلعة الجبل (ص ٢٢٩ ج ٢) فقال : كان موضع هذا الحوش حفرة واسعة مساحتها أربعة أفدنة، وكانت عميقـة بسبب ما قطع من الأحجار لعمارة قاعات القلعة، حتى صارت غورا كبيرا . وفى سنة ٧٣٨هـ أمر الملك الناصر محمـد بن قلاوون بردم هذه الحفرة فجمعوا لذلك عددا عظيما من الرجال، وآستعملت معهم الشدة فتم ردم الحفرة وتسوية أرضها فى مدة ٣٦ يوما . ثم أحضروا للملك الناصر من بلاد الصعيد ومن الوجه البحرى ألفى رأس غنم وكثيرا من الأبقار، نزلت كلها فى هـذا الحوش من القلعة . ثم بطل آستعماله للحيوانات . وفى أيام الملك الظاهر برقوق كان يحتفل فيه بعمل المولد النبوى الشريف . وبالبحث تبين لى أن هـذا الحوش مكانه اليوم القسم المنخفض من مبانى القلعة فى الجهة القبلية الشرقية منها حيث يوجد الآن ديوان كتخدا، وهو قاعة كبيرة تسمى قاعة العدل، أنشأها محمد على باشا الكبير فى سنة ١٢٢٩هـ، وكان يجلس فيهـا الكتخدا أى وكيل الوالى لنظر أمور الدولة ومصالح النـاس، ويوجد أيضا فى الحوش المذكور دار الضرب القديمة المجعولة الآن مخازن لدار المحفوظات، وكلها داخل سور القلعة بالقاهرة .

واختار منهم واحدًا أو أكثر من واحد من غير أن يراجع فيهم، ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف. وكان إذا تغيّر على أحد من أمرائه أو كُتّابه أسرّ ذلك فى نفسه، وتروّى فى ذلك مدة طويلة وهو ينتظر له ذنبًا يأخُذُه به، كما وقع له فى أمر كريم الدين الكبير وأرغون النائب وغيرهم، وهو يتأنّى ولا يُعجّل، حتى لا يُنسَب إلى ظلم، فإنه كان يعظُم عليه أن يُذكَر عنه أنه ظالم أو جائر، أو وقع فى أيامه خرابٌ أو خللٌ، ويحرِص على حُسن القالة فيه.

وكان يستبدّ بأمور مملكته وينفرد بالأحكام، حتى إنه أبطل نيابة السلطنة من ديار مصر ليستقلّ هو بأعباء الدولة وحده. وكان يكره أن يقتدى بمن تقدّمه من الملوك، فمن أنشأه من الملوك كائنًا من كان[1]، ولا يُدخِلهم المشُورة حتى ولا بكتمر الساقى ولا قوصون ولا بشتك وغيرهم، بل كان لا يقتدى إلّا بالقدماء من الأمراء.

وكان يكره شُرب الخمر ويُعاقب عليه ويُبعِد من يشربه من الأمراء عنه. وكان فى الجُود والكرم والإفضال غايةً لا تُدرك خارجةً عن الحدّ، وهب فى يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبًا، وأعطى فى يوم واحد لأربعة من مماليكه وهم الأمير طُنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى وملكتمر الحجازى وقوصون مائتى ألف دينار، ولم يزل مستمرّ العطاء لخاصكيته ومماليكه ما بين عشرة آلاف دينار وأكثر منها وأقلّ، ونحوها من الجوهر واللآلئ. وبذل فى أثمان الخيل والمماليك مالم يُسمع بمثله. وجمع من المال والجوهر والأحجار ما لم يجمعه ملكٌ من ملوك الدولة التركية قبله مع فرط كرمه.

(١) فى الأصل الآخر: «فمن أنشأه كائنا من كان ... الخ». وعبارة السلوك: «ولا يحتمل أن يذكر عنده من».

قلت: كلّ ذلك لحسن تدبيره وعِظَم معرفته، فإنه كان يَدرِى مواطنَ استجناء المال فيستجنيه منها، ويعرف كيف يصرفه فى محلّه وأغراضه فيصرفه. ولم يُشهَر عنه أنه ولّى قاضٍ فى أيامه برشوة، ولا مُحتَسِبٌ ولا والٍ، بل كان هو يبذُل لهم الأموال ويُحرّضهم على عمل الحق، وتعظيم الشرع الشريف، وهذا بخلاف من جاء بعده، فإن غالب ملوك مصر ممن ملك مصر بعده يقتدى بشخص من أرباب وظائفه، فيصير ذلك الرجل هو السلطانَ حقيقةً والسلطان من بعض مَن يتصرّف بأوامره، وكلّ ذلك لِقصَر الإدراك وعَدَم المعرفة، فلذلك يتركون الأموال الجليلة والأسباب التى يَحصُل منها الألوف المؤلّفة، ويلتفتون إلى هذا النّزر اليسير القبيح الشنيع الذى لا يَرتَضِيه مَن له أدنى هِمّة ومُروءة، وهو الأخذُ من قُضاة الشرع عند ولايتهم المناصب وولاة الحِسْبة والشُّرْطة، وذلك كلّه وإن تكرر فى السنة فهو شىء قليلٌ جدًّا، يتعوّض من أدنى الجهات التى لا يُؤْبَهُ إليها من أعمال مصر، فلو وقع ذلك لكان أحسن فى حقّ الرعيّة وأبرأَ لذمّة السلطان والمسلمين من ولاية قُضاة الشرع بالرشوة، وما يقع بسبب ذلك فى الأنكحة والعقود والأحكام وما أشبه ذلك. انتهى.

وكان الملك الناصر يرغب فى أصناف الجوهر، فجلبتها إليه التُّجار من الأقطار. وشُغِف بالجوارى السّرارِى، فحاز منهن كلّ بديعة الجمال، وجهّز له إحدى عشرة ابنة بالجهاز العظيم، فكان أولهنّ[1] جهازا بثمانمائة ألف دينار، [منها][2] قيمة بشخاناه ودار بيت وما يتعلّق به مائة ألف دينار، وبقيّةُ ذلك ما بين جواهر ولآلئ وأوانى ونحو ذلك، وزوّجهنّ[3] لمماليكه مثل الأمير قوصون وبُشتك وألطُنبغا الماردانى

(١) فى السلوك: «فكان أقلهن جهازا». (٢) زيادة عن السلوك.
(٣) فى الأصل الآخر: «وجهز لمماليكه ... الخ».

تنكز و بدأت الوحشة بينه و بين السلطان ، وعاد طاجار إلى السلطان فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة[1] فأغرى السلطانَ على تنكز وقال : إنه عزم على الخروج من دمشق ، فطلب السلطان بعد الصلاة الأميرَ بشتك والأميرَ بيبرس الأحمدى والأميرَ جنكلى بن البابا والأميرَ أرقطاى والأمير طقزدمر فى آخرين ، وعرّفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة ، وأنه يبعث إليه تجريدةً مع الأمير جنكلى والأمير بشتك والأمير أرقطاى والأمير أرنبغا أمير جاندار والأمير قمارى أمير شكار والأمير قمارى أخو بكتمر الساقى والأمير برسبغا الحاجب ، ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون[2] أمير طبلخاناه وعشرون أمير عشرة وخمسون نفرًا من مقدّمى الحلقة وأربعمائة من المماليك السلطانية وجلس وعرضهم . ثم جمع السلطان فى يوم السبت عشرين ذى الحجة الأمراء جميعهم وحلّف المجرّدين والمقيمين له ولولده الأمير أبى بكر من بعده ، وطُلبت الأجناد من النواحى للحلف ، فكانت بالقاهرة حركات عظيمة ، وحمل السلطان لكلّ مقدّم ألف مبلغ ألف دينار ، ولكلّ طبلخاناه أربعمائة دينار ، ولكل مقدم حلقة ألف درهم ، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرسًا ، وقرقلا[3] وخوذة[4] . فاتّفق قدومُ الأمير موسى بن مهنّا فقرّر مع السلطان القبضَ على الأمير تنكز ، وكتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كلّ جهة على تنكز . ثم بعث السلطانُ بهادر[5] حلاوة من طائفة الأوجاقية على البريد إلى غزّة وصفد و إلى أمراء دمشق بملطّفات كثيرة . ثم أخرج موسى بن مهنّا لتجهيز العربان و إقامته على حمص ، واهتمّ السلطان بأمر تنكز اهتمامًا زائدا جدًّا .

(١) فى الأصلين : « فى يوم الجمعة سابع عشرين ذى القعدة » . وما أثبتناه عن السلوك والتوفيقات الإلهامية . (٢) فى الأصلين : «ومع هذه الأمراء سبعة وثلاثون أمير طبلخاناه ... الخ » . وما أثبتناه عن السلوك . (٣) قرقل : نوع من الدروع (عن دوزى) . (٤) الخوذة : المغفر فارسى معرب و يجمع على خوذ . (٥) هو بهادر بن عبد الله الأوجاقى الناصرى الأمير سيف الدين المعروف بحلاوة . ولى إمرة طبلخاناه . توفى سنة ٧٤٤ هـ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) .

قلت : على قدر الصعود يكون الهبوط . ما لتلك[1] الإحسان ؟ والعظمة والمحبة الزائدة لتنكز قبل تاريخه إلا هذه الهمّة العظيمة فى أخذه والقبض عليه ، ولكن هذا شأن الدنيا مع المغرمين بها ! .

ثم إن الملك الناصر كثُر قلقُه من أمر تنكز وتنغّص عيشه وخرج العسكر المعيّن من القاهرة لقتال تنكز فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذى الحجة من سنة أربعين وسبعمائة . وكان حلاوة الأوجاقى قدم على الأمير ألطنبغا[2] الصالحى نائب غزّة بملطّف . وفيه أنه استقرّ فى نيابة الشام عوضًا عن تنكز ، وأن العسكر واصلٌ إليه ليسيروا به إلى دمشق .

قلت : وألطنبغا نائب غزّة هو عدوّ تنكز الذى كان تنكز سعى فى أمره حتى عزله السلطان من نيابة حلب وولاه نيابة غزّة قبل تاريخه .

ثم سار حلاوة الأوجاقى إلى صفد و إلى الشام وأوصل الملطّفات إلى أمراء دمشق . ثم وصلت كتب ألطنبغا الصالحى إلى أمراء دمشق بولايته نيابة الشام . ثم ركب الأمير طشتمر الساقى المعروف بحمص أخضر نائب صفد إلى دمشق فى ثمانين فارسًا ، واجتمع بالأمير قطلوبغا الفخرى وسنجر البشمقدار[3] و بيبرس السلاح دار واتّفق ركوب الأمير تنكز فى ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصى فى خواصه للنزهة ، و بينما هو فى ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد ، فعاد إلى دار السعادة[4] وألبس مماليكه السلاح ، فأحاط به فى الوقت أمراء دمشق ،

(١) كذا فى الأصلين والسلوك . (٢) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٢ هـ . (٣) البشمقدار ، هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، وهو مركب من لفظين ، أحدهما من اللغة التركية وهو بشمق ومعناه النعل . والثانى من اللغة الفارسية وهو دار ، ومعناه ممسك فيكون المعنى ممسك النعل (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩) . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من هذا الجزء .

وتسعين وستمائة إلى أن مات نحوا من ثمـانٍ وأربعين سنة، بما فيها من أيام خلعه، ولم يقع ذلك لأحد من ملوك الترك بالديار المصريّة، فهو أطولُ الملوك زمانًا وأعظمهم مهابةً وأغزرُهم عقـلا وأحسنُهم سياسـةً وأكثرهم دهاءً وأجودهم تدبيرًا وأقواهم بطشا وشجاعةً وأحذقهم تنفيـذًا ؛ مرّت به التجارب ، وقاسى الخطوب ، وباشر الحروب ، وتقلّب مع الدهر ألوانًا ؛ نشأ فى الملك والسعادة ، وله فى ذلك الفخرُ والسّيادة خليقا للملك والسلطنة ، فهو سلطان وآبن سلطان وأخو سلطان ووالد ثمانى سلاطين من صلبه ، والملك فى ذُرّيته وأحفاده وعَقِبه ومماليكه ومماليك مماليكه إلى يومنا هـذا ، بل إلى أن تنقرض الدولة التركيّة ، فهو أجلّ ملوك الترك وأعظمها بلا مدافعة، ومَن ولى السلطنة من بعده بالنسبة إليه كآحاد أعيان أمرائه .

وكان متجمّلا يقتَنِى من كلّ شىء أحسنه . أكثر فى سلطنته من شراء الممـاليك والجوارى، وطلب التجّار وبذل لهم الأموال، ووصف لهم حُلَى المماليك والجوارى، وسيّرهم إلى بلاد أُزبك خان وبلاد الجاركس[1] والروم ، وكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من الممـاليك بذل له أغلى القيَم فيهم، فكان يأخذهم[2] ويحسن تربيتهـم ويُنعِم عليهم بالملابس الفاخرة والخوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يُدهشهم، فأكثر التجار من جَلْب المماليك، وشاع فى الأقطار إحسانُ السلطان إليهم . فأعطى المُغُل أولادهم وأقاربهم للتجّار رغبةً فى السعادة ، فبلغ ثمنُ المملوك على التاجر أربعين ألف درهم ، وهذا المبلغ جملة كثيرة بحساب يومنا هذا . وكان الملك الناصر يدفع للتاجر فى المملوك الواحد مائة ألف درهم وما دونها .

(١) فى السلوك : « من بلاد أزبك وتوريز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد » . والجاركس هم الجركس وبلادهم على بحر نيطش (البحر الأسود) من الجهة الشرقية (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٢) .
(٢) فى أحد الأصلين : « يوحرهم » . وفى الأصل الآخر : « يأجرهم » . وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق .

وكان مشغوفا أيضا بالخيـل فجُلِبت له من البلاد ، لا سيّما خيول العرب آل مُهَنّا وآل فضل ، فإنه كان يقدّمها على غيرها ، ولهذا كان يُكرِم العرب ويبذل لهم الرغائب فى خيولهم، فكان إذا سَمِـع العُرْبانُ بفَرَس عند بدَوِىّ أخذوها منه بأغلى القيمة ، وأخذوا من السلطان مِثْلَى ما دفعوا فيها . وكان له فى كلّ طائفة من طوائف العرب عَيْنٌ يَدُلُّه على ما عنـدهم من الخيـل من الفَرَس السابق أو الأصيل ، بل ربّمـا ذكروا له أصْلَ بعضها لعِدّة جُدود ، حتّى يأخذها بأكثر مما كان فى نفس صاحبها من الثمن، فتمكّنت منه بذلك العُرْبان . ونالوا المنزلة العظيمة والسعادات الكثيرة . وكان يكره خيول بَرْقَة فلا يأخذ منها إلا ما بَلَغ الغاية فى الجَوْدة، وما عدا ذلك إذا جُلِبت إليه فرّقها . وكان له معرفة تامّة بالخيل وأنسابهـا ، ويذكُر من أحضرها له فى وقتها ، وكان إذا آستدعى بفرس يقول لأمير آخور : الفَرَس الفلانية التى أحضرها فلان وآشتريتُها منـه بكذا وكذا . وكان إذا جاءه شىءٌ منهـا عَرَضها وقلبها بنفسه ، فإن أعجبته دفع فيها من العشرة آلاف إلى أن آشـترى بنت الكرماء بمائتى ألف درهم[1] ، وهـذا شىءٌ لم يَقَع لأحد من قبله ولا من بعده ، فإن المـائتى ألف درهم كانت يوم ذاك بعشرة آلاف دينار . وأمّا ما آشتراه بمائة ألف وسبعين ألفا وسـتين ألفا وما دونهـا فكثير . وأقْطَعَ آلَ مُهَنّا وآلَ فضل بسبب ذلك عدّة إقطاعات ، فكان أحدُهم إذا أراد من السلطان شيئًا قدم عليه فى معنى أنه يدُلّه على فَرَس عند فلان ويُعَظّم أمرَه، فيكتب من فَوْره بطلب تلك الفَرَس فيشتدّ صاحبها ويمتنع [من قَوْدها][2] ثم يقترح ما شاء ، ولا يزال حتى يبلغ غرضه من السـلطان فى ثمن فرسه .

(١) فى السلوك : « بمـائة ألف درهم » .   (٢) زيادة عن السلوك .

وطُغَاىْ تَمُر وعمر بن أَرْغُون النـائب وغيرهم . وجهز جماعةً من سراريه وجواريه ومن تَحْسُن بخاطره، كلّ واحدة بقريب ذلك و بمثـله وأكثر منـه . وآسـتجدّ النساءُ فى زمانه الطَّرْحَة ، كلُّ طَرْحة بعشرة آلاف دينار وما دون ذلك إلى خمسة آلاف دينار ، والقَرْجيّات بمثل ذلك . وآستجدّ النساءُ فى زمانه الخلاخيلَ الذهب والأطواق المرصّـعة بالجواهر الثمينة والقباقيب الذهب المرصّـعة والأُزُر الحـرير وغير ذلك .

وكان الملك النـاصر كثيرَ الدهاء مع ملوك الأطراف يُهاديهم ويستجلبهم إلى طاعته بالهدايا والتُّحَف، حتى يُذْعنوا له فيستعملهم فى حوائجه و يأخذ بعضهم ببعض، وكان يصل إلى قتل مَنْ يُريد قتله بالفَداوِيّة[1] لكثرة بذله لهم الأموال . وكان يُحبّ العمارة فلم يزل من حين قدِم من الكَرَك إلى أن مات مستمرَّ العمارة، فحُسِب تقديرُ مصروفه فجاء فى كلّ يوم مدّة هـذه السنين ثمـانيةَ آلاف درهم ، قُوِّم ذلك بطالة على عمل والسفر والحَضَر والعيد والجمعة . وكان يُنفِق على العمارة المـائة ألف درهم،

(١) هم طائفة من الإسماعيلية المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين السبط بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم فرقة من الشيعة ، معتقدهم معتقد غيرهم من سائر الشيعة أن الإمامة بعد النبىّ صلى الله عليه وسـلم آنتقلت بالنص إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم إلى آبنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين ثم آنتقلت من بنى الحسين إلى جعفر الصادق ، ثم هم يدعون آنتقال الإمامة من جعفر الصادق إلى آبنه إسماعيل ، ثم تنقلت فى بنيه . وسموا الفداوية لأنهم يفادون بالمـال على من يقتلونه ويسمون فى بلاد العجم بالباطنية لأنهم يبطنون مذهبهم و يخفونه وتارة بالملاحدة لأن مذهبهم كله إلحاد . وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهـادية . وقـد تبسط القلقشندى فى صبح الأعشى فى الكلام على تاريخهـم من بداية أمرهم الى أن قال نقلا عن مسالك الأبصار : « ولصاحب مصر بمشايعتهم مزية يخافه بها أعدؤه لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالى أن يقتل بعده، ومن بعثه الى عدوّله يجبن عن قتله قتله أهله إذا عاد إليهم ، وإن هرب تبعوه وقتلوه» . ثم قال القلقشندى : وكانوا فى الزمن المتقدم يسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة مقدم الفداوية، وتارة شيخ الفداوية . أما الآن فقد سموا أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم بأتابك المجاهدين . (راجع صبح الأعشى ج ١ ص ١١٩ وما بعدها) .

فإذا رأى منها ما لا يُعجبه هدمها كلّها وجدّدها على ما يختاره . ولم يكن مَنْ قبله من الملوك فى الإنفاق على العمائر كذلك . وقد حُكِى عن والده الملك المنصـور قلاوون أنه أراد أن يبنى مصطبة عليها رَفْرَف تَقيه حرّ الشمس إذا جلس عليها، فكتَب له الشجاعىّ تقـدير مصروفها أربعـة آلاف درهم ، فتناول المنصـور الورقة من يد الشـجاعىّ ومزّقها وقال : أَقْعُدُ فى مَقْعَد بأربعة آلاف درهم، انصبوا لى صيوانا إذا نزلتُ على المصطبة . ومع هـذا كلّه خَلَّف الملك الناصر فى بيت المـال من الذهب والقماش أضـعاف ما خلّفه المنصـور قلاوون . وكانت المظالم أيامَ الملك المنصور قلاوون أكثرَ مما كانت فى أيام الناصر هذا .

قلت : عَوْدٌ وآنعطافٌ إلى ما كُنّا فيـه من أن الأصل فى تدبير الملك وتحصيل الأموال المعرفة والذكاءُ وجَوْدة التنفيذ . إنتهى .

قلت : والملك المنصور قلاوون كان أسمحَ من الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدارىّ وأقلّ ظلمًا . والحقّ يقال ليس الظاهر والمنصور من خَيْل هذا الميدان ، ولا بينهما وبين الملك الناصر هذا نسبة فى أمر من الأمور . إنتهى .

هـذا على أن الملك الناصر لمـّا عَمِل الرَّوْك الناصرىّ أبطـل مظالمَ كثيرة من الضمانات والمكُوس وغيرها حسب ما ذكرناه فى وقته، ومع هـذا لم يُحسِن عليـه مُحسِنٌ . وكان الملك النـاصر واسعَ النفس على الطعام يَعْمَل فى سِماطه فى كلّ يوم الحَلاوات والمآكل المفتخرة وأنواع الطير، وبلغ راتب سِماطه فى كل يوم ورواتب مماليكه من اللحم ستةً وثلاثين ألف رطل لحم فى اليوم، سوى الدجاج والإوزّ والرُّمسان[1] والجَدْى المشوى والمَهارة وأنواع الوحوش كالغِزْلان والأرانب وغيره .

(١) جمع رميس ، وهو الصغير من ولد الضأن (عن دوزى) .

الناصري، ومثل طَشْتَمُر طلليه[1] الناصري وغيرهم . وكان هذا الموضع ساحةً عظيمة، وبه مَيْدان القَبَق[2] من عهد الملك الظاهر بيبرس برسم ركوب السلطان وعمل الموكب به برسم سباق الخيل . فلما عمّر قَراسُنْقُر تربته عمّر الناس بعده حتى صارت الصحراء مدينةً عظيمة . وعمّر الملك الناصر أيضا لمماليكه عدّة قصور خارج القاهرة، وبها منها قصر الأمير طُقْتَمُر الدمشقي[3] بحدرة البقر، وبلغ مصروفُه ثمانمائة ألف درهم . فلما مات طُقْتَمُر أنعم به على الأمير طَشْتَمُر حمّص أخضر فزاد في عمارته . ومنها قصر الأمير بَكْتَمُر الساقي[4] على بركة الفيل بالقرب من الكَبْش، فعمل أساسه أربعين ذراعا وآرتفاعه أربعين ذراعا فزاد مصروفُه على[5] ألف ألف درهم . ومنها

(١) بالبحث تبين لى أن هذه التربة كانت واقعة بجبانة المجاورين بالقاهرة، وقد آندثرت ويتعذر الآن تعيين موقعها بين الترب الكثيرة التى أنشئت بعدها على أرض الجبانة المذكورة . وهو سيف الدين طشتمر بن عبد الله الناصرى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية المعروف بطللية، وقيل له طلليه لأنه كان إذا تكلم قال فى آخر كلامه : طلليه، وهو من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٩ هـ . (٢) ويسمى الميدان الأسود . راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) هذا القصر هو بذاته بيت طشتمر الساقى حمص أخضر الذى سبق التعليق عليه فى هذا الجزء بالحاشية رقم ١ ص ١٢٢ (٤) ذكره المقريزى فى خططه (ص ٦٨ ج ٢) فقال : إنه من أعظم مساكن مصر وأجلها قدرا وأحسنها بنيانا . وموضعه على بركة الفيل تجاه الكبش . أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون لسكن أجل أمراء دولته الأمير بكتمر الساقى .

وذكر الجبرتى فى تاريخه أن الأمير صالح بك القاسمى أمير الحج بنى فى سنة ١١٧٢ هـ داره العظيمة المواجهة للكبش فى مكان قصر الأمير بكتمر الساقى .

وورد فى الخطط التوفيقية (ص ١٢٤ ج ٢) أن هذه الدار صارت تتقلب مع تقلب الحوادث والأيام إلى أن أصبحت من أملاك الحكومة، وجعلت فى عهد محمد على باشا الكبير ورشة لعمل الأسلحة وغيرها من أنواع الذخيرة، وتعرف بسراى الحوض المرصود بشارع مراسينا بالقاهرة .

ومما ذكر يتبين أن قصر الأمير بكتمر الساقى قد آندثر . ومكانه سراى الحوض المرصود التى هدمتها الحكومة، وشقت فى أرضها شارع محمد قدرى باشا فقسمها إلى قسمين الغربى منهما وهو معظم مساحتها جعلته الحكومة متنزها عاما باسم متنزه الحوض المرصود، والقسم الشرقى وهو الأصغر لا يزال قائما بمبانيه ومجعولا مستشفى للنساء . وفى سنة ١٩٤٠ أنشأت الحكومة بمتنزه الحوض المرصود مطعما وحماما عامين للشعب على طراز صحى حديث، كما أنشئت مطاعم وحمامات أخرى شعبية فى نواح متفرقة بالقاهرة .

(٥) فى أحد الأصلين : « فزاد مصروفه عن ألفى ألف درهم » .

الكَبْش[1]، حيث كان عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب فعملَه الملك الناصر سبع قاعات برسم بناته يتزلون فيه للفُرجة على ركوب السلطان لميدان[2] الكبير . لم يحصر ما أنفقه فيها لكثرته . ومنها إصطبل الأمير[3] قَوْصُون[4] بسوق الخيل تحت القلعة تُجاه باب السلسلة، وكان أصله إصطبل الأمير سَنْجَر البَشْمَقْدار[5] وسُنْقُر الطويل . ومنها قصر بَهادُر الجوبانى[6] بجوار زاوية البُرْهان[7] الصائغ بالجسر الأعظم تُجاه الكَبْش . ومنها

(١) مناظر الكبش، سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . وأما عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب التى جعلها الملك الناصر سبع قاعات برسم بناته فبالبحث تبين لى أنها كانت فى المنطقة التى تعرف بقلعة الكبش وتشرف من بحريها على شارع مراسينا ومتنزه الحوض المرصود، ومن غربيها على حوش أيوب بك والبغالة وتنتهى من قبلى إلى درب السقية وسكة المناظر، ومن الشرق إلى حارة التابعة بقسم السيدة زينب بالقاهرة . (٢) هو بذاته الميدان الناصرى الذى أنشأه الملك الناصر على النيل بأرض بستان الخشاب، وسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٦) يستفاد مما هو مذكور فى الحاشية التالية أن هذا القصر قد آندثر . وكان واقعا فى الجهة الغربية من جامع لاجين اللالا المعروف بجامع أبى سعيد جقمق بشارع مراسينا بقسم السيدة زينب بالقاهرة . (٧) هذه الزاوية ذكرها المقريزى فى خططه بآسم زاوية إبراهيم الصائغ (ص ٤٣٣ ج ٢) فقال : إنها بوسط الجسر الأعظم تطل على بركة الفيل . عمرها الأمير صفاى بعد سنة ٧٢٠ هـ ثم نزل بها الشيخ إبراهيم الصائغ إلى أن مات سنة ٧٥٤ هـ فعرفت به .

وبالبحث تبين لى أن هذه الزاوية هى التى تعرف اليوم بجامع لاجين اللالا بشارع مراسينا بالقاهرة وورد فى ترجمة لاجين اللالا الزردكاش بكتاب المنهل الصافى أنه عمر جامعا بالقرب من الكبش على بركة الفيل سنة ٨٥٢ هـ ومات سنة ٨٨٦ هـ .

وورد فى كتاب الضوء اللامع للسخاوى عند الكلام على ترجمة الملك الظاهر أبى سعيد جقمق أن لاجين السيفى اللالا عمر جامعا بالجسر الأعظم تحت الكبش، وأول خطبة أقيمت فيه كانت يوم الجمعة ٢ شوال سنة ٨٥٢ هـ وبعد عمارته بنحو سنة كتب على بابه أن الذى أنشأه هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق فى سنة ٨٥٣ هـ .

وأقول : إن هذا التاريخ لا يزال منقوشا على كتفى باب الجامع وهو عامر بالشعائر الدينية . وبما أن هذا الجامع كان على بركة الفيل ويجاوره الآن من الجهة الشرقية متنزه الحوض المرصود الذى كان على أرضه قديما قصر الأمير بكتمر الساقى فيكون قصر بهادر الجوبانى واقعا فى الجهة الغربية من الجامع المذكور كما ذكرنا فى الحاشية السابقة .

إلى ذلك ، فآستقرّ من يومه فى النيـابة ، وتصرّف فى أمور المملكة ، والسلطانُ آلةٌ فى السلطنة ، فقال فى ذلك بعضُ شعراء العصر :

سلطانُنا اليومَ طفلٌ والأكابرُ فى * خُلْف وبينهمُ الشيطان قد نَزَغَا
فكيف يَطْمع مَن تُغْشيه مَظْلَمةٌ[1] * أن يبلُغ السُّؤْلَ والسلطانُ ما بَلَغَا

ثم آتفقت الأمراء على إخراج الأمير أَلْطُنْبُغَا المـارِدانى من الحبس فأخرج من يومه . وفى ليلة الأربعاء ثالث عشرين صفر أخرج الأمير قُطْلُوبُغَا الحَمَوِىّ وطاجار الدَّوادار ومَلِكْتَمُر الحجازىّ والشِّهابىّ شادّ العمائر من حبس خِزانة شمائل بالقاهرة ، وحُملوا إلى ثغر الإسكندريّة فسُجِنوا بهـا . وتوجّه الأمير بُلَك الجَمَـدار على البريد إلى حلب لتحليف النائب طَشْتَمُر الساقى المعروف بحمّص أخضر والأمراء ، وتوجّه الأمير بَيْغَرَ إلى دِمَشْق بمثـل ذلك إلى نائبها الأمير أَلْطُنْبُغَا الصالحىّ ، وتوجّه الأمير جَرِكْتَمُر بن بهادُر إلى طرابُلُس وحَمَاة لتحليف نُوّابها والأمراء ، وكُتِب إلى الأعمال بإعفاء الجنـد عن المغارم . ثم ركب الأمير قَوْصُـون فى يوم الخميس رابع عشرينه فى دَسْت النيابة ، وترجّل له الأمراء ومشُوا فى خدمته ، وأَخَذَ وأعطى وأنفق على

= السلطنة فى أيام الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأوّل جلوسه فى شباكها كان فى يوم أوّل صفر سنة ٧٤٣ هـ وتوارثها النوّاب بعده .

ولما تكلم القلقشندى فى صبح الأعشى على الباب الثالث من أبواب القلعة وهو بابها الأعظم (ص ٣٧٤ ج ٣) قال : ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وفى قبلى هذه الدركاه تقع دار النيابة وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثم نائب .

وبالبحث تبين لى أن هذه الدار قد آندثرت وأنها كانت واقعة فى الحوش الداخلى للقلعة الذى به الآن ثكنات الجيش ، لأن باب القلعة وهو بابها الأعظم الذى كان يعرف بالباب المدرج لا يزال واقعا فى الحائط الغربى للقسم البحرى من القلعة وهو القسم الذى به ثكنات الجيش ، وكان الباب المذكور يوصل مباشرة إلى الدركاه وإلى دار النيابة التى أقيم فى مكانها بعض هذه الثكنات .

(١) كذا فى الأصلين . ورواية المنهل الصافى والسلوك وآبن إياس : « ... من مسه مظلمة » .

الأمراء لكلّ أمير مائة ومقدّم ألف : ألف دينار ، ولكلّ أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ، ولكلّ أمير عشرة مائتى دينار ، ولكلّ مقدّم حلْقة خمسين دينارا ، ولكلّ جندى خمسة عشر دينارا .

ثم فى يوم [السبت][1] سادس عشرينه تَسَمَّـر قَوْصُون ولىّ الدولة أبا الفَـرَج آبن خَطِير صِهْر النَّشْو ، وكان قد توصّل إلى الملك المنصور بسفَارة أُستاذه مَلِكْتَمُر الحجازىّ ، ووقع منه أمور حقّدها عليه قوصون لوقتها ، ولـمّا سُمِّر أُشْهِر على جمل بمصر والقاهرة وقد أُشعلت الشموع بالحوانيت والشوارع ودقّت الطبول وفرح الناس بتشهيره فَرَحا زائدا لأنّه كان ممّن بَقِىَ من حواشى النَّشْو وأصهاره ، وفيه يقول الأديب جمال الدين إبراهيم المِعْمار[2] :

قد أخلف النَّشْوَ صِهْرٌ سُوءٍ * قَبِيـحُ فِعْـلٍ كما تَرُوهُ
أراد للشـرّ فَتْـحَ بابٍ * فأغلَقُـوه وسَمَّـرُوهُ

ولـمّا كان يومُ الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل من سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة أنعم قَوْصُون على أحد وعشرين مملوكا من المماليك السلطانية بإمْرِيات : منهم ستة طبلخاناه والبقيّة عشرات . وفى رابع عشر شهر ربيـع الأوّل توجّه الأمير طُوغان لإحضار الشهابىّ أحمد آبن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكَرَك محتفظا به لِيُنْفَى إلى أُسْوان[3] . وسببُ ذلك أنّه ورد كتاب مَلِكْتَمُر السَّرْجَوانى نائب الكَرَك يتضمّن أنّ أحمد المذكور خرج عن طَوْعه وكثُر شَغَفُهُ بشباب أهل الكَرَك وآنهماكه فى معاقرة الخمر ، وأنّه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكَرَكيين على قتله وطلَب الإعفاء

(١) زيادة عن السلوك يقتضيها السياق .

(٢) توفى سنة ٧٤٩ هـ عن الدرر الكامنة .

(٣) أسوان : مدينة مصرية وهى قاعدة مديرية أسوان بصعيد مصر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وأنهم آتفقوا معه وأكثر من الشكوى من قوصون، فأوقف قوصون الأمراء عليها وما زال بهم حتى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك .

وفى هذه الأيام ظهرت المماليك التى كانت الفتنة بسببهم عند خُشْدَاشِيَّتِهم، فسُلِّم صرغتمش إلى الأمير أَلْطُنْبُغَا المارِدانى، وسُلِّم أَيْتَمُش إلى الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور، وسُلِّم شَيْخون إلى الأمير أُرُنْبُغَا السِّلاح دار، وهؤلاء الأمراء الثلاثة ناصريّة .

ثم أُشِيع بالقاهرة أنّ أحمد آبن الملك الناصر قد تحرّك من الكَرَك فى طلب المجىء إلى الديار المصريّة، فكثُر الآضطراب ووقع الشروع فى تجهيز العساكر صحبةَ الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى، وآستحلفه قَوْصون، وبعث إليه بعشرة آلاف دينار، وعيّن معه أيضا الأميرَ قُمارِى أخا بكتمر الساقى ومعهما أربعة وعشرون أميرا، ما بين طبلخانات وعشرات، وأنفق على الجميع . ثم بعث قَوْصون إلى قُطْلُوبُغَا الفخرى بخمسة آلاف دينار أخرى عند سفره وركب لوَدَاعه صحبةَ الأمراء، حتى نزل بالرَّيْدَانية[1] فى يوم الثلاثاء[2] خامس عشرين ربيع الآخر، وكلّ ذلك فى سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة، هذا والأمراء لم يكن منهم أحد راضيًا بسفر هذه التجريدة، بل أشار الأمير الحاج آل ملك والأمير جَنْكَلِى بن البابا على قَوْصُون بأنه لا يُحرِّك ساكنا فلم يَقْبل قوصون، وكانا أشارا عليه بأنّه يكتب إلى أحمد بن الناصر يعتُبه على مكاتبته لنائب الشام وغيره، فكتب إليه بذلك فأجاب بأنّ طُوغان أسمعه كلامًا فاحشًا وأغلظ عليه فى القول فحَمَله الحَنَق على مكاتبة نائب الشام، وأنّ قوصون والده بعد والده ونحو ذلك، فلم يُقْنِع قوصون ذلك، وجهّز العساكر لأخذه، وبعد خروج العساكر ركِب الأمير قوصون فى يوم الثلاثاء ثالث جُمَادَى الأولى إلى سِرْيَاقوس وصحبتُه الأمراء على عادتهم [توجه

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى الأصلين والسلوك . والسياق يقتضى أن يكون : « فى يوم الأثنين ... الخ » .

السلطان ثم عاد][1]. وبعد مدّة يسيرة ظهر للأمير قوصون مخالفةُ الأمير طَشْتَمُر الساقى نائب حَلَب المعروف بحمّص أخضر، وسبب مخالفته أنّه شقّ عليه إخراج أولاد آستاذه الملك الناصر إلى الصعيد، وأيضا تجهيز العساكر لقتال أحمد آبن الملك الناصر بالكَرَك، وكان قد بعث إليـه أيضا أحمد آبن الملك الناصر يشكو من قوصون، وأنه يريد القبض عليه ويطلب منه النُّصْرة عليه، فكتب طَشْتَمُر إلى أمراء الديار المصريّة وإلى قوصون بالعَتْب، فقبض على قاصده بقَطْيَا[2] وسُجِن، وكَتَب قوصون إلى الأمير أَلْطُنْبُغا الصالحى نائب الشـام بأن الأمير طَشْتَمُر حمّص أخضر نائب حلب شرع يتكلم فى إقامة الفتنة وأنه لا يُصْغى إلى قوله، وبعث إليه بأشياء كثيرة من الهدايا والتحف فأجاب أَلْطُنْبُغا نائب الشام بالسمع والطاعة والشكر والثناء .

ولما تمّ لقَوْصُون ذلك وقع بينـه وبين الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور، وكادت الفتنة تقوم بينهما وأغلظ أيدغمش لقَوصون فى الكلام، وسببه أن بعض مماليك أمير على بن أيدغمش وشَى إليـه بأنّ قوصون قرر مع بُرسُبغا الحاجب أن يَبيت بالقاهرة ويركب فى عِدّة من مماليك قوصون ويَكْبِس على أيدغمش، فأخذ أيدغمش فى الآحتراز، وآمتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعِّك، وكان ذلك بعـد أن تَصالحا بعد تفاوضهما بمدّة يسيرة، وصار أيدغمش إذا سيّر قوصون النائب بالرُّمَيْلة[3]

(١) العبارة المحصورة ما بين المربعين [ ] غير ظاهرة المعنى فى حين أنها لم ترد فى السلوك للمقريزى .

(٢) قطيا : بلدة مصرية كانت فى الطريق ما بين مصر والعريش، وقد آندثرت . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هى التى سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجـزء التاسع من هـذه الطبعة : وأضيف إلى ما سبق ذكره أن الرميلة المذكورة كانت قبل التنظيم الحالى وقبل تسميتها ميدان صلاح الدين مقسمة إلى ثلاث مناطق : الأولى الرميلة، وكانت تطلق على الفضاء الذى يقع اليوم بين جامع السلطان حسن وجامع المحمودية والقلعة ومبنى مركز بوليس قسم الخليفة، وهذه المنطقة هى بذاتها التى كانت تعرف قديما =

الفخرى يتحدّث مع أيدغمش فيما عمـله[1] السلطان من قدومه فى زىّ العُربان وآختصاصه بالكَرَكيّين ، وإقامة أبى بكر البَازْدار حاجبَه ، وأنكر عليـه ذلك غاية الإنكار، وطلب من الأمراء موافقتَه على خَلْعه وردّه إلى مكانه، فلم يُمكّنه طشتمر حمص أخضر من ذلك، وساعده الأمراء أيضا، وما زالوا به حتى أعرض عمّا همّ به ، ووافق الأمراء على طاعته . فلمّا كان يوم الآثنين عاشره لبس السلطان شِعار السلطنة وجلس على تخت الملك ، وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد وقضاةُ مصر الأربعة وقُضاة دِمشق الأربعة ، وجميـعُ الأمراء والمقدمين وبايعه الخليفة بالسلطنة وقبـلوا الأرض بين يديه على العادة . ثم قام السلطان على قدميه فتقدّم الأمراء و باسُوا يده واحداً بعد واحد على قَدْر مراتبهم، وجاء الخليفة بعدهم وقضاةُ القضاة ماعدا القاضى حُسام الدين الغورِىّ الحنفىّ، فإنه لـمّا طلَع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتّى يُؤذَنَ لهم على العادة جَمع عليه [طَبّاخُ[2] المطبخ السلطانىّ] بعضَ صِبْيان المطبخ جَمْعًا من الأوباش لِحقْدٍ كان فى نفسه منـه عند ما تحاكم هو وزوجتُه عنده قبل ذلك، فأهانه القاضى المذكور، فلمّا وجد الطباخ الفُرصة هجم عليه بأوباشـه ومدّ يدَه إلى الغُورِىّ من بين القضاة وأقاموه وحَرَقوا عمامتَـه فى حَلْقه وقطعوا ثيابه وهم يصيحون : ياقَوْصُونِىّ ! ثم ضربوه بالنعال ضربًا مُبَرِّحًا، وقالوا له : ياكافر يا فاسـق ! فآرتجّت القلعة، وأقبل عَلَم[3] دار حتى خلّصه منهـم وهو يستغيث يامسلمين ! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين ؟ فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش وجروهم إلى الأمير أيْدُغْمُش فضربهم وبعث طائفة من

(١) فى أحد الأصلين والسلوك : « فيما عليه ... الخ » .
(٢) تكملة يقتضيها سياق الكلام .
(٣) لقب على الذى يحمل العلم مع السلطان فى المواكب ، وهو مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو العلم ، والثانى فارسى وهو « دار » . والمعنى : ممسك العلم . (عن صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٦٣) .

الأوجاقية ، سـاروا بالغُورى إلى منزله ولم يحضر المَوْكب وثارت العامّة على بيتـه بالمدرسة الصالحية[1] ونهبوه ، فكان يوما شنيعا .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشره عَمِل السلطان موكبا آخر وخلَع على سائر الأمراء قاطبـةً ، وأنعم على الأمير طَشْتَمُر حُمّص أخضر بعشرة آلاف دينـار وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى بمـا[2] حضر معه من البـلاد الشامية وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضّة ، ونزل فى موكب عظيم بمن حضر صحبتَه من أمراء البلاد الشامية وهم الأمير سنجر الجُمْقُدار[3] وتَمُـر الساقى وطُرُنْطاى الجَمْقَدار[4] وآقْبُغا عبد الواحد وتَمُـر الموسوى وآبن قَراسُنْقر وأَسَنْبُغا بن البوبكرى وبَكْتَمر العلائى وأصـلم نائب صـفد . ثم طلب السلطان الوزير نجم الدين ، ورَسَم له أن يكون يوسف البازدار ورفيقه مقدمى البَازْدارِيّة ، ومقدمى الدولة، وخلَع السلطان عليهما كَلْفتاه زَرْكش وأقبية طَرْدوحش بحوائص ذهب، فحكما مصرفى الدولة وتكبّرا على الناس وسارا بحُمق زائد .

ثم فى يوم السبت خامس عشره خَلَع على الأمير طشتمر الساقى حمّص أخضر بآستقراره فى نيابة السلطنة بالديار المصرية فتوجه بخلْعتـه وباشر النيابة، وجلس والحجاب قيامٌ بين يديه والأمراء فى خدمتـه . وفى يوم الآثنين سابع عشره أخرَج

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) هكذا فى الأصلين والسلوك .
(٣) الجمقدار أى حامل الدبوس أمام السلطان وهو مركب من كلمتين : « جمق » ومعناه دبوس ، و« دار » ومعناه حامل أو ماسك . ويلاحظ أن سنجر هذا تقدم ذكره فى الجزء الثامن فى غير موضع باسم « سنجر الجمقدار » وفى الجزء التاسع كذلك ، ولكن صوبناه فى الجزء التاسع فى موضع آخر باسم « سنجر البشمقدار » عن بعض المصادر . وقد ترجح لدينا أخيرا أنه الجمقدار لا البشمقدار لاختلاف الوظيفتين .
(٤) هو طرنطاى البشمقدار .

ذلك سببا لهلاكه ؛ وقد تقدم ذكر ذلك كلّه مفصلا . وكان أميرا جليـلا شجاعا مشكور السيرة ومات وقد جاوز الخمسين سنة من العمر .

وفيها تُوُفّى ملك التتـار أُزْبَك خان بن طُغْرلجا بن مَنْكُوتَمُر بن طُغَان بن بَاطُو [1] آبن دُوشِى خان بن چنكزخان . ومات أُزْبَك خان بعد أن مَلَك نحوًا من ثلاثين سنة ، وكان أسلم وحسُنَ إسلامه وحرّض رعيته على الإسلام فأسلم بعضُهم ، ولم يَلْبَس أزْبَك خان بعد أن أسلم السَّرَاقُوجَات [2] ، وكان يَلْبَس حِياصةً من فولاذ ويقول : لُبْس الذهب حرامٌ على الرجال ، وكان يميـل إلى دِين وخير ، ويتردّد إلى الفقراء ، وكان عنده عدل فى رعيته ، وتزوّج الملك الناصر محمد بآبنته . وكان أُزْبَك شجاعا كريمـا مليحَ الصورة ذا هيْبة وحُرمة . ومملكتُه متسعة، وهى من بحر قُسْطَنْطِينِيّة [3] إلى نهر إِرْتِش [4] مسيرة ثمـانمـائة فرسخ ، لكن أكثرذلك قُرًى ومراع . ووَلِى المُلَك بعده جَانِى بَكْ [5] خان .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين بَشْتَك بن عبد الله الناصرى مقتولا بسجن الإسكندرية فى شهر ربيع الآخر . وكان إقطاعه يَعْمَل بمـائتى ألف دينار فى كلّ سـنة ، وأنعمَ عليه أستاذُه الملك الناصر محمد فى يوم واحد بألف ألف درهم . وكان راتبه لسماطه فى كلّ يوم خمسين رأسًا من الغنم وفَرَسا، لابدّ من ذلك . وكان كثير التّيه لا يُحدّث

(١) فى المنهل الصافى : « ابن باتو » بالتاء المثناة بدل الطاء . (٢) السراقوجات ، جمع سراقوج ، وهى طاقية تترية كان يلبسها ملوك التتار فى العصور الوسطى . (راجع الملابس عند العرب لدوزى ص ٣٧٩ ، والقاموس الفارسى الإنجليزى لاستينجاس . وكترميرص ٢٣٥ جزء أول) . (٣) هو بحر بنطش وهو البحر الأسود الآن . (٤) فى الأصلين : « نهر أرتيس » . وما أثبتناه عن دائرة المعارف الإسلامية وخرائط المساحة الحديثة . وهو أكبر النهيرات التى تمد نهر أوبى فى سيبريا . وسيأتى الكلام على مملكة أزبك خان بأوفى من هـذا عند الكلام على الطاعون الذى وقع فى سنة ٧٤٩ هـ . (٥) كذا فى أحد الأصلين والسلوك . وفى الأصل الآخر : «جانبك» .

مباشريه إلا بتَرْجُمان . وهو صاحب القصر [1] بين القصرين والحمام [2] بالقرب من سُوَيْقة العِـزّى [3] والجامع [4] عند قنطرة طُقُزْدُمُر [5] خارج القـاهرة . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : « وكان بَشْتَك أهيفَ القامة، حُلْوَ الوجه . قرّبه السلطان وأدناه، وكان يُسمّيه فى غَيْبته بالأمير، وكان إقطاعه سـبعة عشرة [إمرة [6]] طبلخاناه أكبر من إقطاع قَوْصون، وما يَعْلَم قوصون بذلك » .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين طاجار بن عبـد الله الناصرى الدّوادَار قتيلًا بثـغر الإسكندرية . وكان من خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن أكابر مماليكه، ورقّاه حـتى ولّاه الدَّوَادَارِيّة ، وكان ممّن آنضم إلى الملك المنصور أبى بكر فقُبِض عليه عند خَلْعه وقُتِل .

وفيها تُوُفّى الأمير سيف الدين جَرِكْتَمُر بن عبد الله الناصرىّ قتيلا .

وتُوُفّى الأمير قوصون بن عبـد الله الناصرىّ السـاقى قتيلا بثغر الإسكندرية فى شوّال، وقد مرّ من ذكره مافيه كفاية عن تكراره ثانيا .

وتُوُفّى الملك الأفضل علاء الدين على آبن الملك المؤيّد عمـاد الدين إسماعيل [آبن الملك الأفضل على [7]] آبن الملك المظفّر محمود آبن الملك المنصور محمد آبن الملك المظفّر تقىّ الدين عمر بن شَاهِنْشاه آبن الأمير نجم الدين أيّوب بن شَادِى بن مَرْوان

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) حمام الأمير بشتاك الناصرى لم يذكره المقريزى فى خططه . وهو لا يزال قائما بشارع سوق السلاح الذى كان يسمى سويقة العزى على رأس عطفة حمام بشتاك بالقاهرة . وهو من الحمامات الكبيرة ووجهته مكسوة برخام ملون جميل وعليها آسمه . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٤) هو جامع الأمير بشتاك الناصرى . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠٨ ج ٩ من هذه الطبعة . (٥) هى قنطرة طقزدمر التى تعرف اليوم بقنطرة درب الجماميز بالقاهرة . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) زيادة عن السلوك . (٧) التكملة عما تقدم ذكره فى ترجمة أبيه ص ٢٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

قلت : هى الآن مجازٌ لأوباش الرعيّـة لمن له حاجة عند السلطان من التُّرْكُمان والأعراب والأوغاد والأتباع . ولله درّ القائل :

وإذا تأملتَ البِقاعَ وجدتَها * تَشْقَى كما تَشْقَى الرجالُ وتَسْعَدُ

وجلس السلطان الملك الصالح فيها ، وبين يديه جواريه وخدمُه وحُرَمُه ، وأكثرَ السلطان فى ذلك اليوم من الخِلَع والعطاء ، وكان السلطان قد آختصّ بِبَيْبُغَا الصالحىّ وأمّره وخوّله فى النِّعَم وزوّجه بآبنـة الأمير أَرْغُون العـلائىّ مدبّر مملكة السـلطان وزَوْج أمّه ، والبِنت المذكورة أخت السلطان لأمّه . وكَثُر فى هذه الأيام آستيلاء الجوارى والخُـدّام على الدولة وعارضوا النائب فى أمور كثيرة حتّى صار النـائب يقول لمن يسأله شيئا : رُوح إلى الطواشى فلان فينقضِى شُغْلُك . وآستمرّ السلطان يُكْثِر من الجلوس فى الدهيشة بأُبَّهة عظيمة إلى الغاية .

ثم رَسَم السلطان بإحضار المجرَّدين إلى الكَرَك وعيّن عِوَضهم تجـريدةً أخرى إلى الكرك وهى التجريدة السـابعة ، فيها الأمير بِيبَرْس الأحمـدىّ والأمير كُوكَاى وعشرون أمير طبلخاناه وسـتة عشر أمير عشرة ، وكتب بخـروج عسكر أيضا من دِمَشق ومعهم المَنْجَنيق والزحّافات ، وحَمَل إلى الأحمدى مبلَغ ألفى دينار ، وكذلك (١) لكُوكَاى ، ولكلّ أمير طبلخاناه خمسمائة دينار (١) ، ولكل أمير عشرة مائتى دينـار ، وأرسل أيضا مع الأحمدى أربعة آلاف دينار لمن عساه ينزل إليه من قلعة الكرك طائعا ، وجهّز معـه تشاريف كثيرة ، وعُيِّنت لهم الإقامات ، وكان الوقت شـتاء فقاسوا من الأمطار مشقّات كثيرة ، وأقاموا نحو شهرين وخرّج معهم ستة آلاف رأس من البقر ومائتى رأس جاموس ونحو ألفى راجل فآستعدّ لهم الملك النـاصر وجَمَع الرجال وأنفق فيهم مالا كثيرا ، وفرّق فيهم الأسلحة المُرْصَـدة بقلعة الكرك ، وركّب المَنْجنيق الذى بها ، ووقع بينهم القتال والحصار إلى ما سيأتى ذكره .

ثم رَسَم السلطان بالقبض على الأمير آقْبُغَا عبـد الواحد فقُبِض عليـه بدِمَشق فى عِدّة من أمرائها وسُجِنُوا بها لميلهم للملك الناصر أحمد ، وآشتدّ الحصار على الملك الناصر بالكَرَك وضاقت عليـه هو ومن معه لقلّة القوت ، وتخلّى عنه أهلُ الكرك ، وضَجِروا من طول الحصار ، ووَعَدوا الأمراء بالمساعدة عليه ، فحُمِلت إليهم الخِلَعُ ومَبلغُ ثمانين ألف درهم . هـذا وقد آستهمّ السلطان فى أوّل سنة خمس وأربعين وسبعمائة بتجريدة ثامنة إلى الكَرَك ، وعيّن فيها الأمير مَنْكَلِى بُغَا الفخرىّ والأمير قُمارِى والأمير طَشْتَمُر طَلَلِيه ، ولم يجد السلطان فى بيت المـال ما يُنفقه عليهم فأخذ مالاً من تُجّار العجم ومن بنت الأمير بَكْتَمُر الساقى على سبيل القَرْض وأنفق فيهم ، وخرج المجرَّدون فى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سـنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهؤلاء نجدة لمن توجّه قبلهم خوفًا أن يَمَلّ من كان توجّه من القتال ، فيجد النـاصر فَرَجًا بعودهم عنـه ، وقُطِعت المِيرَة عن الملك النـاصر ، ونَفِدَت أموالُه من كثرة نفقاته فوقع الطمع فيه وأخذ بالغُ ، وكان أجلّ ثقاته فى العمل عليه وكاتب الأمراء ووعدهم بأنّه يُسلِّم إليهم الكرك وسأل الأمان فكُتِب إليه من السلطان أمانٌ وقَدِم إلى القاهرة

= إسماعيل بن محمد بن قلاوون فى سنة ٧٤٥ ﻫ بإشراف أجيج المهندس ، وجلب لبنائها من دمشق وحلب أربعة آلاف قطعة من الحجر الأبيض والأحمر نقلت على ظهور الجمال حتى وصلت إلى قلعة الجبل ، ونقل إليها الرخام من بيوت الأمراء والكتّاب حتّى تمت فى شهر رمضان من تلك السنة ، وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يجل وصفه .

ويلاحظ أن المؤلف ذكر آنفا عمارة هذه الدهيشة فى مستهل رمضان سنة ٧٤٤ ﻫ ، والأرجح أنها تمت فى الشهر المذكور من سنة ٧٤٥ ﻫ كما ذكر المقريزى .

وبما أن الدهيشة المذكورة كانت ملاصقة للدور السلطانيـة من جهة ومطلة على الحوش من أخرى فبالبحث عن مكانها تبين أنها آندثرت وكانت تقع فى الجهة الشرقية القبلية من جامع محمد على بالقلعة بالقاهرة .

(١) فى السلوك : « ولكوكاى ألف دينار » .

(١) فى السلوك : « أربعمائة دينار » .

الأمير إياجى نائب قلعتها يأمره بالإفـراج عن قـردم وأن يفتح أبواب المدينـة، ففتح أبواب المدينة ولم يُفْرِج عن قردم فركب الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابُلُس من الغد ليُغيرا على الضِّياع فوافى بعضُ عسكر بيبغا أُرُس نجّابا يُخبر بمسك منجك ومسير السلطان من خارج القاهرة، وعاد أحمد وبكلمش فى يوم الاثنين رابع عشر شعبان وقد نزل طاز بمن معه المزيرب فارتجّ عسكرُ بيبغا أُرُس وتواعد قَرَاجا بن دلغـادر وحَيّار بن مهنا على الرحيل، فمـا غَرَبَت الشمس إلا وقـد خرجا بأثقالهما وأصحابهما وسارا، فخرج بيبغا أُرُس فى أثرهما فلم يدركهما، وعاد بُكرة يوم الثلاثاء فلم يستقر قراره، حتى دُقّت البشائر بقلعـة دِمَشق، بأن الأمير طـاز والأمير أرغون الكاملىّ نائب الشام وافَيـا دِمَشق وأن الأمير شيخون والسلطان ساقة؛ فبُهِت بيبغا أُرُس وتفرّق عنه مَنْ كان معه، فرَكِب عائدا إلى حلب فى تاسع عشر شعبان، فكانت إقامته بدِمَشق أربعةً وعشرين يوما، أفسَدَ أصحابُه بدِمَشق فيهـا مفاسدَ وقبائحَ من النهب والسَّبْى والحريق والغـارات على الضِّـياع من حلب إلى دمشق وفعلوا كما فعـل التتار أصحابُ قازان وغيره، فبعث السلطان الأمير أَسَنْدَمُر العلائى إلى القاهرة بالبِشارة فقدِمَها يوم الجمعة خامس عشرين شعبان، ودقّت البشائر لذلك وزُيِّنت القاهرة .

وأمّا السلطان المـلك الصالح فإنه ٱلتقى مع الأمـير أَرْغُون شاه الكاملىّ نائب الشام على بُدَّعَرْش من عمل غزّة، وقد تأخّر معه الأمير طاز بمن معه فدخلوا غزّة، وخلَعَ السلطان على أرغُون المذكور باستمراره فى نيابة دِمشق، وأنْعَم عليه بأربعمائة ألف درهم وأنعم على أمير مسعود بن خَطِير بألف دينار، وعلى كل أمراء دمشق كل واحد قَدرَ رُتبته، فكان جملة ما أنفق السلطان فيهم ستمائة ألف درهم، وتقـدّم الأمير شيخون والأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام إلى دمشق وتأخر الأمير صَرْغَتْمش

صحبةَ السلطان ليدبّر العسكر، ثم تبعهم السلطان إلى دمشق فدخلها فى يوم الخميس مستهلّ شهر رمضان، وخرج الناس إلى لقائه وزُيِّنت مدينة دمشق، فكان لدخوله يومٌ مشهود، ونَزَل السلطان بقلعة دمشق، ثم ركب منها فى الغد يوم الجمعة ثانيـة إلى الجامع الأموى فى مَوْكب جليل حتى صلى به الجمعـة وكان الأمراء قد مَضوا فى طلب بيبغا أُرُس .

وأما بيبغا أُرُس فانه قَدِم إلى حلب فى تاسع عشرين شعبان، وقد حُفِـرت خنادق تُجـاه أبواب حلب وغُلِّقت وامتنعت القلعة عليه ورَمَتْه بالحجارة والمجانيق، وتَبِعهم الرجال من فوق الأسوار بالرمى عليه، وصاحوا عليه فبات تلك الليلة بمن معه وركب فى يوم الخميس مستهلّ شهر رمضان للزحف على مدينـة حلب، وإذا بِصياح عظيم والبشائر تدُقّ فى القلعة وهم يَصيحون : يا منافقون، العسكر وصل، فالتفتَ بمَن معـه فاذا صناجقُ على جبل جَوْشَن[1] فانهزموا عنـد ذلك بأجمعهم إلى نحو البرية، ولم يكن ما رَأَوْه على جبل جَوْشَن عسكر السلطان، ولكنه جماعة من جند حلب وعسكر طرابُلُس كانوا مختفين من عسكر بيبغا أُرُس عند خروجه من دِمَشق فساروا فى أعقابه يريدون الكَبْسَة على بيبغا أُرُس وتَعبَّوْا على جبـل جوشن فعنـد ما رآهم بيبغا لم يَشُكّ أنهم عسكر السلطان فانهزم . وكان أهل بانقُوسا[2] قد وافقوهم

(١) هو جبل مطلّ على حلب فى غربيه . فى سفحه مقابر ومشاهد للشيعة . وقد أكثر شعراء حلب من ذكره كثيرا، فقال منصور بن المسلم بن أبى الخُرْجين النحوى الحلبى من قصيدة :

عسى مورد من سفح جوشن نافع * فانى إلى تلك المـوارد ظمآن
وما كل ظن ظنـه المـرء كائن * يحـوم عليـه لحقيقـة برهان

انظر معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٥٥) وشرح القاموس مادة « جوشن » .

(٢) قرية من قرى حلب، سميت باسم جبل بانقوسا، وهو فى ظاهر حلب من جهـة الشمال (انظر ياقوت ج ١ ص ٤٨٢ وج ٢ ص ٣١١ طبع أوروبا) .

ثم فى مستهل جُمَادَى الأولى خَلَع السلطان الملك الكامل على جميع الأمراء المقدَّمين[1] والطبلخانات ، وأنعم على ستين مملوكا بستين قَبَاء بطَرْز زَرْكَش وستين حِياصةَ ذهب، وفرّق الخيول على الأمراء برَسْم نزول المَيْدان[2] .

ثم رَسَم السلطان أن يتوفَّر إقطاعُ النيابة للخاص، وخَلَع على الأمير بَيْغَرَا وآستقر حاجبًا كبيراً . ثم نزل السلطان إلى المَيْدَان على العادة، فكان لنزوله يومٌ مشهودٌ . وخلع على الشريف عَجْلانَ بن رُمَيْثَةَ بن أبى نُمَيّ الحَسَنِيّ[3] بآستقراره أمير مكّة . ثم عاد السلطان إلى القلعة[4] .

وفى يوم السبت خامس عشرين جُمَادَى الأولى قَدِم الأمير طُقُزْدَمُر من الشام إلى القاهرة مريضا فى مِحَفَّة بعد أن خرج الأمير أَرْغُون العلائى وصحبته الأمراء إلى لقائه، فوجدوه غيرَ واعٍ ، ودَخَل عليه الأمراءُ وقد أَشْفَى على الموت، ولمّا دخل طُقُزْدَمُر إلى القاهرة على تلك الحالة أخذ أولادُه فى تجهيز تَقْدِمة جليلة للسلطان تشتمل على خيول وتُحَف وجواهرَ فقَبِلها السلطان منهم ووعدهم بكلّ خير .

وفيه أنعم السلطان على الأمير أَرْغُون الصالحى بتقدمة ألف ، ورَسَم أن يُقال له : أرغون الكاملى ؛ ووهب له فى أسبوع ثلثمائة ألف درهم وعشرة آلاف إرْدَبّ من الأهْرَاء ؛ ورَسَم له بدار أحمد شادّ الشَّرَبْخاناه[5] ، وأن يُعمَّر له

(١) فى السلوك : « المقدمين فى الطبلخاناه » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) كذا فى « م » وهو الصحيح وفى « ف » : « الحسينى » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٥) يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه أن هذه الدار كانت تجاه الكبش ، وأنها كانت بجوار القصر الذى أنشأه أرغون الكاملى بالجسر الأعظم على حافة بركة الفيل تجاه الكبش أيضا .

ويستفاد كذلك من عبارة المؤلف أن الدار المذكورة التى نزل بها أرغون لما رسم له الملك الكامل شعبان بنزوله فيها فى سنة ٧٤٦ هـ (قبل بناء قصره) أنشئت فى القرن الثامن الهجرى ، ثم بقيت إلى القرن التاسع =

بجواره من مال السلطان قَصْرٌ على بركة الفيل[1] ، ويُطِلّ على الشارع فعمِل له ذلك .

قلت : والبيت المذكور هو الذى كان يسكنه الملك الظاهر جَقْمَق وتسلطن منه، ثم سكنه الملك الأشرف إينال وتسلطن منه وهو تُجاه الكَبْش[2] - انتهى .

وفى يوم الخميس مستهلّ جُمَادَى الآخرة رَكِب السلطان الملك الكامل لسَرْحة سِرْياقوس[3] ومعه عساكره على العادة وأخذ حريمَه صحبته، فنصب لهنّ أحسنَ الخِيَم فى البساتين .

ثم فى يوم الجمعة قَدِم أولاد طُقُزْدَمُر على السلطان بسِرْياقوس بخبر وفاة أبيهم طقزدمر، فلم يُمكِّن السلطانُ الأمراءَ من العَوْد إلى القاهرة للصلاة عليه؛ ورَسَم بإخراجه فأُخرِج ودُفِن بخانقاته بالقرافة[4]، وأُخِذت خيلُه وجِمالُه وهُجُنُه إلى الإسطبل السلطانى[5] .

= حيث سكنها الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ثم الملك الأشرف إينال العلائى قبل أن يتوليا السلطنة وكانت تولية الأول سنة ٨٤٢ هـ والثانى ٨٥٧ هـ .

وبما أن الكبش الذى كانت تقع تجاهه هذه الدار هو الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر ، ويعرف اليوم بقلعة الكبش التى تشرف على شارعى مراسينا والخضيرى بقسم السيدة زينب بالقاهرة ، فقد بحثت عن مكان تلك الدار بالجهة المذكورة فتبين لى أنها اندثرت . ومكانها اليوم أرض فضاء بشارع مراسينا .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) ذكر المقريزى فى خططه (جزء ٢ ص ٩٣) فى الكلام على فندق دار التفاح : « وأنشأ هذه الدار الأمير طقزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ، ووقفها على خانقاته بالقرافة » . وقد أطلنا البحث عن موضع هذه الخانقاه بالقرافة فلم نجد لها أثرا ، ويتعذر الآن تعيين موقعها بين المقابر الكثيرة التى أنشئت بعدها على أرض هذه القرافة .

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بالقاهرة ، فاشـتد الأمر على الناس بمصر والشام من كثرة السُّخَر ، وكَثُر دعاؤهم على السلطان ، وتنكَّرت قلوبُ الأمراء ، وكَثُرَت الإشاعة بتنكُّر السلطان على نائب الشام ، وأنّه يُريد مسكَه حتّى بلَغَه ذلك ، فاحترز على نفسه ، وبلَغَه قتلُ يوسف آبن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقُوَّةُ عزم السلطان على سفر الحجاز موافقة لأغراض نسائه ، فجمع أمراء دِمَشْق ، وحلَّفهم على القيام معه ، وبَرَز إلى ظاهر دِمَشْق فى نصف جُمَادَى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طُرُنْطَاى البَشْمَقْدَار نائب حِمْص والأمير أُرَاق الفَتَّاح نائب صَـفَد والأمير أَسَنْدَمُر نائب حَمَـاة والأمير بَيْدَمُر البَـدْرِى نائب طرابُلُس ، فآجتمعوا جميعا بظاهر دِمَشْق مع عسكر دِمَشْق لخَلْـع الملك الكامل شعبان هذا ، وظاهروا بالخروج عن طاعتـه ، وكتب الأميرُ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِى نائبُ الشام إلى السلطان : بأنى أحد الأوصياء عليك ، وأنّ مما قاله السلطان السعيد الشهيد ، رحمه الله تعالى ، (يَعنِى عن الملك الناصر) لى وللأمراء فى وصيّتـه : إذا أقمتُم أحدًا من أولادى ولم ترضوا بسـيرته جُرُّوا برجله وأخرجوه وأقيموا غيره أحدًا[1] ، وأنتَ أفسـدتَ المملكةَ وأفقرتَ الأمراءَ والأجنادَ ، وقتلتَ أخاك وقبضتَ على أكابر أمراء السـلطان وآشتغلتَ عن المُـلْك وآلتهيْتَ بالنساء وشُرْب الخمر ، وصرتَ تبيع أخبازَ الأجناد بالفضّة ، وذكر له أمورًا فاحشةً عَمِلها ، فقَدِم كتابه إلى القاهرة فى يوم الجمعة[2] العشرين من جُمادَى الأولى فلما قرأه السلطانُ تغيّر تغيُّرا كبيرا ، وأوقف أَرْغُون العَلائى عليه بمفرده ، فقال له أرغون العلائى : والله لقد كنت أحسب هذا ! وقلتُ لك فلم تَسمع قولى ، وأشار عليه بكتمان هـذا ، وكتب الجواب يتضمّن التلطُّف فى القول : وأخرج الأمير مَنْجَك اليُوسفى على البريد

(١) هذه الكلمة غير موجودة فى « م » .
(٢) فى الأصلين : « يوم الخميس » . والتصويب عن السلوك والتوفيقات الإلهامية .

إليه فى ثانى عشرينه ، ليُرجِعَه عما عَزَم عليه ، ويكشف أحوال الأمراء . وكتب السلطانُ إلى أعمال مصر بإبطال السلطان سفرَ الحجاز فكثُرت القالةُ بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة ، حتى بلغ ذلك الأمراءَ والممـاليكَ ، فأشار أَرْغُون العـلائى على السلطان بإعلام الأمراء الخـبر ، فطُلِبوا إلى القلعة ، وأُخِذ رأيُهم فوقع الآتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أَرْقُطاى ، ومعه من الأمراء [مَنْكَلِى بُغا][1] الفَخْرِى أمير جاندار وآق سُنْقُر الناصرى وطَيْبُغَا المَجْدِى وأَرْغُون الكاملى وأمير على آبن طغريل الطُّـوغانى وآبنُ طُقُزْدَمُر وآبنُ طَشْتَمُر وأربعون أمير طبلخاناه ، وأربعون أمير عشرة وأربعون مقدّم حلقة ، وحُمِلت النفقة إليهم لكلّ مقدّم ألفُ ألفُ دينار ، ماعدا ثلاثة مقدّمين ، لكل مقدّم ثلاثةُ آلاف دينار ، وكَتَب بإحضار الأجناد من البلاد ، فقَـدِم كتاب مَنْجَك من الغَـوْر[2] بموافقة نوّاب[3] الشام إلى نائب الشام ، وأن التجريدة إليـه لا تُفيد ، فإنّه يقول : إن أمراء مصر معه .

ثم قَدِم كتاب نائب الشام ثانيا ، وفيه خَطُّ الأمير مسعود بن خَطِير وأمير على بن قَرَاسُنْقُر وقلاوون وحُسام الدين البَشْمَقْدَار يتضمّن أنك لا تصلُح للملك ، وإنما أخذته

(١) تكملة عن السلوك .
(٢) هو غور فلسطين ، وهـو حوض نهر الشريعة الكبير المسمى نهر الأردن ، وهـو ثالث أقسام فلسطين : السهل الساحلى فالقسم الجبلى فالغور ، وهـو المنخفض العظيم من الأرض الذى لا توجد بقعة أبلغ منه آنخفاضا على سطح الكرة الأرضية ، هذا كان موضوع عناية علماء الجغرافيا وعلم طبقات الأرض . يبلغ آنخفاضه فى الشمال عند بحيرتى الحولة وطبرية ٨٦ مترا وفى الجنوب عنـد البحر الميت ٣٩٤ مترا عن سطح البحر الأبيض المتوسط .
ومعظم وادى الغور غير ملائم للصحة لعظم آنخفاضه وآرتفاع الجبال من غربيه ومجاورته للصحراء من شرقيـه . والقسم العظيم منه قفر لا نبات فيـه لآنخفاض مجرى النهر عن الأراضى المجاورة ، لكن القسم الجنوبى منه يزرع لخصب تربته ولكثرة الروافد العديدة التى تصب فيه . راجع ولاية بيروت (ج ١ ص ٤٠) وفلسطين لحسين روحى (ص ١٢) .
(٣) فى السلوك : « بمرافقة النوّاب لنائب الشام » .

عوضا عن أمير مسعود بن خَطِير، وكتب بإحضار أمير مسعود إلى القاهرة . ثم عاد السلطان من سَرْحة سِرْياقوس ، وكتب بعَوْد أمير مسعود إلى دِمشق بَطَّالا ، حتى يُحَلّ له ما يليق به ، وخلع على الأمير فارس الدين ألبكى بآستقراره فى نيابة غَزّة بعـد موت الأمير دِلَنْجِى، ودلَنْجى باللغـة التركية هو المُكَدّى (وهو بكسر الدال المهملة وفتح اللام وسكون النون وكسر الجيم) .

وفى هـذه الأيام توجّه الأمـير طاز إلى سَرْحة البُحَيْرة ، وأنعم السلطان عليـه بعشرة آلاف إردبّ شعير وخمسين ألف درهم وناحية طَمُّوه[1] زيادة على إقطاعه .

وفى خامس عشر شـوّال خرج أمير حاجّ المحمل الأمير بُزْلار أمير سـلاح . ثم خرج بعده طُلْبُ الأمير بَيْبُغا أُرُس النـائب بتجمُّل زائد ، وفيه مائة وخمسون مملوكا مُعَـدّة بالسلاح[2] . ثم خرج طُلْبُ الأمير طاز وفيـه سـتون فارسا ، فرحَل بيبغا أُرُس قبـل طاز بيومين . ثمّ رحل طاز بعـده . ثمّ رحل بزلار بالحاجّ رَكْبًا ثالثا فى عشرين شوّال من برْكة الحاجّ[3] .

وفى يوم السبت رابع عشرينه عُزِل الأمير مَنْجَك اليوسفىّ عن الوَزَر، وقُبِض عليه ، وكان الأمير شَيْخون خرج إلى العبّاسـة ؛ وسببُ عزله أن السلطان بعـد توجُّه شيخون طَلَب القضاة والأمراء، فلما آجتمعوا بالخدمة ، قال لهم : يا أمراء

(١) هى قرية من القرى المصرية القديمـة آسمها الأصلى « طموى » وحرف إلى طمويه كما وردت فى المشترك لياقوت . وفى التحفة السنية لأبن الجيعان من أعمال الجيزية . ثم حرف الأسم إلى طموه وهو آسمها الحالى . وطموه قرية بمركز الجيزة بمديرية الجيزة بمصر . ومساحة أطيانها ٨٦٠ فدانا وسكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها . (٢) فى ف : «معه بالسلاح...الخ» .

(٣) فى م : «من البركة» والمقصود منها ناحية البركة إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر فى شمال القاهرة، وكانت تسمى بركة الجب أو بركة الحاج . وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

هل لأحد علىّ ولاية تَحْجر ، أوأنا حاكم نفسى ! فقال الجميع يا خَوَنْد : ما ثَمّ أحدٌ يَحْكُم على مولانا السلطان[1] ، وهو مالكُ رقابنا ، فقال : إذا قلتُ لكم شيئا ترجعوا إليه ، قالوا جميعهم : نحن تحت طاعة السلطان[2] وممتثلون ما يَرْسُم به ، فالتفت إلى الحاجب وقال له : خُذ سيف هذا، وأشار إلى مَنْجَك الوزير، فأخذ سيفَه وأُخْرِج وقُيِّد، ونزلت الحَوْطَة على أمواله مع الأمير كَشْلى[3] السلاح دار ، فوُجِد له خمسون حِمْل زَرَدْخاناه، ولم يُوجد له كبيرُ مال، فوُسِم بعقوبته، ثمّ أُخرج إلى الإسكندرية فسُجِن بها، وساعة القبض عليه رُسِم بإحضار الأمير شَيْخون من العباسة وإعلامه بمَسْك مَنْجَك الوزير ، فقام الأمير مُغُلْطاى أمير آخور والأمير مَنْكَلى بُغَا فى منعه من الحضور، وما زالا يُخَيِّلان السلطان منه حتى كُتِب له مرسومٌ بنيابة طرابُلُس، على يد طَيْنال الجاشْنكير، فتوجّه إليـه فَلَقِيَه قريب بلبيس ، وقد عاد صحبةَ الجَمَدَار الذى توجه بإحضاره من عند السلطان، وأوقفه على المرسوم فأجاب بالسمع والطاعة، وبَعَث يسأل فى الإقامة بدِمَشْق ، فكَتَبَ له بجَهز الأمير أُلك بدمشق ، وحضور تلك إلى مصر فتوجّه شيخون إليها .

ثمّ قَبَض السلطان على الأمير عمـر شاه[4] الحاجب وأخرج إلى الإسكندرية ، وآستقرّ الأمير طَنْيَرق رأس نَوْبة كبيرا عوضا عن شَيْخون . ثمّ قَبَض على حواشى مَنْجَك وعلى عبده عَنْبَر البابا وصُودِر ، وكان عنبر قد أَفْحَش فى سيرته مع النـاس فى قطع المصانعات ، وتَرفّع على النـاس ترفُّعا زائدا ، فضُرِب ضربا مُبَرِّحا : ثمّ

(١) رواية ف : « ماثم أحد يحكم عليك وأنت مالك رقابنا ... الخ» . (٢) هذه العبارة غير موجودة فى نسخة «ف» . (٣) فى السلوك : « كشكلى » . (٤) هو عمر شاه التركى، أول ما تأمر طبلخاناة ثم ولى نيابة حماة، ثم أمر تقدمة فى دمشق وعمل حاجب الحجاب إلى أن مات بها سنة ٧٧١ ﻫ (عن الدرر الكامنة) .

وفى هـذه السنة تزايد الغلاء بالبلاد الشامية ، حتى جاوز الحدّ وجعل الغنى فقيرا ، وأُبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين ، وفى هـذا المعنى يقول بدر الدين بن حبيب : [الخفيف]

لا تُقيمنَّ بى على حلب الشَّهْـ * ـباءِ وآرحلْ فأخضرُ العيشِ أدهمْ
كيف لى بالمُقام والخبزُ فيها * كلُّ رطلٍ بدرهمين ودرهم

وفى سنة ثمان وسبعين عزَل السلطان الملك الأشرف آقتمر الصاحبىّ الحنبلىّ عن نيابة السلطنة بالديار المصرية وآستقرّ به أتابك العساكر وعزَل الأمير آقتمر عبد الغنىّ عن نيابة صَفَد وآستقرّ به أمير مائة ومقدّم ألف بالقاهرة[1] .

= أنشأه الملك المؤيد شيخ المحمودى فى مدّة أوّلها جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ وآخرها رجب سنة ٨٢٣ هـ ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان من تلك السنة وعملت مصاريفه من جملة أوقاف الجامع المؤيد المجاور لباب زويلة ، فلما مات الملك المؤيد فى ثامن المحرم سنة ٨٢٤ هـ تعطل المارستان ، ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الأوّل منها وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد إلى السلطان . ثم عمل فيه منبر وجعل مسجدا جامعا ورتب له خطيب و إمام ومؤذنون و بواب وقومة (خدم) وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ . ومن ذلك التاريخ استمر جامعا تصرف معاليم (مرتبات) أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى .

و بمعاينة هذا البناء تبين لى أنه خرب من قديم وآعتدى بعض الناس عليه وأحدثوا مساكن فى وسطه . وفى سنة ١١١٢ هـ أنشأ الخواجة أحمد بن على بن إبراهيم السكرى الصولى الشهير بأبى غالية مسجدا فى الحوش البحرى للبيمارستان المذكور .

ولما رأت إدارة حفظ الآثار ما وقع لهـذا البيمارستان من الخراب ، فى حين أنه من المبانى الأثرية الجميلة التى يجب المحافظة على بنائها القديم برسمه الأصلى البديع ، قامت الإدارة المذكورة بإزالة كل ما استجد من المبانى الحديثة داخل البيمارستان وفى حرمه ، ثم شرعت فى بناء وجهته البحرية فأتمتها على أحسن شكل وأبدع مثال ، ولا زالت العمارة جارية فيه إلى اليوم حتى يعود إلى حالته الأولى .

ولهـذا البناء بابان أحدهما وهو العمومى بالوجهة البحرية التى يتوصل إليها من شارع الكومى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، والثانى يتوصل إليه من درب المارستان المتفرع من سكة المحجر بخط القلعة .

(١) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ ص قسم ثان) : « وخلع على الأمير آقتمر عبد الغنى وآستقر حاجب الحجاب » .

ثم فى العشرين من شهر ربيع الآخر غرِقت الحُسينية[1] خارج القاهرة وخرب فيها أزيدُ من ألف بيت ، وكان سببُ هذا الغرق أن أحمد بن قايماز أستادار محمد ابن آقبُغا آص آستأجر مكانًا خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية وجعله بِركة وفتح له مَجْرى من الخليج فتزايد الماءُ وغَفلوا عنه فطفَح على الحسينية فغرّقها[2] فقبض السلطانُ بعد ذلك بمدّة على محمد بن آقبغا آص وصادره وعزَله عن الأستادارية ؛ هذا والسلطان فى تأهُّب سَفَر الحجاز .

فلما كان يومُ الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان[3] سَفَّر السلطان إخوته وأولاد أعمامه إلى الكرك صُحبةَ الأمير سودون الفخرى الشيخونى ليُقيم عندهم بالكرك مدّة غَيْبة السلطان فى الحجاز ، كلُّ ذلك والسلطان متضعّف وحركة الحجاز عَمّالة وحواشيه وخواصّه ينْهَونه عن السفر فى هذه السنة وهو لا يلتفت إلى كلامهم .

ثم توجه السلطان الى سِرْياقُوس[4] على عادته فى كل سنة وعاد وقد نصل عن ضعفه إلى يوم السبت الثانى عشر من شوّال خرجت أطلاب[5] الأمراء المتوجّهين صحبة السلطان إلى الحجاز .

وفى الأحد ثالث عشر خرجَ السلطان بتجمّل زائد وطُلْب عظيم إلى الغاية جُرّ فيه عشرون قطارا من الهُجُن الخاص بقماش ذهب وخمسة عشر قطارا بقماش حرير وقطار واحد بلبس خليفتىّ وقطار آخر بلبس أبيض برسم الإحرام ومائة فرس مُلبسة

(١) هى إحدى الحارات الكبيرة التى يخترقها اليوم شارع الحسينية بالقاهرة وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٠ بالجزء الثامن وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٢) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٩٣ (أ) قسم ثان) أن السد انقطع أوائل شهر ربيع الأوّل وحصل الغرق فى يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الأوّل .
(٣) فى السلوك (ج ٣ و ٤ قسم ثان) : « شعبان » .
(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وكجاوتان[1] بأغشية زركش وتسع محفات، غشاء خمس منهن زركش وستة وأربعون زوجا من المحاير وخزانة عشرون جملا وقطاران من الجمال محملة خضر مزروعة كالبقل والثمار والنعناع والسلق والكسبرة وغير ذلك. وأما أحمال المطاعم والمشارب والمآكل فلا تدخل تحت حصر كثرة: منها ثلاثون ألف علبة حلاوة فى كل علبة خمسة أرطال كلها معمولة من السكر المكرر المصرى وطيبت بمائة مثقال مسك، سوى الصندل والعود، هذا خلاف ما كان للأمراء والخاصكية وإنما كان هذا للسلطان خاصة نفسه وأشياء من هذا النموذج كثيرة ومع هذا كله لم يتغير سعر السكر بمصر.

وسار السلطان بأمرائه فى أبهة عظيمة حتى نزل سرياقوس فأقام بها يوما، وفى هذا اليوم أخلع السلطان على الشيخ ضياء الدين القرمى الحنفى باستقراره شيخ شيوخ المدرسة التى أنشأها بالصوة وقد أشرفت على الفراغ وجاءت من أحسن البناء.

ثم رحل السلطان من سرياقوس حتى نزل بالبركة[2] على عادة الحجاج فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شوال ورحل بعساكره وأمرائه إلى جهة الحجاز وكان الذى صحبه من أمراء الألوف تسعة وهم: الأمير صرغتمش الأشرفى وأرغون شاه الأشرفى ويلبغا الشامى وهؤلاء الثلاثة أشرفية مماليكه والأمير بهادر الجمالى وصراى تمر المحمدى وطشتمر العلائى الدوادار ومبارك الطازى وقطلقتمر العلائى الطويل وبشتك من عبد الكريم الأشرفى أيضا. ومن أمراء الطبلخانات خمسة وعشرون أميرا وهم: بورى الأحمدى وأيدمر الخطائى من صديق وعبد الله بن

(١) الكجاوة: هودج النساء فارسية (عن استنجاس).

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

بكتمر الحاجب وبلوط الصرغتمشى وآروس المحمودى ويلبغا المحمدى ويلبغا الناصرى، على أنه كان أنعم عليه بتقدمة ألف، غير أنه أضيف إلى الطبلخانات كونه كان حاجبا ثانيا وأرغون العزى الأفرم وطغيتمر الأشرفى ويلبغا المنجكى وكزل الأرغونى وقطلوبغا الشعبانى وأمير حاج بن مغلطاى وعلى بن منجك اليوسفى ومحمد ابن تنكزبغا وتمرباى الحسنى الأشرفى وأسندمر العثمانى وقرابغا الأحمدى وإينال اليوسفى وأحمد بن يلبغا العمرى وموسى بن دندار بن قرمان ومغلطاى البدرى وبكتمر العلمى وآخر. ومن العشرات خمسة عشر أميرا وهم: آقبغا بوز الشيخونى وأبو بكر بن سنقر الجمالى وأحمد بن محمد بن بيبرس الأحمدى وأسنبغا التلكى وشيخون ومحمد بن بكتمر الشمسى و [محمد بن][1] قطلوبغا المحمدى وخضر بن عمر ابن أحمد بن بكتمر الساقى وجوبان الطيدمرى وألطنبغا من عبد الملك وقطلوبغا البزلارى وطوغان العمرى الظهيرى وتلكتمر العيسوى ومحمد بن سنقر المحمدى.

وعين الملك الأشرف جماعة من الأمراء ليقيموا بالديار المصرية، عين الأمير: أيدمر الشمسى نائب الغيبة بالقلعة وأميرين أخر تسكن بالقلعة أيضا وعين الأمير آقتمر عبد الغنى نائب الغيبة وأن يسكن بالقاهرة للحكم بين الناس وعين أيضا للاقامة بالديار المصرية من الأكابر: الأمير طشتمر اللفاف وقرطاى الطازى وأسندمر الصرغتمشى وأينبك البدرى.

وسافر السلطان وهو متوعك فى بدنه، بعد أن أشار عليه جماعة من الصلحاء والأعيان بتأخير الحج فى هذه السنة فأبى إلا السفر لأمر يريده الله تعالى، وأمر[2] السلطان لنائب الغيبة وغيره أن يطلعوا القلعة فى كل يوم موكب ويدخلوا إلى باب

(١) التكملة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٦٠٩ (أ) قسم ثان).

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

ثم فى يوم الاثنين تاسـع عشر ذى القعدة خُلِـع على الأمير آقتمر[(١)] الصاحبىّ وآستقرّ على نيابة السلطنة بالدّيار المصرية، كما كان فى أيام الملك الأشرف شعبان، وفُوِّض إليه أن يُخْرِج الإقطاعات للأمراء والأجناد والنوّاب وألّا يكون لأحد معه تحكُّم وذلك بعد أن رَضِيَت الأمراء والخاصّكية والبرّانيُّون بذلك .

ثم أخلع على الأمير أَرْغُون الإسْعِردىّ بنيابة طرابُلُس عوضا عن الأمير مَنْكَلى[(٢)] بغـا الأحمدىّ البلدىّ . ثم أُخْلع على القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السِّر باستمراره على وظيفته .

ثم أخلع على الصاحب تاج الدين المكّىّ بإعادته إلى الوزارة ثانية وهى وزارته الرابعة وأُخْلِـع على القاضى كريم الدين بن الرُّوَيْهِب باستقراره ناظر الدولة وآستقرّ القاضى تقىّ الدين عبـد الرحمن آبن القاضى محب الدين محمـد فى نظر الجيوش المنصورة عوضا عن والده محبّ الدين المذكور بحكم وفاته .

ثم شَرَع الأمراء فى النفقة على المماليك السلطانية فأعطُوا كلّ نَفَر عشرةَ آلاف درهم. وفى ثانى عشر شهر ذى الحجة قُرِئ تقليدُ السلطان الملك المنصور على بالإيوان من قلعة الجبل وعَلَّم عليه الخليفة المُتوكّل على الله وشَهِدت عليـه القضاة بتفويض السلطنة للملك المنصور وخُلـع على الخليفة وأُنعِم عليه بألف دينار وهى رَسْمُ المبايعة .

ثم بعـد أيام دَخَل أَسَنْدَمر الصرغتمشىّ ودِمرْداش اليُوسفىّ إلى الدُّور السلطانيّة وفرّقوا جَوارِىَ الملك الأشرف شعبان على الأمراء .

ثم آستقرّ فى خامس المحرّم من سـنة تسع وسبعين وسـبعمائة الأمير قَرطَاى الطازِىّ أَتابكًا بعـد موت طَشْتَمُر[(٣)] اللَّفَّاف وأُخلع عليه بعـد أيام بنظر البيمارستان

(١) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٣٨ ب) وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٩ ﻫ .
(٢) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٦٧ أ) وسيذكر المؤلف وفاته سـنة ٧٨٢ ﻫ .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

المنصورىّ وأخلع على الأمير مُبارك الطازىّ وآستقرّ رأس نَوْبة كبيرا عوضا عن قَرطَاى المذكور . ثم بعد ذلك بمدّة يسيرة آستقرّ الأمير أَيْنَبَك البدرِىّ الأمير آخور الكبير فى نظر البيمارستان ، عوضا عن قَرطَاى برغبة قرطاى عنـه وآستقرّ سُودُون جَرْكس أُستادارا .

ثم فى العشرين من المحرّم خُلع على الأمير سودون الفخرىّ الشّيخونىّ وبَلُّوط الصرغتمشىّ وآستقرّا حاجبَيْن بالديار المصريّة .

ثم فى صـفر حضر الأمير يلبغا الناصرىّ إلى القاهرة وكان قد نفى إلى بلاد الشام ، بعد قتـل السلطان الأشرف فأُنْعِم عليه بإمرة طبلخاناه وكانوا أيضا قبـل تاريخه قـد عَزَلُوا الأمير مَنْكَلِى بغا الأحمدىّ عن نيـابة طَرابُلُس وتَمُرباى نائب صَفَد عن نيابة صفد فجاء الخبر بأنّ مَنْكَلِى بغا حَلّ سيفَه وأطاع وأنّ تَمُرباى عَصَى وآمتنع بصَـفَد فخلع على الأمير أرغون الإسعردىّ ثانيـا بنيابة طرابلس عوضا عن منكلِى بغا المذكور وتولى نيابة حماة تمراز الطازىّ .

ثم فى هذه الأيام بدت الوحشة بين قَرطاى الطازىّ الأتابك وبين صهره أَيْنَبَك البَدرِىّ الأمير آخور الكبير فى الباطن ، كلُّ ذلك فى هـذه المدّة اليسيرة وصار كلّ واحد يُدبِّر على الآخر مع أصحابه وحواشيه ، فلمّا كان يوم الأحد العشرون من صفر عَمِل الأمير الأتابك قَرطَاى وليمةً فأهدَى له أَيْنَبَك مشروبا يقال له الشُّشْش[(١)] وعَمِل فيه بَنْجًا ، فلمّا شَرِبه قرطاى تبَنَّج ، وكان لأينبك عند قرطاى عُيونٌ فأخبروه أنّه تبنّج فركب أينبك من وقته بالسلاح ومعه جماعة كبيرةٌ ملبسين وأنزل السلطان الملك المنصور عليًا إلى الإسطبل السلطانىّ ودُقّت الكوسات فجاءت الأمراء إلى السلطان وأقامَ أَيْنبك راكبا من عصر يوم الأحد إلى صبيحة يوم الآثنين ، وسـببه أنه كان

(١) الشُّشْش : ضرب من المسكر مثـل البشنكى والتمربغاوى وانظر ص ٧٩٨ ، ٧٩٩ من الجزء السادس من هذا الكتاب طبعة كاليفورنيا .

وفى ثامن[1] عشرينه وصل سُودون الشيخونى النائب من سجن الإسكندريّة فأمره منطاش بلزوم بيته .

ثم أنفق منطاش على مَن قاتل معه من الأمراء والمماليك بالتدريج ، فأعطى لمائة واحد منهم لكل واحد ألف دينار ، وأعطى لجماعة أُخر لكلّ واحد عشرة آلاف درهم ، ودُونهم لكل واحد خمسة آلاف درهم ، ودُونهم لكل واحد ألف درهم ، ودُونهم لكلّ واحد خمسمائة درهم . وظهر على منطاش الملل من المماليك الظاهرية والتخوّف منهم ، فإنه كان قد وعدهم بأنه يُخرج أستاذَهم الملك الظاهر برقوق من سجن الكَرَك إذا انتصر على الناصرى ، فلم يفعل ذلك ، ولا أنعم على واحد منهم بإمرة ولا إقطاع ، وإنما أخذ يُقرّب خُشداشيته ومماليكه وأولاد الناس ، فعَزّ عليهم ذلك فى الباطن ، وفَطِن منطاش بذلك ، فعاجلهم بأن عمل عليهم مكيدةً ، وهى :

أنه لمّا كان يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المذكورة طلب سائرَ المماليك الظاهريّة على أنه ينظر فى أمرهم ويُنفق عليهم ويترضّاهم ، فلمّا طلعوا إلى القلعة أَمَر منطاش فأُغلق عليهم بابَ القلعة ، وقُبِض على نحو المائتين منهم .

حدّثنى السَّيفى إينال المحمودى الظاهرى قال : كنت من جُملتهم ، فلمّا وقفنا بين يَدَى منطاش ونحن فى طَمْعة النَّفقة والإقطاعات ، ظهر لى من وجه منطاش الغَدْر ، فتأخّرتُ خلفَ خشداشيتى ، فلمّا وقع القبضُ عليهم رميتُ بنفسى إلى الميدان ، ثم منه إلى جهة باب القرافة ، واختفيتُ بالقاهرة . انتهى .

(١) فى (ف) : «ثانى» والسياق يقتضى ما أثبتناه كما فى (م) .

ثم بعث منطاش بالأمير جُلْبان الحاجب ، وبَلاط الحاجب ، فقبَض على كثير من المماليك الظاهريّة ، وسُجنوا بالأبراج من قلعة الجبل .

قلت : لا جرم ، فإنه مَنْ أعان ظالمًا سُلّط عليه ، وفى الجملة أن الناصرى كان لحواشى برقوق خيرًا من منطاش ، غير أنّه لكل شىء سبب . وكانت حركةُ منطاش سببًا لخلاص الملك الظاهر برقوق ، وعَوْده إلى مُلكه على ما سيأتى ذكرُه ، ثم أمر منطاش فنُودى بالقاهرة أن مَنْ أحضر مملوكا من مماليك برقوق فله كذا وكذا ، وهدّد مَن أخْفى واحدًا منهم .

قلت : وما فعله منطاش هو الحزم ، فإنّه أزال من يخشاه ، وقرّب مماليكه وأصحابه ، وكاد أمره أن يتمّ بذلك لو ساعدته المقاديرُ ، وكيف تساعده المقاديرُ وقد قُدّر بعَود برقوق إلى ملكه بحركة منطاش وبركوبه على الناصرى .

ثم فى ثالث شهر رمضان قبَض منطاش على سُودون النائب وألزمه بمال يحْمله إلى خزانته . وفيه شدّد الطلب على المماليك الظاهريّة . وألزمَ سودون النائب المتقدّم ذكره بحمل ستمائة ألف درهم كان أنعم عليه بها الملك الظاهر برقوق فى أيام سلطنته .

ثم خَلَع على حسين ابن الكورانى بعوده إلى ولاية القاهرة ، وحرّضه منطاش على المماليك الظاهريّة .

ثم قدمت الأمراء المطلوبون من البلاد الشاميّة ، وخلع منطاش عليهم ، وأنعم على كلّ منهم بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية دَفعة ، ولم يَسْبِق لهم قبل ذلك أخذُ إمرة عشرة بديار [مصر][1] .

(١) زيادة عن : «ف» يقتضيها السياق .

وعندما انحنى وثب عليه فداويان ، ضربه أحدهما بخنجر فى عنقه وهما يقولان : غريم السلطان فخر ميتا وتم نهاره ملقى حتى حمله أهله وواروه وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا آخر يظنونه كبيشا وأقام أمير الحاج لابس السلاح سبعة أيام خوفا من الفتنة، فلم يتحرك أحد، ثم خلع أمير الحاج على الشريف عنان باستقراره أمير مكة عوضا عن محمد المذكور وتسلمها .

ثم فى تاسع عشرين ذى الحجة قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطى واسمه داود بن سيف أرعد ومعهم هدية على [أحد و] عشرين جملا[1] ، فيها من طرائف بلادهم ، من جملتها قدور قد ملئت حمصا صنع من ذهب إذا رآه الشخص يظنه حمصا وغير ذلك .

ثم فى يوم السبت سابع عشر صفر من سنة تسع وثمانين وسبعمائة قدم الأمير أطنبغا الجوبانى نائب الكرك باستدعاء ، فأخلع عليه السلطان باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن إشقتمر المارديني وعزل إشقتمر ولم تكمل ولايته على دمشق عشرة أشهر وأقام ألطنبغا الجوبانى بالقاهرة ثلاثة أيام وسافر فى يوم تاسع عشره بعدما أنعم عليه الملك الظاهر بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم فضة وفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش وأرسل إليه الأمير أيتمش بمائة ألف درهم وعدة بقج ثياب واستقر مسفره الأمير قرقماس الظاهرى وخرج الجوبانى من مصر بتجمل عظيم .

ثم رسم باستقرار الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك المهمندار فى نيابة حماة عوضا عن الأمير سودون العثمانى ، واستقر سودون العثمانى على إقطاع محمد بن المهمندار المذكور بحلب .

(١) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٧١) .

وفى آخر جمادى الآخرة من السنة وهى سنة تسع وثمانين ورد الخبر على السلطان بأن تيمورلنك صاحب بلاد العجم كبس الأمير قرا محمد صاحب مدينة تبريز[1] وكسره ففر منه قرا محمد فى نحو مائتى فارس وتوجه بهم إلى جهة ملطية[2] ونزل هناك ونزل تيمورلنك على آمد[3] فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء وتحدث معهم فى أخذ الأوقاف من البلاد بسبب ضعف عسكر مصر فكثر الكلام فى ذلك وصمم الملك الظاهر على إخراج الجميع للجند، ثم رجع عن ذلك ورسم بتجهيز أربعة أمراء من أمراء الألوف بالديار المصرية وهم : الأمير ألطنبغا المعلم أمير سلاح والأمير قردم الحسنى رأس نوبة النوب والأمير يونس النوروزى الدوادار الكبير والأمير سودون باق وسبعة أمراء أخر من أمراء الطبلخانات وعين معهم من أجناد الحلقة ثلاثمائة فارس فتجهز الجميع وخرجوا من القاهرة فى أول شهر رجب وساروا إلى حلب ونائبها يوم ذاك سودون المظفرى وقد وصل إليه الخبر بأن قرا محمدا واقع ابن تيمورلنك وكسره ورجع إلى بلاده .

وبعد خروج العسكر استدعى السلطان فى سادس عشرين[4] شعبان من سنة تسع وثمانين المذكورة الشيخ ناصر الدين ابن بنت الميلق[5] وولاه قضاء الشافعية بالديار المصرية بعد عزل القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء عنها بعدما تمنع

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء الثانى من هذه الطبعة .
(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٧٨) : « يوم الاثنين رابع شعبان » .
(٥) هو قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الدائم بن محمد المعروف بابن بنت ميلق الشاذلى الصوفى قاضى قضاة الديار المصرية، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٧ هـ، وراجع ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ١٧٢ ب) .

الخليلى الأمير آخور الكبير والأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا أمير مجلس والأمير يونس النوروزى الدوادار الكبير والأمير أيدكار[1] حاجب الحجاب وعين من أمراء الطبلخاناه سبعة وهم: فارس الصرغتمشى وبكلمش العلائى رأس نوبة وجاركس المحمدى وشاهين الصرغتمشى وآقبغا الصغير السلطانى وإينال الجاركسى أمير آخور وقديد القلمطاوى من أمراء العشرات جماعة كبيرة .

ثم أرسل السلطان للأمير أيتمش برسم النفقة مائتى ألف درهم فضة وعشرة آلاف دينار ذهبا مصريا . ثم أرسل إلى كل من أمراء الألوف ممن عين للسفر مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار ماخلا أيدكار حاجب الحجاب فإنه حمل إليه مبلغ ستين ألف درهم وألفا وأربعمائة دينار .

ثم فى سادس عشرين صفر المذكور قدم الخبر من الشام بأن مماليك الأمير سودون العثمانى نائب حماة اتفقوا على قتله ، ففر منهم إلى دمشق وأن الأمير بيرم العزى حاجب حجاب حماة سلم حماة إلى الأمير يلبغا الناصرى ودخل تحت طاعته ، فعظم هذا الخبر أيضا على السلطان حتى كاد يهلك وعرض المماليك ثانيا وعين منهم أربعة وسبعين نفرا لتتمة خمسمائة مملوك .

قلت : ولهذا تعرف هذه الواقعة بوقعة الخمسمائة وبوقعة شقحب[2] وبوقعة الناصرى ومنطاش . انتهى .

وفى يوم الجمعة سابع عشرين صفر رسم السلطان للأمير بجاس[3] نائب قلعة الجبل أن يتوجه إلى الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بالقلعة وينقله من داره إلى

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٢) : « بدكار » .
(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .
(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٣) : « والى باب القلعة » .

البرج من القلعة ويضيق عليه ويمنع الناس من الدخول إليه ، ففعل بجاس ذلك ، فبات الخليفة ليلته بالبرج ثم أعيد من الغد إلى مكانه بالقلعة ، بعد أن كلم السلطان الأمراء فى ذلك .

ثم رسم السلطان للطواشى زين الدين مقبل الزمام بالتضييق على الأسياد أولاد[1] السلاطين بالحوش السلطانى من القلعة ومنع من يتردد إليهم من الناس والفحص عن أحوالهم ، ففعل مقبل ذلك .

ثم فى يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الأول خرج البريد من مصر بتقليد الأمير طغاى تمر القبلائى أحد أمراء دمشق بنيابة طرابلس .

ثم فرق السلطان فى المماليك نفقة ثانية ، فكانت الأولى لكل واحد : خمسة آلاف درهم فضة والثانية ألف درهم ، سوى الخيل والجمال والسلاح ، فإنه فرق فى أرباب الجوامك لكل واحد جملين ولكل اثنين من أرباب الأخباز ثلاثة جمال ورتب لهم [اللحم][2] والجرايات والعليق ، فرتب لكل من رءوس النوب [فى اليوم][3] ستة عشرة عليقة ولكل من أكابر المماليك عشر علائق ولكل من أرباب الجوامك خمس علائق . ورسم أيضا لكل مملوك من المماليك السلطانية بخمسمائة درهم بدمشق .

ثم فى رابع عشر شهر ربيع الأول المذكور جلس السلطان بمسجد الردينى[4] داخل القلعة بالحريم السلطانى واستدعى الخليفة المتوكل على الله من مكانه بالقلعة ، فلما

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٣) : أولاد الملوك الناصرية .
(٢) التكملة عن السلوك المصدر المتقدم . (٣) التكملة عن السلوك المصدر المتقدم .
(٤) هذا المسجد لايزال قائما إلى اليوم داخل قلعة الجبل فى الجهة الشمالية الشرقية منها ويعرف بجامع سيدى سارية بالقرب من قصر الحرم الذى جدده محمد على باشا الكبير فى سنة ١٢٤٣ هـ = ١٨٢٧ م .
وقد دلنى البحث على أن الذى أنشأ هذا المسجد هو أبو المنصور قسطة الأرمنى الذى كان واليا على الإسكندرية وذلك فى سنة ٥٣٥ هـ يؤيد ذلك ما هو منقوش بالحفر على لوح من الرخام ، كان مثبتا على =

وفى ليلة وصول الخبر فرّ من أمراء مصر جماعة كبيرة إلى الناصرىّ وهى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جُمادى الأولى المذكورة وهم : الأمير طُغَيْتَمُر الجركتمرى وأرسلان اللفّاف وأَرْنُبُغا العثمانىّ فى عدّة كبيرة من المماليك ولحقوا بالناصرىّ ودخلوا تحت طاعته، بعدما صرفوا فى طريقهم الأمير عز الدين [أيدمر][1] أبا دَرَقة كاشف الوجه البحرى وقد سار من عند الملك الظاهر لكشف الأخبار، فضربوه وأخذوا جميع ما كان معه وساقوه معهم إلى الناصرىّ، فلما وصلوا إلى الناصرى حرّضوه على سرعة الحركة وعرّفوه ما الظاهر فيه من الخوف والجبن عن ملاقاته، فقوِىَ بذلك قلب الناصرى وهو إلى الآن يأخذ فى أمر الملك الظاهر ويُعطى .

ثم جلس الملك الظاهر صبيحة هرب الأمراء بالإيوان من قلعة الجبل وهو يوم الثلاثاء ثامن عشرينه وأنفق على المماليك جميعها، لكل مملوك من مماليك السلطان ومماليك الأمراء، لكل واحد خمسمائة درهم فضة واستدعاهم طائفة بعد طائفة وأعطى كل واحد بيده وصار يحرّضهم على القتال معه وبكى بكاء شديدا فى الملا .

ثمّ فرّق جميع الخيول حتى خيل الخاصّ فى الأمراء والأجناد وأعطى الأمير أقبغا الماردينى حاجب الحجّاب جملة كبيرة من المال ليفرّقه على الزُّعْر وعظّم أمر الزعر وبطل الحكم من القاهرة وصار الأمر فيها لمن غلب وتعطّلت الأسواق وأكثر الناس من شراء البُقسماط والدقيق والدهن ونحو ذلك .

ثم وصل الخبر على السلطان بنزول الناصرىّ على الصالحية[2] بمن معه وقد وقف لهم عدّة خيول فى الرمل وأنّه لما وجد الصالحية خالية من العسكر سجد لله تعالى

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٥) .

(٢) الصالحية إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية بمصر . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

شكرا، فإنه كان يخاف أن يتلقّاه عسكر السلطان بها ولو تلقّاه عسكر السلطان لما وجد لعسكره منعة للقتال، لضعف خيولهم وشدّة تعبهم، فلهذا كان حمده لله تعالى .

وأخبر السلطان أيضا أنّ الناصرىّ لما نزل إلى الصالحيّة تلقّاه عربُ العائذ مع كبيرهم الأمير شمس الدين محمد بن عيسى وخدموه بالإقامات والشعير وغيرها فرقّ بذلك رمقُهم .

فلمّا سمع السلطان ذلك رسم للأتابك الأمير قرادمرداش الأحمدىّ أن يتوجّه لكشف الأخبار[1] من جهة بركة الحبش مخافة أن يأتِىَ أحد من قِبَل إطفيح[2]، فسار لذلك . ثم رتّب السلطان العسكر نوبتين : نوبة لحفظ النهار ونوبة لحفظ الليل وسيّر[3] ابن عمه الأمير جَمّاس فى عدّة أمراء إلى المرج[4] والزيات[5] طليعة للكشف .

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٧) : « الأجناد » .

(٢) من البلاد المصرية القديمة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك المصدر المتقدم : « وسير عدة من الأمراء إلى جهة مرج الزيات طليعة بكشف الخبر » .

(٤) المرج من القرى القديمة وهى اليوم من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر فى حدود ضواحى القاهرة كانت تسمى قديما مخلف مرج كما ورد فى قوانين الدواوين لابن مماتى قال : وهى من كفور عين شمس من أعمال الشرقية ووردت فى دليل أسماء البلاد المصرية المحرر فى سنة ١٢٢٤ هـ المرج وتعرف قديما بمرج التركمان من أعمال ضواحى مصر .

وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أرضها ١٤٠٠ فدان وسكانها حوالى ٦٠٠٠ نفس .

(٥) دلنى البحث على أن الزيات هى القرية التى تسمى اليوم القلج إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر وفى تربيع [قائمة مساحة] سنة ٩٣٣ هـ قيد زمامها فى دفتر المكلفات باسم القلج نسبة إلى الشيخ قلج الرومى الأدهمى شيخ زاوية السلطان قايتباى بالمرج والزيات المتوفى سنة ٨٩١ هـ كما ورد فى تاريخ مصر لابن إياس (ص ٢٣٩ ج ٢) وللاحتفاظ بالاسم القديم لهذه القرية وهى الزيات لسهولة الاسترشاد الى زمامها القديم ضم اسمها فى تاريع سنة ١٢٢٨ هـ إلى اسم القرج وصارت القرية تعرف باسم القرج والزيات . وفى مساحة ١٢٧٥ هـ قيد زمامها باسم القرج وهو اسمها الحالى وحذف الاسم القديم . وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أرضها ٤٠٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٨٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

الذين توجّهوا للناصرى لكلّ أمير من أمراء الألوف عشرة آلاف دينار ولكل أمير طبلخاناه خمسة آلاف دينار وحلّفهم على طاعته ونصرته وأعطى فى ليلة واحدة للأمير الكبير قرادمرداش الأحمدى" ثلاثين ألف دينار دُفعة واحدة وخاتما مُثمّنا، قيمته آلاف عديدة، حتى قال له : قرادمرداش المذكور : يا مولانا السلطان روحى فداؤك لاتخف مادمتُ أنا واقف فى خدمتك أنت آمن، فشكره السلطان، فنزل من عنده فى الحال ركب وخرج من باب القرافة وقطع الماء الذى يجرى إلى القلعة وتوجّه مع مَنْ ذكرنا من الأمراء إلى الناصرى"، فلم يلتفت الناصرى" لهم ذاك الألتفات الكلّى"، بل فعل معهم كما فعل مع غيرهم ممّن توجّه إليه من أمراء مصر . إنتهى .

ولما بلغ السلطان نِفَاقُ هؤلاء الأمراء عليه بعد أن أنعم عليهم بهذه الأشياء، علم أنّ دولته قد زالت، فأغلق فى الحال باب زَوِيلة وجميع الدروب وتعطّلت الأسواق وأمتلأت القاهرة بالزُّعر واشتدّ فسادُهم وتلاشت الدولة الظاهريّة وأنحلّ أمرُها وخاف والى القاهرة حسام الدين بن الكورانى" على نفسه، فقام من خلف باب زويلة وتوجّه إلى بيته وأختفى وبقىَ الناس غوغاء وقطع المسجونون قيودهم بخزانة شمائل[(١)] وكسروا باب الحبس وخرجوا على حمية جملة واحدة، فلم يردّهم أحدٌ بشغل كلّ واحد بنفسه وكذلك فعل أهل حبس الديْلَم[(٢)] وأهل سجن

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) لما تكلم المقريزى فى خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر من بينها سجنا بآسم حبس الديلم ولكنه لم يفرده بذكر، كما كتب عن السجون الأخرى وإنما أشار إليه عند الكلام على خوخة الصالحية (ص ٥٤ ج ٢) وعلى دار الصالح طلائع بن رزيك (ص ٦٧ ج ٢) وهذا الحبس ينسب إلى حارة الديلم التى تكلم عليها المقريزى فى خططه (ص ٨ ج ٢) وعلقنا عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . =

الرّحبة[(١)]، هذا والسلطان إلى الآن بقلعة الجبل والنُّفوط عمّالة والكوسات تدق حربيا، ثم أمر السلطان مماليكه فنزلوا ومنعوا العامة من التوجّه إلى يَلْبُغا الناصرى"،

= ويستفاد مما ورد فى الخطط التوفيقية عند الكلام على شارع الكعكيين (ص ٥٩ ج ٢) أن هذا الحبس كان مستعملا إلى القرن الثانى عشر الهجرى بدليل ما ورد فى كتاب وقف إبراهيم أغا آغاه طائفة ملوك عزبان المحرر فى سنة ١١٠١ هـ واشترط فيه أن يصرف مايزيد عن لوازم الوقف لمسجونين بحبس الديلم وحبس الرحبة .

وبالبحث عن مكان هذا السجن تبين لى أنه كان موجودا إلى أول حكم محمد على باشا الكبير وقد هدمته الحكومة وباعت أرضه فى ذلك الوقت . ومكانه اليوم زقاق السباعى وما على جانبيه من المبانى وكان باب السجن داخل عطفة التوى عند تلاقيها بزقاق السباعى، حيث كان الباب فى أول الزقاق الذى اتصل بعطفة التومى وصار طريقا واحدة توصل الآن بين حارة خوشقدم وبين شارع الدرديرى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

(١) لما تكلم المقريزى فى خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر بينها سجنا باسم حبس الرحبة ولكنه لم يفرده بذكر كما كتب عن السجون الأخرى . وهذا الحبس ينسب إلى رحبة باب العيد لأنه كان قائما فى خط تلك الرحبة .

ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه على قصر الحجازية (٧١ ج ٢) أن هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية أنشأته خوند تتر الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الأمير ملكتمر الحجازى وبعد وفاتها سكنه الأمراء إلى أن وضع الأمير جمال الدين يوسف الأستادار يده عليه أثناء توليه أستادارية الملك الناصر فرج برقوق فعمل هذا القصر سجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والأعيان فصار موحشا يروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة وفى سنة ٨٢٠ هـ فكرت حكومة ذلك الوقت فى جعله سجنا عاما لأرباب الجرائم، على أن ينقل إليه بعض المسجونين من سجن باب الفتوح الذى ضاق بمن فيه بسبب هدم سجن خزانة شمائل التى هدمها الملك المؤيد شيخ وأدخلها فى جامعه عند باب زويلة وشرعت الحكومة فعلا فى عمله سجنا وأزالت كثيرا من معالم ذلك القصر إلا أنه ترك ولم يتخذ سجنا بعد ذلك .

وبالبحث عن مكان سجن الرحبة تبين لى أن مكانه اليوم مبنى مركز بوليس قسم الجمالية أحد أقسام مدينة القاهرة وإدارة دمغ المصوغات وبيت المال فيما بين ميدان بيت القاضى وشارع بيت المال وشارع خان جعفر بقسم الجمالية بالقاهرة .

الذين توجّهوا للناصرى لكلّ أمير من أمراء الألوف عشرة آلاف دينار ولكل أمير طبلخاناه خمسة آلاف دينار وحلّفهم على طاعته ونصرته وأعطى فى ليلة واحدة للأمير الكبير قرادمرداش الأحمدى ثلاثين ألف دينار دُفعة واحدة وخاتما مُثَمّنا، قيمته آلاف عديدة، حتى قال له : قرادمرداش المذكور : يا مولانا السلطان روحى فِداؤك لا تخف مادمتُ أنا واقف فى خدمتك أنت آمن، فشكره السلطان، فنزل من عنده فى الحال رَكِب وخرج من باب القرافة وقطع الماء الذى يجرى إلى القلعة وتوجّه مع مَنْ ذكرنا من الأمراء إلى الناصرى، فلم يلتفت الناصرى لهم ذلك الالتفات الكلّى، بل فعل معهم كما فعل مع غيرهم ممّن توجه إليه من أمراء مصر. انتهى.

ولمّا بلغ السلطان نِفَاقُ هؤلاء الأمراء عليه بعد أن أنعم عليهم بهذه الأشياء، علم أنّ دولته قد زالت، فأغلق فى الحال باب زَويلةَ وجميع الدروب وتعطّلت الأسواق وآمتلأت القاهرة بالزُّعر واشتدّ فسادُهم وتلاشتِ الدولة الظاهريّة وآنحلّ أمرُها وخاف والى القاهرة حسام الدين بن الكورانى على نفسه، فقام من خلف باب زويلة وتوجّه إلى بيته وآختفى وبَقِىَ الناس غوغاء وقطع المسجونون قُيودهم بخزانة شمائل [1] وكسروا باب الحبس وخرجوا على حميّة جملة واحدة، فلم يردّهم أحدٌ بشغل كلّ واحد بنفسه وكذلك فعل أهل حبس الدَّيْلَم [2] وأهل سجن

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

(٢) لما تكلم المقريزى فى خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر من بينها سجنا بآسم حبس الديلم ولكنه لم يفرده بذكر، كما كتب عن السجون الأخرى وإنما أشار إليه عند الكلام على خوخة الصالحية (ص ٥٤ ج ٢) وعلى دار الصاحب طلائع بن رزيك (ص ٦٧ ج ٢) وهذا الحبس ينسب إلى حارة الديلم التى تكلم عليها المقريزى فى خططه (ص ٨ ج ٢) وعلقنا عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

الرَّحبة [1]، هذا والسلطان إلى الآن بقلعة الجبل والنُّفوط عمّالة والكوسات تدقّ حربيا، ثم أمر السلطان مماليكه فنزلوا ومنعوا العامة من التوجّه إلى يَلْبُغا الناصرى،

= ويستفاد مما ورد فى الخطط التوفيقية عند الكلام على شارع الكعكيين (ص ٩٥ ج ٢) أن هذا الحبس كان مستعملا إلى القرن الثانى عشر الهجرى بدليل ما ورد فى كتاب وقف إبراهيم أغا أغاه طائفة ملوك عزبان الحرر فى سنة ١١٠١ هـ واشترط فيه أن يصرف ما يزيد عن لوازم الوقف للمسجونين بحبس الديلم وبحبس الرحبة.

وبالبحث عن مكان هذا السجن تبين لى أنه كان موجودا إلى أول حكم محمد على باشا الكبير وقد هدمته الحكومة وباعت أرضه فى ذلك الوقت. ومكانه اليوم زقاق السباعى وما على جانبيه من المبانى وكان باب السجن داخل عطفة التومى عند تلاقيها بزقاق السباعى، حيث كان الباب فى أول الزقاق الذى اتصل بعطفة التومى وصار طريقا واحدة توصل الآن بين حارة خوشقدم وبين شارع الدرديرى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة.

(١) لما تكلم المقريزى فى خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر بينها سجنا باسم حبس الرحبة ولكنه لم يفرده بذكر كما كتب عن السجون الأخرى. وهذا الحبس ينسب إلى رحبة باب العيد لأنه كان قائما فى خط تلك الرحبة.

ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه على قصر الحجازية (٧١ ج ٢) أن هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية أنشأته خوند تتر الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الأمير ملكتمر الحجازى وبعد وفاتها سكنه الأمراء إلى أن وضع الأمير جمال الدين يوسف الأستادار يده عليه أثناء توليه أستادارية الملك الناصر فرج برقوق فعمل هذا القصر سجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والأعيان فصار موحشا يروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة وفى سنة ٨٢٠ هـ فكرت حكومة ذلك الوقت فى جعله سجنا عاما لأرباب الجرائم، على أن ينقل إليه بعض المسجونين من سجن باب الفتوح الذى ضاق بمن فيه بسبب هدم سجن خزانة شمائل التى هدمها الملك المؤيد شيخ وأدخلها فى جامعه عند باب زويلة وشرعت الحكومة فعلا فى عمله سجنا وأزالت كثيرا من معالم ذلك القصر إلا أنه ترك ولم يتخذ سجنا بعد ذلك.

وبالبحث عن مكان سجن الرحبة تبين لى أن مكانه اليوم مبنى مركز بوليس قسم الجمالية أحد أقسام مدينة القاهرة وإدارة دمغ المصوغات وبيت المال فيما بين ميدان بيت القاضى وشارع بيت المال وشارع خان جعفر بقسم الجمالية بالقاهرة.

وفيه ظَفِر منطاش بذخيرة كانت للملك الظاهر برقوق بجوار جامع الأزهر .

وفيه أفرج منطاش عن الأمير محمود بنِ على الأستادار بعـد ما أخذ منه جملةً كبيرة من المـال، ثم أمسك منطاش جماعةً من أعيان المماليك الظاهرية ممّن كانوا ركبوا معه فى أوائل أَمْره، وبهم كان آستنحلّ أمره، وأضافهم إلى مَنْ تقدّم من خشداشيّتهم، وحبس الجميعَ بأبراج قلعة الجبل، ولم يَرِقَّ لأحد منهم .

قلت : لعله تَمثَّل بأبيات المتنبي : (الكامل)

لا يخدَعَنْك من عدوّك دمعُه * وآرحَمْ شبابك من عدو ترْحمُ
لا يَسلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى * حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

وبينا منطاش فى ذلك ورد عليه البريد بخروج الأمير نُعَيْر عن الطاعة غضبا للناصرى، وأنه آتفق هو وسولى بن دُلْغادر ونهبا بلادًا كثيرة من الأعمال الحلبيّة، فلم يَلْتَفت منطاش إلى ذلك وكَتَب لهما يستعطفهما على دخولهما تحت الطاعة .

ثم بعد أيام ورد البريدُ أيضا بخروج الأمير بُزْلار العُمَرى الناصرى حسن نائب الشام عن طاعة منطاش غَضَبًا للأمير يلبغا الناصرى ، فكَتَبَ إليه أيضا مكاتبة خَشَّنَ له فيها .

ثم أخذ منطاش فيما يفعله فى أمر دِمَشق وغيرها — على ما سيأتى ذكره — بعد أن يُقَعِّدَ له قواعدَ بمصر، فبدأ منطاش فى اليوم المذكور بالقبض على الطواشى صواب السَّعدى المعروف بشَنْكَل مقدّم المماليك السلطانية .

وخلَعَ على الطواشى جَوْهر وأعاده لتقدمة المماليك، ثم أنعم على جماعة من حواشيه ومماليكه بإقطاعات كثيرة، وأنعم على جماعة منهم بتقدمة ألف، وهم : ولده الأمير ناصر الدين محمد بن منطاش، وهى أحسن التقادم ، والأمير قطلوبُغا الصَّفَوى ،

وأسندمر بن يعقوب شاه وتمان تمر الأشرفى وأيدكار العمرى وأسندمر الشرفى رأس نوبة منطاش وجنتمر الأشرفى ، ومَنْكَلى باى الأشرفى ، وتُكا الأشرفى ، ومنكلى بغا خازندار منطاش وصَراى تمر دوادار منطاش وتَمربغا الكَرِيى ، وألطُنْبُغا الحلبى ومبارك شاه .

ثم أنعم على جماعة كبيرة بإمرة طبلخاناه ، وعشرينات وعشرات ، فممن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه : الشريف بَكْتمر الحسنى ، وأبو بكر بن سُنْقُر الجمالى، ودِمرْداش القَشْتَمرى وعبد الرحمن بن منكلى بُغا الشمسى على عادته أوّلا ، وجُلْبان السعدى ، وآروس بغا صنغيه وإبراهيم بن طشتمر الدوادار وسربُغَا الناصرى ، وتنكز[(1)] الأعور الأشرفى ، وصراى تمر الأشرفى ، وآقبغا المنجكى ، ومَلِكتمر المحمدى ، وقرابغا السيفى ، وقطلوبغا الزينى ، وتمربغا المنجكى وأرغون شاه السيفى ومقبل السيفى منطاش أمير سلاح وطيبرس السيفى رأس نوبة ، وبِيرَم خجا الأشرفى ، وألطنبغا الجربُغاوى ، ومنجك الزينى ، وبُزْلار الخليلى ، ومحمد بن أَسَنْدَمر العلائى ، وطَشْبغا السيفى منطاش ، وإلياس الأشرفى ، وقطلوبغا السيفى ، وشيخون الصرغتمشى ، وجُلبان السيفى ، وألطُنْبُغا الطازى ، وإسماعيل السيفى ، وحسين بن الكورانى .

وأنعم على كل ممّن يُذْكر بإمرة عشرين[(2)] ، وهم : غريب الخطائى وإيجى الأشرفى ، ومنكلى بغا الجُوبانى ، وقرابغا الأحمدى ، وآق كبك[(3)] السيفى ، وفرج شادّ الدواوين ، ورمضان السيفى ، ومحمد بن مغلطاى المسعودى والى مصر .

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة[(4)] : صلاح الدين محمد بن تنكز ، زيادة على ما بيده ، وخضر بن عمر بن بكتمر الساقى ، ومحمد بن يونس الدوادار ، وعلى

(١) رواية «ف» : «تلكتمر» . (٢) فى «ف» بإمرة عشرة . وما أثبتناه عن «م» .
(٣) كذا فى «م» والذى فى «ف» «كنك» . (٤) كذا فى «م» ورواية «ف» : « بإمرة عشرين » .

فى يد قرا دمرداش، فقلعت عدّة أصابع من أصابعه، وجاءت ضربةُ قرا دمرداش[1] فى كَتِف منطاش لحلّته، هـذا والجوبانى فى القلب واقف بعساكره، نخامرت جماعة من الأشرفية من خجداشية منطاش وجاءت إليه، وصارت من عسكره، وكان حضر إلى الجوبانى قبـل ذلك جماعة أُخَر من المماليك الأشرفية، فأحسن إليهم ألطنبغا الجوبانى وقرّبهم وجعلهم من خواصّ عسكره، فآتفقوا مع بعض مماليك الجوبانى على قتل الجوبانى، فلما كان وقت الوقعة، وقد آلتحم القتال بين الناصرى ونُعَير و بين قرا دمرداش ومنطاش وثبوا عليه من خلفه وقتلوه بالسيوف، ثم قبضوا على الأمير مأمور القلمطاوى نائب حماة ووسّطوه، ثم قتلوا الأمير آقبغا الجوهرى والثلاثة من عظماء المماليك اليلبغاوية خجداشية الملك الظاهر برقوق وأكابر أمرائه، ثم قتلوا عدّة أمراء أُخَر من اليلبغاوية وكانت هـذه الوقعة من أعظم الملاحم، قُتِل فيها من الفريقين عالَم لا يُحصى كثرةً وآنتهبت العربان والتركمان والعشير[2] ما كان مع العسكرين، وقدم البريد بذلك على السلطان، فشقّ عليه قتل الأمراء إلى الغاية، وأخبر البريد أيضا أنّ منطاش لمّا آنكسر من قرا دمرداش وهو مجروح أشيع موته، فأقام الأشرفية عوضه عليهم خجداشهم الأمير ألطنبغا الأشرفى، فلما حضر منطاش من الغد غضب من ذلك وأراد قتل ألطنبغا الأشرفى فلم تمكّنه الأشرفية من ذلك .

وأما يلبغا الناصرى فإنه لما رجع من محاربة نُعير ووجد الأمير ألطنبغا الجوبانى قد قُتِل، جمع العساكر وعاد إلى دمشق وأقام به يومين حتى أصلح أمره، ثم خرج من دمشق بجميـع العساكر وأغار على آل على، فوسّط منهم جماعة كبيرة نحو مائتى نفس ونهب بيوتهم وكثيرا من جمالهم، وعاد إلى دِمَشق وكتب للسلطان أيضا بذلك،

(١) رواية ف : (وكانت) .
(٢) العشير : هو المعاشر، والمراد هنا الجند المرتزقة .

فكتب السلطان للناصرى الجوابَ بالشكر والثناء والتأسف على الأمير ألطنبغا الجوبانى وغيره وأرسل إليه الأمير أبا يزيد بن مراد بالتقليد والتشريف بنيابة الشام عوضا عن ألْطنبغا الجُوبانى ومبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة فى العساكر .

قلت : وأبو يزيد هـذا هو الذى كان آختفى عنده الملك الظاهر برقوق لمّا خلع نفسه عند حضور الناصرى ومنطاش إلى الديار المصرية .

ثم فى يوم الخميس أوّل ذى الحجة من سنة آثنتين وتسعين المذكورة، رسَم السلطان للأمير قرادِمُرداش الأحمدى نائب طرابُلس بآستقراره فى نيابة حلب عوضا عن الأمير كَمَشْبُغا الحموى بحكم عزله وقدومه إلى القاهرة وجهّز إليه التقليدَ والتشريفَ على يد الأمير تَنْبَك المعروف بتَنَم الحسنى الظاهرى .

ثم فى خامس ذى الحجّة آستقرّ السلطان بالأمير إينال من خَجَا أتابَك حلب بآستقـراره فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قرادِمُرداش المنتقل لنيابة حلب، وآستقرّ الأمير آقبغا الجمالى الظاهرى أتابك حلب عوضا عن إينال المذكور وآستقرّ الأميرُ محمدبن سَلّار حاجب حُجّاب حلب وكتب لسُولِى بن دُلْغادِر بنيابة أَبُلُسْتَين[1] .

ثم فى يوم عيد النحر خرج الأمير بِيليك المحمدى لإحضار الأمير كمشبغا الحموى اليلبُغاوى نائب حلب، ثم أرسل السلطان الملك الظاهر الأمير تَمُرْبُغا المنجكى بمال كبير يُنفِقه فى العساكر الشاميّة ويجهّزهم إلى عَيْنتاب[2] لقتال منطاش .

ثم فى سادس محرّم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ورد الخبر من دِمَشق بأن الأمير يلبغا الناصرى تنافس هـو والأمير الكبير أَيْتَمُش البجاسى فأضمر الناصرى الخروجَ

(١) أبلستين : بالفتح ثم الضم ولام مضمومة أيضا والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها نقطتان مفتوحة و ياء ساكنة ونون : هى مدينـة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها من ولد قلج أرسلان السلجوقى، قريبة من أبسس مدينة أصحاب أهل الكهف (راجع ياقوت أوّل ص ٩٣) .
(٢) هى بلدة كبيرة بها قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية .

قرب السلطان أحمد بن أُويس ووقع بصره على المسطبة التى جلس عليها السلطان، فنزل عن فرســه ومشى عدّة خطوات ، فتوجه إليه الأمير بَخاص حاجب الحجّاب بالديار المصرية ومن بعده الأمراء للسلام على ابن أويس، فتقدّم بخاص المذكور وسلم عليه ووقف بإزائه وصار كما تقدّم إليــه أمير ليُسلِّم عليه يعرّفه بخاص بآسمه ووظيفته وهم يقبّلون يده واحدا بعد واحد ، حتى أقبــل الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس فقــال له : الأمير بخاص هــذا أمير مجلس وآبن أسـتاذ السلطان ، فعانقه آبن أويس ولم يدعه يُقبِّل يده .

ثمّ جاء بعــده الأمير بَكْلَمِش العلائىّ أمير ســلاح فعانقه أيضا، ثمّ من بعده الأمير أيتمش البجاسىّ رأس نوبة الأمراء وأطابك فعانقه، ثمّ من بعده الأمير سُودون الفخرىّ الشيخونىّ نائب السلطنة فعانقه، ثمّ الأمير الكبير كَشبغا الحموىّ أتابك العساكر فعانقه وآنقضى ســلام الأمراء[1] ، فقام عند ذلك السلطان ونزل من على المسطبة ومشى نحو العشرين خطوة ، فلمّا رأى آبن أويس مَشْىَ السلطان له هرول حتى آلتقيا ، فأوما أحمــد بن أويس ليقبِّــل يد السلطان فمنعه السلطان من ذلك وعانقه .

ثمّ بكيّا ساعة ثم مشيا إلى نحو المسطبة والسلطان يطيِّب خاطره ويَعِده بكل جميل وبالعود إلى ملكه ويده فى يده حتى طلعا على المسطبة وجلسا معا على البساط من غير أن يقعد السلطان على مرتبته وتحادثا طويلا ، ثمّ طلب السلطان له خلعة فقُدّم قَبا حرير بنفسجىّ بفرو وقاقم بطرز زركش هائلة ، فألبسه الخلعة المذكورة وقدّم له فرسا من خاصّ مراكيب السلطان بسرج ذهب وكُنْبوش زركش وسلسلة ذهب، فركبه آبن أويس من حيث يركب السلطان، ثمّ ركب السلطان بعده وسارا

(١) رواية ف : « وآنقضى السلام من الأمراء » .

يتحادثان والأمراء والعساكر سائرة على منازلهم ميمنة وميسرة، حتى قرُبا من القلعة، هذا والناس قد خرجت إلى قريب الرَّيدانية[1] وآمتلأت الصحراء منهم للفرجة على موكب[2] السلطان، حتى أدهش كثرتهم السلطان أحمد بن أويس . فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة ، ولما وصلا إلى قريب القلعة[3] وأخذت العساكر تترجّل عن خيولهم على العادة، صار آبن أويس مواكبا للسلطان حتى بلغا تحت الطبلخاناه من قلعة الجبل ، فأومأ إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذى أُعدّ له على بركة الفيل[4] ، وقد جُددت عمارته وزخرفت بالفرش والآلات والأوانى، فسلّم آبن أويس على السلطان، وسار إليه وجميع الأمراء فى خدمته، وطلع السلطان إلى القلعة .

فلما دخل آبن أويس إلى المنزل المذكور ومعه الأمراء، مدّ الأميرُ جمال الدين محمود الأستادار بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية فى الحسن والكثرة، فأكل السلطان أحمد وأكل الأمراء معه، ثم آنصرفوا إلى منازلهم، وفى اليوم جهّــز السلطان إليه مائتى ألف درهم فضة، ومائتى قطعة قماش سكندرىّ، وثلاثة أفراس بقماش ذهب وعشرين مملوكا وعشرين جارية، فلما كان الليل[5] قدم حريم آبن أويس وثقله .

ثمّ فى يوم الخميس عمل السلطان الخدمة بدار العدل[6] المعروفة بالإيوان[7]، وطلع القان أحمد بن أُويس المذكور، وعبّر من باب الجسر الذى يقال له باب السر[8] وجلس

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا ممتعا .

(٢) رواية ف «على موكب عظيم» .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٦٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٥) رواية « ف » : « فلما كان اليوم » .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٧) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٨) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

تُجاه الإيوان حتى خرج إليه رأس نوبة ومضى به إلى القصر، فأخذه السلطان، وخرج به إلى الإيوان، وأقعده رأس الميمنة فوق الأمير كمشبغا الحموى أتابك العساكر، فلما قام القضاة ومُدّ السماط، قام الأمراء على العادة، فقام ابن أويس أيضا معهم ووقف، فأشار إليه السلطان بالجلوس فجلس، حتى فرغ الموكب، ولما انقضت خدمة الإيوان دخل مع السلطان إلى القصر وحضر خدمة القصر أيضا، ثم خرج الأمراء بين يديه، حتى ركب وقدّامه جاويشه ونقيب جيشه، فسار الأمراء فى خدمته إلى منزله.

ثم علّق السلطان جاليش السفر إلى البلاد الشامية على الطبلخاناه، فشرع الأمراء والمماليك وغيرهما فى تجهيز أحوالهم إلى السفر صحبة السلطان.

ثم فى حادى عشرين شهر ربيع الأول المذكور، ركب السلطان من القلعة ومعه السلطان أحمد بن أويس إلى مدينة مصر[1] وعدّى النيل إلى برّ الجيزة، ونزل بالخيام ليتصيّد، فأقام هناك ثلاثة أيام وعاد، وقد أذهل ابن أويس ما رأى من تجمّل المملكة وعظمتها من ندماء السلطان ومغانيه وترتيبه فى مجلس موكبه وأنسه ثم فى سلخه قدم البريد من حلب بتوجّه الأمير ألطنبغا الأشرفى نائب الرُّها[2] كان، وهو يوم ذلك أتابك حلب[3]، والأمير دُقماق المحمدى نائب مَلَطْية[4] بعسكريهما

(١) يريد بها مصر القديمة. (٢) الرها (بالقصر والمد): مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء بن البلندى بن مالك. (٣) حلب بالتحريك مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء وهى قصبة جند قنسرين (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣٠٤).
(٤) ملطية: مدينة شمالى حلب بميلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها، وهى مدينة من بلاد الثغور، وقد عدها ابن حوقل من جملة بلاد الشام. وقال أبو الفداء إسماعيل فى تقويم البلدان: (إنها فى بلاد الروم، وعدها بعضهم من الثغور الجزرية. وكانت ملطية قديمة خربها الروم فبناها أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وجعل عليها سورا محكما، وهى بلدة ذات فواكه وأشجار وأنهار، فتحها =

وموافقتهما لطلائع تيمورلنك وهزيمتهما له، بعد أن قتلا من اللَّنكيّة خلقا كثيرا، وأسرا أيضا جماعة كبيرة، وعاد إلى حلب بمائة رأس من التمُرية.

وفى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ابتدأ السلطان بنفقة المماليك، لكل مملوك مبلغ ألفَىْ درهم وعدّتهم خمسة آلاف مملوك، فبلغت النفقة فى المماليك خاصة عشرة آلاف درهم فضة، سوى نفقة الأمراء وسوى ما حُمل فى الخزائن وسوى ما تكلفه للقان أحمد بن أُوَيْس فيما مضى، وفيما يأتى ذكره.

وبينما السلطان فى ذلك قدم عليه كتاب تيمور يتضمن الإرداع والتخويف، ونصّه:

قل اللهم مالك الملك، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اعلموا أنا جندالله مخلوقون من سخطه، ومسلَّطون على من حلّ عليه غضبه، لا نَرِق لشاك، ولا نرحم عَبْرة باك، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويلُ لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا! قد خربنا البلاد، وأيْتمنا الأولاد، وأظهرنا فى الأرض الفساد، وذلّت لنا أعزّتُها، وملكنا بالشوكة أزمّتها، فإن خُيّل ذلك على السامع وأشكل، وقال: إن فيه عليه مشكلا، فقل: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة﴾، وذلك لكثرة عَدَدنا، وشدّة بأسنا، فخيولُنا سوابق، ورماحُنا خَوارق، وأسنّتُها بوارق، وسيوفُنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وجيوشُنا كعَدَد الرمال، ونحن أبطال وأقيال، ومُلْكنا لا يُرام، وجارُنا لا يُضام، وعزُّنا أبدا لسؤدُد مُنقام، فمن سالمَنَا سَلِم، ومن

= محمد الناصر يوم الأحد الحادى والعشرين من المحرم سنة ٧١٥ هـ. منها أبو الفرج الملطى عمدة المؤرخين المحققين المتوفى سنة ٦٨٥ هـ الملقب بابن العبرى (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣١ وتقويم البلدان وفهرس معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية للرحوم محمد أمين واصف بك وتاريخ سلاطين المماليك).

ومن الخيل ألفى فرس وخمسمائة فرس، وحمل معه أشياء كثيرة مما يحتاج السلطان إليه، منها خمسة قناطير من العاج والآبنوس برسم الشِّطْرَنج الذى يلعب به السلطان، وسببه أنه كان إذا لعب بشِطْرَنج وفرغ من لعبه أخذه صاحب النَّوْبة وجدّد غيره، وأشياء كثيرة أخر من هذه المقولة .

ثمّ فى ثامن عشرينه أرسل السلطان يطلب بدر الدين محمود الكُلُستانى، وأخذ محمود المذكور من خانقاة شَيْخون[1] فإنه كان من بعض صوفيتها وسار وهو خائف وَجِل، لأنه كان من ألزام ألطنبغا الجُوبانى إلى أن وصل إلى السلطان. وخبره أنّ السلطان كان ورد عليه كتاب من بعض الملوك بالعجمىّ، فلم يعرف القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر يقرؤه، فطلب السلطان من يقرؤه، فنوّه بعضُ من حضر من الأمراء بذكر الكلستانى هذا، فَطُلب لذلك وحضر وقرأه فأعجب السلطانَ قراءتُه، فأمره بالسفر معه، فسافر صحبة السلطان وصار ينزل مع الأمير قلمطاى الدوادار كأنّه من بعض حواشيه فإنه كان فى غاية من الفقر إلى أن وصل إلى دمشق كما سنذكره .

وأما السلطان فإنه دخل دمشق فى عشرين جُمادَى الأولى وقام به إلى أن أخرج عسكرا إلى البلاد الحلبية فى سابع عشر شهر رجب، وعليهم الأميرُ الكبير كمشبغا الحموىّ والأمير بَكْلَمِش أمير سلاح والأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس و بيبرس آبن أخت السلطان الملك الظاهر برقوق، ونائب صفد[2] ونائب غزّة، كل ذلك والسلطان مقيم بدمشق فى آنتظار قدوم تَيْمورلَنْك .

ثم أمر السلطان للقان غياث الدين أحمد بن أُوَيْس بالتوجه إلى محل مملكته ببغداد، فخرج من دمشق فى يوم الآثنين أوّل شعبان من سنة ست وتسعين

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .
(٢) صفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام من جبال لبنان .

المذكورة، بعد ما قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه، وعند وَداعه خلَع عليه الملك الظاهر خلعة أطلسين مُتمَّرا وقلّده بسيف مُسَقَّط بذهب، وكَتَبَ له تقليدا بسلطنة بغداد، وناوله إيّاه، فأراد أحمد بن أُوَيْس أن يُقَبِّل الأرض فلم يُمكّنه السلطان من ذلك، إجلالا له وتعظيما فى حقه، وقام له وعانقه وودّعه، ثم آفترقا، وكان ما أنعم به السلطان الملكُ الظاهر على القان غياث الدين أحمد بن أُوَيس عند سفره خاصّة من النقد خمسمائة ألف درهم، سوى الخيل والجمال والسلاح والمماليك والقُماش السكندرىّ وغير ذلك، وآستمرّ آبن أُوَيس بمخيمه خارج دمشق إلى يوم ثالث عشر شعبان، فسافر إلى جهة بغداد بعد أن أظهر الملك الظاهر من علوّ همته ومكارمه وإنعامه لآبن أويس المذكور ما أدهشه .

قلت : هكذا تكون الشِّيَم الملوكية، وإظهار الناموس، وبَذْل الأموال فى إقامة الحُرْمة، مع أن الملك الظاهر لم يخرج من الديار المصرية، حتى تحمّل جملةً كبيرة من الديون، فإنه من يوم حُبِس بالكَرَك[1] وملَك الناصرىّ ومنطاش ديارَ مصر فرّقا جميع ما كان فى الخزائن السلطانية، وحضر الملك الظاهر من الكَرَك فلم يَجد فى الخزائن ما قلّ ولا كثُر وصار مهما حصّله أنفقه فى التجاريد والكُلَف، فلله درّه من مَلِك ! على أنه كان غيرَ مشكور فى قومه .

حدّثنى غيرُ واحد من حواشى الأسياد أولاد السلاطين، قالوا : كُنّا نقول من يوم تسلطن هذا المملوك : هذا الكَعْب الشؤم نشّفت القلعةَ من الرِّزق وخَربت الدنيا هذا، وكان الذى يُصرف يوم ذاك على نزول السلطان إلى سَرْحة سِرْياقوس[2] بكُلْفة

(١) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدا فى أطراف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٣١٢) .
(٢) سرياقوس من القرى القديمة فى مصر، وهى الآن من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية واقعة على الشاطىء الشرقى لترعة الاسماعيلية فى شمال القاهرة وعلى بعد ١٨ كيلو مترا منها .

الناس بطلوعه، وزُيّنت القاهرة أياما ، غير أن الغلاء كان حصل قبل قدوم السلطان ، فتزايد بعد حضوره لكثرة العساكر .

ومن يومئذ صفا الوقت للملك الظاهر ، وصارت مماليكه نوّابَ البلاد الشامية من أبواب الروم إلى مصر، وأخذ السلطان يُكثر من الركوب والتوجّه إلى الصيد، وعَمِل له الأمير تمربُغا المَنْجَكى شراباً من زبيب، يسمى التمربُغاوى، وأقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء، ولم يكن يُعرف منه السُّكْر قبل ذلك .

ثم أنعم السلطان على الأمير فارس من قُطْلُوجا الظاهرى الأعرج بإمرة مائة وتقدمة ألف وولّاه حجوبية الحجاب عوضا عن تَخاص السودونى المستقر فى نيابة الكرك ، وأنعم على الأمير نَوْرُوز الحافظى الظاهرى بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، عوضا عن الوالد، وهو الإقطاع الذى كان أنعم به السلطان على جُلُبان نائب حلب .

ثم أنعم السلطان على الأمير أرْغون شاه البَيْدَمُرى بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وأنعم السلطان أيضا على كل من تمربُغا المَنْجكى ، وصلاح الدين محمد بن محمد تَنْكِز وصَرغتمش المحمــدى الظاهرى بإمرة طبلخاناه ، وأنعم أيضا على كل من مُقْبِل الرومى ، وآقباى من حُسَين شاه الظاهرى ، وآق بلاط الأحمدى ، ومَنْكَلى بغا الناصرى بإمرة عشرة .

ثم بعد أشهر خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى الظاهرى باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن الوالد بحكم انتقاله إلى نيابة حلب، وكانت شاغرة من تلك الأيام.

ثم قَبَض السلطان على الأمير محمود بن على الأستادار المعروف بابن أصفر عَيْنه فى صفر سنة ثمان وتسعين[1]، وعلى ولده وعلى كاتبه، سعد الدين إبراهيم بن غُراب

(١) رواية «ف» : « فى صفر سنة سبع وتسعين » .

وخلع السلطان على قطلوبك العلائى أستادار الأمير أيتمش باستقراره فى الأستادارية، عوضا عن محمود المذكور، وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرين، واستمر محمود على إمرته وهو مريض محتَفظ به ، وخلع السلطان أيضا على سعد الدين إبراهيم بن غُراب كاتب محمود باستقراره ناظر ديوان المفرد وهذا أول ظهور ابن غراب فى الدولة الظاهرية، واستمال السلطان ابنَ غراب ، فأخذ يدلّ على ذخائر أُستاذه محمود ، ومحمود فى المصادرة إلى أن أظهر شيئا كثيرا من المال .

ثم أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بإمرة طبلخاناه وهم : طولو من على باشاه الظاهرى، ويلبغا الناصرى الظاهرى، وشاذى خجا الظاهرى العثمانى، وقِنِار العلائى، وأنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرة وهم: طَيْبُغا الحلبى الظاهرى، وسُودون من على باشاه الظاهرى المعروف بسُودُون طاز، ويعقوب شاه الخازندار الظاهرى ويَشْبك الشعبانى الخازندار وتمان تمر الإشقتَمُرى رأس نَوْبة الجَمَدارية .

ثم خلع السلطان على الأمير فارس الحاجب باستقراره فى نظر الشيخونية[1] وخلع على الأمير تمربغا المنجكى حاجبا ثانيا بتقدمة ألف .

وفى هذه الأيام عَظُم الغلاء وفُقِد الخبز من الدكاكين .

وفى آخر ذى القعدة استقر سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود فى وظيفة نظر الخاص بعد القبض على سعد الدين بن أبى الفرج بن تاج الدين موسى .

(١) هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خانقاه شيخو حيث قال (فى ص ٤٢١ ج ٢) من خططه : إن هذه الخانقاه فى خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخون ، أنشأها الأمير زين الدين شيخون العمرى فى سنة ٧٥٦ هـ ، كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون، رتب فيها دروسا لفقهاء المذاهب الأربعة ودرسا للحديث ودرسا لإقراء القرآن بالروايات .

وأما يَلْبُغا المجنون فإنه كان فى بيت الأمير فرج ، فركب فرج المذكور ليُعلِم السلطان بأنه كان فى داره بالقاهرة حتى يبرأ ممّا رُمِى به ، وطلع فى الحال جميعُ الأمراء ، فأمر السلطان بقلع السـلاح ونزول كلّ أحد إلى داره ، وسكَن الأمر ونُودِى بالأمان والاطمئنان .

ثم فى ليلة الثلاثاء عُذّب على باى أيضا بين يدى السلطان عذابا شديدا ، كُسِرت فيه رجلاه وركبتاه وخُسِف صدره ، فلم يُقِرّ على أحد ، ثم أُخِذ إلى خارج وخُنِق ، فتنكّرت الأمراء وكثُر خوفُهم من السلطان ، خشيةَ أن يكون علىّ باى ذكر أحدًا منهم من حرارة العقوبة ، ومن يومئذ فَسدَ أمرُ السلطان مع مماليكه الجراكسة ، ودخل السلطان إلى زوجته خَوَنْد الكُبْرى أرد[1] وكانت تركية الجنس ، وكانت تحذره عن اقتناء المماليك الجراكسة وتقول له : اجعل عسكَرك أبلقَ من أربعة أجناس : تَتَر وجاركَس ورُوم وتُرْكمان ، تستريح أنت وذريتك ، فقال لها : الذى كنت أشرْت به علىّ هو الصواب ، ولكن هـذا كان مقـدّرا ونرجو الله تعالى إصلاحَ الأمر من اليوم .

ثمّ فى يوم الثلاثاء أمرَ السلطان الأميرَ يَلْبُغا المجنون أن يُنْفق على المماليك السلطانية ، فأعطى الأعيانَ منهم خمسمائة درهم ، فلم يُرْضهم ذلك وكثُرت الإشاعات الردية والإرجاف بوقوع فتنة وباتوا ليـلةَ الخميس على تخوّف ، ولم تُفْتح الأسواقُ فى يوم الخميس ، فنُودِى بالأمان والبَيْع والشراء ، ولا يتحدّث أحد فيما لا يعنيه .

ثمّ أنعم السلطان على الأمير أرسْطاى بتقـدمة علىّ باى ، ووظيفتُه رأسُ نَوْبة النُّوب ، وأنعم على الأمير تمـان تَمُر الناصرى بإقطاع أرسطاى ، والإقطاع : إمرة طبلخاناه .

(١) فى هامش : « م » : « أزد » .

ثم فى سادس عشرينه نزل الأمير فارس حاجبُ الحجاب ، والأمير تَمُرْبغا المَنْجكى أحد أمراء الألوف ، وحاجب ثانى ، وقبَضا على الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرىّ المعروف بالمجنون الأستادار من داره ، وبعثاه فى النّيل إلى ثغر دمياط[1] واستقرّ عِوَضه أستادارا الأمير ناصر الدين محمـد بن سُنْقُر بإمرة خمسين فارسا وأنعم السلطان على الأمير بَكْتَمُر جِلّق الظاهرى رأس نَوْبة بتقدمة ألف عوضا عن يَلْبُغا المجنـون .

وفى يوم السبت ثالث ذى الحجة خلَع السلطان على أميرين باستقرارهما رءوس نُوَب صغارا وهما : طُولُو بن على باشا الظاهرى وسودون الظريف الظاهرىّ .

وفى يوم الأحد رابع ذى الحجة سمَّر السلطان أربعـة نفر من مماليك علىّ باى ثم وُسِّطوا .

ثم رَسَم السلطان بإحضار الأمير بكلمش العلائىّ أمير سلاح كان من سجنه بالإسكندرية[2] وتوجّه إلى القـدس[3] بطّالا على ما كان للأمير شـيخ الصّفوى من المـرتّب .

ثمّ استـهلّ القرن التاسع : أعنى — سـنة إحدى وثمـانمـائة — والخليفة المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد العباسى والسلطان الملك الظاهر أبو سعيد برْقوق

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٠ من هذا الجزء حيث تجد لهـا شرحا وافيا .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء حيث تجد لهـا شرحا وافيا .

(٣) القدس الشريف ، هى أورشليم المدينـة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت فى أيدى الصليبيين فى ١٥ يوليه سنة ١٠٩٩م وأسـسوا فيها مملكة استمرت حتى خلصها منهم صلاح الدين الأيوبى بعد معركة فاصلة فى ٢ أكتوبر سـنة ١١٨٧ ، وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة . ينسب إليها أبو عبيد الله المقدسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » المتوفى سـنة ٣٧٥هـ . سكانها ٨٥ ألف نسمة ، تقع على خط عرض ٣١/٧ ؛ شمالا وخط طول ٣٥/١٤ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين واصف بك وأطلس فليب) .

وآقبـاى[1] رأس نوبة ، وجاركس القاسمى المُصارع ؛ ثم سلّوا سيوفهم بمن معهم ، وهجموا على الأمراء وقبضوا على أرسطاى رأس نوبة النُّوب ، وتمراز وتمربغا المنجكى ، وطُغنجى وبلاط السعدى ، وطـولو رأس نوبة ، وفارس الحاجب ، وفـرّ مبارك شاه وطُبْج ، فأُدركا ، وقُبض عليهما أيضا ، وبلغ ذلك يلبغا المجنـون الأُستادار وكان خارج القصر، فخلع خلعته وسلّ سيفه ، ونزل من القلعة إلى داره .

ثم أحضر الخاصكيّة الأمراءَ المقبوضَ عليهم إلى عند[2] الأمير الكبير أيتمش وقد بُيّت وأُسكت ، وقيّدوا أرسطاى رأس نوبة النُّوب ، وتمراز وتمربغا المنجكى ، وطُغنجى أحد أمراء الطبلخانات ، وأطلقوا مَنْ عداهم ، وآستدعَوْا يلبغا المجنون الأُستادار ، فلمّا حضر قُبض عليه أيضا وقُيّد وأُضيف إلى الأمراء المقبوض عليهم وأُنزل الجميع من يومهم إلى الحرّاقة ، وتوجّهوا إلى سجن الإسكندرية ، ماخلا يلبغا المجنون فإنه فى يوم السبت ثالث عشرينه عُصر يلبغا المجنون ليُحضر المال ، ثم أَسلَمُوه لسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش والخاصّ ليحاسبه ، فنزل به إلى داره ، وسألوا يلبغا السالميّ بوظيفته الأستادارية فآمتنع ، فعرضوها على ناصر الدين محمد بن سُنْقُر وآبن قطينة فلم يُوافقا ، فخُلع على الأمير مبارك شاه بآستقراره أستادارا عوضا عن يلبغا المجنون .

وفيه أُنفق على المماليك السلطانية نفقة سلطنة الملك الناصر ، وتولّى الإنفاق عليهم يلبغا السالمى . وفُرّقت بحضرة السلطان والأمراء ، فأُعطى كلّ مملوك من

(١) فى م : (آقبغا) .

(٢) رواية (ف) ثم أحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم ، وأنزل الجميع من يومهم إلى الحراقة وتوجهوا إلى سجن الإسكندرية ماخلا يلبغا المجنون .

من أرباب الخدَم الجوانية والمشتروات ستين دينارا ، صَرْف كل دينار ثلاثون درهما .

وفى يوم الآثنين خامس عشرينه ، تأخّر سائر أمراء الألوف عن طلوع الخدمة السلطانية خوفا من الخاصكيّة ، فإن الأمور صارت معذوقة[1] بهم ، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور فأَبَوْا ذلك ، فنزل الخاصكيّة إلى الإسطبل فى خدمة الأمير الكبير أيتمش ، وآستدعوا الأمراءَ من منازلهم فحضروا ، وكثُر الكلام بينهم حتى آتفقوا جميعا ، وتحالفوا على طاعة الأمير الكبير أيتمش ، والملك الناصر ، وحلف لهم أيضا أيتمش ، ثم حلف سائر المماليك والخاصكيّة ، وتولّى تحليفهم يلبغا السالمى ، وخُلع على سُودون الماردانى بآستقراره رأس نَوْبة النُّوب عوضا عن أرسطاى المقبوض عليه قبل تاريخه ، وعلى قطلوبغا الحسنى الكركى بآستقراره شادّ الشراب خاناه ، عوضا عن سُودون الماردانى ، وأنعم على الأمير قراكسك بإمرة مائة ، وتقدمة ألف كانت مؤخّرة .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شوّال خُلع على الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبى الفرج بآستقراره فى وظيفة الأستادارية مضافا للوزر عوضا عن مبارك شاه بحكم آستعفاء مبارك شاه .

وفيه كُتب مرسومٌ سلطانىٌّ بآستقرار قرا يوسف بن قرا محمد صاحب تبريز[2] فى نيابة الرُّهاء[3] على عادته ، وباستقرار دِمَشْق خَجا فى نيابة جَعْبر[4] .

(١) معذوقة أى غير معلومة . (٢) راجع الحاشية ص ١٩ ج ٨ من هذه الطبعة .

(٣) الرهاء (يمد و يقصر) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الرهاء بن البلندى بن مالك . راجع معجم البلدان لياقوت ٢ ص ٨٧٦ (٤) جعبر بالفتح ثم السكون ، وباء مفتوحة ؛ قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين (معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٨٤) .

العساكر، ثم أنفق السلطان على جماعة من المماليك السلطانية بنحو خمسة وعشرين ألف دينار إنعاما .

وفى اليوم المذكور رحل جاليش[1] السلطان من الريدانية ، وفيه من الأمراء نوروز الحافظى مقدّم العساكر وبكتمر الركنى المعروف بباطيا أمير سلاح ، وتمراز الناصرى أمير مجلس ، ويلبغا الناصرى ، وسودون الدوادار المعروف بسيدى سودون ، وشيخ المحمودى هو المؤيّد ، ودقماق المحمدى الحاجب الثانى ، والجميع مقدّمو ألوف .

ثم رحل السلطان بعدهم فى يوم الجمعة ثامنه ببقيّة العساكر ، وعدّة ما سافر أولا وثانيا سبعة آلاف فارس ، وهذا سوى من أقام بالقاهرة ، وهم أيضا عدّة كبيرة من الأمراء والمماليك ، فأمّا الأمراء فكان بالقاهرة بيبرس ، وآقباى حاجب الحجّاب ، وأقام بقلعة الجبل الأمير إينال باى من جقماس أحد مقدّمى الألوف ، وإينال حطب رأس نوبة ، وأقام بالإسطبل[2] السلطانى سودون من زادة ، وبهادر فطيس ويشبك الشيخى أميرأخور ثانى ، وأقام عند هؤلاء جماعة كبيرة من المماليك السلطانية .

وأما تنم فكان من خبره أنه قدم جماعة من أمرائه وعساكره إلى مدينة غزّة حسب ما ذكرناه ، وهم : الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس ، وفارس حاجب

(١) الجاليش (شاليش) : اسم لعلم من الأعلام التى كانت تحملها جيوش المماليك فى الحروب ، وكان من الحرير الأبيض المطرز ، تعلق فى أعلاه خصلة من الشعر . والجاليش كلمة تركية معناها مقدمة القلب ، وسمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان فى المواضع التى يحضرها يكون عادة فى قلب الجيش .

(٢) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢) وعلى الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هذا الإصطبل مكانه اليوم مجموعة المبانى التى بها مخازن ورش الجيش المصرى ، مع العلم بأن المكان الحالى للإصطبل المذكور ليس فى منسوب أرض قلعة الجبل ، بل هو فى مستوى أوطى مما عليه القلعة .

الحجاب ، ويعقوب شاه وصرق ، والأمير فرج من منجك فتوجّهوا أمامه بعساكر كثيرة .

ثم قدم على تنم الأمير يونس بلطا نائب طرابلس بعساكرها وغيرهم ، ومعه الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس كان ، وكان قدم على تنم قبله نائب حلب الأمير آقبغا الجمالى الأطروش ، ونائب حماة الأمير دمرداش المحمدى ، فخرج هؤلاء النواب أيضا أمام تنم إلى جهة غزة ، ثم تبعهم الأمير تنم ومعه الأتابك أيتمش والوالد وبقية عساكره ، بعد أن جعل الأمير جركس المعروف بأبى تنم نائب الغيبة بدمشق ، وعنده جماعة أخر من أعيان الأمراء ، ثم خرج بعد الأمير تنم الأمير يونس بلطا نائب طرابلس ، وسار تنم فى عساكر عظيمة إلى الغاية ، وكان قبل سفره بدمشق منذ قدم عليه أمراء مصر يعمل كلّ يوم موكبا أعظم من الآخر ، حتى قيل : إن موكبه كان يضاهى موكب أستاذه الملك الظاهر برقوق بل أعظم ، وكان يركب بالدفّ والشبابة[1] والشمراء والجاويشية ، ويركب فى خدمته من الأتابك أيتمش إلى من دونه من أمراء الألوف ، وهم نحو خمسة وعشرين أميرا من أمراء الألوف ، سوى أمراء الطبلخانات والعشرات ، وذلك خارج عن التركمان والأعراب والعشير[2] ، وكانوا أيضا جمعا كبيرا إلى الغاية ، وآخر موكب عمله بدمشق كان فيه عساكر دمشق بتمامها وكمالها ، وعساكر حلب وطرابلس وحماة ، وجماعة كبيرة من عظماء أمراء الديار المصرية (أعنى أيتمش ورفقته) ، وكان الجميع قد أذعنوا لتنم بالطاعة ، حتى إنه لم يشكّ أحد فى سلطنته ، حتى ولا أمراء مصر أخصامه ، فإنهم كتبوا له فى الصلح غير مرة ، وفى المستقبل أيضا حسب ما يأتى ذكره ، وأنفق تنم فى العساكر من الأموال مالا يحصى .

(١) الشبابة : قصبة الزمر المعروفة .

(٢) العشير : بدو الشام والدروز .

ولما قارب يشبك، وقرا يوسف صفد أخرج بكتمر كشافته[(١)] بين يديه، ونزل جسر يعقوب[(٢)]، فالتقى كشافته بأصحاب يشبك وقرا يوسف، فاقتتلوا قتالا شديدا ظهر فيه الصفديون[(٣)]، وأخذوا من الشاميين عشرة أفراس، فعاد يشبك وقرا يوسف إلى طبرية[(٤)]، ونزلوا بها حتى قدم عليهم الأمير شيخ نائب الشام.

ثم ساروا جميعا إلى غزة، وقد تقدمهم الأمير جكم ونزل على الرملة[(٥)].

وأما أمراء الديار المصرية فإن السلطان الملك الناصر لما تحقق اتفاق الأمير شيخ المحمودى نائب الشام مع يشبك ورفقته، و بلغه أخبارهم مفصلا، استشار الأمراء فى أمرهم فأجمعوا على خروج السلطان لقتالهم، فتجهز السلطان، وعلق جاليش السفر فى ثانى ذى القعدة بالطبلخاناة[(٦)] السلطانية على العادة.

ثم أنفق فى رابعه على المماليك السلطانية على كل مملوك خمسة آلاف درهم.

وكان صرف الذهب يوم ذاك مائة درهم المثقال، فصرف لكل واحد منهم تسعة[(٧)] وأربعين مثقالا، واحتاج السلطان فى النفقة المذكورة حتى اقترض من مال أيتام الأمير قلمطاى الدوادار عشرة آلاف مثقال، ورهن عندهم جوهرا، وجعل كسب ذلك ألف دينار ومائتى دينار، وأخذ منهم أيضا نحو ستة عشر ألف مثقال وباعهم بها بلدة من أعمال الجيزة تسمى البراجيل[(٨)]، وأخذ من [تركة[(٩)]] التاجر برهان

---

(١) الكشافة: فرقة من الجند تتقدم لكشف الطريق والعدو.

(٢) جسر يعقوب: منزلة من صفد. (٣) رواية (م) «ظهر فيه كشافة صفد».

(٤) طبرية: مدينة بفلسطين كانت قاعدة الأردن، وهى على بحيرة تنسب إليها، وعندها حصلت واقعة حطين بين الصليبيين وصلاح الدين، وهى مشهورة بحماماتها.

(٥) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، كانت رباطا للمسلمين، وبها الجامع الأبيض المشهور بمنارته.

(٦) الطبلخاناة: الموسيق السلطانية. (٧) رواية (م) «خمسة».

(٨) البراجيل: بلدة تابعة لمركز امبابة مديرية الجيزة. (٩) الزيادة عن السلوك.

الدين المحلى وغيره مالا كثيرا، ووزع له قاضى القضاة شمس الدين الأخنائى الشافعى خمسمائة ألف درهم على تركات خارجة عن المودع، وكانت نفقة السلطان على خمسة آلاف مملوك.

ثم عزل السلطان الأخنائى عن قضاء[(١)] الشافعية بقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى، وعزل ابن خلدون بقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى المالكى.

ثم قدم الخبر على السلطان بنزول الأمراء على مدينة غزة، وأخذهم الإقامات[(٢)] المجهزة للعساكر السلطانية.

وكانت غزة قد غلا بها الأسعار لقلة الأمطار، و بلغت الويبة القمح مائة وعشرين درهما، فعند ذلك جد السلطان الملك الناصر فى حركة السفر، والاستعداد للحرب.

وأما أمر الأمراء فإنه خرج جاليشهم من مدينة غزة إلى جهة الديار المصرية فى يوم الأحد ثانى ذى الحجة.

ثم سار من الغد الأمير شيخ و يشبك وجكم ببقية عساكرهم، واستنابوا بغزة الأمير ألطنبغا العثمانى.

ثم قدم الخبر على جناح الطير من بلبيس بنزول الأمراء على قطيا، فكثرت حركات العسكر بالقاهرة، وخرجت مدورة[(٣)] السلطان إلى الريدانية خارج القاهرة، واختبط العسكر واضطرب لسرعة السفر.

---

(١) رواية (م) «قضاة». (٢) الإقامات، جمع إقامة: وهى ما يلزم العساكر من مؤونة وعلف.

(٣) مدورة السلطان: خيمته الكبيرة الخاصة به، وهى غير مدورته التى تقام فى الحفلات، وهى مائة مدورة.

فهرب ونجا بنفسه فى قليل من أصحابه، وتوجه إلى دمشق فرحب به نوروز، غير أن نوروزا كان مشغولا بعمارة قلعة دمشق، فلم ينهض بالخروج معه لقتال شيخ .

وأما الملك الناصر، فإنه فى يوم الجمعة رابع شعبان، مسك الوزير فخر الدين ماجد بن غراب وسلمه لجمال الدين الأستادار، ليصادره ويعاقبه، واستقر جمال الدين فى وظيفتى الوزير وناظر الخاص مضافا إلى الأستادارية، وهذا أول ابتداء تحكم جمال الدين فى الناس، ثم قبض على الأمير خيربك نائب غزة، وقدم به إلى القاهرة مقيدا، ثم عين السلطان جماعة من الأمراء للتجريدة بالبلاد الشامية ومقدمهم الأمير تمراز الناصرى النائب، وآقباى، وغيرهما، وخرجوا من القاهرة فى عاشر شهر رمضان، فورد الخبر بأن عسكرا من الشام أخذ غزة، وأن يشبك بن أزدمر أخذ قطيا[1]، وأخربها وعاد إلى غزة، فأقام تمراز بمن معه على مدينة بلبيس أياما، ثم عاد هو وآقباى بمن معهما إلى القاهرة فى سابع شوال .

ثم قدم الخبر على الملك الناصر بأن الأمير جكم من عوض نائب حلب تسلطن بقلعة حلب فى يوم حادى عشر شوال من سنة تسع وثمانمائة المذكورة، وتلقب بالملك العادل أبى الفتح عبد الله جكم، وخطب باسمه من الفرات إلى غزة ــ ماعدا صفد ــ فإن بها الأمير شيخا المحمودى، وقد استولى عليها من سودون الحمزاوى حسبما تقدم ذكره، وأنه لم يخطب باسم جكم، وأنه مستمر على طاعة السلطان، وأن الأمير نوروزا نائب الشام باس الأرض لجكم، وخلع على بكتمر جلق بنيابة صفد بأمر الملك العادل جكم، ثم قدم بعد ذلك عدة كتب من أمراء الشام على السلطان يرغبون السلطان فى الخروج إلى البلاد الشامية، ثم قدمت عدة كتب من جكم إلى عربان مصر وفلاحيها بمنعهم من دفع الخراج إلى السلطان وأمرائه وأجناده، وتحذيرهم من ذلك حتى يقدم جكم إلى مصر، ثم ورد الخبر من البلاد الشامية أنه فى ثامن عشر شوال وصل إلى دمشق

(١) قطيا : هى قرية فى وسط الرمل قرب الفرما فى الطريق بين مصر والشام (ج ١٢ : ٦١ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

قاصد الملك العادل جكم، وعلى يده مرسوم جكم بأن الأمير سودون الحمزاوى يكون دوادارا بالديار المصرية على عادته، وأن الأمير إينال باى بن قجماس يكون أمير آخور كبيرا على عادته، وأن الأمير يشبك بن أزدمر يكون رأس نوبة النوب على عادته، وأن الأمير نوروزا مستمر على نيابة دمشق، وجىء له بالخلعة فلبسها نوروز، وقبل الأرض، ودقت البشائر لذلك ــ بدمشق ــ أياما، وزينت المدينة .

فلما بلغ السلطان ذلك أراد الخروج إلى البلاد الشامية فكلمه أمراؤه فى تأخير السفر حتى يخف الطاعون من الديار المصرية، فإنه كان فشا بها وكثر، فلم يلتفت السلطان لذلك، وشرع فى أول ذى الحجة فى الاهتمام إلى سفر الشام هو وعساكره، ثم فى خامس عشرين ذى الحجة المذكورة علق السلطان جاليش[2] السفر، وصرفت النفقة للمماليك السلطانية فى تاسع عشرين، لكل مملوك ثلاثون مثقالا وألف درهم فلوسا، فتجمع المماليك تحت الطبلخاناة السلطانية وامتنعوا من أخذها، فكلمهم بعض الأمراء على لسان السلطان فى ذلك، فرضوا، وبينما السلطان فى ذلك ورد عليه الخبر بقتل الأمير جكم بآمد[3]، من ديار بكر بن وائل، فى سابع عشر ذى القعدة من سنة تسع وثمانمائة المذكورة .

وسبب قتلة جكم المذكور أنه لما تسلطن بمدينة حلب، ووافقه وأطاعه غالب نواب البلاد الشامية، وعظم أمره، وكثرت عساكره، وخافه كل أحد حتى أهل مصر، وتهيأ الملك الناصر إلى الخروج من مصر لقتاله، ابتدأ جكم بالبلاد الشامية، واستعد لأخذها، على أن الديار المصرية صارت فى قبضته، وأعرض عنها حتى ينتهى من بلاد الشرق، وجعل تلك الناحية هى الأهم، وخرج من مدينة حلب بعساكره إلى نحو الأمير عثمان بن طرعلى المعروف بقرايلك، صاحب آمد، وغيرها

(١) يراد بالجاليش هنا العلم الخاص المصنوع من الحرير الأبيض المزركش وتعلق بأعلاه خصلة من الشعر .

(٢) آمد : وتقع غربى دجلة، ويدور النهر حولها كالهلال، ويطل عليها جبل عال، وسورها من الحجارة السود (لسترنج ــ بلدان الخلافة الشرقية ١٤٠ ــ ١٤٢ ط بغداد) .

برقوق ، وأنه لا يطيع أبداً ، وأنه هو لا يريد إلا الانتماء إلى السلطان فقط ، ورغبته فى عمل مصالح العباد والبلاد ، ثم كرر السؤال فى العفو والصفح عنه فى هذه المرة ، فلم يمش ذلك على الملك الناصر ولم يلتفت إلى كتابه .

وشرع السلطان فى التنزه ، وأكثر من الركوب إلى بر الجيزة للصيد فى كل قليل ، ووقع منه ذلك فى الشهر غير مرة ، ولما عاد فى بعض ركوبه فى يوم الخميس ثالث عشرين شوال من سنة اثنتى عشرة وثمانمائة المذكورة ، ووصل قريباً من قناطر السباع[1] عند الميدان الكبير أمر السلطان بالقبض على الأمير قردم الخازندار ، وعلى الأمير إينال المحمدى الساقى — المعروف بضضع — أمير سلاح ، فقبض فى الحال على قردم ، وأما إينال ضضع المذكور فإنه شهر سيفه وساق فرسه ومضى ، فلم يلحقه غير الأمير قجق الشعبانى ، فأدركه وضربه بالسيف على يده ضربة جرحته جرحاً بالغاً ، ثم فاته ولم يقدر عليه ، وطلع السلطان القلعة ، كل ذلك وهو لا يملك نفسه على فرسه من شدة السكر ، ونودى فى الحال بالقاهرة على الأمير إينال المحمدى المذكور ، فلم يظهر له خبر ، وقيد قردم وحمل إلى الإسكندرية من يومه .

وأما الأمير شيخ ، فإنه كمل فى هذا الشهر — وهو ذو الحجة من سنة اثنتى عشرة وثمانمائة — سبعة أشهر وهو يقاتل نوروزاً ودمرداش ، ويحاصرهما بحماة ، ووقع بينهم فى هذه المدة المذكورة حروب وخطوب يطول شرحها ، وقتل بينهم خلائق لا تحصى ، واشتد الأمر على نوروز وأصحابه بحماة ، وقلت عندهم الأزواد ، وقاسوا شدائد حتى وقع الصلح بينه وبين الأمير شيخ ؛ وذلك عندما سمعوا بخروج الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية ، وخاف نوروز إن ظفر به

(١) قناطر السباع : أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى . ونصب عليها تماثيل سباع من الحجارة . لأن شعاره كان على شكل سبع . فقيل لها قناطر السباع . وتقع على الخليج المصرى . وتتكون من قنطرتين ، وقد اندثرت بعد ردم الخليج . ومكانها اليوم ميدان السيدة زينب عند ملتقاه بشارع الكومى (ج ٧ : ١٩١ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

الملك الناصر لا يبقيه ، فاحتاج إلى الصلح ، وحلف كل من نوروز وشيخ لصاحبه ، واتفقا على أن نوروزاً يمسك دمرداش نائب حلب ، وأن شيخاً يمسك ابن أخيه قرقماس — المدعو سيدى الكبير — ففطن دمرداش بذلك ، وأرسل أعلم ابن أخيه قرقماس المذكور مع بعض الأعوان ، وهرب دمرداش من نوروز إلى العجل ابن نعير ، وفر ابن أخيه قرقماس من عند شيخ إلى أنطاكية ، والعجب أن قرقماس المذكور كان قد صار من حزب شيخ ، وترك عمه دمرداش وخالفه وصار يقاتل نوروزاً وعمه هذه المدة الطويلة ، وعمه دمرداش يرسل إليه فى الكف عن قتالهم ، ويدعوه إلى طاعة نوروز ويوبخه بالكلام وهو لا يلتفت ، ولا يبرح عن الأمير شيخ ، حتى بلغه من عمه أن شيخاً يريد القبض عليه ، فعند ذلك تركه وهرب ، ثم إن الأمير نوروزاً قصد حلب وأخذها واستولى عليها ، وهرب مقبل الرومى ، الذى كان حمل للأمير نوروز التقليد بنيابة الشام ، ولحق بالسلطان على غزة .

وأما السلطان الملك الناصر ، فإنه أخذ فى التجهيز إلى السفر نحو البلاد الشامية ، وعظم الاهتمام فى أول محرم سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وخلع فى عاشر المحرم على الأمير قراجا شاد الشراب خاناة باستقراره دواداراً كبيراً — دفعة واحدة — بعد موت الأمير قجاجق ، وخلع على سودون الأشقر باستقراره شاد الشراب خاناة عوضاً عن قراجا المذكور ، ثم عمل السلطان فى هذا اليوم عرس الأمير بكتمر جلق ، وزفت عليه ابنة السلطان الملك الناصر — التى كان عقد عليه عقدها بدمشق — وعمرها يوم ذلك نحو سبع سنين أو أقل ، وبنى عليها بكتمر فى ليلة الجمعة حادى عشر المحرم المذكور ، وأخذ السلطان فى أسباب السفر ، وتهيأ وأنفق على المماليك السلطانية وغيرهم من الأمراء ، ومن له عادة بالنفقة ، فأعطى لكل مملوك من المماليك السلطانية عشرين ألف درهم ، وحمل إلى الأمراء مقدمى الألوف لكل واحد ألفى دينار ،

« وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »[١].

ثمّ إنّ السُّلطانَ الملكَ الناصرَ بعدَ حُضور هـذا المحضَر أخذ فى الاهتمام للسَّفر .

ثمّ نَزَلَ منَ القلعة وعدّى النيل فى يوم الإثنين ثانى ذى القعدة ، وتوجّه إلى الربيع ، وعادَ منْ يَوْمِهِ إلى القلعة وهو فى أُناس قليلة ، ثمّ بعد عَوْدِه رَسم بقَتْلِ الأمير جَرْبَاش العُمَرِىّ ، والأمير خُشْكَلدى بثغر الإسكندريّة ، فقُتلا بها وذُفنا بالثّغر المذكور .

ثمّ فى رابع عشر مِن ذى القعـدة ، أنفقَ السُّلطانُ على المماليك السُّلطانية نفقةَ السفر ؛ فأعطى لـكلّ نفر سبعين ديناراً ناصريًّا ، وبعثَ للأمير الـكبير دَمُرْدَاش المحمّدىّ ثلاثة آلاف دينـار ، ولـكلٍّ منْ أُمراء الألوف بألفَىْ دِينَـار ، ولأمراء الطَّبلخانات ما بَين سبعمائة دِينارٍ إلى خمسمائة دينار .

ثمّ فى ليلة الخميس رابع عشرين ذى القعدة ، طلبَ السُّلطانُ الأميرَ شهابَ الدين أحمد بن محمد بن الطَّبلاوىّ ؛ فلمـا حضر إلى عنده ضَرَبَ عنقه بيده ، بعدَ أن قتل مُطلَّقَتَهُ بنتَ صُرُق بيدِه نَهْبيراً بالسَّيف عند كريمتى بقـاعة العواميد[٢] ، فإنّها كانت يوم ذاك صاحبة القاعة .

وخَبَرُ ذلك : أن السّـلطانَ الملكَ الناصر كان قَدْ طلّقَ خَوند بنتَ صُرُق المذكورة ، وَنزَلت إلى دَارها ، وكان له إليها مَيل ، فَوُشِىَ بهـا أنّ

(١) آية ٢ ، ٣ من سورة الطلاق .

(٢) قاعة العواميد : إحدى قاعات القلعة ، وتعرف بالقاعة الكبرى ، وكانت مخصصة لحاجات السلطان المنزلية . (ج ١٢ : ٤٥ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

ابنَ الطَّبلاوىّ المذكورَ وَقعَ بينهُ وبينها اجتماعٌ ، وظهرَ له قرائنُ تدلُّ على ذلك ، منها أنّه وُجدَ لها خاتمٌ عندهُ .

فأرْسلَ السُّلطانُ خلفها ، فَلبستْ أفخرَ ثيابها ظنًّا منها أنّ السُّلطانَ يريدُ يعيدها لعصمته . قالَتْ أُختى خوْندُ فاطمة : وَكان السّلطانُ جالساً عندى بالقَاعة ، فلمّا قيلَ له جاءتْ خَـونْدُ بنتُ صُرُق نهضَ منْ وَقتهِ وخرَجَ إلى الدّهليز ، وجلس به على مسطبة .

قالت : فخرجْتُ خلفه ولا عِلم لى بقَصْدهِ ، فجـاءت بنْت صُرُق وقبّلتْ يدَه ، فقال لهـا : يا قحبة ، مَراكيبُ الملوكِ تركبها البلاّصية ؟ !

وقبل أن تتكلم ضَربها بالنِّمْجاة[١] قطع أصابعها — وكانَت مقمعة بالحناء — فصاحتْ وهربَت ، فقام خلفها وضربها ضرْبةً ثانيةً قطعَ منْ كتفها قِطعة ، وصارَت تجرى وهو خلفها — وقد اجتمعَ جميع الخوندات عندى بالقاعة للسّلام على بنت صُرُق المذكورة — وَلازَال يضربها بالنِّمْجاة وهى تجرى إلى أن دخلت المستراح ، فتمّمَ قتلها فى صَحْن المستراح ، ثمّ قطعَ رأسها وأخذها بدَبُّوقتها[٢] — وفى آذانها الحلق البلخش[٣] الهائلة — وَخرَجَ إلى قاعة الدّهيشة[٤] ، وَوَضعها بَين يديهِ وغطَّاها بفوطة ، ثمّ طلبَ ابنَ الطبلاوىّ المقدّم ذكره وَأجلسهُ وكشفَ له عن الفوطةِ ، وقال له : تعرف هذه الرأس ؟ فأطرق .

(١) النمجاة : خنجر مقوس شبه السيف القصير ، وهو معرب اللفظ الفارسى نمجه ويقال نمجاه ونمجه و نمشاه ونمشه — عن هامش الدكتور زيادة على (السلوك للمقريزى ١ : ٨٥٧) .

(٢) الدبوقة : الشعر المضفور (تعليق د . بوبر على ص ٢٥٤ من ج ٦ من هذا الكتاب ط كاليفورنيا).

(٣) البلخش : أو البذخش وهو نوع من الياقوت ينسب إلى جهات بدخشان فى أقصى شرق أفغانستان (عن تعليق الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ١ : ٥٠) .

(٤) الدهيشة : قاعة كبيرة مرتفعة البناء تدهش الناظر فيها ، عمرها الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن قلاوون ، وكانت تقع فى الجهة الشرقية من جامع القلعة (ج ١٠ : ٨٩ — ٩٠ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

تواتُر الفتنِ واستمرارها بالشَّام ومصر ، وتكرار سَفره إلى البلاد الشَّامية ، فما منْ سَفرةٍ سافر إليها إلّا ويُنفقُ فيها أموالا عظيمة ؛ زيادةً على ألف ألف دينار ، يجبيها مِنْ دماء أهل مصر ومُهجهم[١] ، ثمَّ يتقدَّم إلى الشام فيخرِّب الدِّيار ويستأصل الأموال ويُدمِّر القرى .

ثمّ يعود وقد تأكّدت أسبابُ الفتنة ، وعادت أعظم ما كانت ، فخربت الإسكندرية ، وبلادُ البُحيرة ، وأكثرُ الشرقيَّة ، ومعظم الغربية ، وتدمَّرت بلادُ الفيُّوم ، وعمَّ الخرابُ بلاد الصعيد بحيثُ بطل منها زيادةً على أربعين خطبة[٢] ، ودثر ثغرُ أُسوان وكان من أعظم ثغور المسلمين ، وخرب من القاهرة وأملاكها وظواهرها زيادةً عن نصفها ، ومات من أهل مصر فى الغلاء والوباء نحو ثلثى النَّاس ، وقتل فى الفتن بمصر مدّة أيّامه خلائقُ لا تدخل تحت حصر . مع مُجاهرته بالفسوق ، من شرب الخمر ، وإتيان الفواحش ، والتجرُّؤ العظيم على الله جلت قُدْرته .

ومن العجيب أنّه لمَّا وُلد كان قد أقبلَ يَلْبُغا الناصرىّ بعساكر الشّام لينزع أباه الملكَ الظاهر برْقُوق من الملك — وهو فى غاية الاضطراب من ذلك — فعندَ ما بشر به قيل له : ما تسميه ؟ .... قال : بُلْغاق[٣] — يعنى فتنة — وهى كلمة تركيَّة ، فقبض على أبيه الملك الظّاهر وسجن بالكرك — كما تقدّم ذكره .

فلمّا عاد إلى الملك عرض عليه فسمَّاه فرجاً ، ولم يُسمّه أحدٌ لذلك اليوم إلاّ بُلْغاق ، وهو فى الحقيقة ما كان إلّا فتنة ، أقامه اللهُ — سبحانه وتعالى — نقمةً على النَّاس ليُذيقهم بعض الذى عملوا .

(١) فى نسخة استنبول « يجبيها من رؤساء أهل مصر ومهجتهم » والمثبت عن ط كاليفورنيا .
(٢) كذا فى الأصول ، وعليه فالمعنى خراب المساجد التى تقام بها الجمع ، ولعلها خطة بمعنى حى أو قرية .
(٣) الرسم فى ج ١٢ : ١٦٨ من هذا الكتاب ط دار الكتب « بلغاك » بالكاف .

ومن عجيب الاتّفاق أنَّ حُروف اسمه « ف ر ج » عددُها ثلاثة وثمانون ومائتين وهى عددُ جركس[١] ، وكان فناه طائفة الجركس على يديه . فإن حُروفها تفنى إذا أُسقطت بحروف اسمه » .

قلتُ[٢] : كيف كان فناء الجركس على يديه ، وهم إلى الآن ملوكُ زماننا وسلاطينها ؟! . فهذا هو الخباط[٣] بعينه ! . وإن كان يعنى الذين قتلهم ، فهو قتل من كلِّ طائفة — انتهى .

قال[٤] : وكانت وفاتُه عن أربعٍ وعشرين سنة وثمانية أشهر وأيّام ، وكل هذه الأمور من سُوء تدْبير مماليك أبيه معه والفتنة فى بعضهم البعض ، وهم الذين جسَّرُوه على المظالم ، وعلى قتل بعضهم ، فاستمرّ على الظلم والقتل إلى أن كان من أمره ما كان — انتهى كلام المقريزى بتمامه وكماله .

قلتُ : وكان يمكننى أنْ أُجيب عن كلّ ما ذكره المقريزىّ — غير إسرافه على نفسه — غير أنى أضربت عن ذلك خشية الإطالة والملل ، على أنى موافقهُ على أنَّ الزَّمان يصلُحُ ويفسدُ بسلطانه وأرباب دولته ، ولكن البلاء قديم وحديث — انتهى .

وخلَّف الملكُ الناصر عشرة أولادٍ — فيما أظنّ — ثلاثة ذكور وسبع إناث ، فالذكور : فرج ، ومحمد ، وخليل ، والإناث : سُتيتَة التى زوَّجها لبكتَمُر جلّق ، وعائشة ، وآسية ، وزينب ، وشقراء ، وهاجر ، ورجب ، والجميع أمّهاتهم أمُّ أولادٍ مُوَلّداتٌ . ما عدَا عائشة وشقراء — والله أعلم .

(١) وذلك لأن التقدير فى حساب الجمل كما يلى :
ف ر ج = ٨٠ + ٢٠٠ + ٣ = ٢٨٣
ج ر ك س = ٣ + ٢٠٠ + ٢٠ + ٦٠ = ٢٨٣
(٢) أى المؤلف .
(٣) الخباط : داء كالجنون (لسان العرب ٩ : ١٥٢).
(٤) أى المقريزى .

ومن خرق العادات أيضا فى سلطنة الملك[1] الأشرف أنه لما تسلطن لم يُنفِق على المماليك السلطانية، وأعجب من ذلك أنه ما طولِبَ بها، وهذا أغرب وأعجب.

ثم رسم السلطان الملك الأشرف — فى يوم الخميس ثامن جمادى الأولى، ونُودِى بذلك فى القاهرة — بأن لا يُستَخدَم أحدٌ من اليهود ولا من النصارى فى ديوان من دواوين السُّلطان والأمراء، وصمّمَ الأشرف على ذلك، فلم يسلم من بعض عُظَماء الأقباط من مباشرى الدَّولة فلم يتمّ ذلك.

ثم قدم الخبر على السلطان بكثرة الوَبَاء ببلاد حَلَب وحماة وحمص فى رابع عشر جمادى الآخرة، ورسَمَ السلطان فنُودِىَ بسفر الناس إلى مَكّة فى شهر رجَب، فكثرت المَسَرّات، بذلك لبعد العهد بسفر الرجبيّة.

ثم جلس السلطانُ للحُكْم بين الناس كما كان الملك المؤيّد ومَنْ قبله، وصار يحكم فى يومَى السبت والثلاثاء بالمقعد من الإسطبل السلطانى، ثم كتبَ السلطان إلى الأمير تَنبَك البَجَاسِىّ نائب حَلَب أن يتوجّه إلى بَهَسْنَا[2] لحصار تَنْرِى بَرْدِى المُؤيّدِى المعزول عن نيابة حَلَب.

ثم ورد الخبرُ على السلطان بخروج الأمير إينَال نائب صَفَد عن الطاعة، وكان سبب خروجه عن الطّاعة أنه كان من جُمْلة مماليك الملك الظّاهر ططَر، ربّاه صغيرا ثم ولاه نيابة قلعة صَفَد بعد سلطنته فلما قام الملكُ الأشرف بعد الملك الظاهر ططَر بالأمر ولّى إينَالَ المذكور نيابة صَفَد، وبلغه خلعُ ابنِ أستاذه الملك الصالح محمد من السلطنة، فشَقّ عليه ذلك، وأخذ فى تَدْبِير أمْرِهِ، وأتَّفَقَ مع جماعة على العِصْيان، وخرج عن الطّاعة، وأفرج عمَّن كان مَحْبُوساً بقلعة صَفَد، وهم: الأمير يَشْبُك أَنَالِى المؤيّدى

(١) ورد فى هامش اللوحة «عدم النفقة على المماليك فى سلطنة الملك الأشرف».

(٢) بهسنا: قلعة بين مرعش وسميساط شمالى حلب على أربع مراحل منها، وفى الغرب والشمال من عينتاب، بينها وبين سيس نحو ستة أيام. هامش (ج ٨ : ١٤ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) و(ياقوت—معجم البلدان ١ : ٧٧٠).

الأستادار ثم رأس نوبة النُّوَب، والأمير إينَال الجَكَمِى أمير سلاح ثم نائب حَلَب، والأمير جُلُبّان أمير آخُور أحد مقدّمى الألوف، وقَبَض على من خَالَفَهُ من أمراء صَفَد وأعيانها، فى الحال كتَبَ السلطانُ الملك الأشرف للأمير مُقْبِل الحسامىّ الدَّوَادَار حاجب حجّاب دِمَشْق باستقراره فى نيابة صَفَد[1]، وأن يستمرّ إقطاع الحجوبيّة بيده حتى يتسلّم صَفَد، ثم كتب إلى الأمير تَنبَك مِيق نائب الشّام أن يخرج بعسكر دِمَشْق لقتال إينَال المذكور، وبينما السلطانُ فى ذلك ورَدَ عليه الخبر بوقعةٍ كانت بين الأمير يونُس الرُّكْنِىّ نائب غَزّة وبين عَرَب جرم، وان يُونُس المذكور انهزَمَ وقُتِل عِدّةٌ من عسكره، ثم ورَدَت الأخبـار بكثرة الفتن فى بلاد الصَّعيد، ثم ورَدَ على السلطان كتابُ الأمير تَنبَك مِيق نائب الشّام بمجىء الأمير إينَال الجَكمى، ويَشْبُك أَنَالِى، وجُلُبّان أمير آخُور إليه من صَفَد طائعين للسلطان، فدقّت البشائر لذلك.

وفى سابع عشرين شهر رجب قَدِمَ الأميرُ قَارِس نائب الإسكندرية إلى القاهرة بطَلَب، وخلع عليه باستمراره على إمرته وإقطاعه بمصر، وهى تقدمه ألف بالدّيار المصرية، وخلع على الأمير أَسَنْدَمُر النورىّ الظاهرىّ بَرْقُوق أحد أمراء الألوف باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن قَارِس المذكور.

ولما كان يوم الخميس رابع شعبان — الموافق لتاسع عشرين أبِيب[2] — أوْفَى النيلُ ستّة عشر ذراعا، وهذا من النَّوَادِر من الوفاء قبلَ مِسْرَى بيومين، فتباشَرَ الناسُ بكَعْبِ المَلِك الأشرف [بَرْسْبَاى][3].

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان المذكور أخْرِجَ الملك المظفّر أحمد ابن الملك المؤيّد شيخ وأخوه من قلعة الجَبَل نَهاراً وحُمِلَا فى النّيل إلى الإسكندرية.

وفى هذا الشهر كَثُرَ عبَثُ الإفرنج بسواحل المُسامين، وأخذوا مركبا للتجّار

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار مقبل فى نيابة صفد».

(٢) ورد فى هامش اللوحة «وفاء النيل».

(٣) إضافة على الأصل.

ثم فى ثامن شوال خلع السلطان على بدر الدين بن محب الدين المشير باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عَزْل خليل التِّبْرِيزى[١] الدَّشَارِى .

ثم عدَّى السلطانُ — فى يوم الخميس ثالث ذى القعدة — إلى برِّ الجيزة إلى وَسِيم[٢] حيث مَرْبَط خيوله ، وأقام به إلى يوم الاثنين حادى عشرينه ، وطَلَع إلى القلعة ونصبَ جَالِيشَ[٣] السفر[٤] على الطَّبْلَخَاناه السلطانية ؛ ليتوجّه السلطانُ لقتال نَوْرُوز ، وأخذ السلطانُ فى الاستعداد هو وأمراؤه وعساكره حتى خرج فى آخر ذى القعدة الأميرُ إينَال الصَّصْلانى نائب حَلَب وسُودُون قراصُقُل[٥] نائب غزَّة إلى الرَّيْدَانية[٦] خارج القاهرة ، ثم خرج الأميرُ قَانِى بَاى المحمدى نائب الشام فى يوم الخميس سادس عشر ذى الحجّة ونَزَل أيضا بالرَّيْدَانية .

وفى يوم الخميس المذكور خُلِعَ المستعينُ بالله العباسُ من الخلافة واستقرَّ فيها أخوهُ المعتضد دَاود ، وقد تقدَّم ذكرُ ذلك فى ترجمة المستعين المذكور[٧] .

ثم شرَع السلطانُ فى النَّفَقَة على المماليك السلطانية لكلِّ واحدمائة دينار ناصرية[٨] ، ثم رَحَل قانِى بَاى نائبُ الشام من الرَّيْدَانيّة .

(١) ورد فى هامش اللوحة «عزل خليل الدشارى عن نيابة الإسكندرية» .

(٢) وسيم : قرية من قرى محافظة الجيزة غربى امبابة ، هامش (ج ١٣ : ١٢٨ من هذا الكتاب) .

(٣) الجاليش : هنا — هو علم من الأعلام التى كانت تحملها جيوش سلاطين المماليك فى الحرب ، وكان من الحرير الأبيض المطرز بشارات السلطان ، وتعلق فى أعلاه خصلة من الشعر ، هامش (ج ١٣ : ٥٥ من هذا الكتاب) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «نصب جاليش سفر السلطان لقتال نوروز » .

(٥) يرد رسم هذا الاسم «قراسقل» بالسين ، كما يرد رسمه «قراصقل» بالصاد .

(٦) الريدانية : ومكانها اليوم حى العباسية وامتداده إلى منشية البكرى والوايلية ومصر الجديدة ، وكانت بستانا ينسب إلى ريدان الصقلى أحد خدام العزيز بالله الفاطمى ؛ هامش (ج ١٢ : ٢ من هذا الكتاب) .

(٧) انظر (ج ١٣ : ١٨٩ من هذا الكتاب) .

(٨) نسبة إلى السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق ، وكان نقش وجه الدينار « ضرب بالقاهرة سنة ست — السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج ابن الشهيد الملك الظاهر أبو سعيد (برقوق) ونقش ظهره « لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (د. أبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٥٣٤) .

وفى ثامن عشرينه غضب السلطانُ على الوزير تاج الدين عبد الرَّزَّاق بن الهَيْصَم ، وضربه وبالَغَ فى إهانته ، ثم رضىَ عنه وخَلَع عليه خِلْعَة الرِّضى . ثم فى سابع عشرينه نُصِبَ خَامُ[١] السلطان بالرَّيْدَانية .

قال المقريزى رحمه الله : وفى هذا الشهر قَدِمَ الأميرُ فخر الدين بن أبى الفرج من بلاد الصعيد فى ثالث عشرينه ، بخَيْلٍ وجمالٍ وأبْقَار وأغْنَام كثيرة جداً ، وقد جمع المال من الذّهب وحُلِىِّ النِّساء وغير ذلك من العبيد والإماء والجوارى اللاتى تَرَقَّهن ، ثم وَهَب منهنّ وباع باقيهنّ ؛ وذلك أنه عمل فى بلاد الصعيد كما يعمل رءوس المَنَاسِر[٢] إذا هم هَجَمُوا ليْلاً على القَرْيَة ؛ فإنه كان ينزل ليلا بالبلد فيَنْهَبُ جميعَ ما فيها من غِلال وحيوان ، وسلبَ النساء حليّهن وكسوتهن بحيث لا يسير عنها لغيرها حتى يتركها عُرْيَانة ، فخَرِبت — بهذا الفعل — بلادُ الصَّعِيد تخريباً يُخْشَى من سوء عاقبته ، فلمَّا قَدِمَ إلى القاهرة شَرَع فى رَمْىِ[٣] الأصْناف المذكورة على الناس من أهل المدينة وسكّان الرِّيف وذلك بأغلى الأثمان ، ويحتاج من ابْتُلِىَ بشىء من ذلك أن يتكلف لأعوانه من الرُّسُل ونحوهم شيئاً كثيراً — انتهى كلام المقريزى .

ثم إن السلطان الملك المؤيّد لما كان يوم الاثنين رابع محرم سنة سبع عشرة وثمانمائة رَكِبَ من قلعة الجبل بأمرائه وعساكره بعد طُلُوع الفَجْر ، وسارَ حتى نزَلَ بمخيَّمه من الرَّيْدَانِيّة خارج القاهرة من غير تطليب[٤] . ثم خرجت الأطْلاَبُ والعساكر فى أثناء النهار بعد أن خَلَعَ على الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى بنيابة الغيبة[٥] ، وأنزَلَه بباب

(١) الخام : يراد به هنا الخيام ، وقد يطلق على القماش .

(٢) يعنى هذا المصطلح قطاع الطرق .

(٣) المراد بالرمى هنا هو إلزام الناس بشرائها .

(٤) أى من غير ترتيب الأطلاب وتسييرها ، والأطلاب جمع طلب وهو الفرقة من المماليك أو العسكر الخاصة بكل أمير ، أو هو الحرس الخاص بالأمير ، وانظر هامش (ج ١٢ : ١٨٦ ، ج ١٣ : ٥٥ من هذا الكتاب) .

(٥) نيابة الغيبة : وهى وظيفة يقوم شاغلها بأعمال السلطان أثناء غيابه عن عاصمة ملكه (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٧) .

وسيّروا أثقالهم ، فنادى نائبُ قلعة حَلَب بالنَّفير العام ، فأتاهُ جُلُّ أهل حَلَب ، ونزل هو بمن عنده من العسكر الحَلَبى وقاتل إينَالَ وعساكره فلم يثبتوا ، وخَرَج قانِى بَاى وإينَالُ إلى خان طُومَان(1) ، وتخطَّفَ العامّةُ بعضَ أثقالهم ، وأقاموا هناك إلى أن قاتلوا الملكَ المؤيّد حسبما يأتى ذكره .

وأما السلطان الملك المؤيّد فإنه لمّا كان ثانى عشرين جمادى الآخرة خلع على الأمير مُشْتَرَك القاسمىّ الظاهرىّ باستقراره فى نيابة غَزَّة عوضا عن طَرَبَاى ، ثم فى سابع عشرين خلع على الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشىّ الأمير آخور باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن أَلْطُنْبُغَا العُثْمانى نائب دِمَشْق .

ثم فى سلخه خلع على الأمير تَنِبك العَلَائى الظاهرى المعروف بميق رأس نوبة النُّوب باستقراره أمير آخور عوضا عن أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشى .

ثم فى رابع شهر رجب خلع السلطان على سُودُون القاضى حاجب الحجّاب باستقراره رأس نَوْبة النُّوَب عوضا عن تَنِبَك مِيق ، وخَلَع على سُودُون قَرَاصُقل واستقرّ حاجب الحجاب عوضا عن سُودُون القاضى .

وفى حادى عشره سار الأمير آقْبَاى المؤيّدى الدّوادار على مائتى مملوك نجدةً ثانية لنائب الشّام أَلْطُنْبُغَا العثمانى .

وفى ذلك اليوم دار المحمل على العادة فى كل سنة .

ثم فى يوم ثالث عشر شهر رجب المذكور قدم الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم ابن مَنْجَك من دِمَشْق فارّاً من قانِى بَاى نائب الشام ، فارتجت القاهرة بسفر السُّلْطَان إلى البلاد الشّامية ، وعظم الاهتمام للسفر .

ثم فى رابع عشره أمسَك السلطانُ الأميرَ جَانِى بَك الصّوفى(1) أمير سلاح وقيّده

(1) ورد فى هامش اللوحة «القبض على جانى بك الصوفى واهتمام السلطان للسفر وخروجه بسرعة» .

وسجنه بالبُرْج بقلعة الجبل ، ثم رسم السلطانُ للأمراء بالتأهّب للسفر ، وأخذَ فى عرض المماليك السلطانية وتعيين من يختاره للسّفر ، فعيَّن من المماليك السلطانية مقدارَ النّصْف منهم فإنه أراد السفر مُخِفّاً ، لأن الوقت كان فصل الشتاء والديار المصرية مُغْلِيَة الأسعار إلى الغاية .

ثم فى ثامن عشره أنفَق السلطانُ نفقات السفر ، وأعطى كلَّ مملوك ثلاثين ديناراً إفرنتيّة(1) ، وتسعين نصفاً فضةً مؤيّدية ، وفرّق عليهم الجِمَال .

ثم فى تاسع عشره أمسَك الوزيرَ تاج الدين عبد الرزّاق بن الهَيْصَم وضربه بالمقارع ، وأُحِيطَ بحاشيته وأتباعه وأَلْزَمَه بحمل مال كثير .

ثم فى حادى عشرينه خلع السلطانُ على علم الدين أبى كُم باستقراره فى وظيفة نظر الدّولة ليسد مُهِمّات الدّوْلة مُدّة غيبة السلطان .

ثم فى يوم الجمعة ثانى عشرين شهر رجب المذكور ركب السلطانُ بعد صلاة الجمعة [من قلعة الجبل](2) بأمرائه وعساكره المعيّنين صحبته للسفر حتى نزل بمخيّمه بالرَّيْدَانية خارج القاهرة ، وخلع على الأمير طَطَر واستقرّ به نائب الغَيْبَة بديار مصر وأنزله بباب السِّلسلة ، وخلع على الأمير سُودون قَرَاصُقُل حاجب الحجاب وجعله مُقيماً بالقاهرة للحكم بين الناس ، وخلَع على الأمير قُطْلُوبُغَا التَّنَمىّ وأنزله بقلعة الجبَل ، وبات السلطانُ تلك الليلة بالرَّيْدَانية ، وسافر من الغد يُريدُ البلادَ الشاميّة ، ومعه الخليفةُ وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى لاغَيْر .

وسار السلطان حتى وصل إلى غزة فى تاسع عشرين شهر رجب المذكور ، وسار منها فى نهاره ، وكان قد خرج الأمير قَانِى بَاى من دِمَشْق فى سابع عشرينه حسبما ذكرناه ، ودخل الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى إلى دِمَشْق فى ثانى شعبان ، وقُرِئ تقليدُه ،

(1) الإفرنتى : أى الدينار الإفرنجى أو المشخص ، وهو عملة ذهبية ، وانظر (دكتور عبد الرحمن فهمى محمد — النقود العربية ٩٥-٩٦) .
(2) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٥٢) .

وكان وَعَدَنى بعضُ أعيان المماليك المؤيديَّة أنه إن طالت يدُه فى التحكّم أن يصنعَ بابًا وتنورًا للجامع المؤيّدى المذكور أحسن منهما ، ثم يردهما إلى مكانهما من مدرسة السلطان حسن ، فقبضَهُ الله قبل ذلك — رحمه الله تعالى .

وكان نقل هذا الباب والتَّنور من مدرسة السلطان حسن إلى مدرسة الملك المؤيد فى يوم الخميس سابع عشرين شوال من السنة المذكورة .

ثم بدا للسلطان الملك المؤيد السفرُ إلى البلاد الشاميَّة ؛ لِمَا اقتضاه رأيه ، وعلَّق جاليشُ السَّفر(١) فى يوم الاثنين خامس المحرّم من سنة عشرين وثمانمائة ، وهذه سفرةُ الملك المؤيد شيخ الثالثة إلى البلاد الشامية من يوم تسلطن ؛ فالأولى فى سنة سبع عشرة وثمانمائة لقتال الأمير نَوْرُوز الحافظىّ نائب الشام ، والثانية فى سنة ثمانى عشرة [وثمانمائة](٢) لقتال الأمير قَانِى بَاى المحمدى نائب الشام ، وهذه سفرته الثالثة .

وتجهّز السلطان للسفر وأمرَ أمراءه وعساكره بالتّجهيز ، فلما كان خامس عشر المحرم جلس السلطانُ لتفرقة النفقات ، فحُمِلَ إلى كل من أمراء الألوف ألفَىْ دينار ، وأعطى لكل مملوك من المماليك السلطانية ثمانية وأربعين دينارًا صَرفُها يوم ذاك عشرة آلاف درهم (٣) .

وبينما السلطان يتهيّأ للسفر قَدِمَ عليه الخبرُ فى ثالث عشرين المحرّم بوصول الأمير آقْبَاى المؤيدى نائب حَلَب إلى قَطْيَا فى ثمانى هجن ، فكثُرت الأقوالُ فى مجيئه على هذه الهيئة ، ورسَمَ السلطانُ بتلقّيه ، فسار إليه الأمراءُ وأربابُ الدولة إلى خانقاه سِرْيَاقوس ، وجهّز له السلطانُ فرسًا بسرج ذهب وكُنْبُوش(٤) زَرْكَش ،

(١) ورد فى هامش اللوحة « حركة السلطان إلى السفر للبلاد الشامية» .
(٢) إضافة للتوضيح .
(٣) مكان هذا اللفظ فى الأصل بعض حروف لا تقرأ . والإثبات من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٦٠).
(٤) الكنبوش : هو البرذعة أو السرج للحصان ، وانظر هامش (ج ٧ : ١١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) وتطلق أيضا على الستر أو الطرحة التى تغطى الحصان (على مبارك — الخطط ١٠ : ٧٠) .

وكامليّة(١) مُخْمَل بفرو سَمُّور بمقلب سَمُّور ، وقدم آقْبَاىُ المذكور من الغد فى يوم السبت رابع عشرين المحرم ، فلامَهُ السلطانُ ووبّخهُ وعنّفهُ على حضوره إلى القاهرة فى هذه المُدّة اليسيرة على هذا الوجه من غير أمرٍ يستحقّ ذلك ، فإنه سار من حَلَب إلى مصر فى أقل من عشرة أيام ، فاعتذر آقْبَاىُ ، إنما أحوجَه لذلك ما أُشيعَ عنه فى عزم الخروج عن الطاعة ، ثم استغفرَ ممّا وقع منه فخلع عليه السلطانُ باستقراره فى نيابة دِمَشْق عِوَضًا عن الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى ، ورَسَمَ السلطانُ للأمير آقْبُغَا التَّمْرَازِىّ أمير آخُور ثانى بالتوجّه إلى الشام ليقبضَ على [أَلْطُنْبُغَا](٢) العثمانى ويودعه بسجن قلعة دِمَشْق ، والحَوْطَة على مَوْجُودِه ثم خلع السلطان على الأمير قَجَقَار التَّرْدَامِى أمير سلاح باستقراره فى نيابة حلب عوضًا عن آقْبَاى المذكور ، وأنعم السلطان بإقطاع قَجَقَار على الأمير بَيْبُغَا المظفرى أمير مجلس .

ثم خرجت مُدَوَّرة(٣) السلطان إلى الرَّيْدَانية خارج القاهرة ، ودخل المحمل فى ذلك اليوم إلى القاهرة صُحْبة أمير حاج المحمل الأمير أَزْدَمُر من على جان المعروف بأَزْدَمُر شَايا .

ثم فى خامس عشرين المحرم المذكور ركب السلطان من قلعة الجبَل بأمرائه وعساكره ونزل بمخيَّمه بالرَّيْدانية(٤) خارج القاهرة تجاه مسجد التِّبْن ، وخلع على الشيخ شمس الدين محمد بن يعقوب التَّبّانى باستقراره فى حِسْبة القاهرة(٥) ، وعُزِل عنها مَنْكَلى بُغَا العجمى الحاجب .

ثم فى سابع عشرينه خلع السلطان على الأمير آقْبَاى نائب الشام خِلْعة السفر وسافر من يومه جريدةً(٦) على الخيل ، ثم خلع السلطان على الأمير طُوغان أمير آخُور السلطان

(١) كاملية : هى ثوب ضيق الأكمام يلبس فوق القباء ، به فتحة من منتصف الظهر حتى أسفل حافة الذيل (ماير — الملابس المملوكية ١٤) وقد يبطن بفرو السمور أو تكون له قلابات من فرو السمور كما هنا .
(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٦١) .
(٣) مدورة السلطان : هى خيمة كبيرة مستديرة خاصة به . هامش (ج ١٣ : ٦٢ من هذا الكتاب).
(٤) ورد فى هامش اللوحة «بروز السلطان من القلعة إلى الريدانية » .
(٥) حسبة القاهرة : هى من الوظائف الدينية ، وشاغلها يتولى الأمر والنهى فيما يتصل بالمعايش والصناعات ، ومراقبة الأسعار والتجار وغير ذلك ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٢٤ من هذا الكتاب) .
(٦) أى مخفا ومسرعا دون حمل أثقال أو ما أشبه ذلك .

نائب الشام فى إقامته عليها ، وأردفه بآلات الحصار والصنّاع من الزردخاناه السلطانية ، وعاد السلطانُ إلى مُخيّمه فوصل إليه فى تلك الليلة مفاتيحُ قلعة خَنْدَروس من مضافات درَنْدَة ، ثم ركب السلطان من الغد وبات على سطح العَقَبة المُطِلّة على درَنْدَة ، فلما أصبح ركب بعساكره وعليهم السلاح ، ونزل بمخيّمه على قلعة درَنْدَة وهى فى شدّة من قوة الحصار ، فلما رأى من بها أن السلطانَ نزل عليهم طلبوا الأمان فأمّنهم ونزلوا بُكْرَة يوم الجمعة ، وفيهم داوُد ابن الأمير محمد بن قَرَمان ، فألبسه السلطان تشريفاً ، وأركبه فرساً بقماش ذهب ، وخلع على جماعته ، واستولى السلطانُ على القلعة ، وخلع على الأمير ألطُنْبُغا الجَكَمىّ أحد رءوس النُّوَب باستقراره فى نيابة درَنْدَة ، وأنعمَ عليه بأربعة آلاف دينار غير السلاح ، وخلع على الأمير مَنْكلِى بُغا الأرغون شاوى أحد أمراء الطَّبْلَخَانات بالديار المصرية بنيابة مَلَطْيَة ودَوْرَكى ، وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار ، ثم طلع السلطانُ إلى قلعة درَنْدَة وأحاطَ بها عِلْماً ، ثم ارتحلَ عنها بعد أن مهّدَ البلاد التى استولى عليها ، وعمل مصالحها ، وسار حتى نزل على النّهر من غربى أبُلُسْتَين بنحو مرحلة ، فأقام هناك أربعة أيام ليُمكّنَ كلّ مَنْ وَلِىَ نيابة على عَمَله ورجوع أهل بلده إليه ، ثم رَحَلَ ونزل على أبُلُسْتَين يريد التوجُّه إلى بَهَسْنا وكَخْتا وكَرْكَر ، وأعاد من هناك حَمْزَة بن على بك بن دُلْغادِر إلى أبيه ، وجهّز له رايةً حمراء من الكَمْخَا[1] الإسكندرانى ، ونفقةً وطبلخاناه .

وكان الأمير آقبَاى سار إلى بَهَسْنا فقدمَ الخبرُ على السلطان من الأمير آقبَاى بأنه كتب إلى الأمير طُغْرُق بن داود بن إبراهيم بن دُلْغادِر المقيم بقلعة بَهَسْنا يُرَغّبُه فى الطاعة ، ويدعوه إلى الحضور إلى الحضرة الشريفة ، فاعتذر من حضوره بخوفه على نفسه ، فما زال به حتى سلّم القلعةَ وحضَر إليه ، فلما كان سادس عشر جمادى الآخرة

(١) الكمخا الإسكندرانى : قماش الكمخا هو نسيج به وحدة زخرفية من لون مختلف عن لون القماش الأصلى ، وأحيانا يكون لون الوحدة من درجة لون القماش مع بعض الاختلاف البسيط (ماير – الملابس المملوكية ٥٩) وجاء فى (قطر المحيط للبستانى ٢ : ١٨٨٠) الكمخا نسيج رفيع من الحرير ، واللفظ فارسى .

قَدِمَ الأميرُ آقبَاى ومعه الأمير طُغْرُق ومن كان معه بالقلعة ، وقد قاربَ السلطانُ فى مسيره حصنَ مَنْصُور[1] ، فخلع السلطانُ على طُغْرُق ومن معه ، وأنعم عليهم ، وأنزل طُغْرُق بخام ضُرِب له ، ونزل السلطان بحصن مَنْصُور فورد عليه الخبر بنزول قَجْقَار القَرْدَمِى على كَرْكَر وكَخْتَا ، وقدم أيضاً قاصد قَرَايُلُك صاحب آمِد[2] من ديار بَكر[3] بهدية فقبلها السلطان ، وخلع عليه .

ثم قَدِمَ فيه أيضاً رسول الملك العادل صاحب حصن كَيْفَا[4] بهدية فقبلها السلطان أيضا ، فلما كان الغد رحل السلطانُ ونزل شمالى حِصْن مَنْصُور قريباً من كَخْتَا وكَرْكَر ، وأردف نائب حَلَب بالأمير جَارْقُطْلُو نائب حَماة وبجماعة من أمراء مصر والشام .

وبعث الأميرَ يَشْبُك اليُوسُفى نائب طرَابُلس لمنازلة كَخْتَا ، وخلع على الأمير مَنْكلِى خَجَا الأرْغُون شَاوى بنيابة قلعة الرّوم عوضا عن الأمير أبى بكر بن بهادر البابيرى الجُمَقْدار ، وخلع على الأمير كُمُشْبُغا الرُّكْنى بنيابة بَهَسْنَا عوضاً عن الأمير طُغْرُق بن دُلْغادِر ، ثم قدم جوابُ الأمير قَرَايُوسُف ، وقرَا محمد صحبة القاضى حميد الدين قاضى عسكره ، وكتاب شاه أحمد بن قَرَايُوسف صاحب بغداد من قِبَل أبيه ، وكتاب بِيرْ عُمر صاحب أرْزَنْكَان[5] بهدية جليلة من قَرَايُوسف ، فأنزلَ حميدَ الدين المذكور بمخيّمه ، وأجرى عليه ما يليق به .

ثم رَحَلَ السلطانُ حتى نزل على كَخْتَا وحَصَر قلعَتَها وقد نزح أهلُ كَخْتَا

(١) حصن منصور : ويقع على النهر الأزرق ببلاد الروم قرب حلب ، وانظر هامش (ج ٦ : ٢٨٢ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) و (لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية ١٥٥ ، ١٥٦) . وقد ورد فى هامش اللوحة «حصن منصور» .

(٢) آمد : من مدن ديار بكر غربى دجلة ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٥٩ من هذا الكتاب) .

(٣) ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة تنسب لبكر بن وائل ، وهى ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق ، وقصبتها الموصل ، هامش (ج ٨ : ١١٧ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٤) حصن كيفا : قلعة عظيمة تشرف على نهر دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر (ياقوت – معجم البلدان ٢ : ٢٧٧) .

(٥) أرزنكان : مدينة من بلاد أرمينية بين خلاط وأرزن الروم ، ويقال لها أرزنجان (ياقوت – معجم البلدان ١ : ٢٠٥) .

فعرضوا عليه فى يوم الجمعة سادسه، وابتدأ بعرض من هو فى خدمة الأمراء، فخيّرهم بين الاستمرار فى جملة أجناد الحلقة وترك خدمة الأمراء أو الإقامة فى خدمة الأمراء وترك أخباز الحلقة، فاختار بعضهم خدمة الأمراء وترك خبزه الذى بالحلقة، واختار بعضهم ضدّ ذلك، فأخرج السلطان إقطاع من اختار خدمة الأمراء، وصرف من خدمة الأمراء من أراد الإقامة على إقطاعه بالحلقة، وشكا إليه بعضهم قلّة متحصّل إقطاعه فزاده، وعُدّ هذا من جودة تدبير الملك المؤيّد وسيره على القاعدة القديمة؛ فإن العادة كانت فى هذه الدّولة التركيّة أن يكون عسكر مصر على ثلاثة أقسام:

قسم يقال لهم أجناد الحلقة، وموضوعهم أن يكونوا فى خدمة السلطان، ولكل منهم إقطاع فى أعمال مصر، وكل ألف منهم مضافة إلى أمير[1] مائة ومقدّم ألف[2]، ولهذا المعنى سُمّى الأمير بمصر أمير مائة، أعنى صاحب مائة مملوك فى خدمته ومقدم ألف من هؤلاء أجناد الحلقة، ويضاف أيضًا لكل مقدّم ألف أمير طبلخاناه وأمير عشرين وأمير عشرة ومقدّم الحلقة، فإذا عيّن السلطان أميرًا إلى جهة من الجهات نزل ذلك الأمير فى الوقت وتهيّأ بعد أن أعلم مضافيه، فيخرج الجميع فى الحال — انتهى.

وكان نظير هؤلاء أيام الخلفاء أهل العطاء وأهل الدّيوان.

والقسم الثانى [يقال لهم][3] مماليك السلطان، وهم جوامك[4] ورواتب مقرّرة على ديوان السلطان فى كل شهر وكسوة فى السنة.

والقسم الثالث يقال لهم مماليك الأمراء يخدمون الأمراء، وكل من هؤلاء لا يدخل مع آخر فيما هو فيه، فلذلك كانت عدّة عساكر مصر أضعاف ماهى الآن، وهؤلاء غير

(١) كلمة «أمير» واردة فى هامش اللوحة.
(٢) ورد فى هامش اللوحة «السبب فى تسمية المقدم ألف».
(٣) الإضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٨٧).
(٤) الجوامك : جمع جامكية، وهى المرتبات، وهى تعريب اللفظ الفارسى «جامكى» المركب من «جامه» بمعنى قيمة، و «كى» أداة النسبة (آدى فيشر — الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٥ ط. بيروت).

الأمراء، ثم تغيّر ذلك كلّه فى أيام الملك الظاهر برقوق لمّا وثب على الملك، فصارت الأمراء يشترون إقطاعات الحلقة أو يأخذونها من السلطان باسم مماليكهم أو طواشيتهم ثم لا يكفهم ذلك حتى ينزلونهم أيضًا فى بيت السلطان بجامكية، فيصير الواحد من مماليك الأمراء جندىّ حلقة ومملوك سلطان وفى خدمة أمير، فيصير رزق ثلاثة أنفس إلى رجل واحد، فكثر متحصّل قوم وقلّ متحصّل آخرين، فضعف عسكر مصر لذلك، فعلى هذا الحساب يكون العسكر الآن بثلث ما كان أوّلا، هذا غير ما خرج من الإقطاعات فى وجه الرّزق والأملاك وغير ذلك، وهو شىء كثير جدًا يخرج عن الحدّ، فمن تأمّل ما ذكرناه علم ما كان عدّة عسكر مصر أوّلا، وما عدته الآن. هذا مع ما خُرّب من النواحى من كثرة المغارم والظلم المترادف، وقلّة نظر الحكّام فى أحوال البلاد، ولولا ذلك لكان عسكر مصر لا يقاومه عدوّ ولا يدانيه عسكر — انتهى.

ثم فى سابع شهر رمضان هذا أفرج السلطان عن الأمير كمشبغا الفيسىّ أمير آخور — كان — فى الدولة الناصرية، وعن الأمير قصروه من تمراز وكانا بسجن الإسكندرية، وعن الأمير كزل العجمى الأجرود حاجب الحجاب — كان — فى الدولة الناصرية من حبس صفد، وعن الأمير شاهين نائب الكرك، وكان بقلعة دمشق.

ثم فى تاسعه ورد الخبر من حلب بأن قرا يوسف أحرق أسواق عين تاب ونهبها فصالحه أهلها على مائة ألف درهم وأربعين فرسًا، فرحل عنها بعد أربعة أيام إلى جهة ألبيرة، وعدّى معظم جيشه إلى البرّ الشرقى فى يوم الاثنين سابع عشر شعبان، وعدّى قرا يوسف من الغد ونزل ببساتين ألبيرة وحصرها، نقاتله أهلها يومين وقتلوا منه جماعة فدخل البلد ونهبها وأحرق أسواقها. وقد امتنع الناس منها ومعهم حريمهم بالقلعة، ثم رحل فى تاسع عشر شعبان إلى بلاده بعد ما أحرق ونهب جميع نواحى ألبيرة ومعاملتها.

ولما بلغ السلطان رجوع قرا يوسف إلى بلاده فرح بذلك وسكت عن السّفر إلى

وخلع فى يوم السبت خامس عشرينه على القاضى كمال الدين محمد بن البارزى (١) باستقراره كاتبَ السِّر الشريف بالديار المصرية بعد وفاة والده القاضى ناصر الدين محمد ابن البارزى ، ونزل إلى بيته فى مَوْكب جليل ، وبعد يومين خَلَع السلطانُ على القاضى بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد الدِّمشْقى المعروف بابن مُزْهر ناظر الإسطبل باستقراره فى نيابة كتابة السر عوضاً عن كمال الدين بن البارزى المذكور .

ثم فى تاسع عشرين شوّال المذكور نَصَل السلطانُ من مرضه ، ونقص ما كان به من الألم ، ودخل الحمّام ، وتخلّق الناسُ بالزّعفران وتداولت التهانى بالقلعة وغيرها ، ونُودِى بزينة القاهرة ومصر ، وفرّق السلطانُ مالاً كثيراً فى الفقراء والفقهاء والناس ، وخلع على الأطبّاء وأصحاب الوظائف .

وكان السلطان لمّا مات القاضى ناصر الدين بن البارزى طلبَ الذى خلّفه من المال فلم يجد ولدُه شيئاً ، فظنّ السلطان أنه أخفى ذلك ، فحلّفه ثم خلع عليه ، ونزل على أن يقوم للسلطان من ماله بأربعين ألف دينار ، فلما كان يوم [الخميس] (٢) سابع شوال حضرَ إلى [القاضى (٣)] كمال الدين المذكور شخصٌ من الموقعين يُعْرفُ بشهاب الدين أبى دُرَابة وقال له : أنا أعرف لوالدك ذَخيرةً (٤) فى المكان الفلانى ، فلما سمع القاضى كمال الدين كلامه أخذه فى الحال وطَلَع به إلى السلطان وعرّفه مقالة شهاب الدين المذكور ، فأرسل السلطانُ فى الحال الطواشى مَرْجان الهِنْدى الخازندار وصحبته جماعة ، ومعهم شهاب الدين المذكور إلى بيت القاضى كمال الدين المذكور ، فدخلوا إلى المكان وفتحوه فوجدوا فيه سبعين ألف دينار فأخذوها وطلعوا إلى السلطان ، وقد سألت أنا القاضى كمال الدين المذكور عن هذه الذخيرة ، وقلت له : كان لك بها علم ؟ فقال : لا والله ، ولا أعرف مكانها ، فإنى لم أحضرها حين جمعها الوالدُ بهذا المكان ، ولا عند

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار كمال الدين بن البارزى فى كتابة السر» .

(٢، ٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٢١) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «وجود ذخيرة ابن البارزى» .

أخذها أيضاً ، ولا عرّفنى بها قبل موته ، غير أنه أوْصَى شهاب الدين المذكور وشخصاً بجاه (١) أنه إذا مات يعرفانى بها ، فلما عرّفنى شهابُ الدين بها لم أجد بُدًّا من إعلام السلطان بها للأيمان التى كان حلّفنى أننى مهما وَجَدته من مال الوالد أُعَرّفه به .

قلت : لله دَرّه من كمال الدين ، ما كان أعْلَى همته وأحشمه وأسمحه .

ثم فى يوم الاثنين رابع ذى القعدة ركبَ السلطانُ من قلعة الجبَل وشقّ القاهرة من باب زُوَيْلَة وخرج من باب القنطرة ، وتوجه إلى « الخمس وجوه » وأقام بها إلى يوم الأربعاء سابع ذى القعدة ، فركب منها وشقّ القاهرة من باب القنطرة إلى أن خرج من باب زُوَيْلَة وطلع إلى القلعة بعد ما أنقضى له بـ« الخمس وجوه » أوقات طيبة ، وعمل بها الخِدْمة ، وتردّدت الناسُ إليه بها لقضاء حوائجهم وللفرجة أيضاً .

ولما طلع السلطان إلى القلعة أقام بها يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، ثم نزل إليها ثانياً فى يوم السبت تاسع ذى القعدة بخواصّه وبات بها .

ثم ركب من الغد فى يوم الأحد ، وتصيّد ببرّ الجيزة وأقام هناك ، وأمر بأخذ خزانة الخاص من عند ناظر الخاص الصّاحب بدر الدين بن نصر الله ، فنزل إليه زينُ الدين عبد الباسط بن خليل الدِّمشقى ناظرُ الخزانة والطواشى مَرجان الهِنْدى الخازندار ، وأخذا منه خزانة الخاص وهو ملازم للفراش من يوم ضُرِب ، وسُلّمت للطواشى مَرْجان المذكور ، فتحدّث مَرْجانُ فى وظيفة نظر الخاص عن السلطان من غير أن يُخْلَع عليه ، وأنفق كسوة المماليك السلطانية نحو ثمانية آلاف دينار ، وأقام السلطان بمنظرة « الخمس وجوه » إلى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى القعدة فعاد إلى القلعة فى محفّة ، فأقام بالقلعة إلى يوم الجمعة خامس عشره وركب أيضاً وتوجّه إلى منظرة « الخمس وجوه » فأقام بها إلى سابع عشر ، وعاد إلى القلعة بعد أن ألزَمَ أعيانَ الدّوْلة أن يعمرّوا لهم بُيُوتاً بالقُرْب من « الخمس وجوه » المذكورة لينزلوا فيها إذا توجّهوا فى

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٢١ «وشخصاً آخر سماه» .

الخبر بموت الملك المؤيد، وسلطنة ولده الملك المظفر إلى الأقطار، وأوعد المماليك السلطانية بالنفقة فيهم على العادة، فكثر الدعاء له، والفرح بتكلمه فى السلطنة.

ثم فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم رسم الأمير طَطَر نظام الملك بالقبض على الأمير جُلُبّان رأس نوبة سيدى، وعلى الأمير شاهين الفارسى، وهما من مقدمى الألوف بالديار المصرية، فمُسِكا رقيدًا وحُبِسا، ثم طلب الأمير طَطَر القضاة ودخل معهم إلى الخزانة السلطانية، وختم بحضورهم على خِزانة المال بعد أن أخرج منها أربعمائة ألف دينار برسم نفقة المماليك السلطانية، ثم نزل القضاة.

فلما كان الليل اضطرب الناس، ووقعت هجّة بالقاهرة، ولم يدر أحد ما الخبر حتى طلع الفجر، فأسفرت القضية على أن الأمير مُقْبِلًا الحسامىّ الدّوادار الكبير ركب بمماليكه وعليهم السلاحُ فى الليل، وخرج من القاهرة ومعه السيفى يلخجا من مامِش[1] الساقى الناصرى، وسار إلى جهة الشام خوفًا من القبض عليه.

فلما كان الغد من يوم الخميس، اجتمع الأمراءُ عند الأمير ططر بالقلعة وعرّفوه أمر مُقْبِل المذكور، وسألوه أن يرسل أحداً منهم فى أثره فلم يلتفت إلى ذلك، وأخذ فيما هو فيه من أمر نفقة المماليك السلطانية، ونفق فيهم لكلّ واحد منهم مائة دينار مصرية، فشكر المماليكُ له ذلك، ثم أمر فنودِىَ بالقاهرة بإبطال المغارم[2] التى أُحْدِثت[3] على الجراريف فى عمل الجسور بأعمال مصر، فوقع ذلك من الناس الموقعَ الحسن.

وأما أمرُ مُقبل الدّوادار، فإنه لما خرج من بيته بمن معه اجتاز بظاهر خانقاه سرقوياس[4]، وقصد الطينة بمن معه، ففطن بهم العُرْبان أربابُ الأدراك فاجتمعوا وقصدوه وحاربوه، هو ومن معه، فلا زال يقاتلهم وهو سائرٌ إلى أن وصل إلى الطينة،

(١) ورد فى هامش اللوحة «يلخجا من مامش».
(٢) ورد فى هامش اللوحة «إبطال المغارم».
(٣) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٨١ «جددت».
(٤) خانقاه سرياقوس : انظر فى التعريف بها (الحاشية ٢ ص ٧٠ ج ١٢ من هذا الكتاب).

فوجد بها غُرابا[1] مهيئاً للسفر فركب فيه بمن معه، ونهبت الأعرابُ جميع خيولهم وأثقالهم وما كان معهم، وسافر مقبل فى الغراب المذكور إلى الشام، ولحق بالأمير جَقْمَق الأرغون شاوى الدوادار نائب الشام، وانضمّ عليه وصار من حزبه، ودام معه إلى أن انهزم جقمق من القرمشى إلى الصُّبَيبة وقبض عليه، فأمسك مقبل هذا أيضا، وحُبِسَ كما سيأتى ذكره فى محله إن شاء الله تعالى — انتهى.

ثم أمرَ الأميرُ طَطَرُ فنودىَ[2] بالقاهرة لأجناد الحلقة بالحضور إليه ليردّ إليهم ما كان أخذه منهم الملكُ المؤيد فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة من المال برسم السفر، وكان الذى تحصّل منهم تحت يد السيفى أقْطُوَه الموساوى الدوادار، فلما حضروا أمر ططر أقطُوَه أن يدفع لكلّ واحدٍ منهم ما أُخِذ منه، فضج الناسُ له بالدعاء، وصاحت الألسن بالشكر له والثناء عليه، ثم أخذ الأميرُ ططر وهو جالس فى الموكب بإزاء السلطان بيد السلطان الملك المظفر وفيها قَلَمُ العلامة حتى علّم على المناشير ونحوها، بحضور الأمراء وأرباب الدولة، واستمر ذلك فى بعض المواكب، والغالب لا يُعلِّم إلا الأمير طَطَر.

ثم فى يوم الجمعة ثالت عشر المحرم حُمل الأمير قَجْقار القَرْدمى، والأمير جُلُبّان، والأمير شاهين الفارسى فى القيود إلى سجن الإسكندرية.

ثم فى يوم السّبت رابع عشره خلع الأميرُ طَطَر على الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله وأُعِيدَ إلى نظــر الخاص، ومنع الطواشى مَرجان الخازندار من التكلّم فيها.

وفيه أيضاً خلَع على القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى وأعيد إلى حسبة القاهرة عوضاً عن صارم الدين إبراهيم بن الحسام، وأنعم عليه الأميرُ طَطَر بثمانين ديناراً، ورتّب له على ديوان الجوالى بالقاهرة فى كل يوم ديناراً.

(١) الغراب : نوع من السفن الحربية على هيئة طائر، وانظر (الدكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٥٥، ٣٥٦).
(٢) ورد فى هامش اللوحة «المناداة برد ما كان أخذ من أجناد الحلقة من المال».

قلت : ولهذه الفعلة وأشباهها كان يعجبنى أفعال الأمير طَطَر ، فإنه كان يسيرُ على طريق ملوك السَّلف فى غالب حركاته ، لكثرة اطِّلاعِه لأخبارهم وأمورهم ، ومن تعمِيَة الأخبار على العدو ، والتَّوَرِّى فى الأسفار من أن يقصد مكانا فيُوَرِّىَ بآخر ، ومن مخادعة أعدائه والترفُّق لهم ؛ فإنه بلغه — لمَّا استفحل أمْرُه — عن الأمير على باى المؤيَّدى الدَّوادار ، أنه يقول لخجداشيته المؤيّديّة : لا تكترثوا بأمره أنا كفاية له ، إن استقام فهو على حاله ، وإن تعوّج أخذتُه بيدى وألقيتُه من أعلى النَّصْر إلى الأرض ، وأيش هو ططر ؟ فلمَّا سمِعَ ذلك أمَرَ القائِلَ له بالكِتْمان ، وأخذ فى الإنعام على على باى [المذكور][(١)] وإظهاره على سِرِّه ، وهو مع ذلك فى قلبه منه أمورٌ وحَزازات ، وأيضا لمَّا وَصَل إلى الشَّام حسبما نذكره .

وقدم عليه خُجْداشيته[(٢)] من عند قرا يُوسُف على أقبح حال من الفقر : أعنى عن الأمراء الذين هربوا من الملك المؤيّد فى وقعة قانى باى نائب الشَّام ، وهم سُودُون من عبد الرحمن نائب طرابُلُس ، وتَنبك البَجاسِىّ نائب حَماة ، وطرباى نائب غزّة ، وجانى بك الحَمْزاوِىّ ، ويَشْبُك الجَكَمِىّ الدوادار الثانى الذى كان فر من الحجاز إلى العِراق ، وغيرهم ، فلماّ وَصلُوا إلى دِمَشْق وتمثلوا بين يَدَىْ ططر ورآهم على باى الدوادار المذكور ، وتغرى بَرْدى المؤيّدى أمير آخُور كبير قالا للأمير ططر — لمَّا أتوا — : هؤلاء يُريدُون العَوْدَ إلى ما كانوا عليه ، وهم أعداء أستاذِنا ، فقال لهما طَطَرُ : أعوذ بالله ، هؤلاء ما بقى فيهم بقيّة لطلب ما ذكرتُموه مما قاسُوه من الغُرْبَة والتَّشَتُّت ، وإنما قصْدُ كُلٍّ واحد منهم ما يقوم بأوَدِه ، مثل إقطاع حلقة[(٣)] ويقيم بالقُدْس ، أو مرتّبٍ ويقيم بدِمْيَاط ، أو شىء على الجَوالى[(٤)] ، وأنتم تعرفون

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٩٥) .
(٢) الخجداشية : هم الخشداشية ، وانظر هامش (ج ٧ : ٣٣٠ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .
(٣) إقطاع حلقة : أى ما يقطع لجندى من جنود الحلقة . وهم دون المماليك السلطانية وإقطاعاتهم أقل ، وانظر (القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ١٦) و (د. إبراهيم طرخان – النظم الإقطاعية ص ٤٧٩) .
(٤) الجوالى : الضرائب التى تؤخذ من أهل الذمة كجزية مقررة على رقابهم كل سنة (القلقشندى – صبح الأعشى ٣ : ٤٦٢) .

أنهم خُشْداشِيَّتُنا لا يمكننا إلاَّ النَّظَر فى أحوالهم بنحو ما ذكرناه ، فلَمَّا سَمِعَ المؤيدية ذلك قالوا : هذا ما نقول فيه شيئا ، وأما غيرُ ذلك فلا ، فقال لهم طَطَر : وما تَمَّ غير ما قلته ، فانخدعوا وسكتوا على ما سنذكره من أمرهم عند قدومهم على الأمير طَطَر بدِمَشْق — انتهى .

ثم أخذ الأميرُ طَطَر — بعد المناداة — فى تجهيز أمْرِه وأمْرِ السلطان إلى السَّفَر .

فلمَّا كان يومُ الاثنين رابع شهر ربيع الآخر ركب الأميرُ طَطَر نظامُ المُلك من قَلْعة الجَبَل ومعه الأمراء والخاصّكية والمماليك السلطانية ، وسار إلى جهة قُبَّة النصر[(١)] ثم عاد ودَخَل القاهرة من باب النَّصر ، وخَرَج من باب زُوَيْلة إلى أن طَلَع إلى القَلْعة فى مَوْكِب سلطانى لم يفقد فيه إلا الجاوِيشيَّة والعِصَابة السلطانية[(٢)] ، وهذا أوّل مَوْكِب رَكِبَه الأميرُ طَطَر من يوم تحكُّمِه فى الديار المصريّة ، وهو من يوم موت [الملك][(٣)] المؤيد شيخ .

ثم فى سادسه نُودِىَ فى المماليك السلطانيّة بالطلوع إلى القَلْعة لأخذ نفقة السَّفر فى يوم الخميس ، فلما كان يوم الخميس المذكور جلسَ الأميرُ طَطَر نِظَامُ المُلْك بقلعة الجبل ، وأنفقَ فى المماليك السلطانية نفقة السَّفر ، لكل واحد مائة دينار إفْرَنْتِيَّة ، ثم فى تاسعه أنفق على الأمراء والمماليك أيضا ، فحمل للأمير الكبير تَنْبَك مِيق خمسة آلاف دينار ، ولمن عداه أربعة آلاف دينار وثلاثة آلاف دينار .

وفى عاشره أخرج الأميرُ طَطَر ولدَىْ الملك الناصر فَرَج من قلعة الجَبَل ، ووجَّههُما إلى سجن الإسكندرية كما كانا أوّلا به ، وكان سببُ قُدُومهما من الإسكندرية إلى مصر أن عمّتهما خَوَنْد زَيْنَب بنت السلطان الملك الظاهر بَرْقُوق وزوجة الملك المؤيّد

(١) قبة النصر : انظر فى التعريف بها هامش (ج ٧ : ٤١ من هذا الكتاب ط. دارالكتب) .
(٢) العصابة : راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه (القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ٨) .
(٣) إضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٤٩٦) .

واستمر على هذا ، فعند ذلك كثر تردد الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم ، وعظم وضخم .

ولما كان يوم ثامن عشر ذى الحجة [المذكورة] [1] ورد الخبر بأن الأمير تغرى بردى المؤيدى نائب حلب خرج عن طاعة السلطان ، وقبض على الأمراء الحلبيين ، واستدعى التركمان والعربان ، وأكثر من استخدام المماليك .

وسبب خروجه عن الطاعة أنه بلغه أن الملك الظاهر ططر عزله ، وأقر عوضه فى نيابة حلب الأمير تنبك البجاسى نائب طرابلس ؛ فلما تحقق ذلك خرج عن الطاعة وفعل مافعل ، فشاور الأمير برسباى الأمراء فى أمره ، فوقع الاتفاق على أن يكتب للأمير تنبك البجاسى بالتوجه إليه وصحبته العساكر وقتاله ، وأخذ مدينة حلب منه ، وباستقراره فى نيابتها كما كان الملك الظاهر ططر أقره ، وكتب له بذلك .

ثم فى يوم ثالث عشرين ذى الحجة : خلع الأمير برسباى على القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى باستقراره فى حسبة القاهرة على عادته ، بعد عزل قاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى .

ثم فى يوم سابع عشرينه ابتدأ الأمير برسباى نظام الملك فى نفقة المماليك السلطانية ، وهو والأمراء على تخوف من المماليك السلطانية أن يمتنعوا من أخذها ؛ وذلك أنهم وعدوا المماليك فى نوبة الأمير الكبير جانى بك الصوفى لكل واحد بمائة دينار ، فلم يصر لكل واحد سوى خمسين دينارا من أجل قلة المال ؛ فإن الملك الظاهر ططر فرق الأموال التى خلفها الملك المؤيد [شيخ] [2] جميعها ، حتى إنه لم يبق منها بالخزانة السلطانية غير ستين ألف دينار ، ومع ما فرقه من الأموال زاد فى جوامك المماليك بالديوان المفرد فى كل شهر ماينيف على عشرة آلاف دينار ؛ ولذلك أستعفى صلاح الدين بن نصر الله من وظيفة الأستادارية ، بعد أن قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٢) .

(٢) الإضافة للتوضيح .

حسن بن نصر الله ناظر الخواص الشريفة بعشرة آلاف دينار فى ثمن الأضحية ، وبعشرين ألف دينار مساعدة فى نفقة المماليك السلطانية ، ثم تقرر على كل من مباشرى الدولة شىء من الذهب حتى تجمع من ذلك كله نفقة المماليك .

ولما جلس السلطان والأمراء لنفقة المماليك أخذ الأمير برسباى نظام الملك الصرة من النفقة بيده ، وكلم المماليك السلطانية بما معناه : إن الملك الظاهر ططر لم يدع فى بيت المال من الذهب سوى ماهو كيت وكيت ، وأنهم عجزوا فى تحصيل المال لتكملة النفقة ، ولم يقدروا إلا على هذا الذى تحصل معهم ، ثم وعدهم بكل خير ، وأمر كاتب المماليك فاستدعى اسم أول من هو بطبقة الرفرف [1] ، وكانت المماليك قبل أن يدخلوا الحوش السلطانى اتفقوا على أنه إذا استدعى كاتب المماليك اسم أحد فلا يخرج إليه ، ولا يأخذ النفقة إلا إن كانت مائة دينار ، وتوعدوا من أخذ ذلك بالقتل والإخراق ، فلما استدعى كاتب المماليك اسم ذلك الرجل خرج بعد أن سمع كلام الأمير [برسباى] [2] نظام الملك من العذر الذى أبداه ، وقال : إن أعطانا السلطان كف تراب أخذناه ، فشكره نظام الملك على ذلك ، ورمى له الصرة فأخذها ، وقبل الأرض وخرج ، ولم يجسر أحد على أن يكلمه الكلمة الواحدة بعد ذلك التهديد والوعيد ، ثم صاح كاتب المماليك باسم غيره فخرج وأخذ ، وتداول ذلك منه وكل من استدعى [3] اسمه خرج وأخذ إلى آخرهم ، فأخذ الجميع النفقة ، وانفضوا بغير شر .

قلت : وهذه عادة المماليك يطلبون من ألف وينزلون إلى درهم ، وكان الذى أخذ النفقة فى هذه النوبة ثلاثة آلاف ومائتى مملوك ، والمبلغ مائة وستين ألف دينار .

(١) طبقة الرفرف : هى شرفة أنشأها الأشرف خليل بن قلاوون بمثابة مكان لجلوس السلطان والأمراء . وهدمها الناصر محمد قلاوون وبنى عليها طبقة للمماليك وانظر (المقريزى - الخطط ٢ : ٢١٣) .

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) عبارة الأصل «فكل من خرج اسمه خرج وأخذ إلى آخرهم . فأخذ الجميع» وما هنا من ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٤) .

واستمر على هذا ، فعند ذلك كثر تردد الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم ، وعظم وضخم .

ولما كان يوم ثامن عشر ذى الحجة [المذكورة][1] ورد الخبرُ بأن الأمير تغرِى بَردِى المؤيدىّ نائب حَلَب خَرَج عن طاعة السلطان ، وقَبَض على الأمراء الحلبيّين ، وآستدعى التُرْكُمَان والعُرْبَان ، وأكثر من استخدام المماليك .

وسبب خروجه عن الطاعة أنّه بَلَغه أن الملك الظَّاهر طَطَر عزله ، وأقرّ عوضه فى نيابة حَلَب الأمير تَنبك البَجَاسِىّ نائب طَرَابُلُس ؛ فلما تحقّق ذلك خرجَ عن الطاعة وفعل مافعل ، فشاورَ الأميرُ بَرْسبَاى الأمراءَ فى أمره ، فوقَعَ الاتفاقُ على أن يكتب للأمير تَنبَك البَجَاسِىّ بالتوجّه إليه وصحبته العساكر وقتاله ، وأخذِ مدينة حَلَب منه ، وباستقراره فى نيابتها كما كان الملك الظَّاهر طَطَر أقرّه ، وكتب له بذلك .

ثم فى يوم ثالث عشرين ذى الحجّة : خَلَعَ الأميرُ بَرسبَاى على القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى باستقراره فى حِسْبة القاهرة على عادته ، بعد عَزْل قاضى القضاة جمال الدين يوسف البُساطى .

ثم فى يوم سابع عشرينه ابتدأ الأميرُ بَرْسبَاى نِظَامُ الملك فى نفقة المماليك السلطانية ، وهو والأمراء على تخوّف من المماليك السُّلطانية أن يمتنعوا من أخذها ؛ وذلك أنّهم وَعَدوا المماليك فى نوبة الأمير الكبير جَانِى بَك الصُّوفِى لكل واحد بمائة دينار ، فلم يُصَرّ لكلِ واحد سوى خمسين دينارا من أجل قِلّة المال ؛ فإن الملكَ الظاهر طَطَر فرّق الأموال التى خلّفها الملك المؤيد [شيخ][2] جميعها ، حتى إنه لم يبق منها بالخزانة السّلطانية غير ستين ألف دينار ، ومع ما فرّقه من الأموال زادَ فى جوامِك المماليك بالدِّيوان المُفْرَد فى كل شهر ماينيف على عشرة آلاف دينار ، ولذلك أُستعفى صلاحُ الدين بن نصر الله من وظيفة الأستادَارِيَّة ، بعد أن قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٢) .
(٢) الإضافة للتوضيح .

حسن بن نصر الله ناظر الخوَاصّ الشريفة بعشرة آلاف دينار فى ثمن الأضحية ، وبعشرين ألف دينار مساعدة فى نفقة المماليك السلطانية ، ثم تقرّرَ على كُلٍّ من مباشرى الدّولة شىء من الذّهب حتى تُجْمَعَ من ذلك كلة نفقةُ المماليك .

ولماجَلَسَ السلطانُ والأمراء لنفقة المماليك أخذ الأميرُ بَرْسبَاى نِظَامُ الملك الصُّرّة من النفقة بيده ، وكلّم المماليك السلطانية بما معناه : إن الملك الظاهر طَطَر لم يَدَعْ فى بيت المال من الذَّهَب سوى ماهو كيت وكيب ، وأنّهم عَجَزُوا فى تحصيل المال لتكملة النفقة ، ولم يقدروا إلا على هذا الذى تَحَصَّل معهم ، ثم وعدهم بكُلٍّ خير ، وأمرَ كاتبَ المماليك فاستدعى اسم أوّل من هو بطبقة الرَّفْرَف [1] ، وكانت المماليك قبل أن يدخلوا الحُوشَ السّلطانى اتفقوا على أنه إذا آستدعى كاتبُ المماليك اسمَ أحد فلا يخرج إليه ، ولا يأخذ النفقة إلا إن كانت مائة دينار ، وتوعّدوا من أَخَذَ ذلك بالقَتْلِ والإخراق ، فلمّا استدعى كاتبُ المماليك اسمَ ذلك الرجل خرج بعد أن سمع كلامَ الأمير [برسبَاى][2] نِظَام الملك من العُذر الذى أبداه ، وقال : إن أعطانا السلطانُ كفَّ تُرابٍ أخذناه ، وشكره نِظَامُ الملك على ذلك ، ورمى له الصُّرّة فأخذها ، وقبّل الأرضَ وخَرَج ، ولم يَجْسر أحدٌ على أن يكلّمه الكلمة الواحدة بعد ذلك التهديد والوعيد ، ثم صاح كاتبُ المماليك باسم غيره فخرَجَ وأخَذَ ، وتداول ذلك منه وكل من استُدْعِى[3] اسمُه خرجَ وأخذ إلى آخرهم ، فأخذ الجميعُ النَّفَقة ، وانفضُّوا بغير شَرّ .

قلت : وهذه عادة المماليك يطلعون من ألف وينزلون إلى درهم ، وكان الذى أَخَذَ النفقة فى هذه النّوبة ثلاثة آلاف ومائتى مملوك ، والمبلغ مائة وستّين ألف دينار .

(١) طبقة الرفرف : هى شرفة أنشأها الأشرف خليل بن قلاوون بمثابة مكان لجلوس السلطان والأمراء. وهدمها الناصر محمد قلاوون وبنى عليها طبقة للمماليك وانظر (المقريزى – الخطط ٢ : ٢١٣) .
(٢) إضافة للتوضيح .
(٣) عبارة الأصل «فكل من خرج اسمه خرج وأخذ إلى آخرهم . فأخذ الجميع» وما هنا من ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٤) .

ثم فى يوم الاثنين ثالث شهر رجب خلع السلطانُ على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حَجَر وأعيد إلى قضاء الديار المصرية بعد عَزْلِ قاضى القضاة شمس الدين الهَرَوِىّ .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شهر رجب المذكور حُمِلَ الشريفُ مُقْبل أمير ألينبع ، والشريف رميثة بن محمد بن عَجْلاَن إلى الإسكندرية وسُجِنَا بِهَا .

ثم فى ثالث عشره أنفق السلطانُ فى ستمائة رجل من الغُزَاة مبلغ عشرين ديناراً لكل واحدٍ منهم ، وجهز الأمراء أيضاً ثلاثمائة رجل ، ثم نودى : من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النَّفَقة ، وقام السلطانُ فى الجهاد أتمَّ قيام وقد شرَح اللهُ صدره له .

ثم فى عشرينه سارت خيولُ الأمراء والأعيان من المجاهدين فى البر إلى طرابلس وعدتها نحو ثلاثمائة فرس لتحمل من طرابلس صحبة غزاتها فى البحر لحيثُ هو القَصْد .

ثم ركبَ السلطانُ فى يوم الجمعة من القلعة بغير قُمَاش الخدمة بعد صلاة الجمعة ، ونَزَل إلى ساحل بولاق حتى شاهدَ الأغربة والطرائد التى عملت برسم الجهاد ، وقد أُشحِنُوا بالسلاح والرجال ، ثم عاد إلى القلعة ، ثم ركب من الغد المقام الناصرى محمد ابن السلطان الملك الأشرف من القلعة ونزل ومعه لالاته الأمير جانى بَك الأشرفى الدوادار الثانى ، وتوجَّه إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطلّ على النيل ببُولاق حتى شاهد الأغربة عند سفرهم ، فانحدر أربعةُ أغربة بكل غُرَاب أميرٌ ، وتقدَّم الأربعة الأمير جَرِبَاش الكريمى الظاهرى حاجب الحجاب المعروف بقاشق ، فكان لسفر هذه المراكب ببولاق يوم مشهود ، ثم انحدر بعد هذه الأغربة الأربعة أربعةُ أغربة أُخَر فى كل واحد منهم مقدَّم من أعيان المماليك السلطانية ، وكان آخرهم سفرا الغراب الثامن فى يوم الأربعاء ثامن[1] شعبان ، وهذه الغزوة الثانية من غزوات الملك الأشرف [بَرْسباى][2]

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٨٩ «ثالث» .
(٢) الإضافة للتوضيح .

ثم فى آخر هذا الشهر أفرَجَ السلطان عن الأمير الكبير طَرَبَاى من سجنه[1] بالإسكندرية ، ونقل إلى القُدْس الشريف بطالا ليقيم به غير مُضَيَّق عليه بعد أن أنعم عليه بألف دينار ، وكان الإفراج عن طَرَبَاى بخلاف ما كان فى ظن الناس ، وعُدَّ ذلك من محاسن الملك الأشرف ، كون طَرَبَاى المذكور كان عاَنَدَه فى المُلْك ، وكونه أيضاً من عظماء الملوك وأكابر المماليك الظاهرّية [برقوق][2] مِمَّن يخاف منه ، فلم يلتفت الأشرف إلى هذا كله وأفرج عنه لما كان بينهما من الود القديم والصُّحْبَة من مبادىء أمرهما .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن شهر رمضان المذكور أمسكَ السلطانُ الصاحبَ بدر الدين حسن بن نصر الله الأستادار ، وأَمْسَكَ معه ولدَه الأمير صلاح الدين محمد المعزول عن الأستادارية بأبيه المذكور ، وعُوِّقا بالقلعة أربعة أيام ، ثم نزلا على أنهما يقومان بنفقة الجامكية شهراً وعليقه ، وكانت الجامكية يوم ذاك كل شهر ثلاثين ألف دينار .

ثم فى يوم الخميس عاشره خلع السلطان على زين الدين عبد القادر ابن فخر الدين حسن بن نصر الله .

ثم فى رابع عشره خلعَ السلطانُ على جمال الدين يوسف بن الصَّفِّى الكَرَكِى المعزول عن كتابة سِرِّ دِمَشق عوضاً عن بدر الدين حُسَين .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شهر رمضان — الموافق لرابع عشر مسرى — أوفى النيلُ ستة عشر ذراعاً ، ونزل المقام الناصرى محمد [بن السلطان][3] لتخليق المقياس وفَتْحِ خليج السد على العادة ، ونَزَل معه الملك الصالحُ محمد ابن الملك الظاهر ططر ، وحضر تخليق المقياس ، وفتح الخليج — فتعجب الناسُ لنزوله مع ابن السلطان بعد خلعه من ملك مصر حسبما تقدَّم .

(١) ورد فى هامش اللوحة «الإفراج عن طرباى» .
(٢) الإضافة للتوضيح .
(٣) الإضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٨٩) .

ثم فى يوم الاثنين ثالث شهر رجب خلع السلطانُ على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حَجَر وأعيد إلى قضاء الديار المصرية بعد عَزْلِ قاضى القضاة شمس الدين الهَرَوِىّ .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شهر رجب المذكور حُمِلَ الشريفُ مُقْبل أمير ألينبع ، والشريف رميثة بن محمد بن عَجْلاَن إلى الإسكندرية وسُجِنَا بِهَا .

ثم فى ثالث عشره أنفق السلطانُ فى ستمائة رجل من الغُزَاة مبلغ عشرين ديناراً لكل واحدٍ منهم ، وجهز الأمراء أيضاً ثلاثمائة رجل ، ثم نودى : من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النَّفَقة ، وقام السلطانُ فى الجهاد أتمّ قيام وقد شرح اللهُ صدره له .

ثم فى عشرينه سارت خيولُ الأمراء والأعيان من المجاهدين فى البر إلى طرابلس وعدتها نحو ثلاثمائة فرس لتحمل من طرابلس صحبة غزاتها فى البحر حيثُ هو القَصْد .

ثم ركبَ السلطانُ فى يوم الجمعة من القلعة بغير قُمَاش الخدمة بعد صلاة الجمعة ، ونَزَل إلى ساحل بولاق حتى شاهدَ الأغربة والطرائد التى عملت برسم الجهاد ، وقد أُشحِنُوا بالسلاح والرجال ، ثم عاد إلى القلعة ، ثم ركب من الغد المقام الناصرى محمد ابن السلطان الملك الأشرف من القلعة ونزل ومعه لالاته الأمير جانى بَك الأشرفى الدوادار الثانى ، وتوجَّه إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطلّ على النيل ببوُلاق حتى شاهد الأغربة عند سفرهم ، فانحدر أربعةُ أغربة بكل غُرَاب أميرٌ ، وتقدَّم الأربعة الأمير جَرِبَاش الكريمى الظاهرى حاجب الحجاب المعروف بقاشق ، فكان لسفر هذه المراكب ببولاق يوم مشهود ، ثم انحدر بعد هذه الأغربة الأربعة أربعةُ أغربة أُخَر فى كل واحد منهم مقدَّم من أعيان المماليك السلطانية ، وكان آخرهم سفرا الغراب الثامن فى يوم الأربعاء ثامن[(١)] شعبان ، وهذه الغزوة الثانية من غزوات الملك الأشرف [بَرْسباى][(٢)]

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٨٩ «ثالث» .
(٢) الإضافة للتوضيح .

ثم فى آخر هذا الشهر أفرَجَ السلطان عن الأمير الكبير طَرَبَاى من سجنه[(١)] بالإسكندرية ، ونقل إلى القُدْس الشريف بطالا ليقيم به غير مُضَيَّق عليه بعد أن أنعم عليه بألف دينار ، وكان الإفراج عن طَرَبَاى بخلاف ما كان فى ظن الناس ، وعُدّ ذلك من محاسن الملك الأشرف ، كون طَرَبَاى المذكور كان عَانَدَه فى المُلك ، وكونه أيضاً من عظماء الملوك وأكابر المماليك الظاهريّة [برقوق][(٢)] مِمَّن يخاف منه ، فلم يلتفت الأشرف إلى هذا كله وأفرج عنه لما كان بينهما من الود القديم والصُّحْبَة من مبادىء أمرهما .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن شهر رمضان المذكور أمسكَ السلطانُ الصاحبَ بدر الدين حسن بن نصر الله الأستادار ، وأمسَكَ معه ولدَه الأمير صلاح الدين محمد المعزول عن الأستادارية بأبيه المذكور ، وعُوِّقا بالقلعة أربعة أيام ، ثم نزلا على أنهما يقومان بنفقة الجامكية شهراً وعليقه ، وكانت الجامكية يوم ذاك كل شهر ثلاثين ألف دينار .

ثم فى يوم الخميس عاشره خلع السلطان على زين الدين عبد القادر ابن فخر الدين حسن بن نصر الله .

ثم فى رابع عشره خلعَ السلطانُ على جمال الدين يوسف بن الصَّفِّى الكَرَكى المعزول عن كتابة سِرِّ دِمَشق عوضاً عن بدر الدين حُسَين .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شهر رمضان — الموافق لرابع عشر مسرى — أوفى النيلُ ستة عشر ذراعاً ، ونزل المقام الناصرى محمد [بن السلطان][(٣)] لتخليق المقياس وفَتْحِ خليج السد على العادة ، ونَزَل معه الملك الصالحُ محمد ابن الملك الظاهر ططر ، وحضر تخليق المقياس ، وفتح الخليج — فتعجب الناسُ لنزوله مع ابن السلطان بعد خلعه من ملك مصر حسبما تقدَّم .

(١) ورد فى هامش اللوحة «الإفراج عن طرباى» .
(٢) الإضافة للتوضيح .
(٣) الإضافة عن (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٨٩) .

قلت [قوله تعالى][1] (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)[2] .

كل ذلك والسلطان مشغول بتجهيز[3] تجريدة إلى بلاد الشَّرْق ، فلما كان ثانى عشر شعبان المذكور أنفقَ السلطانُ فى ثلاثمائة وتسعين مموكا من المماليك السلطانية ، لكل واحد[4] خمسين دينارا ، وفى أربعة من أمراء الألوف ، وهم : أرْكَماس الظاهرىّ الدوادار الكبير ، وجَرْقَماس حاجب الحجاب ، وحسين بن أحمد المدعو تَغْرِى بَرْمُش البَهَسْنِى ، ويَشْبُك السُّودُونِى المعروف بالمُشِد ، لكل واحد ألفى دينار ، وأنفق أيضا فى عِدَّةٍ من أمراء الطبلخانات والعشرات ، فبلغت نفقةُ الجميع نحو ثلاثين ألف دينار ، ورسم بسفرهم إلى الشّام ، فسافروا فى سادس[5] عشرين شعبان المذكور .

ثم فى يوم الخميس[6] رابع عشر شهر رمضان حُمِلَت جمكيّة المماليك السلطانية إلى القلعة لتنفق فيهم على العادة ، فامتنعوا من قبضها ، وطلبوا زيادة لكل واحد ستمائة درهم وصمموا على ذلك ، وترددت الرُّسُل بينهم وبين السلطان إلى أن زيد فى جوامك عِدَّةٍ منهم وسكنَ شَرُّهم ، وأخذوا الجامكيّة فى يوم الاثنين ثامن عشره .

ثم بعد ذلك وقع بين المماليك الجُلْبان وبين العبيد ، فتجمع السُّودان وقاتلوهم فقتل بينهم عِدَّةٌ وصاروا فِرْقتين لكل جمع عَصَبِيَّة .

ثم فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة ورَد الخبرُ على السلطان بأخذ الأمراء المتوجِّهين إلى جهة بلاد الشَّرْق مدينة الرُّهَا من نواب قَرَا يُلُك ، وكان من خبر ذلك

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٤) .
(٢) آية ٢٥ من سورة الأحزاب .
(٣) ورد فى هامش اللوحة « النفقة على العسكر المتوجه إلى بلاد الشرق » .
(٤) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٤٤ « مملوك » .
(٥) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٤ « سابع » .
(٦) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٥ « الجمعة » .

أن العساكر المصرية لما سارت من القاهرة إلى جهة الشّام لأخذ خَرْتَبِرْت[1] — وقد مات مُتَوَلِّيها ، ونازلها عسكر قَرَا يُلُك صاحب آمِد — فلما وصلُوا إلى مدينة حَلَب ورد عليهم الخبر بأخذ قَرَا يُلُك قلعة خَرْتَبِرْت وتحصينها وتسليمها لولده ، فأقاموا بحَلَب إلى أن وَرَدَ عليهم الأميرُ سُودون من عبد الرحمن نائب الشام بعساكر دمَشْق ، ثم جميع نوّاب البلاد الشامية بعساكرها ، وتشاوروا فى السَّير لها ، فأجمعَ رأيُهم على السير ، فمضوا بأجمعهم : العسكر المصرى [والعسكر][2] الشامى إلى جهة الرُّهَا ، فأتاهم بالبيرة كتابُ أهل الرُّهَا بطلب الأمان وقد رَغِبُوا فى الطاعة ، فأمنوهم وكَتَبُوا لهم كتابًا ، وساروا من ألبِيرة وبين أيديهم مائتا فارس من عَرَب الطَّاعة كشَّافة ، فوصلت الكَشَّافَة المذكورون إلى الرُّهَا فى شوّال ، فوجدُوا الأميرَ هَابِيل بن الأمير عثمان بن طُرْ عَلِى المدعو قَرَا يُلُك صاحب آمِد قد وصل إليها ودخلها وحصَّنها وجمع فيها خلائق من أهل الضياع بمواشيهم وعيالهم وأموالهم ، فنزلوا عليها فرموهم بالنُّشَّاب من فوق أسوار المدينة .

فلما رأى هَابِيلُ قِلّة العَرَب بَرَزَ إليهم فى نحو ثلاثمائة رجل من عسكره وقاتلهم فثبتوا له وقاتَلُوه ، فقُتِل بين الفريقين جماعةٌ والأكثر من العَرَب ، فأخذَ هَابِيل رءوسهم وعلقها على أسوار المدينة ، وبينما هم فى ذلك[3] أدركهم العسكرُ المصرى والشامىُّ ونزلوا على ظاهر الرُّهَا يوم الجمعة العشرين من شوال ، فوجدُوا هَابِيلَ قد حصّن المدينة ، وجعل جماعة من عساكره على أسوارها ، فلما قَرُبَ العسكر من سُور مدينة الرُّهَا رماهمُ الرّجال من أعلى السور بالنُّشَّاب والحجارة ، فتراجع العسكرُ عنهم ونزلوا بخيامهم إلى بعد الظهر ، فركبوا الجميع وأرسلوا إلى أهل الرُّهَا بالأمان ، وأنهم إن لم

(١) خرتبرت : اسم أرمنى يطلق على حصن زياد ببلاد الروم فى أقصى ديار بكر (المقريزى — السلوك : ٢٤٩ هامش الدكتور زيادة) .
(٢) الإضافة من (ط — كاليفورنيا ٦ : ٦٤٥) .
(٣) ورد فى هامش اللوحة « نزول العساكر على الرها وأخذها والقبض على صاحبها هابيل بن قرايلك » .

نُودِي فى الناس بالإذن فى السَّفَر إلى الحجاز — رجبيّة — صحبة الأمير أَسَنْبُغَا الطيارِى المذكور ، فسُرّ الناسُ بذلك سرورا زائدا ؛ لأن ابن المرة كان لا يدع أحدا أن يسافر معه خوفا عليهم من قطاع الطريق .

ثم فى سابع عشرين جمادى الأولى المذكورة سافرَ الوزيرُ كريم الدين بن كاتب المناخ إلى جهة الوجه القبلى — وهو يوم ذاك يباشر الوَزَارة والأستادارية معا — وكان سفرُه إلى الوجه القبلى لتحصيل ما يقدر عليه من الجمال والخَيْل [والبغال][1] والغنم والمال لأجل سفر السلطان إلى جهة البلاد الشاميّة ، كل ذلك والناس يأخذون ويعطون فى سفر السلطان ؛ فإنه وقع منه التجهيز للسفر غير مرة ثم تغير عزْمُه عن ذلك .

ثم فى تاسع عشرينه قدم إلى القاهرة كتاب القان شاه رُخّ بن تَيْمُور لَنْك صاحب ممالك العَجَم وجَغْتَاى على يد بعض تُجَّار العَجَم يتضمن أنه يريد كُسْوَة الكعبة ، وأرعد فيه وأَبْرَق ، ولم يخاطب السلطان فيه إلا بالأمير بَرْسْبَاى، وقد تكررت مكاتبته للسلطان بسبب كُسْوة الكعبة غير مرة ، وهو لا يلتفت إليه ولا يسمح له بذلك ، بل يكتب له بأجوبة خشنة مشحونة بالتَّوْبِيخ والوعيد والبَهْدَلَة ، حتى إنه كلّما ورَدَ منه كتابٌ وأجابه السلطان بتلك الأجوبة الخشنة لا يشكُّ الناس أن شاه رُخّ يَرِدُ إلى البلاد الشامية عقيب ذلك ، فلم يظهر له خبر ولا نظر له أثر ، وقد استخف الملكُ الأشرف بشأنه حتى [إنه][2] صار إذا أتاه قاصِدُه لا يلتفت إليه ولا إلى ما فى يده من الكتب بالكلية ، ويأتى — إن شاء الله تعالى — ذكر ما فعله ببعض قُصَّادِه من الضرب والبهدلة فى محله من هذا الكتاب .

قلت : لا أعرف للملك الأشرف فى سلطنته حركة بعد افتتاحه لقُبْرُس أحسن من ثباته مع شاه رُخّ المذكور فى أمر الكُسْوة ، وعدم اكتراثِه به ؛ فإنه أقام بفعلته هذه حُرْمَةً للديار المصرية ولحكَّامِها إلى يوم القيامة — انتهى .

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٤) .
(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥) .

ثم فى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة أَنْفَقَ السلطانُ فى المماليك المجرّدين إلى مكة — وهم خمسون مملوكاً — لكل واحد منهم مبلغ ثلاثين ديناراً ، وتجهّزُوا للسفر إلى مكة صحبة الأمير أَسَنْبُغَا الطيارى [(١) فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة المذكورة برَزَ فيه الأميرُ أَسَنْبُغَا الطَّيَارِىّ](١) بمن معه من المماليك السلطانية والحُجَّاج .

وفيه خلع السلطانُ على سعد الدين إبراهيم بن المرة ليكون رفيقًا للأمير أَسَنْبُغَا الطَّيَارِىّ فى التكلُّم على بَنْدَر جدَّة .

وفى هذه الأيام قَوِيَ عزمُ السلطان على السَّفَر ، وظهر للناس حقيقة ذلك من تجهيز أمور السلطان وتعلقاته للسفر ، وأيضاً فإنه رَسَمَ فى هذه الأيام بَصَرْ[2] نفقة المماليك السلطانية بسبب السفر .

ثم فى يوم الخميس حادى عشرين جمادى الآخرة [المذكورة][3] أنفق السلطانُ فى الأمراء نفقه السَّفَر ، فعند ذلك اضطرَبَ الناسُ وأخذوا فى تجهيز أمورهم وتيَقَّنُوا صِدْق القَالَة ، فحمل السلطانُ إلى الأمير الكبير أتابك العساكر سُودُون من عبد الرحمن أكْيَاس فِضَّة حساباً عن ثلاثة آلاف دينار ، وإلى كلٍّ من أمراء الألوف — وهم عشرة أنفس — لكل واحد ألفى دينار ، وإلى كل من أمراء الطَّبْلَخَانَات خمسمائة دينار ، وإلى كل من أمراء العشرات مائتى دينار ، وكل ذلك فضّة حساباً عن الذّهب من سعر الدينار بمائتين وعشرين درهماً ، والدينار يومئذ بمائتين وثمانين ، فالنفقة على هذا الحكم تنقص مبلغًا كبيراً ، غير أنه من هو المشاحح لذلك ، ولسان الحال يقول : (يدُ الخلافةِ لا تُطَاوِلُها يدُ) وكان هذا أيضاً بخلاف القاعدة ؛ فإنّ قاعدة الملوك أن تنفق أولا على المماليك السلطانية ، ثم تنفق على الأمراء ، فكان ذلك بخلاف ما كان ، وكان له سبب

(١-١) ما بين الرقمين من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥) .
(٢) كذا فى الأصل ، وصر النفقة أى أعدها فى صرر لأجل الانفاق . وفى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥ « بصرف » وسيأتى أنه سيتم الانفاق والصرف فى حادى عشرمن جمادى الآخرة .
(٣) الإضافة من ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥) .

فيما قِيل ، وهو أن الملك الأشرف كان عنده بُخْل وعدم محبة للسّفر من مبدأ أمْرِه إلى أيّام سلطنته ، وكان أشاع فى السنين الماضية أنه يريد السّفر لقتال قَرَايُلُك يومِ قَرَايُلُك بذلك ليُرْسِل إليه بالدخول فى طاعته ، وكان قَرَايُلُك أرسلَ إلى السلطان فى ذلك لمّا كَان ولده هَابِيل فى حَبْس الملك الأشرف ، فلما مات هابِيلُ بالطّاعون فى سنة ثلاث وثلاثين فى مَحْبَسِهِ أمْسَكَ قَرَايُلُك عن مكاتبات السلطان ، وأخذ فى ضَرْب معاملاته ، وصار السلطانُ فى كل سنة يتجهّز للسفر ويشيع ذلك إرْدَاعًا لقَرَايُلُك ، فلم يلتفت قَرَايُلُك لذلك ، فلمّا طال الأمرُ على السلطان حقّق ما كَان أشاعه من السّفر مخافة العار والقالة فى حَقِّه .

وتأييد ما قيل أننى سمعته يقول فى بعض منازله فى سفره إلى آمِد ، وأظنه فى العَوْدة : لو سألنى قَرَايُلُك فى الصُّلح والدخول فى طاعتى بمقدار ما سأله للأمير جَكَم من عوض نائب حَلَب لما مشى لقتاله أو أقل من ذلك لرَضِيتُ ، فهذا الخبرُ يقوِّى القول المقدّم ذكره .

واستمر السلطانُ فى انتظار قُدُوم رسل قَرَايُلُك بالصُّلح فى كل يوم وساعة ، وهو يترجّى أنه إذا بلغه صحة سفر السلطان إلى قتاله يرسل قُصّادَه فى السُّؤال بالصُّلح ، وأرباب دولته تشير عليه بالتربُّص والتأنى فى أمر السّفر مخافةً من وقوعهم فى الكُلَف الكثيرة ، فأشاروا عليه بأن يُنْفِق فى الأمراء أوّلا ، وبما يأتى رسولُ قَرَايُلُك فى السؤال ويُبْرَمُ الصلح ، فيكون استعادةُ المال منهم أهون من استعادته من المماليك السلطانية ، فَحَسُنَ ذلك ببال السلطان ، وهو كما قيل فى الأمثال « إن كلمة الشح مطاعة » وأنفق فى الأمراء وعوّق نفقة المماليك إلى أن كَان يوم سلخ جمادى الآخرة وقع[(1)] الإياس من قَرَايُلُك وأخذ فى نفقة المماليك السلطانية فى سلخ الشهر المذكور ، فأنفق على عِدّة كبيرةٍ من المماليك السلطانية لا يحضُرُنِى عِدّتهم .

قال المقريزى : وهم ألفان وسبعمائة ، وفى ظنى أنهم كانوا أكثر من ذلك غير أنى

(١) فى ط ، كاليفورنيا ٦ : ٦٨٧ « فلما يئس » .

لم أُحَرِّر عدّتَهم ، فجلس السلطانُ بالمقعد الذى على باب البَحْرَة من الحوش السلطانى بقلعة الجَبَل ، وأعطى لكل مملوك صُرّةً فيها ألف درهم وخمسون درهمًا [فضة][(1)] أشرَفِيَّة ، عنها من الفلوس اثنان وعشرون ألف درهم ، وهى مصارفةُ مائةِ دينار من حساب صَرْف كل دينار بمائتين وعشرين درهما فلوسًا ، وكَان صَرْف الدينار يوم ذاك بمائتين وثمانين درهمًا ، كما حُمِلت النفقة أيضًا للأمراء على هذا الحساب ، وكانت المماليك السلطانية اتَّفَقُوا على أنَّهم لا يأخذون إلا مائة دينار ذَهَبًا ، ودخلوا على ذلك ، فلما استدعى الديوان أوّل اسم من طبقة الزِّفْرَف خرجَ صاحِبُه وأخذ وباسَ الأرضَ وعاد إلى حال سبيله ، واستدعى الديوانُ من هو بَعْدَه فخرجَ واحدٌ بَعْد واحدٍ إلى أن تمت النفقة[(2)] ولم يتفوّه أحدٌ منهم بكلمة فى معنى ما اتفقوا عليه ، ولما نزلوا بعد القبض للنفقة صار بعضُهم يوبخُ البعضَ خفية على تَرْك ما اتَّفَقُوا عليه ، إلى أن قال لهم بعض المماليك المؤيدية : احمَدُوا الله على هذا العطاء ، فوالله لو لم يُنْفِق [السلطان][(3)] فيكم وأمركم بالسّفر معه من غير نفقة لخرجتُم معه صاغرين ، وأوّلهم أنا ، فضحك القومُ من كلامه وانصرفوا .

قلت : تلك أمة قد خلت ، هؤلاء القوم يأكلون الأرزاق صدَقَةً عن تلك الأمم السالفة ؛ فإننا لا نعلم بقتالٍ وقعَ فى هذا القَرْن — أعنى عن قرن التسعمائة — غير وقعة تَيْمُورْلَنْك مع نوّاب البلاد الشاميّة على ظاهر حَلَب ، لا مع العساكر المصريّة . وأما ما وقع بعد ذلك من الوقائع فى الدولة الناصرية [فرج][(4)] والدولة المؤيدية [شيخ][(5)] والدولة الظاهرية [طَطَر][(6)] والدولة المنصورية [محمد بن طَطَر][(7)] فهو نوع[(8)] من القتال لا القتال المعهود بعينه ، وتصديقُ ذلك أنه لم تكُن وقعة وقعت فى هذ الدّول

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٧) .
(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٧ « الطبقة » .
(٣) إضافة للتوضيح .
(٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) الإضافات للتوضيح .
(٨) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٨ « فرع » .

الشامية ، وكتب [٣٣] بتجهيز الإقامات بالشام ، ثم أبطل ذلك بعد أيام .

ورسم في يوم السبت سابع شهر رجب بخروج تجريدة من الأمراء إلى البلاد الشامية ، وعين ثمانية نفر من الأمراء مقدمي الألوف : وهم قرقماس أمير سلاح ، وأقبغا التمرازى أمير مجلس ، وأركماس الظاهرى الدوادار الكبير ، وتمراز القرمشى رأس نوبة النوب ، ويشبك السودونى حاجب الحجاب ، وجانم الأشرفى الأمير آخور الكبير ، وخجا سودون وقراجا الأشرفى .

ثم في يوم الاثنين تاسع شهر رجب نودى بأن أحداً[1] من العبيد لا يحمل سلاحاً ولا يمشى بعد المغرب ، وأن المماليك السلطانية لا يتعرض لأحد من العبيد ، وكان سبب هذه المناداة أنه لما أدير المحمل في يوم الخميس خامس [شهر][2] رجب المذكور ، فلما كان أول ليلة من الزينة نزل جماعة كبيرة من[3] المماليك الأشرفية الذين بالأطباق من قلعة الجبل وأخذوا في نهب الناس وخطف النساء[4] والصبيان ، فاجتمع عدد كبير من العبيد السود وقاتلوا المماليك الأجلاب ، فقتل من العبيد خمسة نفر وجرح عدة من المماليك ، وخطفت العمائم وأخذت الأمتعة ، ثم أخذت المماليك تتبع العبيد فقتلوا منهم جماعة ، وقد كفت[5] العبيد أيديهم عن قتالهم خوفاً من السلطنة ، واختفى كثير من العبيد وقل مشى المماليك في الليل إلى أن نودى لهم بهذه المناداة ، فسكن[6] الشر ومشى كل من الطائفتين على حاله الأول ؛ ثم رسم السلطان بمنع المماليك من النزول من الأطباق إلى القاهرة إلا لضرورة .

ثم في عاشر [شهر][7] رجب أنفق السلطان على الأمراء المجردين لكل أمير ألفى دينار أشرفية .

(١) في أ (أحد) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط في طبعة كاليفورنيا .
(٥) في أ (كف) ، ولا فرق يذكر .
(٦) في أ (وسكن) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم في يوم الأربعاء ثامن عشره ركب السلطان من قلعة الجبل ، ونزل إلى خليج الزعفران فنزل به وأكل السماط ، ثم ركب في يومه وعاد إلى القلعة ، فأصبح من الغد متوعك البدن ساقط الشهوة للغداء ، ولزم الفراش ، وهذا أوائل مرضه الذى مات منه ؛ غير أنه تعافى بعض أيام ، ثم مرض ثم تعافى حسبما يأتى ذكره .

وورد الخبر فيه بوقوع الوباء في بلاد الصعيد ؛ واستهل شعبان يوم الاثنين والسلطان مريض ، فأخرج فيه مالا وفرقه على الفقراء والمساكين . فلما كان يوم الثلاثاء تاسعه[1] تعافى السلطان وخلع على الأطباء لعافيته ، وركب من الغد ونزل من القلعة إلى القرافة وتصدق على أهل القرافتين ، وعاد وهو غير صحيح البدن . ثم في يوم السبت ثالث عشر شعبان المذكور ، نزل السلطان من القلعة إلى خارج القاهرة ، وعاد ودخل من باب النصر ، ثم نزل بالجامع الحاكمى ، وقد قيل له إن بالجامع المذكور دعامة قد ملئت ذهبًا ، ملأها الحاكم بأمر الله لمعنى أنه إذا خرب يعمر بما في تلك الدعامة ؛ فلما بلغ [الملك][2] الأشرف ذلك شرهت نفسه لأخذ المال [المذكور][3] ، فقيل له إنك تحتاج إلى هدم جميع الدعائم التى بالجامع المذكور حتى تظفر بتلك الدعامة المذكورة ، ثم لا بد لك من عمارتها ، ويصرف على عمارتها[4] جملة كثيرة لاتدخل تحت حصر ، فقال السلطان ما معناه إن الذى نأخذه من الدعامة يصرف على عمارة ما نهدمه ، ولا ينوبنا غير تعب السر ؛ وركب فرسه وعاد إلى القلعة .

ثم في يوم الخميس خامس عشرين شعبان [المذكور][5] برز الأمير قرقماس أمير سلاح ، [وقد][6] صار مقدم العساكر ، وصحبته من تقدم ذكره من الأمراء ، إلى الريدانية [خارج القاهرة][7] من غير أن يرافقهم في هذه التجريدة أحد من المماليك السلطانية ، فأقاموا

(١) في أ (سابعه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الحديث (راجع أول الفقرة) .
(٢) ، (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) في أ (ويصرف على ذلك) ، والمثبت أوضح وهو عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ، (٦) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

العشرات ورأس نوبة ، بتوجهه إلى الديار المصرية ، مبشرا بعود السلطان إلى الديار المصرية .

وصار السلطان يركب ويسير بحلب ، وطلع إلى قلعتها غير مرة ، إلى أن خرج منها فى يوم الخميس خامس ذى الحجة من سنة ست وثلاثين المقدم ذكرها ، يريد جهة دمشق ، وسار حتى نزل بحماه ، وأقام بها أياماً ، ثم رحل منها بعساكره إلى جهة دمشق حتى دخلها فى يوم الخميس تاسع عشر ذى الحجة ، ونزل بقلعتها ، ونزلت عساكره بمدينة دمشق ، ودام بدمشق إلى أن برز منها يوم السبت ثامن عشرين ذى الحجة ، يريد الديار المصرية ، بعد أن خلع على جميع نواب البلاد الشامية باستمرارهم ، ولم يحرك ساكن فى الظاهر والله متولى السرائر . ثم سار السلطان حتى وصل غزة ، وقد استقر فى نيابتها من دمشق الأمير يُونُس الرُّكْنى ، أحد مقدمى الألوف بدمشق ، وكان يونس المذكور وليها مرة أخرى قبل ذلك .

وأقام السلطان بغزة ثلاثة أيام ، ثم رحل منها يريد القاهرة ، حتى وصلها فى يوم الأحد العشرين من محرم سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، ودخل فى موكب عظيم[1] جليل من باب النصر بأبهة الملك وشعار السلطنة ، وعلى رأسه القبة والطير ، تولى حملَه الأميرُ الكبير سودون من عبد الرحمن وهو مريض ، وقد ساعده جماعة من حواشيه فى حملها . وشق السلطان القاهرة وقد زينت لقدومه أحسن زينة ، وسار حتى نزل بمدرسته التى أنشأها بخط العَنْبَرِيين[2] من القاهرة ، وصلى بها ركعتين ، ثم ركب منها وسار حتى خرج من باب زويلة ، وطلع إلى القلعة بعد أن خرج المقام الجمالى يوسف ولده إلى ملاقاته بالخانقاه ، وعاد معه . وكان لقدومه يوم مشهود[3] ، وسر الناس بسلامته ، وعاد السلطان إلى مصر بعد أن أتلف فى هذه السَّفرة نحو الخمسمائة ألف دينار من النقد ، وتلف له من

(١) كلمة (عظيم) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) خط العنبريين نسبة لتجار العنبر ، ولهم سوق يعرف باسمهم ، وهو الذى أنشأه السلطان قلاوون . وكان للعنبر إذ ذاك سوق رائجة فى مصر « لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة ، وإن سفلت ، إلا ولها قلادة من عنبر ، وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها ... » . والعنبر ليس هو ذلك الطيب المعروف المأخوذ من الحيوان البحرى المعروف بهذا الاسم (القاموس المحيط) ، وإنما هو ، كما يبدو من وصف المقريزى ، نوع من الحرير أو خيوط الحرير أو الغزل الفاخر (راجع الخطط جـ٢ ص ١٠٢-١٠٣) .

(٣) فى ا (يوما مشهودا) .

السلاح والمتاع والخيل والجمال والبغال مثل ذلك ، وأنفق الأمراء بمصر والشأم والعساكر المصرية والشأمية مثل ذلك ، وتلف لأهل آمِد وما حولها من الغلال والزراعات والمواشى شىء كثير[1] إلى الغاية ، وقتل أيضاً خلائق ، ومع هذا كله كانت سفرة كثيرة[2] الضرر قليلة النفع .

ولم ينل أحد فى هذه السفرة غرضا من الأغراض ، ولا سكنت فتنة ولا قامت حرمة ، ولا ارتدع عدو . ولهج غالب الناس بأن السلطانَ سعدُه لا يعمل إلا وهو بقلعة الجبل[3] ، وحيثما تحرك بنفسه بطل سعده ، وعدُّوا حركته مع التركمان فى نيابته بطرابلس ، ثم واقعته مع الأمير جقمق نائب الشام لما أمسكه جقمق وحبسه ، ثم سفرته [هذه][4] إلى آمد ؛ قلت : الحركات والسكون بيد الله ، والحرب سجال : يوم لك ويوم عليك ، والدهر تارة وتارة ، والغَيْبُ مُسْتَّر ما هو مُخَبِّر[5] — انتهى .

ولما طلع السلطان إلى القلعة خلع على الأمراء ، وأخذ فى إصلاح أمره ، وخلع على التاج بإعادته إلى ولاية القاهرة ، بعد عزل دُولات خُجا الظاهرى ، ثم خلع السلطان على الأمير آقْبُغَا الجمالى المعزول عن الأُسْتَادَّارِيَّة قبل تاريخه ، باستقراره فى ولاية الوجه القبلى ، عوضا عن داوُد[6] التركُمانى ، وكان السلطان أنعم على آقْبُغَا[7] المذكور بإمرة عشرة بعد موت الأمير تنبك من سيدى بك[١٣] المعروف بالبهلوان بآمِد .

ثم فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع [الأول][8] من سنة سبع وثلاثين المذكورة ، رسم السلطان بإخراج الأمير الكبير سُودون مِن عبد الرحمن إلى القدس بطَّالا ،

(١) فى ا (شيئا كثيرا) .

(٢) فى ا (كبيرة) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (سعده لا يعمل إلا وهو بقلعته) دون حاجة لذكر كلمة (الجبل) ، غير أن إثبات كلمة الجبل عن ا ، يزيد العبارة وضوحا ودقة .

(٤) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) العبارة الواردة فى ا (ولعله مُسَيَّر ما هو مُخَيَّر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا أنسب لسياق العبارة .

(٦) فى ا (دوادار) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) فى ا (أقبغا) .

(٨) عن طبعة كاليفورنيا .

أكثرها لطول الكلام .

ثم[١] أخذ يعرّف الجميع[٢] : القرانيص والجِلْبان ، أنه يموت وأنه كان عندهم ضيفًا وقد أخذ فى الرحيل عنهم ؛ وبكى فأبكى الناسَ وعظم الضجيج من البكاء ، ثم أمر لهم بنفقة لجميع المماليك السلطانية قاطبة ، لكل واحد ثلاثين دينارا ، فقبل الجميع الأرض وضجوا له بالدعاء بعافيته وتأييده ؛ كل ذلك وهو يبكى وعقله صحيح وتدبيره جيد . وفى الحال جلس كاتبُ المماليك واستدعى اسمَ واحدٍ واحدٍ ، وقد صُرّت النفقةُ المذكورة ، حتى أخذوا الجميع النفقة ، فحسُن ذلك ببال جميع الناس ، وكانت جملة النفقة مائة وعشرين[٣] ألف دينار ؛ وانفضّ المجلس ، وحُمل السلطان وأعيد إلى مكانه .

ثم فى يوم الجمعة سابع ذى القعدة خلع السلطان على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله باستقراره فى كتابة السر بعد موت [ولده][٤] صلاح الدين محمد بن حسن بن نصر الله بالطاعون ، وخلع أيضًا فى اليوم المذكور على نور الدين علىّ السُّوَيْفِىّ إمام السلطان باستقراره محتسِب القاهرة بعد موت دُولات خُجَا بالطاعون ، وفرح الناس بموته كثيراً .

وتزايد الطاعون فى هذه الأيام بالديار المصرية وظواهرها حتى بلغ [عدة][٥] من صُلى عليه بمصلاة باب[٦] النصر فقط فى يوم واحد أربعمائة ميت ، وهى من جملة إحدى عشرة مصلاة بالقاهرة وظواهرها .

وأما الأمراء المجرَّدون إلى البلاد الشامية ، فإنهم كانوا فى هذا الشهر رحلوا من أبُلُسْتَين وتوجهوا إلى آق شهر[٧] ، حتى نزلوا عليها وحصروها وليس لهم علم بما السلطانُ فيه .

(١) ، (٢) بهذه العبارة الواقعة بين هذين الرقمين ، بعض الاضطراب. فقد وردت فى ا (ثم أخذ الجميع يعرفهم القرانيص ...) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (عشرون) .
(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) كلمة (باب) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) راجع الحاشية رقم ٩ ص ٨٢ من هذا الجزء .

ثم اشتد مرض السلطان فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ذى القعدة واحتجب عن الناس ، ومُنع الناس قاطبةً من الدخول عليه ، سوى الأمير إينال الأبوبكرى [٣٩] الأشرف شادّ الشراب خاناه ، وعلى باى الأشرفى الخازندار ، وجوهر التّلاّ الزّمام ؛ وصار إذا طلع مباشرو الدولة إلى الخدمة السلطانية على العادة يعرّفهم هؤلاء بحال السلطان ، وليس أحد من أكابر الأمراء يطلع إلى القلعة ؛ لمعرفتهم بما السلطانُ فيه من شدة المرض ، وأيضًا لكثرة الكلام فى المملكة . وقد صارت المماليك طوائف ، وتركوا التّسْيير إلى خارج القاهرة وجعلوا دأبهم التسييرَ بسوق الخيل تحت القلعة[١] والكلام فى أمر السلطان . وبطلت العلامةُ[٢] ، وتوقف أحوال الناس لاختلاط عقل السلطان من غلبة المرض عليه ، وخيفت السبل ونقل الناس[٣] أقمشتهم من بيوتهم إلى الحواصل مخافة من وقوع فتنة . وأخذ الطاعون يتناقص فى[٤] هذه الأيام وهو أوائل ذى الحجة ، ومرض السلطان يتزايد . وكان ابتداء مرض السلطان ضعف الشهوة للأكل ، فتولد له من ذلك أمراض كثيرة آخرها نوع من أنواع المنخوليا ، وكثر هذيانه وتخليطه فى الكلام ، ولازمه الأرق والسهر مع ضعف قوته .

هذا مع أن المماليك فى هذه الأيام صاروا طائفة وطائفة : فطائفة منهم يريدون أن يكون الأمير الكبير جَقْمَق العلائى هو مدبر المملكة كما أوصاه الملك الأشرف ، وهم الظاهرية البرقوقية والناصرية والمؤيَّدية والسَّيفية ؛ وطائفة وهم الأشرفية ، يريدون الاستبداد بأمر ابن أستاذهم ، كل ذلك من غير مفاوضة فى الكلام . وبلغ الأميرَ إينال الأبو بكرىّ المُشِدّ ذلك ، وكان أعقل المماليك الأشرفية وأمثلهم وأعلمهم ، فأخذ فى إصلاح الأمر بين الطائفتين ، بأن طيَّب[٥] المماليكَ الأشرفية إلى الحَلْف على طاعة ابن السلطان والأمير الكبير جَقْمَق العلائى ، حتى أذعنوا ورضوا . فتولى تحليفَهم القاضى شرفُ الدين نائب كاتب السر

(١) المثبت عن ا ؛ وفى طبعة كاليفورنيا بعض خلاف لفظى لم يغير فى المعنى شيئا .
(٢) المقصود بالعلامة ، توقيع السلطان بالشعار الذى يتخذه لنفسه مثل «الله أملى» ، وهذه كانت علامة السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى الدولة المملوكية الأولى .
(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (يطيب) بصيغة المضارع .

ابن أحمد بن على بن ناصر الدين محمد بن دخوى بن منصور بن عمر بن وَلَشْمَع(١) الجَبَرْتى(٢) الحنفى .

ونوابُ البلاد الشامية : نائب [٧٨] دمشق الأتابك إينال الجَكَمى ، ونائب حلب حسين بن أحمد البَهْسَنِى المدعو تَغرى بَرْمَش ، ونائبُ طرابلس جُلُبّان الأميرُ آخور ، [وفى معتقده أقوال كثيرة](٣) ، ونائبُ حماة قانى باى الحمزاوى ، ونائبُ صَفَد إينال العلائى الناصرى ، أعنى السلطان الملك(٤) الأشرف إينال ؛ ونائبُ غزة آقْبَرْدِى القَجْماسى ، ومات بعد أيام ؛ ونائبُ الكَرَك خليلُ بن شاهين ؛ ونائبُ القدس طُوغَان العثمانى ؛ ونائبُ مَلَطْيَة حسن بن أحمد أخو نائبِ حلب ؛ وحسن الأكبر — انتهى .

قلت : وفائدةُ ما ذكرناه هنا من ذكر أصحاب الوظائف من الأمراء وغيرهم ، يظهر بتغيير الجميع وولاية غيرهم بعد مدة يسيرة فى أوائل سلطنة [الملك](٥) الظاهر جَقْمَق ، لتعلم تقلبات الدهر وأن الله على كل شىء قدير .

وأما ذكرُ ملوك الأطراف وغيرهم فهو نوع استطراد لا يخلو من فائدة ، وليس فيه خروج عما نحن بصدده — انتهى .

* * *

ولما تم أمرُ السلطانِ الملك العزيز ونودى بسلطنته وبالنفقة على المماليك السلطانية فى يوم الاثنين خامس عشر ذى الحجة ، لكل مملوك مائة دينار ، سكنَ قلقُ الناس وسُرُّوا جميعاً بولايته ، ولم يقع فى ذلك اليوم هرج ولا فتنة ولا حركة ، واطمأنت

(١) المثبت عن الإلمام ص ٩–١١ وفى ا (ولسع) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) الجبرتى نسبة إلى جبرة أو جَبَرْت ، وهى نفسها المعروفة باسم «أوفات»، إحدى ممالك الطراز الإسلامى بالحبشة (صبح الأعشى حـ ٥ ص ٣٢٥ ؛ الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ص ٣٨) .
من (٣) إلى (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

الناس ، وباتوا على ذلك وأصبحوا فى بيعهم وشرائهم(١) ؛ غير أن المماليك صاروا فرقاً(٢) مختلفة ، والقالةُ موجودة بينهم فى الباطن .

ولما كان يومُ الأحد رابع عشر ذى الحجة ، حضر الأمراء والخاصكيّةُ للخدمة بالقصر على العادة ، وأنعم السلطانُ الملك العزيز على الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله بجزيرة الصابونى(٣) زيادةً على ما بيده ، وكتب إلى البلاد الشامية وبجميع الممالك بسلطنته .

ثم فى يوم(٤) الاثنين ابتدأ السلطانُ بنفقة المماليك السلطانية بعد أن جلس بالمقعد الملاصق [لقاعة](٥) الدُّهَيْشة المطل على الحوش السلطانى ، وبجانبه الأمير الكبير جَقْمَق العلائى وبقية الأمراء . وشرع السلطانُ فى دفع النفقة إلى المماليك السلطانية ، لكل واحد مائة [دينار](٦) ، كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم بالسوية ، فحسُنَ ذلك ببال الناس وكثر الدعاء للسلطان وعطفت القلوب على محبته . ثم عيّن للتوجه إلى البلاد الشامية للبشارة الأميرَ إينال الأحمدى الظاهرى الفقيه أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وعلى يده مع البشائر كُتُب للأمراء المجردين بالبلاد الشامية تتضمن موتَ [الملك](٧) الأشرف وسلطنةَ ولده الملك العزيز هذا .

ثم قدم رسول الأميرِ حمزة بن قَرَايُلُك صاحبِ ماردين وأَرْزَن وصُحْبته شمسُ الدين القَامْطَاوى ، ومعهما هدية وكتاب يتضمن دخولَ حمزة [المذكور](٨) فى طاعة السلطان ، وأنه أقام الخطبة وضرب السكةَ إلى السلطان ببلاده ، وأنه صار من

(١) فى ا (شرائهم) .
(٢) فى ا (فرق) .
(٣) تقع هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار (ساحل أثر النبى) ، وكان نجم الدين أيوب قد أوقف هذه الجزيرة وقطعة من بركة الحبش ، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده ، والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الإمام الشافعى ، (انظر المواعظ والاعتبار حـ ٢ ص ١٨٥ ، ٤٢٩ ؛ وراجع النجوم الزاهرة حـ ١٠ ص ١٢٩ حاشية ٢) .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
من (٥) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .

وكان [الملك][1] الظاهر جَقْمَق فى طبعه[2] الرأفة والشفقة على أيتام الأجانب ، فكيف الأقارب ؟ ولا أستبعد ذلك — انتهى .

ذكر ما وقع له من ابتداء أمره إلى أن تسلطن

فنقول : واستمر جَقْمَق هذا عند أخيه بطبقة الزِّمَامية[3] مدةً يسيرة ، وأعتقه [الملكُ][4] الظاهر برقوق ، وأخرج له خيلا وقماشاً على العادة بمفرده ، وهو أن بعضَ المماليك السلطانية من طبقة الزمام المذكورة توفى ، فقام جاركس فى مساعدة أخيه جَقْمَق هذا حتى أخذ له جامكيّتَه وخيلَه . وأعتقه [الملك][5] الظاهر ، ثم جعله بعد قليل خاصْكيًّا ، كل ذلك بسفارة أخيه جاركس المذكور . واستمر جَقْمَق خاصكيًّا إلى أن مات [الظاهر][6] برقوق ، وصار ساقياً فى سلطنة [الملك الناصر فرج][7] ، ثم تأمّر عشرةً ، إلى أن خرج أخوه جاركس عن طاعة [الملك][8] الناصر [فرج][9] فأمسك السلطانُ جَقْمَقَ هذا ، وحبسه بواسطة عصيان أخيه ، فدام فى السجن إلى أن شفع فيه الوالدُ وجمال الدين يوسف الأستادّار وأُطلق من السجن ، ثم قُتل جاركس فانكفّ جقمق هذا عن الدولة بتلطف ، إلى أن قُتل [الملك][10] الناصر ، وملَك شيخُ [المحمودى][11] الديارَ المصرية ، فأنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم نقله بعد سلطنته بمدة إلى إمرة طبلخاناه ، ثم جعله خازنداراً كبيراً بعد انتقال الأمير يونس الركنى إلى نيابة غزة ، ثم نُقل إلى إمرةِ مائة وتقدمةِ ألف فى دولة المظفر أحمد ابن [الملك][12] المؤيّد شيخ ، ثم صار حاجبَ الحجّاب بعد الأمير طَرَباى ، فى أواخر الدولة الصالحية محمد أو فى أوائل الدولة الأشرفية [بَرْسْباى][13] ، ثم نُقل إلى الأمير آخورية الكبرى عوضاً عن الأمير قصروه من تمراز ، بحكم انتقال قصروه إلى نيابة طرابلُس فى أوائل صفر من سنة ست وعشرين [وثمانمائة][14] ، وتولى الحجوبية

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (طبقه) .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (الزمام) .
من (٤) إلى (١٤) عن طبعة كاليفورنيا .

من بعده الأميرُ جَرِبَاش الكريمى المعروف بقاشق[1] ، ثم نقل من الأمير آخورية إلى إمرة سلاح بعد إينال الجَكَمى ، واستقر عوضَه فى الأمير آخورية الأميرُ حسينُ بن أحمد البَهَسْنى التركمانى المدعو تَغْرى بَرْمَش ، ودام على ذلك سنين إلى أن نُقل إلى أتابكية العساكر بالديار المصرية ، عوضاً عن إينال الجكمى أيضا بحكم انتقال الجكمى إلى نيابة حلب ، بعد عزل قَرْقَماس الشعبانى وقدومه على إقطاع إينال الجكمى مقدمَ ألف بالقاهرة ، فاستمر أتابكًا إلى أن مات [الملك][2] الأشرف [بَرْسْباى][3] فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين [وثمانمائة][4] ، بعد أن أوصى جَقْمَق على ولده وجعله مدبِّرَ مملكته ، إلى أن صار من أمره ما رقّاه إلى السلطنة . وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصلاً ، غير أنا أعدناه هنا لينتظم سياق الكلام مع سياقه — انتهى .

ولنَعُدْ[5] الآن إلى ما كنا فيه :

ولما جلس الملكُ الظاهر جَقْمَقُ على تخت الملك وتم أمرُه ، خلع على الخليفة وعلى الأمير [٩٢] قَرْقَماس وقيّد لهما فرسين بقماش ذهب ، ولُقّب بالملك الظاهر أبى[6] سعيد جقمق ، ثم نودى فى الحال بالقاهرة ومصر بسلطنته والدعاء له ، وأن النفقةَ لكل مملوك من المماليك السلطانية مائةُ دينار ، فابتهج الناسُ بسلطنته . ثم أمر السلطانُ فقُبض على الطواشى صفىِّ الدين جوهر الجُلْبانى الحبشى لالاَ الملكِ العزيز وهو يومئذ زِمَامُ الدارِ السلطانى[7] ، وخلع على الزِّينى فَيْرُوز الجاركسى الطواشى الرومى باستقراره زماماً عوضاً عن جوهر المذكور .

ثم أصبح فى يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول المذكور خلع على الأمير

(١) فى ا (قاسق) .
من (٢) إلى (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى الأصل (ولنعود) .
(٦) فى ا (ابو) .
(٧) زمام الدار السلطانى : هو الموظف الموكل إليه أمر الحريم . وأصل الكلمة : زنان دار ، وهما لفظان فارسيان : زنان بمعنى النساء ودار بمعنى ممسك ، فيكون المعنى ممسك النساء ، أى هو الذى يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام والخصيان ، وحرف العامة هذا المصطلح إلى زمام دار (صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٩-٤٦٠ ؛ السلوك جـ١ ص ٥٧٧ حاشية ١) .

قَرْقَماس الشعبانى الناصرى — أميرسلاح المعروف بأهرام ضاغ — باستقراره أتابكَ العساكر بالديار المصرية عوضاً عن نفسه ، وخلع على الأمير آقْبُغَا التَّمْرازى أمير مجلس باستقراره أميرَ سلاح عوضاً عن قرقماس المذكور ، وخلع على الأمير يَشْبَك السُّودونى حاجبِ الحجاب باستقراره أميرَ مجلس عوضا عن آقبغا التمرازى ، وكان السلطانُ خيَّر تمرازَ القَرْمُشى رأسَ نوبةِ النوب فى وظيفة أمير مجلس أوالأمير آخورية الكبرى ، فمال إلى الأمير آخورية الكبرى ، فخلع عليه بها عوضاً عن الأمير جانم الأشرفى بحكم حبسه بثغر الإسكندرية ، وخلع على أرْكَماسَ الظاهرى الدوادار الكبير باستمراره على وظيفة الدوادارية ، وعلى الأمير قَرَاخُجَا الحَسَنى الظاهرى باستقراره رأسَ نوبة النوب عوضاً عن تمراز القرمشى ، وعلى الأمير تَغرى بَرْدِى البَكْلَمُشى المُؤْذِى باستقراره حاجبَ الحجاب عوضا عن يَشْبَك السُّودونى ، وعلى الأمير تَنْبَك البَرْدبَكى أحدِ أمراء الألوف باستقراره فى نيابة قلعة الجبل ، ثانىَ مرةٍ عوضاً عن تنبك النَّوْرُوزى الجَقْمَقى ، وخلع على الأمير قَرَاجَا الأشرفى قَوْقَانياً(١) وهو آخر من بقى من مقدمى الألوف ، وباقى الإقطاعات شاغرة إلى الآن عن أصحابها ، وكتب بحضور الأمير جَرِبَاش الكريمى قاشق من ثغر دمياط ، وكان له به سنين كثيرة بطالا ، ثم خلع السلطانُ على دُولات باى المحمودى الساقى المؤيدى — أحدِ أمراء العشرات ورأس نوبة — باستقراره أميرَ آخور ثانياً ، عوضا عن يَخْشْباى المقبوض عليه قبل تاريخه ، وعلى الأمير تَمَّ من عبد الرزّاق المؤيدى — أحدِ أمراء العشرات ورأس نوبة — باستقراره محتسبَ القاهرة عوضا عن الإمام نور الدين السويفى ، وعلى قانى باى الجاركسى — الذى تأمّر قبل تاريخه بمدة يسيرة — باستقراره شادَّ الشراب خاناه عوضا عن على باى الأشرفى بحكم القبض عليه ، واستمر على إمرة عشرة ؛ وعلى الأمير قانى باى الأبو بكرى الأشرفى الساقى باستقراره خازنداراً عوضا عن جَكَمَ خال العزيز بحكم القبض عليه [أيضا](٢).

(١) فى ا (فوقانى) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم أنعم السلطان على جماعة كثيرة جداً باستقرارهم أمراء عشراتٍ يطول الشرح فى ذكرهم ، لأنها دولة أقيمت بعد ذهاب دولة ، وتغيرَ جميع من(١) كان من أرباب الوظائف الذين كانوا فى الدولة الأشرفية من الخاصكية وغيرهم ، واستقرَّ جماعةٌ كبيرة رؤوسَ نُوَب ، منهم من خُلع عليه قبل أن يلبس قَوْقانىَّ الإمرة ، وهو إلى الآن بحياصةِ ذهبٍ ، ونالت السعادة جميع المماليك المؤيدية الأصاغر ، بحيث أن بعضهم كان فقيراً يعيش بالتَّكَدِّى فأخذ إقطاعا هائلا واستقر بواباً دفعة واحدة ، وأشياء كثيرة من هذا ذكرناها فى غير هذا المحل .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشرين شهر ربيع الأول المذكور ، جلس السلطان الملك الظاهر جَقْمَق بالمقعد المطل على الحوش ، تجاه باب الحوش المذكور ، وابتدأ فيه بنفقة المماليك السلطانية لكل واحد مائةُ دينار ، واستمرت النفقةُ فيهم فى كل [يوم](٢) موكب ، إلى أن انتهى أمرهم فيها .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس عشرينه وصل الأمير جَرِبَاش قاشق [من ثغر دمياط](٣) فأنعم عليه بإمرةِ مائة وتقدمةِ ألفٍ بالقاهرة .

ثم فى يوم الخميس سابع عشرينه عمل السلطانُ المولد النبوى بالحوش على العادة ، وزاد فيه زيادات حسنة [93] من كثرة الأسمطة والحلاوات ؛ وانفض الجميع بعد صلاة المغرب .

ثم فى يوم السبت تاسع عشرينه تجمع تحت القلعة نحوُ ألف مملوك من مماليك الأمراء ، يريدون النفقة كما نُفق على المماليك السلطانية ، فأمر لهم السلطان بنفقة ، فنُفقت فيهم ؛ ولم يكن لذلك عادة قبل تاريخه .

ثم فى يوم الاثنين ثالث(٤) شهر ربيع الآخر قبض السلطان على تاج الدين

(١) فى ا (ما)
(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (ثالث عشر) والصواب ما أثبت بالمتن عن طبعة كاليفورنيا ، فضلا عن سياق الكلام .

سجن الإسكندرية ، ورسم لهما بالتوجه إلى دمياط على حمل خمسة عشرة ألف دينار .

وفيه ورد كتابُ الأميرِ حسين بن أحمد ، المدعو تَغرى بَرْمَشْ نائب حلب ، عَلَى السلطان ، يتضمن : أنه مقيم عَلَى طاعة السلطان ، وأنه لبس التشريفَ المجهز له ، وقبّل الأرض ؛ فلم يكترث الملكُ الظاهر بذلك ، وكتب مُلطَّفات إلى أمراء حلب ، بالقبض عليه إن أمكنهم ذلك .

ثم فى ثامن جمادى الأولى ، استقر الشريفُ صخرة بن مقبل بن نخبار ، فى إمرة الينْبُع ، عوضاً عن الشريف عقيل بن زبير بن نخبار

ثم فى يوم الخميس عاشره ، استقر زينُ الدين يحيى بن كاتب حلوان الأشقر ، المعروف بقريب بن أبى الفرج ، ناظرَ الإسطبل السلطانى ، عَلَى مال بذله فى ذلك ، بعد سعيٍ كبير ؛ وخلع السلطانُ أيضاً على محمدٍ الصغير ، مُعلِّم النُّشَّاب ، أحدِ ندماء السلطان ، باستقراره فى نيابة دمياط ، بعد عَزْل الأمير أسَنْباى الزردكاش الظاهرى .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس [عشر](١) جمادى الأولى المذكور ، طلب السلطانُ الشيخَ حسن العجمى ، أحدَ ندماء [الملك](٢) الأشرف برْسباى ، فلما مَثَل(٣) بين يديه ، تقدم الشيخُ حسن المذكور(٤) ليقبل يدَ السلطان فضربه السلطانُ بيده على خده [لَطْشَةً](٥) كاد أن يسقط منها إلى الأرض ، ثم أمر به فعُرِّى وضُرب بالمقارع ضرباً مبرحاً ، وشهر بالقاهرة ، ثم سُجن ببعض الحبُوس ، وذلك لسوء سيرة حسن المذكور وقلة أدبه مع الأمراء فى أيام [الملك](٦) الأشرف [برْسباى](٧) . وكان أصل هذا حسن من أوباش الأعاجم المولدة من الجغتاى ، واتصل [بالملك](٨)

(١) ، (٢) ، (٥) – (٨) من طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (تمثل) .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

الأشرف بعد سلطنته بسنين ، ونادَمه واختص به ، فنالته السعادة وعَمَّر له الملكُ الأشرفُ زاويةً بالصحراء بالقرب من تربة [الملك](١) الظاهر برقوق ، وأوقف عليها وقفاً جيداً ، وكان حسنُ المذكور ، فى أيام أستاذه [الملك](٢) الأشرف ، يدخل إلى أكابر الأمراء ويكلفهم ويأخذ منهم ما أراد من غير تحشُّم وعدم اكتراث بهم ، فكأنه طرق [الملكَ](٣) الظاهرَ جَقْمَق وفعل معه ذلك ، فأسرّها [الملكُ](٤) الظاهر له إلى وقتها ؛ مع ذنوب أخر ، حتى فعل معه ما فعل ؛ ثم نفاه إلى قوص ، فدام به إلى أن مات فيما أظن .

ثم جهّز السلطانُ الأميرَ سُودُون المحمدى ، وخلع عليه بنظر مكة المشرفة ، وندبه أيضاً لقتال عرب بَلِيّ ، وصُحبته جماعةٌ من المماليك السلطانية ، وعرب بَلِيّ هؤلاء [هم](٥) الذين فعلوا بالحجاج ما فعلوه فى موسم السنة الخالية . وندَب بعده أيضاً الشهابى أحمد بن إينال اليوسفى ، أحدَ أمراء العشرات ، لإصلاح مناهل الحجاز وتقويةً لسُودون المحمدى . ثم خلع السلطانُ على الأمير أقبغا مِن مامِش التركمانى الناصرى ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، باستقراره فى نيابة الكَرَك ، بعد عَزْل الصاحب خليل بن شاهين الشَّيْخى ، وانتقالِه إلى أتابكية صَفَد .

ثم فى يوم الخميس أول شهر رجب ، أنفق السلطانُ فى المماليك [١٠٠] السلطانية نفقةَ الكسوة ، وكانت عادتهم أن يدفع لكل واحد منهم خمسمائة درهم من الفلوس ، فلما قرب أوان تفرقة الكسوة ، وقفوا فى يوم الاثنين ثامن عشرين جمادى الآخرة وطلبوا أن ينفق فيهم ، عن ثمن الكسوة عشرةَ دنانير

من (١) إلى (٥) من طبعة كاليفورنيا .

من الغد كلٌّ واحد من الجمالى ناظر الخواص][1] وزين الدين الأستادار، جهّز للسلطان تقدمة هائلة ذكرنا تفصيلها فى الحوادث[2] .

ثم فى يوم السبت ثالث عشر شهر ربيع الآخر، وصل الأمير بيغوت الأعرج [من صَفَرْخُجا][3] المؤيدى نائب حماه كان، إلى القاهرة، وطلع إلى السلطان، وقبل الأرض بين يديه، وخلع السلطانُ عليه سلاريًّا أحمرَ بفرو سمور، ووعده بخير[4] .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر المذكور، سافر الأميرُ أسنباى الجمالى الظاهرى أحد أمراء العشرات إلى بلاد الرّوم، لتولية خَوَنْدكار محمد السلطنة بعد وفاة أبيه مراد بك .

وفى هذا الشهر، أشيع بالقاهرة، أن السلطان ذكر أبا[5] الخير النحاس بخير، وأنه فى عزمه الإفراج عنه والرضا عليه، فبلغ السلطانَ ذلك، فبرز مرسومُه إلى نائب طرسوس بضرب النحاس مائة عصاة افتقده بها .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى، سافر الأميرُ بيغوت إلى دمشق؛ ليقيم بها[6] بطّالا، بعد أن رتب له فى كل شهر مائة دينار برسم النفقة، إلى أن ينحلّ له إقطاع[7] .

ثم فى يوم الخميس رابع [عشر][8] شهر رجب وصل الأمير قانم المؤيدى المتوجه إلى جهان شاه فى الرسلية، إلى القاهرة مريضا فى محفة.

ثم فى يوم الاثنين تاسع شعبان، وصل الأميرُ جانبك نائب جُدّة إلى القاهرة، وخلع السلطان عليه، ونزل إلى داره فى موكب جليل إلى الغاية .

(١) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) راجع حوادث الدهور ج ١ ق ١ ورقة ١٧٨ — ١٧٩ .
(٣) عن حوادث الدهور .
(٤) راجع أخبار بيغوت هذا فى حوادث الدهور ج ١ ورقة ١٢٨ — ١٣١ ، ١٦٥ — ١٦٦ .
(٥) فى ا (ابو) .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (به) .
(٧) راجع التبر المسبوك ص ٣٤٨ ، وانظر ما يلى .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشر شعبان، ورد الخبر على السلطان بموت الأمير بَرْدبك العجمى الجَكَمى، أحد مقدمى الألوف بدمشق، فأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير بَيْغُوت الأعرج المؤيدى .

ثم فى يوم الأحد ثانى عشرينه، نزل السلطان من القلعة وشق القاهرة، وسار حتى نظرَ المدرسةَ التى جدد بناءها الجمالى ناظر الخواص، بسُوَيقة الصاحب، ثم عاد من المدرسة، ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أُزْبَك مِن طُطُخ الساقى الظاهرى، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، بدرب الطنبذى بسُوَيقة الصاحب، وأقام عندها ساعة جيدة، ثم ركب وطلع إلى القلعة. وبعد طلوعه أرسل إلى الأمير أُزْبَك بعدة خيول خاص ومماليك وأصحن حلوى كثيرة، فقبل الحلوى ورد ما سواها .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان من سنة خمس وخمسين المذكورة، رسم السلطانُ بتفرقة دراهم الكسوة، على المماليك السلطانية على العادة فى كل سنة، لكل مملوك ألف درهم، فامتنعوا من الأخذ، وطلبوا الزيادة، وبلغ السلطانَ الخبر، فغضب من ذلك وخرج من وقته ماشياً حتى وصل إلى الإيوان، وجلس على السُّلَّمة السفلى بالقرب من الأرض، واستدعى كاتبُ المماليك أسماء جماعة فلم يخرج واحد، وصمموا على طلب الزيادة، وصاروا عصبةً واحدة، فلم يسع السلطان إلا أن دعا عليهم، وقام غضباناً، وسار حتى وصل إلى الدّهيشة . واستمروا المماليكُ على ما هم عليه، وحصل أمورٌ، إلى أن وقع الاتفاق على أنه يكون لكل مملوك من المماليك السلطانية ألفا[1] درهم، ورضوا بذلك، وأخذوا النفقة المذكورة، وقد تضاعف أمرها على ناظر الخاص .

ثم استهل [شهر][2] رمضان، أوله الاثنين والناس فى أمر مريج من الغلاء المفرط فى سائر المأكولات لاسيما اللحوم، هذا مع اتساع الأراضى بالرى، واحتاجت الفلاحون

(١) فى ا (الفى) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم ورد الخبرُ على السلطان بأن الأمير إينال العلائى الناصرى نائب صَفَد خرج منها، وسار حتى نزل بالرَّمْلَة فى سابع عشر [شهر] (١) رمضان، بعد ما أرسل إليه إينالُ الجَكَمى يدعوه لموافقته، وأعلمه أيضا أنه ما قام فى هذا الأمر إلا وقد وافقه نواب المماليك، وأركانُ الدولة وعظماء أمراء مصر، فلم يلتفت إينال العلائى لكلامه، ثم خشى أن يُكْبَس بصَفَد، فخرج منها بعد أن جعل حريمه بقلعة صفد، وسار حتى نزل الرملةَ، فسُرَّ السلطانُ بذلك وكتب إليه بالثناء والشكر.

ثم فى يوم الخميس سابع عشرين [شهر] (٢) رمضان المذكور أنفق السلطانُ فى العسكرِ المجردِ إلى الشأم — وعدّتهم ما بين خاصكيٍّ ومملوك: ستمائة واثنان وخمسون نفرا — كل واحد ثمانين (٣) دينارا.

ثم قدم الخبر بأن الأمير جُلُبّان، المستقر فى نيابة حلب، وصل إلى الرملة فى يوم الاثنين ثالث عشرين شهر رمضان فارًّا من تَغْرى بَرْمَش نائب حلب، وكان من خبر تغرى برمش نائب حلب أنه لما قوِىَ أمرُه وبلغه عصيانُ إينال الجَكَمى أيضا، عظُم أمرُه واستدعى التركمان إلى حلب، فقدم عليه منهم جماعة كبيرة إلى الغاية؛ ثم عمل مُكْحُلَة (٤) عظيمة من نحاس، ليرمى بها على قلعة حلب، وأخذ مع هذا كله يستميل جماعة من أهل قلعة حلب فمالوا له فى الباطن، وواعدوه على (٥) تسليم القلعة له، وهو مع ذلك مستمر فى حصار القلعة المذكورة، والنقْب فى جُدر (٦) القلعة [عمّال] (٧)، والقتالُ بينه وبينهم فى كل يوم يزداد، إلى أن بلغ الأميرَ حَطَط نائب قلعة حلب عمن (٨) وافق تغرى بَرْمَش المذكورَ، من أهل القلعة، فقبض على الجميع، وأخذ

(١)، (٢) عن طبعة كاليفورنيا.
(٣) فى ا (ثمانون).
(٤) راجع ما سبق لشرح هذه الكلمة، وانظر صبح الأعشى ج٢ ص ١٣٦.
(٥) فى ا (فى) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا.
(٦) فى ا (جدور).
(٧) عن طبعة كاليفورنيا.
(٨) فى ا (لمن) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا.

بعضهم وجعله فى المنجنيق ورمى به على تَغْرى بَرْمَش، ثم قَتل جماعةً منهم وجعل رؤوسهم على سور قلعة حلب، فلم يكترث تغرى برمش بذلك واستمر على ما هو عليه من حصار القلعة حتى أشرف على أخذها، فخوّفه بعضُ أصحابه من وثوب أهل مدينة حلب عليه وأشاروا عليه بأن ينادى لهم بالأمان، فأمر بذلك.

وكان بلغ أهلَ حلب أن تَغْرى بَرْمَش يريد يأمر التركمانَ بنهب حلب، فلما نودى بالأمان تحققوا ما كان قيل من نهب حلب، وألقى الله فى نفوسهم أن يركبوا عليه ويقاتلوه قبل أن يأمر بنهبهم. فثارت العامة وأهل حلب بأجمعهم (١) بقسيّهم وسلاحهم على حين غَفلة، وساروا يدًا واحدة واحتاطوا بدار السعادة وبه النائب تَغْرى بَرْمَش؛ وقد تقدم أن تغرى برمش المذكور كان جبانًا غيرَ ثابت فى الحروب، ضعيفَ القلب عند ملاقاة العدو، وليس فيه [سوى] (٢) جودة التدبير وحسن السياسة بحسب الحال، وبالنسبة لأمثاله من الجهلة فعندما بلغه وثوب أهل حلب عليه لم يثبت، وذهب فارًّا يريد الخروجَ من المدينة، وسار حتى خرج (٣) من السور، وصار (٤) واقفًا (٥) خارج السور فى نحو الأربعين فارسًا تخمينًا، وقد نهبت العامةُ جميع ما كان له بدار السعادة، من الخيول والأموال والسلاح وامتدت أيديهم إلى مماليك تَغْرى بَرْمَش وأتباعه يقتلونهم وينهبونهم.

وكان له المماليكُ الكثيرة المُتَجَمِّلة فى لبسهم وسلاحهم، غير أنهم كانوا على مذهب أستاذهم فى الجبن والخوف (٦) وعدم الثبات فى القتال، ولم يظهر لأحد منهم نتيجة فى هذا اليوم ولا فى يوم مصافّته للعسكر المصرى، بل هرب غالبهم وجاء (٧) إلى العساكر المصرية قبل وقوع القتال، وتركوا أستاذهم فى مثل ذلك اليوم مع عظم

(١) فى ا (بأجمعها).
(٢) عن طبعة كاليفورنيا.
(٣)، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا.
(٥) فى ا (واقف).
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (الخور) والمثبت عن ا، والمعنى واحد.
(٧) فى ا (وجا).

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأولى المذكور، خلع على خواجا كلال رسول شاه رخ خلعةَ السفر، وقد اعتُنى بها عناية لم يتقدم بمثلها لرسول فى زماننا هذا، وهى حرير مُخمَّل بوجْهَيْن: أحمر وأخضر، وطُرُز زرْكَش، فيه خمسمائة مثقال من ذهب، وأركب فرساً بسرجِ ذهب، وكُنبُوش زَرْكَش، فى كل منهما خمسمائة دينار، وجُهزت صُحبته هدية ما بين ثياب حرير سكندرى، وسرج وكُنبوش ذهب، وسيوف مُسَقَّطَة بذهب، وغير ذلك مما تبلغ قيمته سبعة آلاف دينار؛ هذا بعد أن بلغت النفقةُ من السلطان على الرسول المذكور ورفقته، نحو خمسة عشر ألف دينار، سوى الهدية المذكورة.

ثم فى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة، وقع بين القاضى حميد الدين الحنفى، وبين شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى الشافعى، مخاصمة، وآل أمرُهما إلى الوقوف بين يدى السلطان، فغضب السلطانُ لحميد الدين وضربَ الشهابَ الكورانى وأهانه، ورسم بنفيه إلى دمشق، ثم إلى البلاد الشرقيّة، فخرج على أقبح وجه. وكان هذا الكورانى قدم القاهرةَ قبيل سنة أربعين وثمانمائة، فى فاقة عظيمة من الفقر والإفلاس، واتصل بباب المَقَرّ الكمالى ابن البارِزِى فوالاه بالإحسان على عادة ترفقه بأهل العلم، ونوّه بذكره، حتى عرفه الناس، وتردد إلى الأكابر، وصار له وظائف ومرتبات، فلم يحفظ لسانَه لطيشٍ كان فيه، حتى وقع له ما حكيناه.

ثم فى يوم الخميس رابع عشر جمادى الآخرة، قدم الأميرُ جُلْبان نائبُ الشأم، إلى القاهرة، ونزل السلطانُ إلى لقائه [١٢٤] بمطعم الطَّير[١] خارج القاهرة، وهو أولُ رَكبةٍ ركبها، بعد سلطنته بالموكب، وخلع السلطانُ على جُلْبان المذكور خلعةَ الاستمرار، وعاد السلطانُ إلى القلعة وهو فى خدمته.

ثم فى يوم الاثنين [عاشر][٢] شهر رجب، أنعم السلطانُ بإقطاع الأمير ألطُنْبغا

(١) مطعم الطير المخصصة للصيد، وكان بالريدانية (راجع النجوم الزاهرة ح ٩ ص ٢٩).
(٢) عن طبعة كاليفورنيا.

المرقبى المؤيدى، وتقدمته على الأمير طُوخ مِن تِمْراز الناصرى الرأس نوبة الثانى، بعد موته؛ وأنعم بإقطاع طوخ وهو إمرة أربعين، على قانى باى الجاركسى شادّ الشراب خاناة.

ثم[١] فى يوم الاثنين أول شعبان، أُضيف نظرُ دار الضرب، للمقر الجمالى ناظر الخواص الشريف، كما كانت العادة القديمة، وذلك بعد موت جوهر القُنُقْبائى الزِّمام والخازندار.

ثم فى يوم السبت سادسه، خلع السلطانُ على الطَّوَاشى هلال الرومى الظاهرى برقوق، شادّ الحوش السلطانى، باستقراره زِماماً، عوضاً عن جوهر المقدم ذكره، على مال كثير بذله فى ذلك.

ثم فى يوم الأحد سابعه خلع على الزينى عبد الرحمن بن علم الدين داؤد بن الكُوَيز، باستقراره أستادارَ الذخيرة، وخُلع على الطواشى الحبشى جوهر التِّمْرازى الجَمَدَار، باستقراره خازنداراً، كلاهما عوضاً عن جوهر المذكور.

ثم فى يوم السبت عشرين شعبان، ركب السلطانُ من قلعة الجبل بغير قماش الموكب، لكن بجميع أمرائه وخاصّكيته ونزل فى أبهة عظيمة، وسار إلى خليج الزَّعفران خارج القاهرة، ونزل هناك بمخيَّمه، ومدت له أَسْمِطة جليلة وأنواع كثيرة من الحلوى والفواكه، ثم ركب بعد صلاة الظهر، وعاد إلى القلعة؛ بعد أن دخل من باب النصر وشَق القاهرةَ، وابتهج الناس به كثيراً. وهذه أول مرة شَق فيها القاهرة بعد سلطنته، وكان هذا الموكب جميعه بغير قماش الموكب؛ ولم يكن ذلك فى[٢] سالف الأعصار، وأول من فعل ذلك وترخَّص فى النزول من القلعة بغير كَلَفْتاه ولا قماش، الملك الناصر فرج، ثم اقتدى به [الملك][٣] المؤيد شيخ، ثم من جاء بعدهما.

(١) مستدركة بهامش ا.
(٢) فى ا (من)، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا.
(٣) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا.

ومنها ابنُه المقام الناصرى محمد رحمه الله تعالى ، من غزير علمه وكثرة فضائله ، فإننا لا نعلم أحداً من ملوك الترك رُزق ولداً مثله ، بل ولا يقاربه ولا يشابهه مما كان اشتمل عليه من العلم والفضل والمعرفة التامة ، وحسن السمت وجودة[1] التدبير ، ولا نعرف أحداً من أولاد السلاطين من هو فى هذا المقام قديماً وحديثاً[2] ، حتى ولو قلتُ : ولا من بنى أيوب ، ممن ملكوا مصر ، لكان يَصدُق قولى ؛ ومَن كان من بنى أيوب له فضيلةٌ تامة غيرُ الملك المعظم عيسى ابن الملك الكامل ، والملكُ المؤيد إسماعيل صاحب حماه ، وهما كانا بالبلاد الشامية ؟ — انتهى .

وقد استوعبنا أحوالَ الملك الظاهر هذا من مبدأ أمره إلى آخره ، محرراً بالشهر واليوم فى جميع ما وقع له من ولاية وعزل وغريبة وعجيبة ، فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » ، فليُنظر هناك[3] ، [و][4] ما ذكرناه هنا جميعه [نوع][5] من تكثير الفائدة ، لا القصة على جليتها ، بل نشير بذكرها إعلاما لوقت واقعتها لا غير .

وكان الملكُ الظاهر سلطاناً ديِّناً خيراً عفيفاً صالحاً [فقيهاً شجاعاً][6] مقداماً ، عارفاً بأنواع الفروسية ، عفيفاً عن المنكرات والفروج ، لا نعلم أحداً من ملوك مصر فى الدولة الأيوبية ولا التركية على طريقته [فى ذلك][7] ، لم يُشهر عنه فى صغره ولا فى كبره أنه تعاطى مسكراً ولا منكراً ، حتى قيل إنه لم يكتشف حراماً قط ؛ وأما حُب الشباب، فلعله كان لا يصدِّق أن أحداً يقع فى ذلك لبعده عن معرفة هذا الشأن ، وكان جلوسه فى غالب أوقاته على طهارة كاملة ، وكان متقشفاً فى ملبسه ومركبه إلى الغاية ، لم يلبس

(١) فى ا (ووجود) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) راجع الضوء اللامع حـ ٥ ص ١٢٧–١٢٨ .
(٣) انظر حوادث الدهور حـ ١ ق ٢ ورقة ٢٣٠ ، ٢٨٢ – ٢٨٣ ؛ المنهل الصافى حـ ١ ورقة ٤٤٧ إلى نهاية الجزء ، ومطلع الجزء الثانى ، كذلك راجع الضوء اللامع حـ ٣ ص ٧١–٧٤ .
من (٤) إلى (٧) عن طبعة كاليفورنيا .

الأحمر من الألوان فى عمره[1] ، منذ علم بكراهيته ، ولم أره منذ تسلطن لبس كاملية بفرو [و][2] سَمُّور [و][3] بمقلب سمور غير مرة واحدة ؛ وأما[4] الركوب بالسرج الذهب والكُنبُوش الزَّرْكَش فلم يفعله إلا يومَ ركوبه بأبهة السلطنة لا غير ، وكان ما يلبسه أيام الصيف ؛ وما على فرسه من آلة السرج وغيره ، لا يساوى عشرةَ دنانير مصرية ، وكان معظِّماً للشريعة محبا للفقهاء وطلبة العلم ، وما وقع منه من الإخراق ببعضهم وحبسهم بحبس المَقْشَرَة ، فلا تقول : كان ذلك بحق ، بل نقول : الحاكم يجتهد ، ثم يقع منه الصواب والخطأ ، فإن كان مافعله بحق فقد أصاب وإن كانت الأخرى فقد أخطأ وأعيب عليه ذلك

[الطويل]

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلُّها كفى المرءَ نخراً أن تُعدَّ معايبُه

وكان معظِّماً للسادة الأشراف ، وَكان يقوم لمن دخل عليه من الفقهاء والفقراء كائناً من كان ، وإذا قرأ[5] [١٦٧] عنده [أحد][6] فاتحة الكتاب ، نزل عن مُدَوَّرَتِه ، وجلس على الأرض إجلالا لكلام الله تعالى .

وكان كريماً جدا ، يجود بالمال ، حتى نُسب إلى السرف ، وكان يُنعم بالعشرة آلاف دينار إلى مادونها ، وكان ممن أُنعم عليه بعشرة آلاف دينار ، الأتابكُ قَرْقَماسُ الشعبانى ، وأما دون ذلك من الألف إلى المائة ، فدواماً طولَ دهره ، لا يملُّ من ذلك ، حتى أنه أتلف فى أيام سلطنته من الأموال ، مالا يدخل تحت حصرٍ كثرةً ؛ ويكفيك أنه بلغت نفقاتُه على المماليك وصِلاتُ[7] الأمراء والتراكين وغيرهم ، وفى أثمان مماليك اشتراهم ، وتجاريد جرّدها ، فى مدةٍ أولُها موتُ الملك الأشرف بَرْسْباى ، وآخرُها سلخُ سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وذلك مدة ثلاث سنين ، مبلغَ ثلاثة آلاف ألف

(١) فى ا (علمه) .
(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (وأمر) .
(٥) فى ا (قرى) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (وصلاه) .

خلعة الأستادارية وألبسها للأمير جانبك المذكور ، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة ، وسُرّ الناس قاطبة بعزل زين الدين المذكور عن الأستادارية[1] ، فإنه كان طال واستطال ، وظلم وعسف ، وأخذ عدة إقطاعات من أخباز[2] المماليك السلطانية والأمراء ؛ استولى عليها بالشوكة ، وأضافها إلى الديوان المفرد[3] ، وحجر على غالب الأشياء ، واستولى عليها من معايش الفقراء وأرباب التكسب ، وصار هو يأخذها ثم يبيعها بأضعاف ما أخذها ، حتى جمع من هذا المال الخبيث أموالا كثيرة ، وعمّر منها الجوامع والمساجد والسُّبُل ، فكان حاله فى ذلك كقول القائل : [الطويل]

بنى جامعاً لله مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ... فكان بحمد الله غيرَ مُوَفَّقِ

كَمُطْعِمَةِ الأيتامِ من كَدِّ فَرْجِها ... لَكِ الويلُ ، لا تَزْنِى ولا تتصدّقى

وقد حرّرنا أحواله مِنَ ابتداء أمره إلى يوم عَزْلِهِ فى غير هذا المحل — والمقصود هنا الآن أخبار الملك المنصور — ثم رسم الملك المنصور بحبس زين الدين وإلزامه بخمسمائة ألف دينار .

ثم أنعم الملكُ المنصورُ على الأمير بُرْدبَك الظاهرى — جقْمَق — البَجْمَقْدار[4] ، أحد أمراء الخمسات بإمْرَة عَشرة من الديوان السلطانى ، وأنعم بإقطاع بُرْدبك على سودون من سلطان الظاهرى البَجْمَقْدار حساباً عن إمْرة عشرة ضعيفة ، وأنعم على جانبك القَجْمَاسِى الأشرفى المعروف بِدَوادَار سَيِّدِى بإمْرَة عشرة أيضاً من الذخيرة من المتوفر[5] .

(١) يوجد بالمرجع السابق شرح لوظيفة الأستادار ، وهى إحدى الوظائف المملوكية الكبرى ، وعملها توزيع الجوامك والعليق والكسوة وغيرها من الرواتب السلطانية الشهرية على مستحقيها من المماليك السلطانية .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر هامش (ج ١٣ : ٢٤ من هذا الكتاب ط الهيئة العامة للتأليف والنشر) .

(٤) البجمقدار : أو البشمقدار هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، وتتركب هذه الكلمة من لفظين أحدها تركى وهو بشمق ومعناه النعل ، والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٩) .

(٥) أضاف و . پوپر فى هامش ط كاليفورنيا ٧ : ٣٨٥ عن كتاب الحوادث « واستقر قانى باى المؤيدى أحد أمراء العشرات من جملة رءوس النوب ، وكذا جانبك» .

وفى عصر هذا النهار سلّم السلطانُ زينَ الدين يحيى الأستادار المنفصل إلى الأمير جانبك الظاهرى الأستادار المستقر فى الأستادارية ، وأمَرَهُ بمعاقبته[1] ، فنزل به من القلعة على أقبح وجه[2] ، فنعوذ بالله من زوال النعم ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد ، وازْدَحَم الناسُ تحت القلعة لرؤيته ، فما منهم إلا شامتٌ أو متهكّم ، فتفضّل عليه الأمير جانبك ، وتنزّه عن عقوبته ، رحمةً عليه لا خوفاً من عاقبته ، وأعاده إلى القلعة فى يوم الأربعاء ، وقد حرّرنا ذلك كلّه فى الحوادث .

ثم فى يوم الاثنين ثانى صفر خلع السلطان على الأمير فَيْرُوز النَّوْرُوزِىّ الزّمام الخازِنْدار بإعادة الذخيرة[3] إليه .

وخلع على الأمير قُشْتُم الناصرىّ باستقراره فى نيابة البُحَيْرَة على عادته أوّلا على كُرْه منه ، وهو أيضاً أحد أعداء[4] زين الدين الأستادار ، وكان قُشْتُم من محاسن الدهر .

وفيه أنعم الملك المنصور على السَّيْفِى قَانَصُوَه المحمدى الساقى الأشرفى بإمْرَة عشرة من الذخيرة أيضاً ، وقانصوه أيضاً من نوادر الدهر ومحاسنه .

ومات السلطان الملك الظاهر جقْمَق فى تلك الليلة حسبما ذكرناه فى خمس مواطن من مصنفاتنا ، لا حاجة فى ذكره هنا ثانياً .

ثم فى يوم الأربعاء ثانى يوم دفن الملك الظاهر جقْمَق نُودِىَ بالقاهرة بالأمان والنَّفَقة فى المماليك السلطانِيَّة فى آخر صفر .

(١) أضاف و. پوپر عن كتاب الحوادث « حتى يقوم بنفقة المماليك مما يأخذه منه فى مصادرته » .

(٢) أضاف و. پوپر عن النسخة السابقة «وتسلم أيضا صهره التاج بن المقسى وحواشيه وأخذ الجميع إلى داره ، وأصبح جانبك من الغد فأخبر السلطان أن الزينى أقر بأن فى حاصله مائة ألف دينار ، وجد منها أربعة وأربعين ألف دينار ، وهو فى طلب الباقى» .

(٣) أضاف و . پوپر عن الكتاب السابق «ووجد للزين الاستادار — كان — بقاعة فى درب شمس الدولة من القاهرة سبعة وأربعين ألف دينار فصارت الجملة نيفا وتسعين ألف دينار» .

(٤) فى ص « من أعوان » والمثبت عن ط كاليفورنيا

واستقرّ بُرْدبَك دوادارُ السلطان قديمًا وزَوجُ ابنتِهِ دوادارا ثالثًا بإمْرَة عشرة وهذا شيء لم نعهده كون الدوادار الثالث يكون أمير عشرة ، وما عادته إلا خاصكيًا ، وكان حق بُرْدبَك هذا الدواداريّة الثانية لكونه مملوك السلطان ودواداره وزَوْج ابنته ، غير أن السلطان لما رأى أن تِمْرَاز الأشرفى غرضه فى الدوادارية الثانية لم يسعه إلا الإنعام عليه بها ، لعظم شوكة الأشرفية يَومئذ .

ثم استقرّ يَشْبُك الأشْقَر الخاصكى الأشرفى أستادار الصُّحْبَة بعد عزل سُنْقُر الظاهرى عنها من غير إمْرَة .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر ربيع الأول ابتدأ السلطانُ بالنفقة على المماليك السلطانية على أقسام متعددة نفقةً كاملة ، وهى[1] مائة دينار ، ونصف نفقة ، وربع نفقة ، وعشرة دنانير ، وهذا لم يقع قبل فى الدّولة التركية ، ولامَ السلطان بعض أعيان الأمراء على ذلك ، فقال : « هذا الذى كان رتّبه تمرْبُغا للتفرقة فى الدولة المنصورية » ، فكُلّم ثانيًا ، فاعتذر بقلة المتحصل فى الخزانة السلطانية .

قلتُ : « والعذر الثالث أن كلمة الشُّحّ مطاعة » .

قلت : « والذى فُرّق فى المماليك السلطانية إنما هو الذى جمعه الملك المنصور عثمان من السُّلَف والمصادرات فى أيّام سلطنته ، وإلا فما ترك والده الملك الظاهر جَقْمَق فى الخزانة شيئًا يذكر ، لكرم نفسه وكثرة عطاياه — رحمه الله تعالى — » .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشره خلع السلطان على جماعة[2] من الأمراء خلع الأنظار المتعلقة بالوظائف المقدم ذكرها[3] .

ثم فى يوم الأربعاء سابع عشره وصل الأمير دُولات باى المحمودى الدّوادار من

(١) فى هامش ٧ : ٤٢٨ ط. كاليفورنيا أضاف «لكل مملوك» .
(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٢٩ ط. كاليفورنيا «من أصحاب الوظائف» .
(٣) أضاف المرجع السابق «على عادتهم فى ذلك» .

سجن الإسكندرية ، ووقع فى خروج دُولات بَاى المذكور ومجيئه من ثغر الإسكندرية غريبةٌ فيها عبرةٌ لمن اعتبر ، وهو أنّ الأمراء الذين قبض عليهم الملك الأشرف إينال هذا كان غالبهم هو الذى حسَّن للمنصور القبضَ على دولات باى هذا وسجنه بثغر الإسكندرية فلما أمسكهم الملك الأشرف وسيّرهم إلى الثغر ، رسم بإطلاق دُولات بَاى من السجن ، فتوافوا خارج الإسكندرية ، وقد أفرج عن دُولات بَاى ، ورُسم بحبسهم عوضه ، فانظر إلى هذا الدّهر وأفعاله بالمغرمين به ، لتعلم أن الله على كل شىء قدير .

وفى يوم الخميس ثامن عشره أنعم السلطان على الأمير يونُس العلائى نائب الإسكندرية بإقطاع الأمير جَانِبَك اليَشْبُكى الوالى ثم الزّرَدْكَاش بعد وفاته ، وأنعم بإقطاع يونُس المذكور على قانِى بَاى الأعْمَش الذى استقرّ عوضا عن يونُس فى نيابة القلعة .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره أفرج السلطان عن الأمير زين الدين يحيى الأستادار من محبسه بالبُرْج من قلعة الجبل ، وخلع عليه كَامِلِيَّة[1] بمَقْلَب سَمُّور ، ونزل إلى داره .

وفى يوم السبت العشرين من ربيع الأول المذكور استقر نُوكَار الناصرى الحاجب الثانى زَرَدْكَاشًا بعد موت جَانِبَك اليَشْبُكى ، واستقرّ سمام الحسنى الظاهرى حاجبًا ثانيًا عوضًا عن نُوكَار .

وفى هذه الأيام خلع السلطان على جماعة كبيرة بعدّة وظائف حتى تجاوز عَدَد رءوس النُّوَب على خمسة وعشرين نفراً ، والدّوادارية صاروا عشرة نفر بعد ما كانوا خمسة ، وكذلك البَجْمَقْدَارِية والبوّابون ، وقِسْ على ذلك .

ثم قبض السلطان على نيف وثلاثين مملوكا من مماليك الظاهرية ، وحبسوا بالبُرْج من القلعة ، وكان نَفَى قبل تاريخه جماعة أُخَر ، وشيّع شاهين الفقيه الظاهرى ، وهو ممن لا يلتفت إليه ، وسُنْقُر أستادار الصّحبة ، كلاهما إلى القُدْس الشريف .

ثم أخرج أيضا يَشْبُك الظاهرى ، وكان تأمّرَ فى الدولة المنصورية عشرة ، ويَشْبُك

(١) الكاملية : ثوب ضيق الأكمام يلبس فوق القباء ، به فتحه من منتصف الظهر حتى أسفل حافة الذيل (ماير — الملابس المملوكية ص ١٥) ويبطن بفرو سمور وتعمل له قلابات من فرو السمور أيضا فيقال كاملية بفرو سمور بمقلب سمور .

وكان سُنْقُر المذكور من مساوىء الدّهر، وعنده طيش وخفة مع ظلم وجَبَرُوت، وما سيأتى من أخباره عند عمارته لمراكب الغزاة فأعظم.

ثم فى يوم الأحد هذا نودى بالقاهرة من قِبَل السلطان بأن يكون سِعْر الدِّرهم من الفضّة الشاميَّة المقدم ذكرها التى داخلها الغش ثمانية عشر درهمًا نُقْرَة[1]، فقامت قيامة العامّة من ذلك خوفًا من الخسارة، وأكثروا من الوقيعة بالسلطان وأرباب دولته، ولا سيما فى الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، فأنهم نسبوا هذا كله إليه — رحمه الله.

وكان السلطان خلع على ولده المقام الشهابى أحمد باستقراره أمير حاجّ المحمل فلما نزل ابن السلطان وعليه الخلعة من القلعة إلى داره — وهى قصر بَكْتَمُر الساقى تجاه الكبش — وبين يديه جميع أعيان الدولة استغاثت إليه العامة بلسان واحد، وقالوا: «نخسر بهذه المناداة ثلث أموالنا»، وسألوه فى إبطال ذلك، فوعدهم بإبطاله، وأرسل إلى والده يسأله فى إبطال ما نودى به، فأجابه السلطان، ونودى فى الحال مناداة ثانية بإبطال ما نودى به.

قلتُ: وهذه فعلة العامة الثانية من طلبهم عدم المناداة بإبطال هذه الفضّة المغشوشة خوفا من الخسارة، فاحتاجوا بعد ذلك إلى المناداة، وخسروا أكثر مما كانوا يخسرونه عندما غلت الأسعار بسبب هذه الفضّة، ووصل صرف الدينار إلى أربعمائة درهم كما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفى يوم السبت أول شهر ربيع الآخر نودى فى المماليك السلطانية المعينين إلى تجريدة البلاد الشامية لقتال ابن قَرَمان — قبل تاريخه — بأنّ النفقة فيهم فى يوم الخميس الآتى، فلما كان يوم الخميس سادس ربيع الآخر المذكور جلس السلطان بالحوش السلطانى، وشرع فى تفرقة النَّفَقة على المماليك المذكورين، لكل واحد منهم مائة دينار،

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٨٠ عن كتاب الحوادث «وما عداها من الفضة المؤيدية والأشرفية والظاهرية تكون على حالها بأربعة وعشرين درهما».

وسعر الذهب يوم ذاك أربعمائة الدينار، فوصل لكل واحد منهم — أعنى المماليك المعينين — أربعون ألفا، وهذا شىء لم نسمع بمثله، وأكثر ما فرّق الملوك السالفة فى معنى النفقة مائة دينار، وسعر الدينار فى ذلك الوقت ما بين مائتين وعشرين درهما الدينار إلى مائتين وثمانين الدينار، لا بهذا السعر الزائد، فشكر كل أحد السّلطان على هذه الفعلة.

وكان عدة من أخذ النفقة من المماليك المذكورين أربعمائة مملوك وثلاثة مماليك، ثم أرسل السلطان بالنفقة إلى الأمراء المُجَرّدين، فحمل إلى الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيّدى أمير سلاح — وهو مقدّم العسكر يوم ذاك — بأربعة آلاف دينار، ثم أرسل لكل من أمراء الألوف لكل واحد بثلاثة آلاف دينار، وهم: قَرْقَماس الأشرفى رأس نَوْبَة النُّوَب، وجَانِبَك القَرَمانى الظاهرى حاجب الحُجّاب، ويُونُس العلائى الناصرى، ثم حمل لكل من أمراء الطبلخانات بخمسمائة دينار، ولكل أمير عشرة مائتى دينار. يأتى ذكر أسماء الجميع عند خروجهم من الديار المصرية إلى جهة ابن قَرَمان.

ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر المذكور عزل السلطان علىّ ابن إسكندر عن ولاية القاهرة، وأعاد خَيْربَك القَصْرَوِى لولاية القاهرة كما كان أوّلا.

ثم فى يوم الخميس خامس جمادى الأولى برز الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح ومقدّم العسكر بمن معه من الأمراء والعساكر من القاهرة إلى الرَّيْدانيَّة خارج القاهرة، والأمراء هم:

الأربعة من مقدمى الألوف المقدم ذكرهم.

والطبلخانات: جانِبَك الناصرى المُرْتَدّ، وخيربَك الأشقر[1] المؤيّدى الأمير آخور الثانى، وبُرْدبَك البَجْمَقْدار الظاهرى رأس نَوْبَة.

ومن أمراء العشرات ستة أمراء وهم: تَمُرْبَاى من حمزة الناصرى المعروف بِطَطَر،

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٨٢ عن كتاب الحوادث «ولكنه لم يسافر من مرض اعتراه فعاد خيمته من الريدانية».

وفى يوم الأحد أول شوال عيّن السلطان الأمير كُزُل السودونى المعلّم ، والأمير بَرْسْباى الأشرفى الأمير آخور للتوجّه إلى الإسكندرية وصحبتهما مائة وخمسون مملوكا من المماليك السلطانية ، لأخذ ما هناك من المراكب ، والتوجّه بها إلى ثغر دِمْيَاط من البحر الملح ، ليكون سفر جميع المجاهدين من مينة واحدة ، وهى مينة دمياط .

ثم فى يوم الأربعاء رابع شوال أنفق السلطان فى المجاهدين من المماليك السلطانية ، للفارس والراجل سواء ، لكل واحد مبلغ خمسة عشر دينارا ، وأنفق على كل مملوك من المماليك الذين يتوجّهون مع كُزُل وبَرْسْباى المقدم ذكرهما عشرة دنانير الواحد .

ثم فى يوم الاثنين تاسعه نزل السلطان الملك الأشرف إينال فى موكب هائل من قلعة الجبل بأمرائه وخاصكيته وأعيان دولته إلى جزيرة أروى المعروفة بالوسطى بساحل النّيل ؛ لينظر ما عُمّر من المراكب ، فسار إلى هناك فى موكب عظيم ، ونظر المراكب ، وخلع على سُنْقُر قَرَق شَبَق الزَّرَدْكَاش المقدَّم ذكره ، وعلى جماعة أخر ممن باشر عمل المراكب ، ثم عاد من حيث جاء من قناطر السباع ، فلم يبتهج الناس لنزوله ، لعظم ما قاسوه من الظلم فى عمل هؤلاء المراكب ، من قلة الإنصاف والجور فى حقّ العمال من أرباب الصنائع وغيرهم ، ولولا أن الأمر منسوب إلى نوع من أنواع الجهاد لذكرنا من فعل سُنْقُر هذا ما هو أقبح من أن نذكره .

ثم فى يوم الثلاثاء سابع عشر شوال سافر المجاهدون فى بحر النيل إلى ثغر دمياط ، ومقدم العساكر يوم ذاك فى البر الأمير يُونُس الأَقْبائى الدوادار الكبير ، وفى البحر الأمير قانم من صَفَر خَجا[1] المؤيدى التاجر أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، ومعهما بقية الأمراء ، وهم : الأمير سودون الإينالى المؤيدى المعروف بقراقاش حاجب الحجاب وغيره ، وخلع السلطان على هؤلاء الثلاثة المذكورين ، وخلع أيضا على جاكم

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٤٨ عن كتاب الحوادث تفسيرا لمقدم العساكر فى البحر حيث قال : « أعنى أن العساكر لما تصل إلى جزيرة قبرس يستمر هو فى البحر لا يطلع إلى قتال الفرنج بل يكون دركه أمر مراكب الغزاة والدفع عنها ممن عساه يجىء إلى أخذها من الفرنج فى البحر » .

الفرنجى خلعة نَخ[1] بفاقم ، ونزل جميع الغزاة فى خدمتهم إلى بحر النيل ، وسافر هؤلاء الأمراء الثلاثة إلى دمياط من يومهم ، وبقى من عداهم يسافرون أرسالا فى كل يوم ، إلى يوم الثلاثاء القابل ؛ لكثرة عدة العساكر .

وأما مقدار عدد من سافر فى هذه الغزوة من الأمراء والجند فعدّة كبيرة .

فأولهم أمراء الألوف الثلاثة المقدم ذكرهم .

ثم من أمراء الطبلخانات ثلاثة أيضاً ، وهم : الأمير بُرْدبَك البجمقدار الظاهرى ثانى رأس نَوْبَة ، وجانبك من أميرالخازندار الأشرفى ، ويشبك من سَلْمان شاه الفقيه المؤيدى رأس نوبة .

ومن أمراء العشرات جماعة ، وهم : جَكَم الأشرفى خال الملك العزيز يوسف ، ودُقْماق اليَشْبكى ، وكَسْباى الشَّشْمانى المؤيدى ، وطوخ الأبو بكرى المؤيدى رأس نوبة ، وقانم نعجة الأشرفى رأس نوبة ، وسنقر قرق شبق الأشرفى الزردكاش المقدم ذكره ، وقَراجا الأعرج الطويل أحد مماليك السلطان القديمة .

وأما المماليك السلطانية فعدّتهم تزيد على خمسمائة نفر تخميناً .

وهذا خلا المطوّعة وغيرهم من الخدم والمراكبية وأنواعهم .

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل ، وهو الأمير تَمُرْباى من حمزة الناصرى المعروف بططَر أحد أمراء العشرات ، وأمير الركب الأوّل تَمْ الحسينى الأشرفى رأس نوبة .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه أمسك السلطان زين الدين الأستادار ، وجَنْزَرَه[2] وحبسه بالبحرة من الحوش السلطانى ، وندب الصاحب شمس الدين منصور [بن الصفى][3] لمحاسبته فقامت المماليك الأجلاب على منصور حمية لزين الدين ، فراج أمر زين الدين

(١) النخ بساط مستطيل ، وهو فارسى معرب (اللسان) . ولعل المراد خلعة من نسيج يشبه البساط .
(٢) أى وضع الجنزير فى رقبته « هامش و . پوپر ٧ : ٥٥٠ عن كتاب الحوادث » .
(٣) إضافة عن هامش (و . پوپر ٧ : ٥٥٠) .

على سرير الملك ، فلم تر العيون فيما رأت أحسن ولا أجمل منه فى الخلعة السوداء ، لأنه كان أبيض اللون ، والخلعة سوداء ، مع حسن سمته ، وطول قامته ، حتى إنه لعله لم يكن أحد فى العسكر يوم ذاك يدانيه فى طول القامة .

ولما جلس على تخت الملك قبّلت الأمراء الأرضَ بين يديه ، ودقّت الكئوسات ، ونودى فى الحال بالدعاء للملك المؤيد أبى الفتح أحمد بشوارع القاهرة .

ثم فى الوقت خلع على الخليفة فوقانى حرير بوجهين أبيض وأخضر بطرز زَرْكَش ، وأنعم عليه بفرس بسرج ذهب ، وكنبوش زركش ، وأنعم عليه بقرية منبابة بالجيزة .

ثم خلع على الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح أطلسين مُتَمَّرًا ، وفوقانيا بطرز زَرْكَش ، بسرج ذهب وكنبوش زَرْكَش .

وأقام الملك المؤيَّد يومه وليلته بالقصر ، وأصبح حضر الخدمة حسبما يأتى ذكره ، بعد أن نذكر وقت سلطنته .

وكان الطالع وقت مبايعته ولبسه خلعة السلطنة وجلوسه على سرير الملك السرطان ، وصاحب الطالع بالسنبلة — وهو القمر — قطع اثنتين وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والرأس بالسرطان أيضاً ست عشرة درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمشترى بالقوس صفراً وسبعا وعشرين دقيقة ، وزحل بالجدى أيضا ثمانياً وعشرين درجة وستا وأربعين دقيقة ، والذنب بالجدى أيضاً ست عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والزُّهرة فى الدلو ثلاث درجات وتسع عشرة دقيقة ، والليلة بالدلو أيضا ثمانى درج وثمانياً وخمسين دقيقة ، وعطارد أيضاً بالدلو اثنتين وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والشمس فى الحوت خمس عشرة درجة وأربعاً وخمسين دقيقة ، والساعة(1) السادسة ، وهى للزُّهرة — انتهى .

(١) فى ص «والساعة أول السادسة» .

ولما كان صبيحة نهار الخميس المقدَّم ذكره ، وهو ثانى يوم من يوم سلطنته ، وهو عشر جمادى الأولى ، وقد عمل السلطان فيه الخدمة السلطانية ، وخلع على جماعة كثيرة من الأمراء بعدة وظائف ، فاستقرَّ بالأمير خُشْقَدَم أمير سلاح أتابك العساكر عوضا عن نفسه ، ولكن لم يجد له فى ذلك اليوم خلعة الأتابكية ، لكونه كان لبسها فى أمسه ، لما حمل القبة والطير على رأس السلطان ، فجُددت له أخرى لم يفرغ عملها فى هذا اليوم .

ثم أنعم السلطان على الأمير خُشْقَدَم المذكور بإقطاع نفسه ، وهو إقطاع الأتابكيّة .

ثم خلع على الأمير جَرِباش المحمدى أمير مجلس باستقراره فى إمرة سلاح عوضاً عن الأمير خُشْقَدَم بحكم استقراره أتابك العساكر .

واستقر الأمير قَرْقَماس الأشرفى رأس نوبة النُّوَب أمير مجلس عوضاً عن جَرِباش المقدَّم ذكره .

واستقرَّ الأمير قانم من صَفَرْخَجا المؤيَّدى التاجر رأس نوبة النُّوَب عوضاً عن قَرْقَماس المذكور .

وأنعم السلطان بإقطاع الأتابك خُشْقَدَم على الأمير بيبَرْس الأشرفى خال الملك العزيز يوسف حاجب الحجاب ، لكون متحصل هذا الإقطاع يزيد عن متحصل الإقطاع الذى كان بيده أولا ، وطلب الأمير جانِبَك من أمير الأشرفى الخازندار إقطاع بيبَرْس ، فتوقَّف السلطان فيه ، ووقع — بسبب تَوَقُّفِ السلطان فى الإنعام على جانِبَك به — بين جانِبَك المذكور وبين الأمير يُونُس الدَّوادار الكبير كلام ، فأفحش الدَّوادار فى الرّدّ على جانِبَك ، ودام الإقطاع موقوفا لم ينعم به على أحد ، وانفض الموكب ، وقام السلطان الملك المؤيد أحمد من القصر ، وتوجه إلى الدهيشة ، وجلس بالشباك المطل على الحوش ، وأمر المنادى فنادى بين يديه بالحوش ، بأن النفقة فى المماليك السلطانية تكون لكل واحد مائة دينار ، وتكون أول التفرقة يوم الثلاثاء عشرين الشهر ، فضج الناس له بالدعاء .

ثم قام ودخل إلى عند أبيه وهو فى السياق ، فمات فى اليوم ، وهو يوم الخميس المقدم ذكره بين الظهر والعصر ، فجهز من وقته ، وصلى عليه بباب القُلَّة من قلعة الجبل ، ثم حُمل حتى دفن من يومه بتربته التى أنشأها بالصحراء خارج القاهرة — حسبما تقدم ذكر ذلك كله فى ترجمته .

ثم أصبح الملك المؤيد يوم الجمعة صلى الجمعة بجامع الناصرى بالقلعة مع الأمراء على العادة ، وخلع بعد انقضاء الصلاة على الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى خلعة الأتابكية على العادة ، واستمر السلطان إلى يوم الأحد ثامن عشره — أعنى جمادى الأولى — فأنفق على الأمراء نفقة السلطنة ، فحمل إلى الأمير الكبير أربعة آلاف دينار ، تفصيلها : ألف دينار بسبب حمله القبة والطير على رأس السلطان يوم سلطنته ، والبقية نفقة السلطنة ، وحمل إلى أمير سلاح جَرِباش وغيره من أمراء الألوف من أصحاب الوظائف لكلٍّ واحد ألفين وخمسمائة دينار ، وإلى غير أرباب الوظائف من مقدمى الألوف لكلٍّ ألفى[1] دينار فقط ، وحمل لكل أمير من أمراء الطبلخانات خمسمائة دينار ، ولكل أمير من أمراء العشرات مائتى دينار[2] .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى خلع السلطان على الأتابك خشقدم ، وعلى قانم رأس نوبة النوب خِلَع الأنظار المتعلقة بوظائفهما على العادة ، وأنعم السلطان على الأمير يشبك البجاسى الأشرفى إينال أحد مقدمى الألوف بحلب بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وهو إقطاع بيبرس الذى وقع بين يونس الدوادار وبين جانبك [الظريف][3] الخازندار بسببه ، وأنعم بتقدمة يَشْبُك المذكور التى بحلب على الأمير تِمْراز [الأشرفى][3] الدَّوادار ، [— كان —][3] وأنعم بإقطاع تِمْراز ، وهو إمرة

(١) فى ص «ألفين ألفين» .

(٢) فى ص «مائتين مائتين»

(٣) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٤٩ عن كتاب الحوادث .

طبلخاناه بطرابُلُس ، على الأمير لاچين الظاهرى ، ويَشْبُك هذا المنعَم عليه بالتقدمة كان أصله من مماليك الأمير تَنِبَك البَجاسى نائب الشام ، وملكه بعد موت تَنِبَك الأشرفُ إينالُ ، وهو من جملة الأمراء ، وأعتقه ورقَّاه حتى صار دَواداره ، ثم أخذ له من الملك الظاهر جَقْمَق إمرةً بصَفَد ، فلما تسلطن رفع قدره إلى أن صار من جملة أمراء الألوف بحلب ، واتفق مجيئه إلى مصر لينظر أستاذه ، فاتفق فى مجيئه ضعف أستاذه ثم موته .

وفيه أيضاً خَلَع السلطانُ على جماعة من الأمراء والخاصكية لتوجههم بحمل تقاليد نُوّابِ البلاد الشامية .

فكان الأمير مُغُلْباى الأبو بكرى المؤيَّدى المعروف بطاز ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، يتوجّه إلى نائب الشام الأمير جانَم الأشرفى .

والأمير بيبَرْس الأشرفى الأشقر أحد أمراء العشرات ورأس نوبة يتوجّه إلى الأمير حاج إينال اليَشْبُكى نائب حلب .

والسيفى برقوق الناصرى الظاهرى الساقى [يتوجه][1] إلى إياس المحمدى الناصرى نائب طرابُلُس .

والسيفى آقْبَرْدى الساقى الأشرفى [يتوجه][1] لجانِبَك التاجى المؤيَّدى نائب حماة .

وتَنَم الفقيه الأبو بكرى المؤيَّدى [يتوجه][1] لخيربك النَّوْرُوزى نائب صَفَد ، ولبَرْدِبَك العبد الرحمانى نائب غزَّة معا .

وخلع على جماعة أُخَر من الخاصكية بتوجههم إلى جماعة أخر إلى البلاد الشامية ، والجميع خاصِّكيةٌ ما عدا مُغُلْباى طاز وبيبَرس الأشقر .

ثم فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى المذكورة ابتدأ السلطان بالنفقة فى المماليك السلطانية من غير تسوية ، فأعلى من أخذ مائة دينار ، وأدنى من أخذ ثلاثين ديناراً ،

(١) إضافة على الأصل .

وأعطى لكل مملوك من الكتابية عشرة دنانير،[1] فاستمرت النفقة على المماليك السلطانية فى كل يوم سبت وثلاثاء إلى ما يأتى ذكره .

ثم بعد أيام وصل القاهرة كتاب جانِبَك الأبلَق الظاهرى من قُبرس أنه هو ومن معه من المماليك السلطانية وغيرهم من الفرنج واقعوا أهل شرينة فى عاشر شهر ربيع الآخر ، وحصروا قلعتها ، وقتلوا من الفرنج بشرينة ثمانية نفر ، وأسروا مثلهم ، ثم ذكر أيضا أنه واقع ثانيا أهل شرينة ، وقتل صاحب الشرطة بقلعتها ، وآخر من عظمائها أرمى نفسه إلى البحر فغرق ، قلت : « مما خطايامهم أغرقوا فأدخلوا ناراً[2] »

ثم ذكر جَانِبَك أيضاً : أنه قبض على خمسة منهم ، وأن الملكة صاحبة شرينة أخت جَاكُم صاحب قبرس قد تَوَجَّهت من شرينة إلى رودس تستنجد بهم ، ثم ذكر أيضا أنه ظفر بِعدة مراكب ممن كان قدم من الفرنج نَجدة للملكة المذكورة ، وأنه أسر منهم خلائق تزيد عدتهم على مائة نفر، وأنه أخذ بالحصار عدّة أبراج من أبراج قلعة باف[3] بعد أن قاسوا منه شدائد ، وأنه يستحث السلطان فى إرسال عسكر بسرعة قبل مجىء نجدة لهم من الفرنج أهل الماغوصة الجنوية ، وإلى أهل شرينة من غير الجنوية — انتهى .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه استقر عميرة بن جميل بن يوسف شيخ عربان السخاوة بالغربية[4] بعد موت أبيه .

قلت: والشىء بالشىء يذكر، وقد أذكرنى ولاية عميرة هذا حال أرياف الديار المصرية الآن، فإنه من يوم تسلطن الملك المؤيد أحمد هذا حصل الأمن فى جميع الأعمال برًّا وبحراً ، شرقاً

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٥٠ عن كتاب الحوادث «فأما الكتابية فلهم عادة بذلك ، وأما تفرقة المائة وأقل فهذا شىء تجدد من سلطنة الأشرف والده لعجز الخزانة عن التسوية بين الجميع ، وإلا فالعادة القديمة تسوية الكل فى مائة دينار – الشريف والضعيف – فبقيت العادة الآن (أى فصارت العادة الآن) من خافوا غائلته أعطوه العادة القديمة ومن استضعفوا جانبه أعطوه ما أرادوا» .

(٢) لعله يستشهد بقوله تعالى آية ٢٥ من سورة نوح «مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً» .

(٣) قلعة باف : أو بافوس . وتطلق على مدينتين قديمتين فى القسم الجنوبى من جزيرة قبرص (دائرة المعارف للبستانى – بافوس) .

(٤) فى ص «شيخ العربان بالغربية» .

وغرباً ، من غير أمر يوجب ذلك ، ووقع رعب السلطان فى قلوب المفسدين حتى صار أحدهم لا يستطيع أن يخرج من داره فكيف يقطع الطريق ، فانطلقت الألسن بالدعاء للملك المؤيد هذا ، وتبارك كل أحد بقدومه واستيلائه على الأمر ، ومالت النفوس إلى محبته ميلا زائداً خارجاً عن الحد ؛ فإنه أول ما تسلطن قمع مماليك أبيه الأَجلاب عن تلك الأفعال التى كانوا يفعلونها أيام أبيه ، وهدّدهم بأنواع النكال إن لم يرجعوا ، فرجع الغالبُ منهم عن أشياء كثيرة مما تقدم ذكرها ، وعلم الناس من السلطان ذلك ، فطمع كل أحد فى الأجلاب فانحطَّ قدرهم ، حتى صار أحدهم لا يستطيع أن يزجر غُلامَه ولا خادمه، فزاد حبُّ الناس للملك المؤيَّد لذلك ، فكل من أحبه فهو معذور؛ لما قاست الناس منهم أيام أبيه من تلك الأفعال القبيحة ، على أن الملك المؤيَّد أيضاً كان له فى أيام والده مساوئ كثيرة من جهة حماياته البلاد والمراكب بساحل النيل ، وأشياء أخر غير ذلك ، فقاست الناس من حماياته أهوالا ، فلما تسلطن ترك ذلك كله كأنه لم يكن ، وأقبل على العدل وإرداع المفسدين ، فبدّل فى أيامه الجور بالعدل ، والخوف بالأمن ، والراحة بعد التعب — ولله الحمد .

وفيه عزل السلطان الصاحب شمس الدين منصورا عن الأستادارية ، وخلع من الغد على مجد الدين أبى الفضل البقرى كامِليَّة بمقلب سَمُّور ، باستقراره فى الأستادارية ، عِوَضاً عن الشمسى منصور ، ووعد بأنه يلبس خلعة وظيفة الأستادارية فى يوم السبت أول جمادى الآخرة ، فوقع ذلك[1] .

ثم فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة خلع السلطان على الصفوى جَوْهَر النَّورُوزِىّ الطواشى الحبشى بإعادته إلى تقدمة المماليك السلطانية ، بعد موت الطواشى مَرْجان الحصنى الحبشى .

وفى هذه الأيام أشيع[2] بين الناس[2] بركوب المماليك السلطانية على السلطان بعد النفقة ،

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٥٣ عن كتاب الحوادث «ونزل مجد الدين وباشر من يومه ، وبقى منصور محتفظا به بالقلعة على ثلاثين ألف دينار» .

(٢) هذان اللفظان ساقطان من ص . والإضافة عن ط كاليفورنيا .

واستقرّ الأمير قايتباى المحمودى الظاهرى أمير طبلخاناه وشاد الشراب خاناه ، عوضاً عن جانبك الأشرفى .

وأما ما جدّده الملك الظاهر خُشْقَدَم من الوظائف مثل الدّوادارية والسقاة والسلحدارية فكثير جدا لايدخل تحت حصر لعسر تحريره .

واستقرّ الأمير دُولات باى النجمى مسفّر الأمير جانَم نائب الشام ، واستقر تمراز الأشرفى أحد مقدمى الألوف بدمشق فى نيابة صَفَد بعد عزل خيربك النَّوْروزى عنها وتوجهه إلى دمشق مقدّم ألف ، وأنعم السلطان أيضاً عَلَى تمراز المذكور بمبلغ كبير من المال وغيره .

وفى يوم الاثنين سابع عشرين رمضان استقرّ يَشْبُك البَجَاسى أحد مقدّمى الألوف بمصر فى حجوبية حلب ، وأنعم بتقدمته على الأمير جانبك الإينالى الأشرفى المعروف بقَلَقْسِيز ، انتقل إليها من إمرة عشرة بسفارة الأمير جانبك الدّوادار .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه توجّه القاضى محب الدين بن الشِّحنة كاتب السِّرّ إلى خانقاه سرياقوس لتحليف جانم نائب الشام المقدّم ذكرُه .

وسافر جانم فى يوم الجمعة ثانى شوال إلى محل كفالته على أقبح وجه ، وسافر بعدَه تمِراز الذى استقرّ فى نيابة صَفَد ، كلّ ذلك بتدبير عظيم الدولة جانبك الدوادار ، وقد انتهت إليه يوم ذلك رئاسة المماليك الظاهريّة بديار مصر .

وأما الملك الظاهر فإنه لما سافر جانم أخذ فى مكافأة العسكر واستجلاب خواطرهم ، ووجد عنده حاصلا كبيراً من الإقطاعات ، ليس ذلك مما كان فى ديوان السلطان، وإنما هو إقطاعات الأجلاب مماليك الأشرف إينال ، وأضاف إلى ذلك شيئاً كثيراً من الذخيرة السلطانية ، ومن أوقاف الملك الأشرف إينال ،وأوقاف حواشيه ، حتى إنه صار يأخذ البلد العظيمة من ديوان المفرد وغيره وينعم بها على جماعة لكل واحد إمرة عشرة ، وتارة ينعم بها على خمسين مملوكا من المماليك السلطانية ، وأكثر وأقل ، وقاسى الملك الظاهر

من طلب المماليك أمورا عظيمة وأهوالا ، ولما قلّ ما عنده من الضياع بالديار المصرية مَدَّ يَدَهُ إلى ضياع البلاد الشّامية ، ففرّق منها على أمراء مصر وأجنادهم ما شاء الله أن يفرّق .

فلما كان يوم السبت ثالث شوال شرع السلطان فى تَفْرِقَة نفقة المماليك السلطانية ، ففرقت فى كل يوم طبقة واحدة — لقلة متحصل الخزانة الشريفة — لكل واحد مائة دينار ، ولمن يَسْتَخِفُّونَ به خمسون ديناراً ، وبالجملة إنها فُرِّقت أقبح تفرقة ، لعجز ظاهر ، وقلة موجود ، ومصادرات الناس .

ولما كان يوم الاثنين خامس شوال أنعم السلطان بالخلع على جميع أمراء الألوف، وأنعم على كل واحد بفرس بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكَش ، ورسم لهم بالنُّزول إلى دورهم ، وكان لهم من يوم قدم جانَم نائب الشام إلى خانقاه سرياقوس مقيمين بجامع القلعة ، وكذلك القضاة ، فنزل الجميع إلا الخليفة فإنه دام بقلعة الجبل إلى يوم تاريخه ، وأظن ذلك صار عادة ممّن يَلِى المُلْكَ بعده .

وفى هذه الأيام استقرّ خير بَك القَصْرَوى نائب قلعة الجبل فى نيابة غزّة بعد عزل بُرْدبَك السيفى سودون من عبد الرحمن ، ورسم السلطان أن يفرج عن الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف بَرْسْباى ، وعن الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق من محبسهما ببرج الإسكندرية ، ورسم لهما أن يسكنا بأى مكان اختارا بالثغر المذكور ، ورسم أيضا بكسر قيد الملك المؤيَّد أحمد ابن الأشرف إينال .

وفى يوم الأربعاء سابعه ماجت مماليك الأمراء ، ووقفوا فى جمع كبير بالرُّمَيلة ، يطلبون نفقات أستاذيهم ، لينفق أستاذ كل واحد منهم فى مماليكه ، وكان السلطان أخّر نفقات الأمراء إلى أن تنتهى نفقة المماليك السلطانية ، وكانت العادة تفرقة النفقة على الأمراء قبل المماليك ، فلما بلغ السلطان ذلك شرع فى إرسال النفقة إلى الأمراء ، وقد ذكرنا قدر ما أرسل لكل واحد منهم فى تاريخنا « الحوادث » .

ثم فى يوم الخميس ثامن شوال استقر الأمير قانَم المؤيّدى أمير مجلس عوضاً عن قَرْقَماس الأشرفى ، بحكم انتقاله إلى إمرة سلاح قبل تاريخه ، واستقرّ الأمير بيبرس

السنة الرابعة

من سلطنة الملك الظاهر خشقدم

على مصر

وهى سنة ثمان وستين وثمانمائة .

فيها تُوُفِّىَ قاضى القضاة بدر الدين حسن بن محمد بن أحمد بن الصَّوّاف الحنفى [1] الحموى قاضى قضاة حماة ، ثم الديار المصرية ، إلى أن مات فى يوم الأحد رابع المحرم ودفن من الغد فى يوم الاثنين ، وسنه نحو الستين سنة تخميناً ، وكان أصله من حماة من أولاد التجار ، واشتغل بالعلم فى مبدأ أمره يسيراً ، ثم مال إلى المتجر وتحصيل المال إلى أن حصل على جانب كبير منه ، وولى قضاء حماة بالبذل سنين كثيرة ، وطال تكراره إلى القاهرة غير مرّة ، وأُخِذ منه — بوسائط — جملٌ مستكثرة من المال غصباً ورضاً ، ثم قدم القاهرة فى سنة ست وستين لأمر من الأمور ، وحصل بينه وبين قاضى القضاة محب الدين بن الشِّحْنَة الحنفى شنآن بواسطة صهارة ، فسعى عليه وعزله ، وولى عوضه فى ثانى عشرين شهر رجب من سنة سبع وستين إلى أن مات فى المحرم من هذه السنة ، بعد أن مرض نحو الشهر ، فكانت مدته كلها فى القضاء خمسة أشهر وأياما بما فيها أيام مرضه ، ولقد تعب بولايته وأتعب ، واستراح بموته وأراح .

وتُوُفِّىَ السلطان الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن السلطان الملك الأشرف أبى النصر بَرْسْباى الدُّقْماقى الظاهرى ، بعد خلعه من السلطنة بسنين كثيرة ، بثغر الإسكندرية فى يوم الاثنين تاسع عشر المحرم ، وهو فى أوائل الكهولية ؛ لأن مولده بقلعة الجبل فى سلطنة أبيه فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، وأمه خَوَنْد جُلُبَّان أم ولد لأبيه جاركسية ، تزوّجها أستاذُها الملك الأشرف بعد أن ولدت الملك العزيز هذا ،

(1) له ترجمة فى (السخاوى — الذيل على رفع الإصر ١٢٣ ، ١٢٤) وقد ولد سنة ٨٠٣ هـ بحصن الأكراد

ومانت أيام والده الأشرف ، ونشأ الملك العزيز تحت كنف والده بالدُّور السلطانية ، إلى أن عَهِدَ له أبوه الأشرف بالسلطنة فى مرض موته ، ومات بعد أيام .

وتسلطن العزيزُ هذا بعد عصر نهار السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، وهو السلطان الثالث والثلاثون من ملوك الترك بالديار المصرية وأولادهم ، والتاسع من الجراكسة وأولادهم ، وتم أمره فى الملك ، وصار الأتابك جَقْمَق مُدَبِّرَ مملكته وفرّق النفقة على المماليك السلطانية كل واحد مائة دينار ، لايتنفّل أحدٌ على أحد كائناً من كان ، على قاعدة الملوك العظام ، بخلاف من جاء بعده من الملوك ، ودام فى الملك إلى أن وقع بين الأتابك جَقْمَق وبين مماليك أبيه الأشرفية أمور آلت إلى خلعه من السلطنة ، وسلطنة الأتابك جَقْمَق عوضه فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فكانت مدة ملكه نحواً من خمسة وتسعين يوما ، ليس له فيها إلا مجرّد الاسم فقط .

وبعد خلعه من الملك رسم له بالسكن فى قاعة من الحريم السلطانى بقلعة الجبل ، فسكن بها إلى أن حسّن له بعض حواشيه التَّسَحُّبَ منها والنزول من القلعة إلى القاهرة لتثور مماليك أبيه به على الملك الظاهر جَقْمَق ، ففعل ذلك ، وتزيّا فى نزوله فى زى بعض صبيان الطّبّاخين ، ونزل بعد الفطر وقت صلاة المغرب إلى القاهرة من باب المدرج [1] وكانت أيام شهر رمضان ، فنزل ولم يفطن به أحد ، لاشتغال الخدام وغيرهم بالفطر ، فلما نزل إلى تحت القلعة لم ير شيئا مما قيل له ، فندم على نزوله ، وبقى لا يمكنه العَوْدُ إلى مكانه ، فاختفى من وقته هو ومملوكه أزْدَمُر وطواشيه صَنْدل ، وطباخه إبراهيم ، ووقع له وللناس فى اختفائه أمور ومحن ، ونُكِبَت جماعةٌ كثيرةٌ من الناس بسببه وضُرِب جماعةٌ من مماليك أبيه بسببه بالمقارع والكسّارات ، ووُسِّط بعضهم ، وقلق الملك الظاهر جَقْمَق بسببه قلقا زائداً .

وضاقت الدنيا على الملك العزيز يوسف ، وتفرقت عنه أصحابُه إلى أن ظَفِر به

(1) باب المدرج : انظر فى التعريف به هوامش (ج ١٣ : ٤٦ ط الهيئة العامة للتأليف والنشر) .

ابن عمر الهوارى عوضاً عن ابن عمه، وأنه لا حاجة له بتجريدة، فلم يلتفت السلطانُ إلى مقالته فى عدم إرسال تجريدة إلى بلاد الصعيد لغرض يأتى بيانه .

ثم فى يوم الخميس خامس عشره خلع السلطان على جميع مباشرى الدولة باستمرارهم على وظائفهم .

وفيه نُودِىَ بأن نفقة المماليك تكون من أول الشهر، يعنى أول ربيع الآخر .

وفيه عُمل المولد النبوى بالحوش على العادة، وقبل أن يفرغ المولد ندب السلطانُ الأمير بَرْسْباى قرا الظاهرى، والأمير جكم الظاهرى، وطَرَباى الظاهرى البواب، أن يتجهزوا إلى الصعيد لمسك الأمير قَرْقَماس أمير سلاح والأمير قَلَمْطاى رأس نوبة، والأمير أَرْغُون شاه، ويتوجهوا بهم إلى حبس الإسكندرية، ولم يعلم أحدٌ ما الموجب لذلك .

وفى يوم السبت سابع عشره[1] أعاد السلطانُ القاضى قطبَ الدين الخَيْضَرى إلى كتابة السِّرِّ بدمشق، بعد عزل الشريف إبراهيم بن السيد محمد .

وفيه أيضا استقرّ الصارمى إبراهيم بن بَيْغُوت الأعرج حاجب الحجّاب بدمشق عوضا عن شَرَامُرْد العثمانى المؤيدى .

وفيه وصل الخبر بقدوم الأمير أُزْبك رأس نوبة النُّوَب من تجريدة العقبة، بعد أن أمسك مباركا شيخ بنى عُقْبَة، الذى قطع الطريق على إقامة الحجاج .

ثم وصل الأمير أزبك فى يوم الاثنين تاسع عشره، وخلع السلطان عليه وعلى رفيقه الأمير جانِبَك قَلَقْسيز حاجب الحجاب، ورسم بتسمير مبارك شيخ بنى عُقْبة المقدّم ذكره ورفقته، وكانوا أزيد من أربعين نفراً، فسُمِّروا الجميع، وطيف بهم الشوارع، ثم وُسِّطوا فى آخر النهار عن آخرهم .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه ورد الخبرُ على الملك الظاهر يَلَباى بعصيان الأمير

(١) فى ص (السبت عاشره) والمثبت عن ط كاليفورنيا .

بُرْدبك نائب الشام، وأنه قتل جميع النوّاب المجردين معه لقتال شاه سُوار بن دُلْغادِر، وكان الأمر غير ذلك، ووقع أمور حكيناها منصلة فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » محصولها أن بُرْدبك المذكور كان تهاون فى قتال شاه سُوار المذكور، وخذل العسكر الشامى لِمَا كان فى قلبه من الملك الظاهر خُشْقَدَم رحمه الله، فكان ذلك سببا لكسر العسكر الشامى والحلبى وغيرهم ونهبهم، وقُتل فى هذه الواقعة نائب طَرَابُلُس قانى باى الحسنى المؤيدى، ونائب حماة تَنَم خوبى الحسينى الأشرفى، وأتابك دمشق قَراجا الخازندار الظاهرى، وأتابك حلب قانصوه المحمدى الأشرفى، وغيرهم من أمراء البلاد الشامية، وغيرهم حسبما يأتى ذكرهم فى الوفيات على عادة هذا الكتاب — انتهى .

قلتُ: وجاء هذا الخبر والديار المصرية غير مستقيمة الأحوال لعدم التدبير، والطرق[1] مخيفة، والسبل غير آمنة، وما ذاك إلا أن الملك الظاهر يَلَباى لما تسلطن وتمّ أمرُه غَطّاه المنصبُ، وصار كالمذهول، ولزم السُّكات وعدم الكلام، وضعف عن بَتّ الأمور، ورَدْع الأجلاب، بل صارت الأجلابُ فى أيامه كما كانت أولا وأعظم، فلم يحسن ذلك ببال أحد، وصار الأمير خير بك الدوادار الثانى هو صاحب الحل والعقد فى مملكته، وإليه جميع أمور المملكة، وشاع ذلك فى الناس والأقطار، وسمّته العوام: « أيش كنت أنا ؟ قل له » يعنون أن السلطان لما يُسأل[2] فى شىء يقول: « أيش كنت أنا، قل لخير بك » فبهذا وأشباهه اضطربت أحوالُ الديار المصرية .

هذا مع ما ورد من البلاد الحلبية من أمر شاه سُوار، وقتل أكابر أمراء البلاد الشامية، ونهبه للبلاد الحلبية، وأخذه قِلَاع أعمالها وأن نائب الشام بُرْدبك فى أسره، وأن يَشْبُك البَجَاسى نائب حلب دخل إلى حلب على أقبح وجه، فصار الناس بهذا المقتضى كالغنم بلا راعٍ .

(١) فى ص « والطريق » وما أثبته عن ط كاليفورنيا .
(٢) فى الأصول « لما سئل » والتصويب عن هامش و / پوپر ٧ : ٨٢٨ عن T .

فلما كان يوم الاثنين سادس عشرين ربيع الأول المذكور خلع الملك الظاهر يَلَباى على الأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرى رأس نوبة النوب باستقراره فى نيابة الشام عوضا عن بُرْدبَك الظاهرى ، بحكم انضمامه على شاه سُوار .

وفيه استقرّ الأمير قانى بَك المحمودى المؤيَّدى أميرُ مجلس أميرَ سلاح عوضاً عن قَرْقَماس الأشرفى بحكم القبض عليه وحبسه بالإسكندرية ، واستقرّ قانى بَك المذكور مقدم العساكر لقتال شاه سُوار بن دُلْغَادِر .

وعيَّن السلطانُ فى هذا اليوم عدة أمراء تجريدة لقتال شاه سُوار ، فعيَّن من أمراء الألوف قانى بَك المقدم ذكره ، وجانِبَك الإينالى الأشرفى المعروف بقَلَقْسيز حاجب الحجاب ، وبُرْدبَك هجين أمير جاندار ، وهؤلاء من أمراء الألوف ، وعيَّن أيضا عدة كثيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات يأتى ذكر أسمائهم يوم سفرهم من القاهرة ، ثم عيَّن صحبتهم ستمائة مملوك من المماليك السلطانية .

وفيه استقرّ الأميرُ إينال الأشقر الظاهرى نائب غَزَّة فى نيابة حماة ، عوضا عن ابن المبارك ، وكان الناصرى محمد بن المبارك قد استقرّ فى نيابة حماة قبل تاريخه عوضاً عن الأمير تَنَم الحسينى الأشرفى ، بحكم مرضه وعوده من تجريدة شاه سُوار إلى حلب ، وكان الناصرى محمد بن المبارك إلى الآن لم يخرج من الديار المصرية ، فعُزل عنها قبل أن يحكمها أو يتوجّه إليها ، وكان إينال الأشقر قدم إلى القاهرة مع الأمير أزْبَك من تجريدة العَقَبة ، ثم رشح ابن المبارك إلى نيابة غزّة ، فامتنع عن ولايتها .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الأول لبس إينال الأشقر خِلعة السفر .

ثم فى يوم السبت ثانى شهر ربيع الآخر ابتدأ السلطان بالنفقة على المماليك السلطانية لكل واحد مائة دينار ، ففُرِّقت هذه النفقة على أقبح وجه ، وهو أن القوى يُعطى ، والغائب يُقطع ، والمسنّ يعطى نصف نفقة أو ربع نفقة ، ومُنع أولاد الناس والطواشية من الأخذ ، وعاداتهم أخذ النفقة ، فأحدث الظاهر يَلَباى هذا الحادث ، وكثر الدعاءُ عليه بسبب ذلك ، وتفاءل الناس بزوال ملكه لقطعه أرزاق الناس ، فكان كذلك .

ومنع السلطان أيضا أمراء الألوف وغيرهم من النفقة ، ولم يُعطِ إلا من كُتب منهم إلى السَّفَر لا غير ، فبهذا المقتضى وأمثاله نفرت القلوبُ من الظاهر يَلَباى ، وعظمت الوقيعة فى حقه ، وكثرت المقالة فى بخله ، وعُدَّت مساوئه ، ونُسِيَت محاسنه — إن كان له محاسن — وصارت النفقة تُفرَّق فى كل يوم سبت وثلاثاء طبقةً واحدة أو أقل من طبقة ؛ حتى تطول الأيام فى التفرقة .

وبالجملة فكانت أيام الملك الظاهر يَلَباى نكدة ، قليلة الخير ، كثيرة الشر ، وعظم الغلاء فى أيامه ، وتزايدت الأسعار ، وهو مع ذلك لا يأتى بشىء ، ووجوده فى الملك وعدمه سواء ؛ فإنه كان سَالِبَةً كُلِّية ، لا يعرف القراءة ولا الهجاء ، ولا يحسن العلامة على المناشير والمراسيم إلا بالنَّقْط[1] ، مع عسر فى الكتابة ، وكان الناس قد أهمَّهم أمر الجُلْبان أيام أستاذهم الملك الظاهر خُشْقَدَم ، فزادوا بسلطنة الملك الظاهر يَلَباى هذا همًّا على همهم .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر ربيع الآخر استقرّ الأمير جَانِبَك قَلَقْسيز أمير مجلس عوضا عن قانى باى[2] المحمودى المنتقل إلى إمرة سلاح ، واستقر الأمير بُرْدبك هجين عوضه حاجبَ الحجاب .

وفيه أنعم السلطان على الأمير قايتباى المحمودى الظاهرى بإقطاع الأمير أزْبُك نائب الشام واستقرّ عوضه أيضا رأس نَوْبة النُّوَب ، وأنعم بإقطاع الأمير قايتْباى على الأمير سودُون القَصْرَوى نائب القلعة ، والإقطاع تقدمة ألف .

وفيه أيضا استقرّ الأميرُ خُشْكَلْدى البَيْسَقى فى تقدمة الألوف عوضا[3] عن قانى باى المحمودى المؤيَّدى[3] .

(١) يقصد المؤلف أن السلطان كان يمر بقلمه على نقط مرسومة ليملأها . وأن ذلك كان ملء معرفته بالكتابة والقراءة .

(٢) الرسم فى ص قانبك .

(٣–٣) ما بين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

ليسجن بها ، ومُسَفِّره قانصوه اليحياوى ، وقد تقدم ذكر ذلك كله فى ترجمة الظاهر يَلَباى .

وفى يوم الثلاثاء عاشره فُرِّقت نفقة المماليك السلطانية ، وهى تمام تفرقة يَلَباى التى كان أنفق غالبها ولم يتم ، ولم يفرق الملك الظاهر تمربغا نفقة على المماليك السلطانية لقلة الموجود بالخزانة الشريفة .

ورسم الملك الظاهر تَمُربغا فى هذا اليوم بإعطاء أولاد الناس النفقة ، الذين هم من جملة المماليك السلطانية ، وكان الملك الظاهر يَلَباى منعهم ، فكثر الدعاء عليه بسبب ذلك حتى خُلع ، وأحوجه الله إلى عُشر من أعشارها ، فلما أمر الملك الظاهر تَمُربغا بالنفقة عليهم كثر الدعاء له بذلك ، فلم يسلم من واسطة سوء — وكلمة الشح مطاعة — فتغير بعد ذلك ، فقرأ بعض أولاد الناس هذه الآية الشريفة : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ[1] » بذل وخشوع وكسر خاطر ، فلم يفلح بعدها ، ولم يقع للظاهر تمُرْبُغا فى سلطنته ما يعاب عليه إلا هذه القضية ، فما شاء الله كان ، قلتُ : « واعجباه من رجل يملك تَخْتَ ملك مصر ، ثم تضعف همته عن إعطاء مثل هذا النزر اليسير الذى يعوضه الملك العارف المدبر من أى جهة شاء من الجهات الخفية عن العارى الضعيف التدبير ، وتطلق عليه بعدم الإعطاء ألسنة الخاص والعام ، وتكثر الشناعة والقالة فى حقه بسبب ذلك ولكن العقول تتفاوت » .

وفيه أيضاً قدم الأمير أَزْدَمُر تمساح إلى القاهرة بعد ما أوصل الأمير بُرْدُبَك الظاهرى نائب الشام إلى القدس ليقيم به بطالا .

وفى يوم الخميس ثانى[2] عشره خلع السلطان على الأتابك قايتباى خلعة نظر

(١) آية ١١ من سورة الرعد .

(٢) فى ص « ثامن » والمثبت هنا عن ط كاليفورنيا . ويتفق حسابا مع التاريخ السابق له .

البيمارستان المنصورى[1] ، وكذلك خلع على خير بَك الدوادار الكبير ، وعلى كَسْباى الدوادار الثانى ، كليهما خلعة الأنظار[2] المتعلقة بوظائفهما .

وفيه أنعم السلطانُ على ستة نفر بتقادم ألوف بالدّيار المصريّة ، فرّق عليهم من الإقطاعات الشاغرة ، وأضاف إليها بلاداً أخر من الذخيرة السلطانية وغيرها ، وهم : الأمير لاجين الظاهرى ، وسودون الأفرم الظاهرى الخازندار ، وجانِبَك من طَطَخ الظاهرى الفقيه الأمير آخور الثانى ، وتَمُر من محمود شاه الظاهرى والى القاهرة .

وله ترّ تَمُر المذكور حاجب الحجاب بالدّيار المصرية دفعة واحدة عوضاً عن الأمير بُرْدبك هجين المنتقل إلى الأمير آخورية الكبرى ، وهؤلاء الأربعة مماليك الملك الظاهر جَقْمَق .

ثم أنعم على الأمير تَنِبك المعلم الأشرفى رأس نوبة ثان أيضاً بتقدمة ألف ، ثم مُغُلْباى الظاهرى شاد الشراب خاناه .

فهؤلاء الستة المقدم ذكرهم ، منهم تَنِبك مملوك الأشرف بَرْسْباى ، ومُغُلْباى مملوك الظاهر خُشْقَدَم .

ثم استقرّ يَرْقُوق الناصرى[3] الظاهرى شاد الشراب خاناه عوضا عن مغلباى .

واستقرّ تَغرى بَرْدى طَطَر الظاهرى نائب قلعة الجبل بعد عزل سودون البُرْدُبَكى الفقيه المؤيدى ونفيه .

واستقر آقباى الظاهرى — أحد أمراء الأجلاب — الذى كان قتل قتيلين أيام أستاذه الملك الظاهر خُشْقَدَم ، ولم ينتطح فى ذلك شاتان — والى القاهرة عوضاً عن تَمُر الظاهرى .

(١) هذا اللفظ ساقط من ص ، والاثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢) أى أنه عين للوظيفة ولم يشغلها بعد فيخلع عليه خلعة الانتظار لتولى الوظيفة المعينة وكل ماورد فيه الإنعام بخلعة الانظار يدل على ذلك .

(٣) هذا اللفظ ساقط من ص ، والإثبات . عن ط كاليفورنيا .

وفى يوم السبت رابع عشر جمادى الأولى المقدم ذكره استقر الأمير تَنِبك المعلّم أحد المقدمين أمير حاج المحمل ، عوضا عن جانِبَك كوهيّة ، وكان تَنبك هذا قد ولى قبل تاريخه إمْرَة الركب الأول ، فلما صار أحد متدّمى الألوف استقرّ أمير الحاج ، وولى بعده بمُدّة تَنِبك الأشقر الأشرفى أمير الركب الأوّل .

وفيه كان تمام نفقة المماليك السلطانية بعد أن فرقت على أقبح وجه وأظهر عجز ، لأنهم لم يُنفِقُوا على أحد من الأمراء إلا من نُدب إلى السفر ، ولا على أولاد الناس ، ولا على الخُدّام الطواشية ، ولا على أحد من المتعممين ، ومع هذا كله فرقت النفقة فى مدة طويلة كإعطاء المديون المماطل لغريمه ، ولما فُرقت النفقة خلع السلطان على القاضى عَلَم الدين كاتب المماليك ، وعلى ولده بالتحدث عن خَوَنْد زوجة السلطانُ فى تعلقاتهما .

وفيه استقرّ الأميرُ جَكَم الظاهرى أحد الأمراء الأجلاب حاجباً ثانياً عوضاً عن الأمير قانِى بك السيفى يَشْبُك بن أزْدَمُر بحكم استعفائه عن الإمرة والوظيفة معا .

وفى يوم الاثنين سادس عشره استقرّ الأمير دُولات بَاى حمام الأشرفى أحدُ أمراء العشرات رأسَ نوبة ثانيا عوضا عن تنبك المعلّم على إمرة عشرة كما كان أولا .

وفيه استقر الأمير بَرْسْبَاى قَرا الظاهرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة خازنداراً عوضاً عن سودون الأفْرَم المنتقل إلى تقدمة ألف .

واستقرّ فارس السيفى دُولات بَاى أحد أمراء العشرات زَرَدْ كاشا عوضاً عن طوخ الأبو بكرى المؤيدى على إمرة عشرة .

وفى آخر هذا النهار وصل الأمير قَرْقَمَاس أمير سلاح ورفيقاه (١) قَلَمْطَاى وأَرْغُون شاه من سجن الإسكندرية ، وباتوا بالميدان الناصرى ، وطلعوا من الغد إلى القلعة ، فقام السلطان إلى قرقماس المذكور واعتنقه وأجلسه فوق أمير سلاح على ميسرته ثم خلع عليه كاملية بمقلب سَمُّور ، ونزل هو ورفيقاه (١) إلى دورهم .

(١ ، ١) فى ص « ورفقته » والمثبت هنا عن ط كاليفورنيا .

وفيه فرّق الملك الظاهر تَمُرْبُغا نحو سبعين مثالا ، أعنى سبعين إقطاعاً على جماعة من المماليك السلطانية ، الكثير والقليل .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره نفى السلطان خمسة أمراء من أمراء المؤيّدية إلى البلاد الشامية ، وأخرج إقطاع بُردبك الشمسى أحد أمراء العشرات وأُبقى بالقاهرة بطالا ، والذين أخرجوا هم : سودون البُردبَكى الفقيه نائب القلعة ، وجَقْمَق ، وجانم كسا ، وقانى باى مِيق ، وجانبك البوّاب ، ومعهم جندى من المؤيدية غير أمير يسمى خُشْكَلْدى قَرا الحسنى ، وما على خُشْكَلْدى المذكور فى نفيه أضر من كثرة متحصل إقطاعه لاغير ، وشُفِعَ فى (١) جانبك الزينى وتَمَّم الفقيه وطوغان مِيق [العمرى] (٢) ودولات باى الأبو بكرى فهؤلاء الذين بقوا بمصر من أمراء المؤيدية ، ثم بُعَيْض أجناد لم يُلتفت إليهم ، وهم نحو من عشرين نفراً أو أقل (٣) .

وفى يوم الخميس تاسع عشره أنعم السلطان الملكُ الظاهر تَمُربغا على نحو عشرين نفراً بإمريات عشرة : من الأشرفية الكبار (٤) ، ومن الظاهرية الكبار (٥) ، ومن الأشرفية الصغار (٦) ، ومن الظاهرية الصغار (٧) الأجلاب ثم على بعض سيفية .

وفيه وصل دُولات باى النجمى وتِمراز [الساقى الأشرفيان] (٨) من ثغر دِمياط ، وطلعا إلى السلطان (٩) فى يوم السبت .

وفى يوم السبت حادى عشرينه (١٠) أشيع بالقاهرة بإثارة فتنة وركوب الأمراء على السلطان ، ولم يعين أحد .

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث «فى جماعة من المؤيدة «م» .
(٢) إضافة عن هامش و پوپر ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث .
(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث «كلهم من المؤيدية» .
(٤) هم مماليك الأشرف برسباى (هامش و پوپر ٧ : ٨٥٤) .
(٥) هم مماليك الظاهر جقمق (المرجع السابق) .
(٦) هم مماليك الأشرف إينال (المرجع السابق).
(٧) هم مماليك الظاهر خشقدم (هامش و پوپر ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث) .
(٨) إضافة عن هامش و پوپر ٧ . ٨٥٤ عن كتاب الحوادث .
(٩) هذا اللفظ ساقط من ص والاثبات عن ط كاليفورنيا .
(١٠) فى ص « رابع عشرينه » وهو خطأ والمثبت عن ط كاليفورنيا .

وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان

لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان
المولود فى سنة ٦٠٨، والمتوفى فى سنة ٦٨١ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه
محمد محيي الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الأول

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا - القاهرة

المذكور إلى بغداد لما ملكها بعد قتله عز الدولة عن وظيفة الشمع الموقد بين يدى عز الدولة ، فقلنا : كانت وظيفة وزيره أبى الطاهر محمد بن بقية ألف[1] منّ كل شهر ، فلم يعاودوا التقصى استكثارا لذلك ، وستأتى ترجمة الوزير المذكور فى حرف الميم إن شاء الله تعالى .

وكان بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة منافسات فى الممالك أدّت إلى التنازع ، وأفضت إلى التصافّ والمحاربة ، فالتقيا يومَ الأربعاء ثامن عشر شوال سنة سبع وستين وثلثمائة ، فقتل عز الدولة فى المصاف ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة ، وحمل رأسه فى طست ووضع بين يدى عضد الدولة ، فلما رآه وضع منديله على عينيه وبكى ، رحمهما الله تعالى ! وسيأتى ذكر عضد الدولة إن شاء الله تعالى !

***

(١٠٧)

ركن الدين بركياروق بن ملكشاه السلجوقى

أبو المظفر بَرْكيارُوق الملقب ركن الدين ، ابن السلطان مَلِكْشاه بن ألب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، الملقب شهاب الدولة مجد الملك ، أحد الملوك السلجوقية ، وسيأتى ذكر جماعة منهم إن شاء الله تعالى

ولى المملكة بعد موت أبيه ، وكان أبوه قد ملك ما لم يملك غيره على ما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى ، ودخل سمرقند وبخارى وغزا بلاد ماوراء النهر ، وكان أخوه السلطان سنجر المذكور فى حرف السين إن شاء الله تعالى نائبه على خراسان ، وفى محاربته قتل عمه تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان كما سيأتى عند ذكره فى حرف التاء إن شاء الله تعالى ، وكان مسعوداً ، عالى الهمة ، لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للشراب ، والادمان عليه .

(١) فى ا «ألف منا» وكلا الضبطين صحيح ، والمن ــ بتشديد النون ــ ومثله المنا ــ بوزن العصا ــ كيل أو ميزان بقدر رطلين .

ومولده فى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتوفى فى الثانى عشر من شهر ربيع الآخر ، وقيل : الأول ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، ببُرُوجِرْدَ وأقام فى السلطنة اثنتى عشرة سنة وأشهراً ، رحمه الله تعالى !

وبَرْكيارُوق ــ بفتح الباء الموحدة ، وسكون الراء والكاف ، وفتح الياء المثناة من تحتها ، وبعد الألف راء مضمومة ، وواو ساكنة وقاف ــ

وبُرُوجِرْد ــ بضم الباء الموحدة والراء ، وسكون الواو ، وكسر الجيم ، وسكون الراء ، وبعدها دال مهملة ــ بلدة على ثمانية عشر فرسخاً من همذان.

***

(١٠٨)

أبو الطاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى الأنماطى

أبو الطاهر بركات بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن الشيخ أبى الفضل طاهر بن بركات بن إبراهيم بن على بن محمد بن أحمد بن العباس بن هاشم ، الخشوعى ، الدمشقى ، الجيرونى ، القُرَشى ، الرَّفَّاء الأنماطى

كان له سَماعات عالية ، وإجازات تفرد بها ، وألحق الأصاغر بالأكابر ، فانه انفرد فى آخر عمره بالسماع والاجازة من أبى محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفانى ، وانفرد بالاجازة من أبى محمد القاسم الحريرى البصرى صاحب المقامات ، أجازه فى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة من البصرة ، وهو من بيت الحديث ، حدث هو وأبوه وجده ، وسئل أبوه : لم سُمّوا الخشوعيين ؟ فقال : كان جدنا الأعلى يؤمّ بالناس[1] ، فتوفى فى المحراب ، فسمى الخشوعى ، نسبة إلى الخشوع

وكان مولد أبى الطاهر المذكور بدمشق فى رجب سنة عشر وخمسمائة ، وتوفى ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، بدمشق ،

(١) فى ا «يؤم الناس»

وبقية نسبه وضبط نسبته وألفاظه مذكور فى حرف التاء عند ذكر حفيده الأمير تميم بن المعز بن باديس ، رحمهم الله تعالى ! .

وأما واركلان : فهو بفتح الواو ، وبعد الألف راء مفتوحة أيضا ، ثم كاف ساكنة ، وبعد اللام ألف نون

* * *

(١١٧)

بوران بنت الحسن بن سهل

بُورَان بنت الحسن بن سَهل ، وسيأتى خبر أبيها إن شاء الله تعالى

ويقال : إن اسمها خديجة ، وبوران لقب ، والأول أشهر

وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه ، واحتفل أبوها بأمرها ، وعملَ من الولائم والأفراح مالم يُعهد مثله فى عصر من الأعصار ، وكان ذلك بفَم الصلْح وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين ، والقُوّاد ، والكتاب ، والوجوه بنادقَ مسكٍ فيها رقاع بأسماء ضِياعٍ ، وأسماء جوَار ، وصفات دَوَابّ ، وغير ذلك ، فكانت البندقة إذا وقعت فى يد الرجل فتحها ، فيقرأ مافى الرقعة ، فاذا علم مافيها مضى إلى الوكيل المرصَد لذلك فيدفعها إليه ، ويتسلم مافيها ، سواء كان ضيعة ، أو ملكا آخر ، أو فرساً ، أو جارية ، أو مملوكا .

ثم نَثَرَ بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافجَ المسك وبَيْضَ العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده ، وجميع أصحابه ، وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه ، وكانوا خلقاً لا يحصى ، حتى على الجمالين ، والمكارية ، والملاحين ، وكل من ضمه عسكره ، فلم يكن فى العسكر مَنْ يشترى شيئاً لنفسه ولا لدوابه .

وذكر الطبرى فى تاريخه أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوما ،

يُعَدُّ له فى كل يوم ، ولجميع مَنْ معه ما يحتاج إليه ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسينَ ألفَ ألفِ درهم ، وأمر له المأمون عند مُنصرَفه بعشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه فَم الصِّلْح ، فجلس الحسن وفرّقَ المال على قُوّاده وأصحابه وحَشَمِه ، ثم قال : بعد هذا خرج المأمون نحو الحسن لثمان خلون من شهر رمضان ، ورحل من فم الصِّلْح لسبع بقين من شوال ، سنة عشر ومائتين ، وهلك حميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة ، وقال غيره : وفرش للمأمون حصير منسوج بالذهب ، فلما وقف عليه نثرَتْ على قدميه لآلىء كثيرة ، فلما رأى تساقط اللآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب ، قال : قاتل الله أبا نواس! كأنه شاهد هذه الحال، حين قال فى صفة الخمر، والحَبَاب الذى يعلوها عند المزاج [من البسيط] :

كأن صُغرَى وَكبرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا
حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وقد غَلَّطُوا أبا نواس فى هذا البيت ، وليس هذا موضع إبانة الغلط .

وأطلق له المأمون خَرَاجَ فارس وكُوَرِ الأهواز مدة سنة ، وقالت الشعراء والخطباء فى ذلك فأطنبوا .

ومما يستظرف فيه قول محمد بن حازم الباهلى [من مجزوء الخفيف] :

بَارَكَ اللهُ للحَسَنْ وَلِبُورَانَ فى الختَنْ
يابْنَ هرُونَ قَدْ ظَفِرْ تَ ولكنْ بِبنتِ مَنْ

فلما نمى هذا الشعر إلى المأمون ، قال : والله ما ندرى خيراً أراد أم شراً .

وقال الطبرى أيضا : دخل المأمون على بُورَان الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصُّلْح ، فلما جلس معها نثرَتْ عليها جدّتها ألف درة كانت فى صينية ذهب ، فأمر المأمون أن تجمع، وسألها عن عدد الدرّ كم هو ، فقالت: ألف حبة

وذكر الطبرى أيضا فى سنة ثلاث عشرة أن المأمون ولى أخاه المعتصم الشام ومصر، وابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم، وأعطى كل واحد منهما ومن عبد الله بن طاهر خمسمائة ألف دينار، وقيل : إنه لم يفرق فى يوم [واحد] من المال مثل ذلك .

وكان أبو تمام الطائى قد قصد عبد الله من العراق، فلما انتهى إلى قُومَسَ وطالت به الشقة وعظمت عليه المشقة قال [من البسيط] :

يقول فى قومس صَحْبى وقد أخذتْ ... منَّا السُّرَى وخُطَا المَهْرِيَّةِ القُودِ

أمطلعَ الشمس تبغى أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

قلت : وقد أخذ أبو تمام هذين البيتين من أبى الوليد مسلم بن الوليد الأنصارى الشاعر المعروف بصريع الغوانى المشهور حيث يقول [من البسيط] :

يقول صحبى وقد جدُّوا على عجل ... والخيل تجترُّ بالركبان فى اللجُمِ

أمغرب الشمس تبغى أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

فانه أغار على اللفظ والمعنى

رجعنا إلى ما كنا فيه، فلما وصل أبو تمام إليه أنشده قصيدته البديعة البائية التى يقول فيها [من الطويل] :

وركب كأطراف الأسنة عرَّسُوا ... على مثلها والليلُ تسطو غياهبُهْ

لأمرٍ عليهم أن تتم صدورُهُ ... وليس عليهم أن تتم عواقبُهْ

وهى من القصائد الطنانة، وفيها يقول :

فقد بثَّ عبدُ الله خوفَ انتقامه ... على الليل حتى ما تدبُّ عقاربه

وفى هذه السفرة ألف أبو تمام كتاب «الحماسة» فانه لما وصل إلى همذان، وكان فى زمان الشتاء والبرد بتلك النواحى شديد خارج عن حد الوصف، قطع عليه كثرة الثلوج طريق مقصده، فأقام بهمذان ينتظر زوال الثلج، وكان نزوله عند

بعض رؤسائها، وفى دار ذلك الرئيس خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها فتفرغ لها أبو تمام وطالعها، واختار منها كتاب الحماسة .

وكان عبدالله المذكور أديباً، ظريفاً، جيد الغناء، نسب إليه صاحب الأغانى أصواتا كثيرة وأحسن فيها ونقلها أهل الصنعة عنه، وله شعر مليح ورسائل ظريفة، فمن شعره قوله [من الخفيف] :

نحن قوم تُلِينُنَا الحَدَقُ النُّجْلُ ... على أننا نُلِينُ الحديدا(1)

طوعَ أيدى الظباء تقتادنا العِينُ ... ونَقْتَاد بالطعان الأسودا

نملك الصِّيدَ ثم تملكنا البيضُ ... المصوناتُ أعيناً وخدودا

تتقى سُخْطَنَا الأسودُ ونخشى ... سَخَطَ الخِشْفِ حين يُبْدِى الصدودا

فترانا يوم الكريهة أحرا ... راً وفى السلم للغوانى عبيدا

وقيل : إنها لأصرم بن حُمَيد ممدوح أبى تمام، والله أعلم.

ومن مشهور شعر عبدالله قوله [من الخفيف] :

اغتفر زَلَّتى لتُحْرِزَ فضل الشكر ... منِّى ولا يفوتُكَ أجرى

لا تَكِلْنِى إلى التوسُّل بالعذ ... ر لعلِّى أن لا أقوم بعذرى

ومن كلامه : مِحَنُ الكيس ونبل الذِّكْرِ لا يجتمعان فى موضع واحد .

ورُفعت إليه قصة مضمونها أن جماعة خرجوا إلى ظاهر البلد للتفرج، ومعهم صبى، فكتب على رأسها : ما السبيل على فتية خرجوا لمنتزههم يقضون أوطارهم، على قدر أخطارهم، ولعل الغلام ابن أحدهم أو قرابة بعضهم

وكان عبدالله قد تولى الشام مدة، والديار المصرية مدة، وفيه يقول بعض الشعراء وهو بمصر [من الطويل] :

(1) حفظى « تذيبنا الأعين النجل » و « نذيب الحديدا »

ونادراً مستغربا ، فمن ذلك قوله [من الكامل] :

أكْثَرْتَ هجرَكِ غير أنك ربما   عطَفَتْكَ أحياناً علىَّ أمورُ
فكأنما زمَنُ التّهاجر بيننا   ليلٌ وساعات الوصال بدورُ

وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم من جملة أبيات [من السريع] :

أسفَرَ ضوء الصبح عن وَجْهه   فقام خالُ الخدِّ فيه بلال
كأنما الخالُ على خَدِّه   ساعةُ هجرٍ فى زمان الوصال

وعزم المعتمد على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية، فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل إلى الصبح ، فودعهن ورجع ، وأنشد أبياتاً من جملتها [من الكامل] :

سايرتهم والليل أغفل ثوبه   حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثمَّ مودعا وتسلمَتْ   منى يد الإصباح تلك الأنجما

وهذا المعنى فى نهاية الحسن

وله فى وداعهن أيضاً [من الطويل] :

ولما وَقفنا للوَدَاع غُدَيَّةً
وقد خفَقَتْ فى ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا
بِجَرْىِ الدموع الحمر منها جراحات

وهذا ينظر إلى قول القائل [من الطويل] :

بكيت دما حتى لقد قال عائدى :
أهذا الفتى من جفن عينيه يُرْعَفُ

وقد سبق فى شعر الأبيوردى نظيره ، ومن شعره أيضاً [من البسيط] :

لولا عيونٌ من الواشين ترمقنى
وما أحاذره من قول حراس

لزرتكم لا أكافيكم بجفوتكم
مشياً على الوجه أو سعياً على الراس

وكتب إلى ندمائه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم إلى الاغتباق عنده [من الخفيف] :

حسد القصرُ فيكم الزهراء   ولعمرى وعَمْركم ما أساء
قد طلعتم بها شموساً نهاراً   فاطلعوا عندنا بدوراً مساء

وهذا من بديع المعانى العجيبة .

وصف قصر الزهراء بقرطبة

والزهراء – بفتح الزاى ، وسكون الهاء ، وفتح الراء ، وبعدها همزة ممدودة – سراية ، وهى من عجائب أبنية الدنيا ، أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر أحد ملوك بنى أمية بالأندلس ، بالقرب من قرطبة ، فى أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل ، وطول الزهراء من الشرق إلى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع ، وعرضها من القبلة إلى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع ، وعدد السوارى التى فيها أربعة آلاف سارية ، وثلثمائة سارية ، وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر بابا ، وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثاً ، فثلث للجند ، وثلث مدخر ، وثلث ينفقه على عمارة الزهراء ، وكانت جباية الأندلس يومئذ خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ، وهى من أهول بناء الأندلس ، وأجله خطرا ، وأعظمه شأنا ، ذكر ذلك كله ابن بَشْكُوال المقدم ذكره فى حرف الحاء فى تاريخ الأندلس .

وكان أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى الشاعر المشهور مائلا إلى بنى عباد بطبعه ، إذ كان المعتمد الذى جذب بضَبْعه ، وله فيه المدائح الأنيقة ، فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ، ويذكر أولاده الأربعة ، وهم : الرشيد عبيد الله ،

من ذلك الشعر ، فـكان كذلك لأنه أوقع بيعقوب بعد قليل .

وكثرت الأقوال فى يعقوب ، ووجد أعداؤه فيه مقالا ، وذكروا خروجه على المنصور مع إبراهيم بن عبد الله العلوى ، وعرفه بعض خدمه أنه سمعه يقول : بنى هذا الرجل منتزها أنفق عليه خمسين ألف ألف درهم من أموال المسلمين ، وكان المهدى قد بنى عيسى باذ ، وأراد المهدى أمراً فقال له يعقوب : هذا ياأمير المؤمنين السَّرَف ، فقال : يا ويلك ! وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ؟ وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه ، وسأل المهدى الإقالة ، وهو يمتنع ، ثم إن المهدى أراد أن يمتحنه فى ميله إلى العلوية ، فدعا به يوما وهو فى مجلسٍ فُرُشُه موردة وعليه ثياب موردة وعلى رأسه جارية على رأسها ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه صنوف الأوراد ، فقال له : يا يعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : على غاية الحسن ، فمتّع الله أمير المؤمنين به ! فقال له : جميع ما فيه لك ، وهذه الجارية لك ليتم سرورك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، فدعا له ، فقال له المهدى : ولى إليك حاجة ، فقام يعقوب قائما ، وقال : يا أمير المؤمنين ما هذا القول إلا لموجدة وأنا أستعيذ بالله من سخطك ، فقال : أحب أن تضمن لى قضاءها ، فقال : السمع والطاعة ، فقال له : والله ، فقال له : والله ، فقال له : والله ، فقال : والله ، ثلاثا ، فقال له : ضع يدك على رأسى واحلف به ، ففعل ذلك ، فلما استوثق منه قال له : هذا فلان بن فلان ، رجل من العلوية ، أحبُّ أن تـكفينى مؤنته، وتريحنى منه ، فخذه إليك ، فحوله إليه ، وحول إليه الجارية وما كان فى المجلس والمـال ، فلشدة سروره بالجارية جعلها فى مجلس بقرب منه ليصـل إليها ، ووجه فأحضر العلوى ، فوجده لبيبا فهما ، فقال له : ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمى ، وأنا رجل من ولد فاطمة رضى الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال له يعقوب: ياهذا أفيك خير ؟ فقال : إن فعلت معى خيراً شكرت ودعوت لك ، فقال له: خذ هذا المال ، وخذ أى طريق شئت ، فقال : طريق كذا وكذا آمن لى ، فقال له :

امض مصاحَباً ، وسمعَتِ الجارية الـكلام كله ، فوجهت مع بعض خدمها به ، وقالت : قل له : هذا فعلُ الذى آثرته على نفسك بى ، وهذا جزاؤك منه ، فوجه المهدى فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوى و بالمال ، ثم وجه إلى يعقوب فأحضره ، فلما رآه قال: ماحال الرجل ؟ قال : قد أراحك الله منه ، قال : مات ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال : فضع يدك على رأسى ، فوضع يده على رأسه وحلف به ، فقال : ياغلام أخرج إلينا مَنْ فى هذا البيت ، ففتح بابه عن العلوى والمال بعينه ، فبقى يعقوب متحيراً ، وامتنع الـكلام عليه ، فما دَرَى ما يقول ، فقال له المهدى : لقد حل دمك ، ولو آثرت إراقته لأرقته ، ولـكن احبسوه فى المطبق ، فحبسوه ، وأمر بأن يطوى عنه خبره وعن كل أحد . فأقام فيه سنتين وشهورا فى أيام المهدى وجميع أيام الهادى موسى بن المهدى وخمس سـنين وشهوراً من أيام هرون الرشيد ، ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكى أمره وشفع فيـه ، فأمر باخراجه ، فأخرج وقد ذهب بصرهُ ، فأحسن إليه الرشيد ، ورد إليه ماله ، وخيرهُ المقـام حيث يريد ، فاختار مكة ، فأذن له فى ذلك ، فأقام بها حتى مات فى سنة سبع وثمانين ومائة .

ولمـا أطلق يعقوب سأل عن جماعة من إخوانه ، فأخبر بموتهم ، فقال [من الطويل] :

لـكل أناس مقبر بفنائهم　　فهم ينقصون والقبور تزيد
هم جيرة الأحياء أما محلهم　　فدانٍ ، وأما الملتقى فبعيد

قلت : وهذان البيتان ذكرا فى باب المراثى فى كتاب الحماسة .

قلت : هكذا ذكر تاريخ وفاته محمد بن عبدوس الـكوفى المعروف بالجهشيارى فى كتابه تاريخ الوزراء .

وذكر غيره أن يعقوب بن داود مات فى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، والله أعلم بالصواب .

سير أعلام النبلاء

تصنيف

الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى

٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

حقق نصوصه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه

شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد

مؤسسة الرسالة

فدخل معهما ابن الزبير فاعتنقها وبكى ، وبكت عائشة بكاء كثيراً ، وناشدها ابن الزّبير اللهَ والرّحم ، ونَشدها مِسْوَر وعبدُ الرحمن بالله والرحم ، وذكرا لها قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث . فلما أكثروا عليها كلّمته ، بعدما خشي ألاّ تكلّمه .

ثم بعثت إلى اليمن بمال فابتيع لها أربعون رقَبة ، فأعتقتها .

قال عوف :

ثم سمعتها بعدُ تذكر نَذرها ذلك ، فتبكى ، حتى تَبلَّ خِمارها .

قال ابن المدينى : كذا قال . والصواب عندى : عوف بن الحارث بن الطفيل بن سخبرة .

وكذلك رواه صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، وتابعه معمر .

قال عطاء بن أبي رباح :

كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس رأياً فى العامة .

وقال الزهرى :

لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء ، لكان علِمْ عائشة أفضل .

قال حفص بن غياث : نبأ إسماعيل ، عن أبي إسحاق ، قال : قال مسروق :

لولا بعض الأمر ، لأقمتُ المَناحة على أم المؤمنين ، يعنى عائشة .

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال :

أما إنه لا يحزن عليها إلا مَن كانت أمه .

القاسم بن عبد الواحد بن أيمن : نبأ عمر بن عبد الله بن عروة ، عن جده ، عن عائشة ، قالت :

فخرتُ بمال أبي فى الجاهلية — وكان ألفَ ألفِ أوقية — فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ، كنتُ لك كأبي زَرع لأم زَرع [1] .

هكذا فى هذه الرواية : ألف ألف أوقية .

---

(١) هى أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة .

وإسنادها فيه لين . وأعتقد لفظة : ألف — الواحدة ، باطلة — فإنه يكون : أربعين ألف درهم ؛ وفى ذلك مَفخر لرجل تاجر ، وقد أنفق ماله فى ذات الله .

ولما هاجر كان قد بقى معه ستة آلاف درهم ، فأخذها صحبته . (١٦٤ أ)

أما ألف ألف أوقية ، فلا تَجتمع إلاّ لسلطان كبير .

قال الزهرى ، عن القاسم بن محمد :

إن مُعاوية لما حج قَدِم فدخل على عائشة ، فلم يَشهد كلامَهما إلا ذكوان مولى عائشة . فقالت لمعاوية : أمنتَ أن أخبأ لك رجلاً يقتلك بأخى محمد ؟ قال : صدقت — وفى رواية أخرى : قال لها : ما كنتِ لتفعلى — ثم إنها وعظته وحضّته على الاتباع .

وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخى :

قضى مُعاوية عن عائشة ثمانيةَ عشر ألف دينار .

هذه الرواية منقطعة ، والصحيح رواية عروة بن الزبير :

أن معاوية بعث مرّةً إلى عائشة بمائة ألف درهم ؛ فوالله ما أمست حتى فرّقتها . فقالت لها مولاتها : لو اشتريتِ لنا منها بدرهم لحماً ؟ فقالت : ألا قلتِ لى .

يحيى بن أبي زائدة ، عن حجاج ، عن عطاء :

أنّ معاوية بعث إلى عائشة بقلادة بمائة ألف ، فقسمتها بين أمهات المُؤمنين .

الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة :

أنها تصدّقت بسبعين ألفاً ؛ وأنها لترقع جانبَ درعها رضى الله عنها .

أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن ابن المنكدر ، عن أم ذرة ، قالت :

بعث ابنُ الزّبير إلى عائشة بمال فى غرارتين ، يكون مائة ألف ، فدعت بطبق ، فجعلت تُقسم فى الناس ؛ فلما أمست قالت : هاتى يا جارية فَطورى .

الله الذي وَلِيَ العِراق، وعبدُ العزيزِ الذي وليَ الحرمين، وعاصمٌ، وحفصٌ، وإسماعيل، وعُبيدُ الله، وإسحاق، ويعقوب، ويزيد، وإصبغ، والوليد، وزبَّان، وآدم، وإبراهيم، فأُمُّ إبراهيم كلبية، وسائرهم لعَلَّات[1].

ومات معه في سنة إحدى ومئة عمُّه الأميرُ:

٤٩ ـ محمد بن مروان *
ابن الحكم الأموي أمير الجزيرة

حدَّث عن أبيه، روى عنه ابنه مروان الحمار، والزُّهري. وكان مُفرطَ القُوى، شديدَ البأس، موصوفاً بالشجاعة. كان أخوه عبدُ الملك يَغْبِطُه على ذلك ويحسُده، وربما قابله بما يكره، فغضِبَ، وتجهَّز للرحيل إلى أرمينية، وأتى يُودِّع أخاه الخليفةَ فقال: أقسمتُ عليكَ إلَّا ما أقمت، فلن ترى بعدها ما تكره. وله حروب ومَصافات[2] مشهودة مع نصارى الروم. وأُمُّه أُمُّ ولد.

٥٠ ـ عَبْدُ العَزيز **

ابن الخليفة الوليد بن عبد الملك أبو الأصبَغ الأموي، وهو ابن أخت عمر بن عبد العزيز. ولي نيابة دمشق، وعزم أبوه على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد لِيُولِّي ابنَه هذا، وأراد على ذلك آلَه، فامتنع عمر بن عبد العزيز، وقال: لسليمان في أعناقنا بيعةٌ، فغضب الوليد، وطَيَّن على عمر، ثم فتح

(١) أولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، ومنه قوله ﷺ فيما رواه البخاري ٣٥٣/٦، ٣٥٤، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً «الأنبياء إخوة من علّات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد».

* تاريخ خليفة: ٣٢٥، ابن الأثير ٧٠/٥، تاريخ الإسلام ٨٦/٤، العبر ١٢١/١، دول الإسلام ١/ ٧٠، لسان الميزان ٥ / ٣٧٥، شذرات الذهب ١ / ١٢١، فتوح البلدان للبلاذري ٣٤٠.

(٢) المصاف: بالفتح وتشديد الفاء: جمع مصف وهو موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف

** تاريخ خليفة ٣٠٥ و٣٠٦ و٣١١ و٣١٢، الطبري ٤٥٤/٦، ابن الأثير ٥٥٥/٤ و٥٧٨ و٥٨٢ و٤٧/٥ و٩١ و٤٣٨/٦، تاريخ الإسلام ١٤٦/٤.

عليه بعد ثلاث، وقد ذَبُل، ومالت عنقُه، وقيل: خُنِقَ بمنديل حتى صاحت أُمُّ البنين أخت الوليد، فلذلك شكر سليمانُ لِعمر، وأعطاه الخلافةَ من بعده.

وقد حجَّ عبدُ العزيز بالناس، وغزا الروم، وكان لبيباً عاقلاً، دعا إلى نفسه بالخلافة، فلمَّا سمع باستخلاف خالِه، سكن، ودخل في الطاعة.

٥١ ـ عَبْدُ الحميد * (ع)

ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الإمام الثِّقة الأميرُ العادلُ أبو عمر العدوي الخطَّابي المدني الأعرج، وله أخوان: أسِيد وعبد العزيز، ولي إمرةَ الكوفة لعمر بن عبد العزيز.

وروى عن ابن عباس، ومحمد بن سعد، ومسلم بن يسار، ومِقْسَم.

حدَّث عنه ابناه عُمَرُ، وزيد، والزُّهْرِيّ، وزيدُ بن أبي أُنيسة، وطائفة آخِرُهم عبدُ الرحمن بن يزيد بن جابر.

وثقه ابن خِراش وغيرُه. روى المدائني عن يعقوب بن زيد أن عمر بن عبد العزيز أجاز عامِلَه على الكوفة عبد الحميد بعشرة آلاف.

قلتُ: اتفق موت عبد الحميد الخطَّابي بحرَّان في سنة نيِّف عشرة ومئة. وهو قليلُ الرواية، كبيرُ القدر.

٥٢ ـ عُمَرُ بنُ عبد الله **

ابن أبي ربيعة المخزومي، شاعر قريش، واسمُ جدِّه عُمرُ بنُ المغيرة بن

* التاريخ الكبير ٤٥/٦، التاريخ الصغير ٢١٢/١، الجرح والتعديل ١٥/٦، تهذيب الكمال: ٧٦٩، تذهيب التهذيب ٢٠١/٢/٢، تاريخ الإسلام ٢٧٣/٤، تهذيب التهذيب ١١٩/٦، خلاصة تذهيب الكمال: ٢٢٢، العقد الفريد ٤٣٦/٤، ٤٣٧، رغبة الآمل ٤٣٧/٤.

** الشعر والشعراء: ٣٤٨، ٣٥٢، الجرح والتعديل ٦ / ١١٩، الأمالي ٢٢٧/١ و ١٤/٢ و٣٠٧، =

وقيل :إنه قال له : أرى ابنيك قد استوحشا مني . وإني لأحب قربهما، قال : ما لي بهما علم . وقد خرجا عن يدي .

وقيل : همَّ الأخوان باغتيال المنصور بمكة، وواطأهما قائد كبير، ففهم المنصور، فتحرز، وهرب القائد وتحيَّل المنصور من زياد فقبض عليه، واستعمل على المدينة محمد بن خالد القسري، وبذل له أزيد من مئة ألف دينار إعانة، فعجز، فعزله برياح بن عثمان بن حيان المُري . وعُذب القسري . فأُخبر رياحٌ بأن محمد بن عبد الله في شعب رضوى من أرض يَنْبُع . فندب له عمرو بن عثمان الجُهَنّي، فكبسه ليلة، ففرَّ محمد ومعه ولد، فوقع من جبل من يد أمه فتقطع، وفيه يقول أبوه:

مُنْخرِقُ السِّربَالِ يَشْكُو الوَجَىٰ تـنـكُبُـهُ أطـرافُ مَـرْوٍ حِـدَادْ
شَـرَّدَهُ الخَـوْفُـه وأزْرَى بِـهِ كَـذَاكَ مَنْ يَكْـرَهُ حَـرَّ الجِـلَادْ
قَدْ كَان في المَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ والمَـوْتُ حَتْمٌ في رِقَـابِ العِبَـادْ

وتتبع رياح بني حسن واعتقلهم . فأخذ حسناً وإبراهيم ابني حسن، وهما عما محمد وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن . وسُليمان بن داود بن حسن بن حسن، وأخاه عبدَ الله، ومحمداً، وإسماعيل وإسحاق أولاد إبراهيم المذكور وعباس بن حسن بن حسن بن حسن، وأخاه علياً العابد وقيدهم . وشتم ابني حسن على المنبر، فسبح الناس،وعظموا قوله . فقال رياح : ألصق الله بوجوهكم الهوانَ، لأكتبن إلى خليفتكم غِشَّكُمْ . فقالوا: لا نسمَعُ منك يا ابن المجلودة[1] . وبادروه يرمونه بالحصباء، فنزل، واقتحم دار مروان، وأغلق عليه، فأحاط به الناسُ ورجموه وشتموه ثم إنهم كفّوا، وحملوا آل حسن في القيود

(١) في تاريخ الإسلام: «المحدودة»، وفي الطبري: «المجلود».

إلى العراق، وجعفر الصادق يبكي لهم . وأخذ معهم أخوهم من أمهم محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو ابن فاطمة بنت الحسين . فقيل : جعلوا في المحامل ولا وطاء تحتهم . وقيل: أخذ معهم أربع مئة من جُهَينة، ومُزَينة .

قال ابن أبي الموالي : وسجنت مع عبد الله بن حسن فوافى المنصور الربذة[1] راجعاً من حجه . فطلب عبد الله أن يحضر إليه فأبى . ودخلت أنا وعنده عمه عيسى بن علي، فسلمتُ قال: لا سلَّم الله عليك. أين الفاسقان؟ ابنا الفاسقِ؟!

قلت: هل ينفعني الصدق؟ قال: وما ذاك؟ قلت: امرأتي طالق وعليَّ وعليَّ إن كنت أعرفُ مكانهما . فلم يقبل . فضربني أربع مئة سوط . فغاب عقلي ورددت إلى أصحابي . ثم طلب أخاهم الدِّيْباج فحلف له، فلم يقبل، وضربه مائة سوط وغلَّه، فأُتي وقد لصق قميصه على جسمه من الدماء .

(١) قرية من قرى المدينة المنورة، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، إذا رحلت من «فيد» تريد «مكة» . وبها قبر الصحابي الجليل أبي ذر، رضي الله عنه، وقطعاً للشكوك التي يثيرها دعاة الفتن، وأصحاب الأغراض، الذين افترع الغرب عقولهم، حول مكث أبي ذر بالربذة، نورد أصح الأخبار عن ذلك، وهو الحديث الذي رواه البخاري ٢١٧/٣ و٢١٨، في الزكاة، باب: ما أدي زكاته ليس بكنز، وفي تفسير سورة براءة، باب: والذين يكنزون الذهب والفضة عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فإذا بأبي ذر، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾[التوبة: ٣٤] فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم . فكان بيني وبينه في ذلك كلام . فكتب إلى عثمان يشكوني . فكتب إليَّ عثمان: أن اقدم المدينة، فقدمتها، فكثر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك . فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت .

وكان يبذُل الأموالَ في الكوائن المَخُوفة، ولا سيما لما خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن[1] بالمدينة، وأخوه إبراهيم بالبصرة.

قال أبو إسحاق الثَّعالبي: على شُهْرة المنصور بالبخل، ذكر محمد بن سلاَّم أنه لم يُعطِ خليفةٌ قبل المنصور عشرةَ آلافِ ألف دِرْهم، دارَت بها الصِّكاك، وثَبَتَتْ في الدواوين، فإنَّه أعطَى في يومٍ واحدٍ، كلَّ واحد منْ عمومَتِه عشرةَ آلافِ ألف. وقيل: إنَّه خلَّف يوم موته في بيوتِ الأمْوال تسع مئة ألف ألف درهم ونيِّف.

زهَير بن معاوية: حدَّثنا ميْسرة بن حَبيب، عن المِنْهال بن عَمْرو، عن سعيد بن جُبَير، سمع ابن عبَّاس يقول: منَّا السَّفَّاح، ومنَّا المنصور، ومنا المهدِي. إسناده جيِّد[2].

روي إبراهيم بن عبد الصَّمد الهاشِمي، عن أبيه، عن جَدِّه: أن أباهُ قالَ: قال لنا المنصُور: رأيتُ كأنَّ رسولَ الله ﷺ عَمَّمَني بعِمامَة كُوْرُها ثلاثةٌ وعشرون، وقال: خُذْها، وأوصاني بأُمته.

وعن المنصور قالَ: الملوكُ أربعةٌ: معاوية، وعبدُ الملك، وهشامُ بن عبد الملك، وأنا.

حجَّ المنصورُ مراتٍ، منها في خلافته مرتَيْن، وفي الثالثة مات ببئْرِ مَيْمون[3] قبل أن يدخُلَ مكَّةَ.

أبو العَيْناء: حدَّثنا الأصمعي: أنَّ المنصورَ صعِد المِنْبَرَ، فشَرَع، فقام رجل، فقال: يا أميرَ المؤمنين! اذكرْ مَن أنتَ في ذكره. فقال: مَرْحَباً، لقد

(١) انظر ص ٢١، حا: ١.

(٢) هو كما قال المؤلف، لكن في متنه نكارة.

(٣) بئر ميمون: بمكة، منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي، (انظر معجم البلدان).

ذكرتَ جليلاً، وخوَّفتَ عظيماً، وأعوذ بالله أن أكون مِمَّنْ إذا قيل له: اتقِ الله، أخذتْه العِزَّة بالإثم، والموعظةُ منَّا بدَتْ، ومن عندنا خرجَتْ، وأنت يا قائلَها فأحلِفُ بالله: ما الله أردْتَ، إنما أردتَ أن يُقالَ: قامَ، فقالَ، فعُوقِبَ، فصَبَر، فأهون بها من قائلِها، واهتبلها [من] الله، ويلك [إني قد غفرتها][1]! . وعادَ إلى خُطْبَته كأنَّما يقرأ من كتاب.

قال مبارك الطَّبَري: حدَّثنا أبو عُبَيْد الله الوزير، سمع المنصورَ يقول: الخليفة لا يُصْلِحُه إلا التَّقوى، والسُّلْطان لا يُصلحه إلا الطَّاعة، والرعيَّةُ لا يُصلحها إلا العدْل، وأولى الناسِ بالعفو أقدرُهم على العقوبةِ، وأنقصُ النَّاس عقلاً من ظَلَم مَنْ هُوَ دُونَه.

وقيل: إن عَمْرو بن عُبَيْد وعَظَ المنصور فأبكاه، وكان يَهابُ عمراً ويكرمُه، وكان أمرَ لَهُ بمال فَرَدَّه.

وقيل: إن عبد الصَّمَد عمَّه قال: يا أميرَ المؤمنين! لقد هَجَمْتَ بالعقوبة، حتى كأنك لم تسمعْ بالعفو. قالَ: لأنَّ بني أمية لم تَبْلَ رِمَمُهم، وآلَ علي لم تُغمَدْ سيوفُهم، ونحن بينَ قوم قد رأونا أمس سُوْقة، ولا تتمهدُ هيبتُنا في صدورهم إلا بنسيان العفْو.

وقيل: دخلَ عليه هشام بن عُروة فقال: اقضِ دَيْني. قالَ: وكم هو؟. قال: مئة ألف، قال: وأنت في فقهك وفضلك تأخذُ مئةَ ألف، ليسَ عندك قضاؤها!؟. قال: شَبَّ فِتْيان لي، فأحْبَبْتُ أن أُبَوِّئَهم، وخشيْتُ أن ينتَشِر عليَّ أمرُهم، واتَّخَذْتُ لهم منازل، وأَوْلمتُ عليهم، ثقة بالله وبأمير المؤمنين[2]

(١) الخبر في «تاريخ الخلفاء»: ٢٦٤، والزيادة منه، ورواية الطبري: ٨/٩٠: «ويلك لو هممت، فاهتبلها إذ غفرت». و: اهتبلها، أي: اغتنمها.

(٢) ما إخال هذا يصح عن هشام بن عروة، فإنه لا يخفى عليه عدم جواز مثل هذا التركيب، وأن الوجه فيه أن يقول: ثقة بالله، ثم بأمير المؤمنين، فإنه قد صح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن =

وفي سنةِ عشر: دخل المأمونُ ببُوران بنتِ الحسنِ بن سهل بواسط، وأقام عندها بجيشِهِ سبعَةَ عشر يوماً، فكانت نفقةُ الحسنِ على العُرس وتوابعِهِ خمسينَ ألفَ ألفِ درهم، فملَّكه المأمونُ مدينةً، وأعطاهُ من المال خمسَ مئةِ ألف دينار[1].

وفي سنة إحدى عشرةَ: قهرَ ابنُ طاهرٍ المُتَغلِّبين على مصر، وأسر جماعة[2].

وفي سنة اثنتي عشرة: سار محمدُ بنُ حُميد الطوسي لمحاربَة بابَك، وأظهر المأمونُ تفضيل عليٍّ على الشَّيخين، وأنَّ القرآن مخلوق، واستعملَ على مصرَ والشام أخاه المُعْتَصِمَ، فقتل طائفةً، وَهَذَّبَ مصرَ، ووقع المصافُ مع بابَك مرات[3].

وفي سنة خمسَ عشرةَ: سار المأمونُ لغزوِ الرومِ، ومن غزوتِهِ عَطَفَ إلى دمشق[4].

وفي سنةِ ستَّ عشرةَ: كرَّ غازياً في الروم، وجَهَّزَ أخاه المُعْتَصِم، ففتحَ حُصُوناً، ودخل سنة سبعَ عشرةَ مصرَ، وقتل المتغلِّب عليها عَبْدُوساً الفِهريَّ، ثم كَرَّ إلى أَذَنَة، وسارَ، فنازلَ «لُؤلُؤة»[5] وحاصرها مئةَ يومٍ، وتَرحَّل[6].

(١) انظر خبر بناء المأمون ببوران في «تاريخ الطبري» ٦٠٦/٨، و«الكامل» لابن الأثير ٣٩٥/٦، و«البداية والنهاية» ٢٦٥/١٠.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦١٣/٨، و«الكامل» ٣٩٦/٦ وفيهما في حوادث سنة عشر ومئتين.

(٣) «تاريخ الطبري» ٦١٩/٨، و«الكامل» ٤٠٧/٦ - ٤٠٨.

(٤) «تاريخ الطبري» ٦٢٣/٨، و«الكامل» ٤١٧/٦.

(٥) هي قلعة بالقرب من طرسوس.

(٦) «تاريخ الطبري» ٦٢٥/٨ - ٦٢٨، و«الكامل» ٤١٩/٦ - ٤٢١.

وأقبل توفيلُ طاغيةُ الرومِ[1]، ثم وقعت الهدنةُ بعد أن كتب تُوفيلُ، فبدأ بنفسِهِ، وأغلظَ في المُكاتبةِ، فغضبَ المأمونُ، وعزم على المسيرِ إلى قُسْطَنْطِينيَّة، فهجَمَ الشتاء[2].

وفيها وقعَ حريقٌ عظيمٌ بالبصرةِ أذهبَ أكثَرَها.

وفي سنة «٢١٨»: اهتمَّ المأمونُ ببناء طُوَانَة، وحشدَ لها الصُّنَّاع، وبناها مِيلاً في ميلٍ، وهي وراء «طَرَسُوس»، وافتتَح عدَّةَ حُصُون[3]، وبالَغ في محنَةِ القُرآن، وحبسَ إمامَ الدمشقيين أبا مُسهِرٍ، بعد أن وضَعَهُ في النِّطعِ للقَتْلِ، فتلفَّظ مُكرَهاً[4].

وكتَبَ المأمونُ إلى نائِبِهِ على العِراقِ إسحاقَ بنِ إبراهيم الخُزاعيِّ كتاباً يمتَحِنُ العُلَماءَ، يقولُ فيه: «وقد عرفنا أنَّ الجمهورَ الأعظَمَ والسوادَ من حشوِ الرعيَّةِ وَسَفِلَةِ العامَّةِ، ممَّن لا نَظَر لهم ولا رَوِيَّة، أهل جهالة وعمىً عن أن يعرِفُوا الله كُنْهَ معرفَتِه، ويقدُرُوه حقَّ قَدرِه، ويُفرِّقوا بينه وبين خَلقِه، فساوَوْا بينَ الله وبين خَلْقِه، وأطبَقُوا على أنَّ القُرآنَ قديمٌ، لم يَخْتَرِعْهُ الله، وقد قال: ﴿إنّا جعلناهُ قُرآناً﴾ فكلُّ ما جعلَه فقد خلقَهُ، كما قال: ﴿وجعلَ الظُّلماتِ والنُّورَ﴾، وقال: ﴿نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ ما قد سَبَقَ﴾، فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها.

(١) وهو الذي ذكره أبو تمام في قصيدته البائية التي قالها في فتح عمورية في البيت الخمسين، وهو:

لمــا رأى الحـربَ رأيَ العينِ تـوفلسٌ والحـربُ مشتقَّةُ المعنى منَ الحَـرَبِ

(٢) «تاريخ الطبري» ٦٢٩/٨ - ٦٣٠.

(٣) «تاريخ الطبري» ٦٣١/٨، و«الكامل» لابن الأثير ٤٤٠/٦ - ٤٤١.

(٤) «تاريخ الطبري» ٦٤٣/٨.

قال الأصمعيُّ : كان نَقْشُ خاتمه : عبدُ الله بن عبيد الله[1] .

وله من الأولاد : محمدٌ الكبير ، والعبّاسُ ، وعليٌّ ، ومحمدٌ ، وعُبيد الله ، والحسنُ ، وأحمدُ ، وعيسى ، وإسماعيلُ ، والفضلُ ، وموسى ، وإبراهيمُ ، ويعقوبُ ، وحسنٌ ، وسليمانُ ، وهارونُ ، وجعفر ، وإسحاقُ ، وعِدة بَنات[2] .

٧٣ ـ المُعْتَصِم *

الخليفةُ أبو إسحاق محمدُ بنُ الرشيد هارونَ بنِ محمد المهدي بن المنصور العباسي .

ولد سنةَ ثمانين ومئة ، وأُمُّه ماردة أُمُّ ولد[3] .

روى عن : أبيه ، وأخيه المأمون يسيراً .

روى عنه : إسحاقُ المَوْصليُّ ، وحَمدونُ بنُ إسماعيل .

بُويع بعهدٍ من المأمونِ في رابع عشر رجب، سنة ثمان عشرة[4] .

---

(١) « تاريخ الخلفاء » ٣١٥ .

(٢) في عيون التواريخ » ٨/لوحة ٢٨ : قال الصولي : كان للمأمون تسعة عشر ذكراً ، وتسع بنات .

* المعارف لابن قتيبة : ٣٩٢ ، الأخبار الطوال : ٤٠١ ، تاريخ اليعقوبي ١٩٧/٣ ، تاريخ الطبري ١١٨/٩ ـ ١٢٣ ، مروج الذهب للمسعودي ١٠٢/٧ ، البدء والتاريخ ١١٤/٦ ، تاريخ بغداد ٣٤٢/٣ ، الكامل لابن الأثير ٤٣٩/٦ و ٥٢٣ ـ ٥٢٨ ، العبر ٤٠٠/١ ـ ٤٠٢ ، عيون التواريخ ٨/لوحة ١١٨ ـ ١٢١ ، فوات الوفيات ٤٨/٤ ، الوافي بالوفيات ١٣٩/٥ ، البداية والنهاية ٢٩٥/١٠ ـ ٢٩٧ ، الذهب المسبوك للمقريزي : ٢٢١ ، النجوم الزاهرة ٢٥٠/٢ ، تاريخ الخلفاء : ٣٣٣ ـ ٣٤٠ ، تاريخ الخميس ٣٣٦/٢ ، شذرات الذهب ٦٣/٢ ، ٦٤ .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ١٢٣/٩ ، و « الكامل » ٥٢٥/٦ ، و « تاريخ بغداد » ٣٤٢/٣ ، و « فوات الوفيات » ٤٨/٤ .

(٤) « تاريخ الطبري » ٦٦٧/٨ ، و « الكامل » ٤٣٩/٦ ، و « فوات الوفيات » ٨٤/٤ .

وكان أبيض ، أصهب اللحية طويلها ، ربعَ القامة ، مُشْرَبَ اللون ، ذا قوةٍ وبطشٍ وشجاعةٍ وهيبةٍ ، لكنّه نَزْرُ العِلم[1] .

قيل : كان معه غلامٌ في المَكتَب ، فماتَ الغلامُ ، فقال له أبوه : يا محمدُ ، مات غلامُك ، قال : نعم يا سيِّدي واستراحَ من الكُتّاب ، فقال : أوَ إنَّ الكتّاب ليبلُغُ منكَ هذا ! دَعُوه ، فكانت قراءتُه ضعيفةً[2] .

قال خليفةُ : حجَّ بالناسِ سنةَ مئتين[3] .

قال الرِّياشي : كتب طاغيةُ الروم إلى المُعتصم يتَهَدَّدُه ، فأمر بجوابِه ، فلما عُرِضَ عليه رماهُ ، وقال للكاتب : اكتُبْ : « أمّا بعد ، فقد قرأتُ كتابَك ، وسمعتُ خطابَك ، والجوابُ ما تَرَىٰ لا ما تسمعُ ﴿وسَيَعْلَمُ الكافرُ لمن عُقْبى الدّار﴾[4] .

قلتُ : وامتَحَنَ الناسَ بخَلقِ القُرآن ، وكتبَ بذلك إلى الأمصارِ ، وأخَذَ بذلك المُؤذِّنين وفُقهاءَ المَكاتب ، ودامَ ذلك حتى أزاله المُتَوَكِّلُ بعد أربعةَ عشَرَ عاماً .

وكان في سنة ٢١٨ الوباءُ المُفْرِطُ والقحطُ بمصر ، وماتَ أكثرُهُم ، وأمر المُعتَصِمُ بهدّ « طُوانَة » التي بذَر المأمونُ في بِنائها من عامين بيوتَ

---

(١) « فوات الوفيات » ٤٨/٤ .

(٢) « تاريخ بغداد » ٣٤٣/٣ ، و « فوات الوفيات » ٤٩/٤ ، و « البداية والنهاية » ٢٩٥/١٠ ، و « تاريخ الخلفاء » ٣٣٤ .

(٣) « تاريخ خليفة » : ٤٧٠ .

(٤) « تاريخ بغداد » ٣٤٤/٣ ، و « البداية والنهاية » ٢٩٦/١٠ . وقوله : (وسيعلم الكافر) هي قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو ، وقرأ الباقون : (وسيعلم الكفار) . « النشر » ٢٩٨/٢ .

الأموال[1] ، واشتدَّ البلاءُ ببابَك ، وهزمَ الجُيوشَ ، ودخلَ في دينِهِ خلائقُ من العَجَم ، وعَسكر بهَمَذان ، فبَرزَ لقتالِهِ إسحاقُ المُصْعَبي ، فكانت ملحمةٌ عظمى ، فيُقال : قُتِل منهم سِتُّون ألفاً ، وهَرَبَ باقيهم إلى الروم[2] .

وظهر سنة ٢١٩ محمدُ بنُ القاسم العَلَويُّ ، يدعو إلى الرضى من آل محمد ، وتَمَّت له حروبٌ إلى أن قيَّده ابنُ طاهر ، ثم هرَبَ من السجن ، وأضمرته البلاد[3] .

وفي سنة عشرين : عقد المعتصمُ لِلأَفْشين[4] في جيشٍ لجبٍ لقتالِ بابَك ، فتمَّت ملحمةٌ انهزم فيها بابَك إلى مُوغان ، ومنها إلى مدينةٍ له تُسمّى البَذّ[5] .

وفي رمضان كانت محنةُ الإمامِ أحمدَ في القرآن ، وضُرِبَ بالسِّياط حتى زال عقلُه ، ولم يُجِبْ ، فأطلقوه[6] ، وأمرَ المُعتَصِمُ بإنشاء مدينةِ

---

(١) « تاريخ الطبري » ٦٦٧/٨ .
(٢) « تاريخ الطبري » ٦٦٧/٨ ، ٦٦٨ ، و « الكامل » لابن الأثير ٤٤١/٦ .
(٣) انظر « مروج الذهب » للمسعودي ١١٦/٧ ، ١١٧ ، و « تاريخ الطبري » ٧/٩ ، و « الكامل » لابن الأثير ٤٤٢/٦ ، ٤٤٣ ، و « البداية والنهاية » ٢٨٢/١٠ .
(٤) اسمه حيدر بن كاوس ، عقد له المعتصم في قتال بابك الخرّمي ، وكان من الأمراء الشجعان ، واتهم بالكفر وعبادة الأصنام ، فسجنه المعتصم حتى مات سنة (٢٢٦) هـ انظر « العبر » ٣٩٥/١ .
(٥) انظر خبر هذه الوقعة في « مروج الذهب » ١٢٣/٧ ـ ١٢٧ ، و « تاريخ الطبري » ١٣/٩ ، ١٤ ، و « الكامل » ٤٤٩/٦ ـ ٤٥١ .
وموغان ـ ويقال لها : موقان ـ : ولاية بأذربيجان فيها قرى ومروج كثيرة . معجم البلدان ٥/ ٢٢٥ ، والبذُّ : كورة بين أذربيجان وأرّان ، بها كان مخرج بابك الخرّمي . انظر « معجم البلدان » ٣٦١/١ ، وانظر الصفحة ٢٩٤ تعليق (٢) من هذا الجزء .
(٦) ستَرد ترجمة الإمام أحمد ومحنته مفصَّلة في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب برقم (٧٨) .

سامرًّا[1] ، اشترى أرضَها من رُهبانٍ بالقاطُول[2] ، وغضبَ على وزيرِهِ الفضلِ بنِ مروان ، وأخذَ منه نحواً من عشرةِ آلاف ألفِ دينار ، ونفاه[3] واستوزَرَ محمَّدَ بنَ الزيّات ، واعتنى باقتناء المماليك التُّرك ، وبعثَ إلى النواحي في شِرائهم ، وألبَسَهم الحريرَ والذَّهب[4] .

وفي سنة ٢٢١ : كانت وقعةٌ بين العسكر وبابَك[5] .

وحجَّ فيها حنبلٌ ، فقال : رأيتُ كسوةَ الكَعبةِ ، وقد كُتِبَ فيها في الدارات : ليس كمثله شيء وهو اللطيفُ الخبير[6] ، فحَدَّثتُ به أبا عبد الله ، فقال: قاتل الله الخبيثَ ، عَمَدَ إلى كلامِ الله ، فغيَّره - عَنى ابنَ أبي دُواد .

وفي سنةِ اثنتين وعشرين : كان المصافُّ بين بابَك الْخُرَّمي وبين الأفشين ، فطحنه الأَفشينُ ، واستباحَ عسكَره ، وهربَ . ثم إنه أُسِرَ بعد فصولٍ طويلة[7] ، وكان أحد الأبطال ، أخافَ الإسلامَ وأهلَه ، وهزَم الجُيوشَ

---

(١) انظر خبر بناء هذه المدينة في « مروج الذهب » للمسعودي ١٢٠/٧ ، ١٢١ ، و « الكامل » لابن الأثير ٤٥١/٦ ، ٤٥٢ .
(٢) القاطول : نهر معروف يأخذ من دجلة على خمسة فراسخ من سامراء ، وقد ذكره البحتري في قصيدته التي يرثي بها المتوكل في « ديوانه » ١٠٤٥/٢ :

محلٌّ على القاطول أخلق داثره ... وعادت صروفُ الدهر جيشاً تُغاوره

وانظر « مروج الذهب » ١٢٧/٧ ، و « الروض المعطار » ٣٠٠ ، ٣٠١ و ٤٤٩ ، ٤٥٠ .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » ١٨/٩ ـ ٢٢ ، و « الكامل » ٤٥٣/٦ ، ٤٥٤ .
(٤) « مروج الذهب » للمسعودي ١١٨/٧ .
(٥) « تاريخ الطبري » ٢٣/٩ ـ ٢٧ ، و « الكامل » ٤٥٦/٦ .
(٦) التلاوة : (وهو السميع البصير) ، فغيّر ما في التلاوة ليسلم له مذهبه ، وهذا من أبين الأدلة على فساد رأي المعتزلة ومجافاته للنصوص القطعية التي لا يرقى إليها شك .
(٧) ذكرها ابن جرير الطبري في « تاريخه » ٢٩/٩ ـ ٥١ .

عشرينَ سنةً ، وغلَب على أذْرَبيجـان وغيرهـا ، وأراد أن يُقيم المِلَّةَ المجوسيَّة ، وظهر في أيَّامه المازيار أيضاً بالمجوسية بطَبَرِسْتان(١) ، وعظُم البلاءُ .

وكان المعتصمُ والمأمونُ قد أنفقوا على حرب بَابَك قناطيرَ مُقنطرةً من الذَّهبِ والفضةِ ، ففي هذه السنة ، بعثَ المعتصمُ نفقاتٍ إلى جيشِه مع الأفشين فكانت ثلاثينَ ألف ألف درهم ، وأُخِذَتِ البَذُّ مدينةُ بـابَك اللعين(٢) ، واختفى في غَيْضَةٍ ، وأُسِرَ أهلُه وأولادُه ، وقُطِعَ دابرُ الخُرَّمِيَّة .

ثم وردَ أمان من المعتصم لبابَك ، فبعثَ به الأفشينُ إليه مع اثنين ، وكتب ابنُه إليه يُشِيرُ عليه بقَبُول الأمان ، فلما دخلا إلى الشَّعْراء(٣) التي فيها بابَك ، قَتَل أحَدَهما ، وقال للآخر : امضِ إلى ابنِ الفاعلة ابني ، فقُل : لو كان ابني لَلَحِقَ بي . ثم مزَّقَ الأمانَ ، وفارقَ الغَيضَة ، وصَعِدَ الجبلَ في

(١) من بلاد خراسان بفتح أوله وثانيه ، سميت بذلك لأن الشجر كان حولها شيئاً كثيراً ، فلم يصل إليها جنود كسرى حتى قطعوه بالفأس . والطبر بالفارسية : الفأس ، واستان : الشجر . انظر « الروض المعطار » ص ٣٨٣ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في « تاريخ الطبري » ٩/٣١ـ ٤٥ ، و « الكامل » ٦/٤٦٢ وما بعدها ، وللبحتري من قصيدة يمدح بها أبا سعيد بن يوسف الثغري ـ وكان من قواد حميد الطوسي في حربه مع بابك الخرّمي ـ في « ديوانه » ٢/١٢٥٦ :

لله دَرُّكَ يـومَ بـابَـكَ فـارسـاً — بـطلاً لأبـواب الحتـوف قـروعـاً
حتى ظفـرتَ ببـذِّهم فتـركتـه — لـلذُّلِّ جـانبُـه وكـان منيعـاً

وله فيه أيضاً في « ديوانه » ١/٩ :

مـا زلتَ تقرعُ بـابَ بابَـكَ بالقنـا — وتـزورُهُ فـي غـارةٍ شـعـواءِ
حتى أخذت بنصلِ سيفكَ عنوةً — منـه الـذي أعيـا على الخلفـاءِ
أخليتَ منـه البذَّ وهي قـرارهُ — ونصبـتَـه علمـاً بـسـامَـرّاءِ

وانظر « ديوان أبي تمام » ٢/١٨ و ٢٤ و ٣٤ .

(٣) الشَّعْراء : الأرضُ الكثيرة الشجر .

طُرُقٍ يَعْرِفُها ، لا تُسلَكُ(١) . وكان الأفشين قد رتَّبَ الكُمناءَ في المضايق ، فنجا بابَك ، ولجأ إلى جبالِ أرْمينية ، فلقِيَهُ سهلٌ البطريقُ ، فقال : الطلبُ وراءَك ، فانزلْ عندي ، فنزلَ ، وركَنَ إليه ، فبعثَ البطريقُ إلى الأفشين بذلك ، فجاء فرسانٌ ، فأحاطوا به وأخذُوه ، وكان المُعتصِمُ قد جعَلَ لمن جاءَ به حيّاً ألفي ألف درهم ، ولمن جاء برأسه ألف ألف ، فأُعطي البطريقُ ألف ألف ، وأُطلِق له خَراجُه عشرين سنة(٢) .

وقال المسعوديُّ : هربَ بابَكُ بأخيه وأهله وخواصِّه في زي التّجار ، فنزلَ بأرضِ أرْمينية بعمل سهلِ بنِ سنباط ، فابتاعوا شاةً من راعٍ ، فَنَكِرَهم ، فأتى سَهلاً ، فأعلمَه ، فقال : هذا بابَكُ بلا شكّ ، فركبَ في أجنادِه حتى أتى بابَك ، فترجَّل وسلَّم عليه بالمُلكِ ، وقال : قُمْ إلى قصرِك ، فأنا عبدُك ، فمضىَ معه ، ومدَّ السِّماطَ له ، وأكلَ معه ، فقال بابَكُ : أمثلُك يأكُلُ معي ! فوقَف واعتذَر ، ثم أحضَر حدّاداً ليُقَيِّدَه ، فقال : أغَدْراً يا سهل؟! قال : يا ابنَ الفاعلة ، إنما أنتَ راعي بقر ، ثم قيَّد أتباعه ، وكاتَبَ الأفشيـن ، فجهَّز أربعةَ آلاف ، فتسلَّموه ، وجاء سهلٌ ، فَخَلَعَ عليه الأفشينُ ، وبُعثت بطاقةٌ بذلك إلى بغداد ، فضجَّ الناسُ بالتكبير والشُّكرِ لله ، ثم قَدِمُوا ببابَك في صَفَر سنةَ ثلاث(٣) .

وكان المُعتَصِمُ يبعثُ كلَّ يوم بخِلْعةٍ وفَرَسٍ للأفشين ، ومن سروره بذلك رتَّبَ البريدَ منه إلى الأفشين ، فكان يَجيئهُ الخبرُ في أربعة أيام وذلك

(١) انظر « تاريخ الطبري » ٩/٤٥ـ ٤٧ ، و « الكامل » ٦/٤٧١ ، ٤٧٢ .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ٩/٤٧ـ ٥١ و ٥٤ ، و « الكامل » لابن الأثير ٦/٤٧٢ـ ٤٧٣ ، و « البداية والنهاية » ١٠/٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٣) « مروج الذهب » ٧/١٢٤ـ ١٣٢ .

إيتاخ(١) ، ولم يَعرف أبو عبد الله ، فسأل بعدُ لمن هذه الدار ؟ قالوا : هذه دار إيتاخ(٢) . قال : حَوِّلُوني ، اكْتَرُوا لِي داراً . قالوا : هذه دارٌ أنزلكها أميرُ المؤمنين ، قال : لا أبيتُ ها هنا . ولم يزلْ حتى اكترينا له داراً . وكانتْ تأتينا في كل يوم مائدةٌ فيها ألوان يأمُر بها المتوكل والثلجُ والفاكهةُ وغيرُ ذلك ، فما ذاق منها أبو عبد الله شيئاً ، ولا نظر إليها . وكان نفقةُ المائدة في اليوم مئةً وعشرين درهماً .

وكان يحيى بنُ خاقان ، وابنُه عُبيد الله ، وعليُّ بنُ الجهم يختلفون إلى أبي عبد الله برسالة المتوكل . ودامت العلةُ بأبي عبد الله ، وضعف شديداً . وكان يُواصل ، ومكثَ ثمانية أيام لا يأكل ولا يشربُ ، ففي الثامن دخلتُ عَلَيْه ، وقد كاد أن يُطْفَأ ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ابن الزبير كان يواصلُ سبعة ، وهذا لك[اليوم](٣) ثمانيةُ أيام . قال : إني مُطيق . قلتُ : بحقي عليك . قال : فإني أفعل . فأتيته بسَويق فشرب . ووجَّه اليه المتوكل بمال عظيم ، فردَّه ، فقال له عُبيد الله بنُ يحيى : فإنَّ أميرَ المؤمنين يأمرُكَ أن تدفَعَها إلى وَلَدِك وأهلك . قال : هم مستغنون ، فردها عليه، [فـأخذها](٤) عُبيدُ الله ، فقسمها على ولده ، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف . فبعثَ إليه أبو عبد الله : إنهم في كفاية ، وليستْ بهم حاجة . فبعثَ إليه المتوكل : إنما هذا لولدك ، فما لَك ولهذا ؟ فأمسك أبو عبد الله ، فلم يزل يُجري علينا حتى مات المتوكل .

وجَرى بين أبي عبد الله وبين أبي كلام كثير . وقال : ياعم ، ما بقي من

(١) في « تاريخ الإسلام » : « التياح » .
(٢) في الأصل : « التياح » ، وكذا في « تاريخ الإسلام » ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) ما بين حاصرتين من « تاريخ الإسلام »
(٤) الزيادة من « تاريخ الإسلام » .

أعمارنا . كأنك بالأمر قد نزل . فالله الله ، فإنَّ أولادنا إنما يريدون أنْ يأكلوا بنا ، وإنما هي أيامٌ قلائل ، وإنما هذه فتنة . قال أبي : فقلتُ : أرجو أن يؤمِّنَك الله مما تَحذر . فقال : كيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم ؟ لو تركتموها ، لتركوكم . ماذا نَنْتَظِر ؟ إنما هو الموتُ . فإما إلى جنة ، وإما إلى نار . فطوبى لمن قدِمَ على خير . قال : فقلتُ : أليسَ قد أُمرتَ ما جاءَكَ مِنْ هذا المال من غير إشراف نفس ، ولا مسألةٍ أنْ تأخذه ؟ قال : قد أخذت مرة بلا إشراف نفس ، فالثانية والثالثة ؟ ألم تستشرف نفسُك ؟ قلت : أفلم يأخذِ ابنُ عُمر وابنُ عباس ؟ فقال : ما هذا وذاك ! وقال : لو أعلمُ أن هذا المالَ يُؤخذُ من وجْهِه ، ولا يكونُ فيه ظُلْمٌ ولا حَيْف لم أُبالِ .

قال حنبل : ولما طالت عِلَّةُ أبي عبد الله ، كان المتوكلُ يَبعثُ بابن ماسَوَيْه المتطبِّب ، فيصفُ له الأدويَة ، فلا يتعالج . ويدخلُ ابنُ ماسَويه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ليستْ بأحمدَ عِلةٌ ، إنما هو من قلةِ الطعام والصيام والعبادة ، فسكتَ المتوكل .

وبلغ أمَّ المتوكل خبرُ أبي عبد الله ، فقالتْ لابنها : أشتهي أنْ أرى هذا الرجل ، فَوجَّه المتوكلُ إلى أبي عبد الله ، يسألُه أنْ يدخُلَ على ابنِهِ المعتز ، ويدعُوَ له ويُسلِّمَ عليه ، ويجعلَه في حجره . فامتنع ، ثم أجاب رجاءَ أن يُطْلَقَ ، وينحدر إلى بغداد ، فوجَّه إليه المتوكل خِلْعَةً ، وأتَوْهُ بدابةٍ يَركبُها إلى المعتز ، فامتنع ، وكانتْ عليهِ مِيثَرَةُ نُمورٍ . فقُدِّم إليه بغل لتاجر ، فركبه ، وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكان ، وعلى المجلس سِترٌ رقيق . فدخَل أبو عبد الله على المعتز ، ونظر إليه المتوكل وأمُّه . فلما رأته ، قالت : يا بُني ، الله الله في هذا الرجل ، فليس هذا ممن يُريد ما عندكم ، ولا المصلحةُ أن تحبسَه عن منزله ، فائذنْ له ليذهب ، فدخل أبو عبد الله على

جهمياً . ثم وَلِيَ القضاء الحارثُ بن مسكين ، فكان يضربُه كلَّ حينٍ عشرين سوطاً ليؤدي ما وجب عليه ، فإنَّا لِلّه .

وغضب المتوكلُ على أحمد بنِ أبي دُوَاد ، وصادره ، وسَجَن أصحابَه ، وحُمِّل ستةَ عشر ألف ألف درهم(1) ، وافتقر هو وآلُه . وَوَلَّى يحيى بنَ أكثم القضاء ، وأطلقَ من تبقَّى في الاعتقال ممَّن امتنع من القولِ بخَلْق القرآن ، وأُنْزِلت عِظامُ أحمدَ بنِ نصرٍ الشهيدِ ، ودفنها أقاربُه ، وبنى قصرَ العروسِ بسامَرَّاء ، وأُنفقَ عليه ثلاثون ألف ألف درهم . والتمس المتوكلُ من أحمد بن حنبل أن يأتيَه ، فذهب إلى سامَرَّاء ولم يجتمع به ، استعفى ، فأعفاه ، ودخل على ولده المعتز ، فدعا له .

وفي سنة ثمانٍ وثلاثين ، عصى مُتولّي تَفْلِيس ، فنازلها بُغا ، وقتلَ مُتولِّيها وأحرقها ، وفعل القبائح ، وافتتح عِدَّةَ حصون(2).

وأقبلت الرومُ في ثلاثِ مئة مَرْكَب ، فكبسوا دمياط ، وسَبَوْا ستَّ مئة امرأةٍ ، وأحرقوا ، وَرَدُّوا مُسرعين ، فحصَّنها المتوكل(3).

وفي سنة ٢٣٩ غزا يحيى بنُ علي الأَرْمني بلادَ الروم ، حتى قربُ من

(1) في «الكامل» ٥٩/٧ في أحداث سنة سبع وثلاثين ومئتين : وفيها غضب المتوكل على أحمد بن أبي دُوَاد وقبض ضياعه وأملاكه ، وحبس ابنه أبا الوليد وسائر أولاده ، فحمل أبو الوليد مئة ألف وعشرين ألف دينار ، وجواهر قيمتها عشرون ألف دينار . ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم . وكذا في «تاريخ الطبري» ١٨٩/٩ . والخبر في «تاريخ ابن كثير» ٣١٥/١٠ ، ٣١٦ .

(2) «الكامل» ٦٧/٧ ، و«تاريخ الطبري» ١٩٢/٩ ، ١٩٣ ، و«تاريخ ابن كثير» ٣١٧/١٠ .

(3) «الكامل» ٦٨/٧ ، و«تاريخ الطبري» ١٩٣/٩ ، ١٩٥ ، و«تاريخ ابن كثير» ٣١٧/١٠ ، و«النجوم الزاهرة» ٢٩٤/٢ .

القُسطنطينية ، وأحرقَ ألفَ قرية ، وسبى عشرين ألفاً ، وقتل نحوَ العشرةِ آلاف ، وعُزِل يحيى بنُ أكثم من القضاء ، وأُخذ منه أربعةُ آلاف جريب ومئة ألف دينار(1) .

وفي سنة أربعين فيها سمع أهل خلاط(2) صَيْحةً من السماء ، مات منها جماعةٌ كثيرة(3) .

وفي سنة ٢٤١ ماجت النجومُ، وتناثرت شِبْهَ الجَراد أكثرَ الليل، فكان ذلك آيةً مزعجة(4) .

وفيها خرج ملكُ البُجَاة(5)، وسار المصريون لحربه ، فحملوا على البجاة ، فنفرَتِ جِمالُهم ، وكانوا يُقاتِلُون ، ثم تمزّقوا ، وقُتل خلقٌ ، وجاء ملكُهم بأمانٍ إلى المتوكل ، وهم يعبدون الأصنام(6).

وفي سنة ٢٤٢ الزلزلةُ بقُومِس والدَّامَغان ، والرَّي وَطَبَرِسْتان ، ونيسابور ، وأَصبَهان ، وهلك منها بِضْعَةٌ وأربعون ألفاً ، وانهدَّ نصفُ مدينة الدامَغان(7) .

(1) قال ابن الأثير في «الكامل» ٧٤/٧ بحوادث ٢٤٠ هـ : في هذه السنة عُزِل يحيى بن أكثم عن القضاء ، وقبض منه ما مبلغه خمسة وسبعون ألف دينار ، وأربعة آلاف جريب بالبصرة . وكذا في «تاريخ الطبري» ١٩٧/٩ ، ١٩٨ .

(2) بكسر أوله ، وآخره طاء مهملة : هي قصبة أرمينية الوسطى .

(3) «تاريخ الخلفاء» : ٣٤٨ ، و«النجوم الزاهرة» ٣٠١/٢ .

(4) «تاريخ ابن كثير» ٣٢٤/١٠ ، و«النجوم الزاهرة» ٣٠٤/٢ .

(5) في «تاريخ الطبري» و«ابن كثير» : البجة .

(6) «تاريخ الطبري» ٢٠٣/٩ ، ٢٠٦ ، و«الكامل» ٧٧/٧ ، و«تاريخ ابن كثير» ٣٢٤/١٠ .

(7) «تاريخ الطبري» ٢٠٧/٩ ، و«الكامل» ٨١/٧ ، و«تاريخ ابن كثير» ٣٤٣/١٠ ، و«النجوم الزاهرة» ٣٠٧/٢ .

نفسَه على المتوكل ، فماتا ، فَلُفّا في بِساطٍ ، ثم دُفنا معاً . وكان بغا الصغير استوحش من المتوكل لكلامٍ ، وكان المُنتصر يتألَّفُ الأتراكَ ، لا سيّما من يُبعِدُه أبوه[1].

قال المسعودي : ونُقل في مَقْتَلِه غيرُ ذلك . قال : وقد أَنْفَقَ المتوكلُ فيما قيل على الجَوْسَقِ والجَعْفَرِيِّ والهاروني أكثرَ من مئتي ألف ألف درهم . ويقال : إنّه كان له أربعةُ آلاف سُرِّيَّة وَطِىءَ الجميعَ . وقُتل وفي بيت المالِ أربعةُ آلاف ألف دينار ، وسبعةُ آلاف ألف درهم ، ولا يُعلم أحدٌ من رؤوس الجِدِّ والهَزْل إلا وقد حظي بدولته ، واستغنى ، وقد أجاز الحُسينَ بن الضحَّاك الخليعَ على أربعةِ أبيات أربعةَ آلافِ دينار . وفيه يقول يزيدُ بن محمد المُهَلَّبي :

جـاءَتْ مَنِيَّتُـهُ والعَيْنُ هـاجِعَـةٌ   هَـلَّا أَتَتْهُ المنـايا والقَنا قُصَـدُ
خَلِيفَةٌ لَمْ يَنَلْ مِنْ مالِهِ[2] أَحَدٌ   وَلَم يُضَعْ مِثْلُهُ روحٌ ولا جَسَدُ[3]

قال عليُّ بن الجَهْم : أهدى ابنُ طاهرٍ إلى المتوكلِ وصائفَ عدةً ، فيها محبوبة ، وكانت شاعرةً عالمةً بصنوفٍ من العلم عوَّادةً ، فحلَّت من المتوكلِ محلاً يفوت الوصف ، فلما قُتل ضُمَّتْ إلى بُغا الكبير ، فدخلت عليه يوماً للمُنادمة ، فأمر بهتكِ السِّتْرِ ، وأمر القيانَ ، فأقبلنَ يرفُلن في الحُلْي والحُلَل ، وأقبلت هي في ثيابٍ بيض ، فجلست مُنكسرةً ، فقال : غَنِّي ، فاعتلَّت ، فأقسمَ عليها ، وأمر بالعُود فوُضع في حجرها ، فغنَّت ارتجالاً :

---

(١) راجع مقتل المتوكل في « الكامل » ٩٥/٧ ، و « تاريخ الطبري » ٢٢٢/٩ وما بعدها ، و « وفيات الأعيان » ٣٥٠/١ ، و « النجوم الزاهرة » ٣٢٤/٢ .
(٢) في « تاريخ الخلفاء » : « ماناله » و « لم يضع » .
(٣) البيتان في « تاريخ الخلفاء » ٣٥٠ .

أيُّ عَـيْشٍ يـلَذُّ لـي   لا أرَى فيـه جَعْفَـرا
مَـلِكٌ قـد رَأَيْـتُـه   في نجيـعٍ مُـعَفَّـرا
كـلُّ مَنْ كان ذا خَبا   لٍ وَسُقْمٍ فَقَدْ بَرَا[1]
غيـر محبـوبـةَ التي   لو تَرى الموتَ يُشتَرَى
لاشْتَـرتْـه بمـا حـوتْـ   ـه يـداهـا لِتُقْبَـرَا[2]

فغضب بُغا ، وأمر بسحْبِها ، وكان آخر العهد بها[3].

وبُويع المنتصرُ من الغدِ بالقصر الجَعْفَرِيِّ يوم خامس شوال سنةَ سبعٍ وأربعين ومئتين . وقيل : لم يصح عنه النَّصْب ، وقد بكى مِنْ وَعْظِ علي بن محمد العسكري العَلَوي ، وأعطاهُ أربعةَ آلاف دينار . فاللهُ أعلم .

للمتوكل من البنين : المنتصر محمد ، وموسى ، وأُمُّهما حبشية ، وأبو عبد الله المعتز ، وإسماعيل ، وأُمُّهما قَبيحة ، والمؤيَّد إبراهيم ، وأحمد وهو المعتمد ، وأبو الحُمَيْد ، وأبو بكر ، وآخرون .

وقد ماتت أمه شُجاع قَبْله بسنة ، وخلفت أموالاً لا تُحْصَرُ ، من ذلك خمسة آلاف ألف دينار من العَيْن وحدَه .

---

(١) في « وفيات الأعيان » :
كـلُّ مَـنْ كـانَ فـي ضَـنـى   وَسَـقـامٍ   فَـقَـدْ   بَـرا
وفي « تاريخ الخلفاء » :
كـلُّ مَـنْ كـانَ ذا هـيـا   مٍ وَسـقْـمٍ   فَـقَـدْ   بَـرا
(٢) الأبيات : الأول والثالث والرابع والخامس في « وفيات الأعيان » ٣٥٦/١ ، وهي كلها في « تاريخ الخلفاء » : ٣٥١ .
(٣) في « تاريخ الخلفاء » : ٣٥١ : وأُمِرَ بها ، فسُجِنت ، فكان آخر العهد بها .

الطبقة الخامسة عشرة

٥٣ - أحمدُ بن طُولون*

التُّركي ، صاحبُ مِصر ، أبو العَبَّاس .

ولد بسامَرَّاء ، وقيل : بل تَبَنَّاه الأميرُ طُولون . وطُولون قدَّمَه صاحبُ ما وراء النَّهر[1] إلى المأمون ، في عدَّة مَماليك ، سنةَ مئتين ، فعَاشَ طُولون إلى سنة أربعين ومئتين . فَأجادَ ابنُهُ أحمدُ حِفْظَ القرآن ، وطلبَ العلم ، وتنقلتْ به الأحوالُ ، وَتَأَمَّرَ ، وَوَلِي ثُغُورَ الشَّام ، ثُمَّ إِمْرَةَ دِمَشق ، ثُم وَلِي الدِّيار المِصْرية في سَنَةِ أربعٍ وخمسين ، وله إذْ ذاك أَرْبَعون سَنَةً .

وكانَ بطلاً شُجاعاً ، مقداماً مَهيباً ، سَائساً ، جَواداً ، مُمَدَّحاً ، من دُهاة الملوك .

قيل : كانت مُؤنته في اليوم ألفَ دِينار ، وكان يَرْجِع إلى عَدْلٍ

---

* تاريخ الطبري : ٩/٣٦٣ ، ٣٨١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٦٢٧ ، ٦٦٦ ، المنتظم ، ٥/٧١ - ٧٤ ، الكامل لابن الأثير : ٧/٤٠٨ - ٤٠٩ ، وفيات الأعيان : ١/١٧٣ - ١٧٤ ، عبر المؤلف : ٢/٤٣ - ٤٤ ، الوافي بالوفيات : ٦/٤٣٠ - ٤٣٢ ، البداية والنهاية : ١١/٤٥ - ٤٧ ، النجوم الزاهرة : ٣/١ - ٢١ ، شذرات الذهب : ٢/١٥٧ - ١٥٨ .

(١) وهو : نوح بن أسد . انظر : المنتظم : ٥/٧١ .

وبَذْلٍ ، لكنَّه جَبَّارٌ ، سَفَّاكٌ للدِّمَاء .

قال القُضَاعي : أُحصي مَن قتله صبراً ، أو ماتَ في سِجْنه ، فَبَلَغُوا ثَمانِيَةَ عَشَرَ ألفاً[1] .

وأَنْشَأ بظاهر مِصر جامِعاً ، غَرِمَ عليه مئةَ ألف دينار[2] ، وكان جيِّدَ الإسلامِ ، مُعَظِّماً للشَّعَائر .

خَلَّفَ من العين عَشرة آلاف ألفِ دِينار ، وأربعةً وعشرين[3] ألفَ مملوكٍ ، وجماعةً بنينٍ ، وسِت مئةِ بغلٍ للثقل[4] .

ويقال : بَلَغَ ارتفاع خَراج مِصْر في أيامه أَزْيَدَ من أربعة آلاف ألفِ دينار[5] وكان الخليفة مشغولاً عن ابن طولون بحروب الزنج ،وكان يزري على أُمراءِ التُّرك فيما يَرْتكبونه .

قال محمدُ بن يوسُف الهَرَوي : كُنَّا عند الرَّبيع المُرَادي ، فجاءه رَسُولُ ابنِ طُولُون بألف دينار ، فقبلها .

قيل : إن ابن طُولون نَزَلَ يأكلُ ، فوقَفَ سائلٌ ، فأمَرَ له بِدَجَاجة وَحَلْواء ، فَجَاءَ الغلام ، فقال : [ناولته فمـا] هَشَّ لها . فقال : عَلَيَّ به . فلما وقفَ بين يَدَيْه ، لم يَضْطَرب [من الهيبة] ، فقال : أَحْضِرِ الكُتُبَ [التي معك واصدقني] ، فأنْتَ صَاحبُ خَبر ، هاتُوا السِّياط ، فَأقَرَّ ، فقال

---

(١) عِبر المؤلف : ٢/٤٣ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان : ١/١٧٣ . وفيه : « وأنفق على عمارته مئة ألف وعشرين ألف دينار . . . »

(٣) في « العبر » : ٢/٤٣ : أربعة عشر ألفاً .

(٤) انظر : المنتظم : ٥/٧٣ .

(٥) انظر : المصدر السابق ففيه « درهم » بدلاً من « دينار » .

البَلد ، فجاءَت امرأةٌ ، فقالت : هو زَوْجي ولي منه طِفْل ، فَسلم الذَّهَب إليها ، وقَتَله .

قال التَّنوخي : وبَلغني أنَّه قام لَيلةً ، فـرأى المماليك المُرْد ، واحدٌ منهم فوق آخر ، ثم دبَّ على ثلاثةٍ ، واندَسَّ بين الغِلْمان ، فجاءَ ، فَوضَع يدَه على صَدْره ، فإذا بفؤاده يخفِق ، فَرَفَسه برِجْله ، فَجَلَس ، فَذَبَحه .

وأنَّ خادِماً أتاه ، فأخبَره أنَّ صَيَّاداً أخرج شبكتَه ، فَثَقُلت ، فَجَذَبها ، فإذا فيها جِـراب ، فَظَنَّه مالاً ، فإذا فيه آجُرٌ بينه كَفٌّ مَخْضُوبة ، فَهَالَ ذاك المعْتَضِدَ ، وأمرَ الصَّيَّاد ، فعاود طَرْح الشَّبَكة ، فَخَرَجَ جِرابٌ آخرُ فيه رِجْل ، فقال : معي في بلدي من يَفْعل هذا ؟ ما هذا بِمُلك ! . فلم يفطِرْ يومَه ، ثم أحْضَرَ ثِقَةً له ، وأعطاهُ الجِراب ، وقال : طُفْ بِهِ على من يعمل الجُرُب : لِمَنْ باعَه ؟ فَغَاب الرَّجُل ، وجاءَ وَقَد عَرَف بائِعَه ، وأنَّه اشترى منه عَطَّارٌ جِرَاباً ، فذَهَبَ إليه ، فقال : نعم ، اشترى مني فلانٌ الهَاشِمِي عشرة جُرب ، وهو ظالم . . . . إلى أنْ قَال : يكفيكَ أنَّه كان يَعْشَق مُغَنِّيَةً ، فاكتَرَاها من مَوْلاها ، وادَّعى أنَّها هَرَبت ! فلما سَمِع المعْتَضِد ذلك سَجَدَ ، وأحْضَرَ الهاشميَّ ، فأخْرَجَ له اليَد والرِّجْلَ ، فاصفرَّ واعترفَ ، فَدَفَعَ إلى صاحِبِ الجارِية ثمنَها ، وسَجَنَ الهاشمي ، فيقالُ : قَتَلَه .

وروى التَّنوخي ، عن أبيه ، قال : رأيتُ المعْتَضِد ، وكانَ صَبِيّاً ، عليه قُباء أصْفَرُ ، وقد خَرَجَ إلى قِتالِ وَصِيْف بِطَرَسُوس .

وعن خفيف السَّمَرْقَنْدي ، قال : خرجتُ مع المعْتَضِد للصَّيْد ، وانقطَعَ عنه العَسْكر فَخَرَجَ علينا الأسَد ، فقال : يا خَفِيف ! أمسِك فرسي . ونَزَلَ ، فَتحزَّمَ ، وسَلَّ سَيْفَه ، وقَصَدَ الأسَدَ ، فَقَصده الأسدُ ، فَتَلَقاه ، المعتضدُ ، فَقَطَعَ يَدَه ، فتشاغَل بها الأسد ، فضربه فَلَقَ هامَتَه ، ومَسَحَ سيفَه في

صُوْفه ، وركِبَ ، وصحبْتُه إلى أن ماتَ ، فما سمعتُه يَذكُرُ الأسد ، لقلَّة احتفاله به(١) .

قلت : وكان في المعْتَضِد حِرْصٌ ، وجَمْعٌ للمال . حارَبَ الزَّنج ، وله مواقفُ مشهودة ، وفي دولته سكَنَتِ الفِتَن ، وكان فَتَاه بدر على شرطته ، وعُبَيْد الله بن سُليمان على وزارَتِه ، ومحمد بن شاه على حَرَسه ، وأسقط المَكْسَ(٢) ، ونَشَرَ العَدْلَ ، وقَلَّلَ من الظُّلم ، وكان يُسَمَّى السَّفَّاح الثَّاني ، أحْيَا رَمِيْمَ الخِلافة التي ضَعُفَتْ مِن مَقْتَلِ المتوكِّل ، وأنشأ قَصْراً غرِمَ عليه أربع مئة ألف دِينار ، وكان مِزَاجه قد تَغَيَّر من فَرْط الجِمَاع وعَدَم الحمية ، حتى إنَّه أكَلَ في مَرَضِه زَيْتوناً وسَمَكاً .

ونقل المسعودي(٣) أنَّهم شَكُّوا في مَوْته ، فَتَقَدَّمَ الطَّبيب ، فَجَسَّ نَبْضَه ، فَفَتَحَ عَيْنَيْه ، فَرَفَس الطَّبيب دحرجَه أذرعاً ، فماتَ الطَّبيب ، ثم ماتَ المعْتَضِد من ساعتِه . كذا قالَ .

وقال الخُطَبي في « تاريخه » : حَبَس الموفَّق ابنَه أبا العبَّاس ، فلما اشتَدَّت عِلَّةُ الموفَّق ، عَمَد غِلْمان أبي العبَّاس ، فأخرجوه ، وأدخلوه إلى أبيه ، فلمَّا رآه ، أيْقَن بالموت ، فقيل : إنَّه قال : لهذا اليوم خَبَّأْتُك . ثم فَوَّض إليه ، وضمَّ الجيشَ إليه ، وخَلَعَ عليه قبل موته بثلاث .

قال : وكانَ أبو العبَّاس شهْماً ، جلداً ، رجلاً بازلاً ، موصوفاً بالرُّجْلَة والجَزَالة ، قَدْ لَقي الحروب ، وعُرِف فَضْله ، فقام بالأمرِ أحسنَ قِيامٍ ، وهابَه

(١) انظر : المنتظم : ٥/١٢٩ .
(٢) المكس : الجباية .
(٣) ٢/٤٩٠ .

وَظَلَمَ ، وأنشأ داراً لم يُسْمعْ بمثلِها ، خَرَّبَ لأجلها دُورَ النَّاس ، وَغَرِمَ عليها إلى أن مات ست مئة ألف دينار(١) . واستضرَتِ الرُّومُ على بلاد الشَّام ، وأخذوا حَلَبَ بالسَّيفِ وغيرَها من المدائن كَسَرُوْج والرُّهَا ، وأول تمكُّنِهم أنَّهم هَزَموا سيفَ الدَّولة في سنة تسعٍ وثلاثين . فَنَجا بالجَهْد في نَفَرٍ يسير ، وَبَلَغَهُم وَهْنُ الخلافة ، وَعَجْزُ سيفِ الدولة عنهم بعد أن هزَمَهُم غيرَ(٢) مرة .

وفي سنة ٣٥٣ قَصَدَ معزُّ الدولة المَوْصل فَفَرّ عنها ناصرُ الدولةِ ، ثم التقوا فانتصرَ ناصر الدولة ، وأَسَرَ التُّرك ، واستأمَنَ إليه الدَّيْلم ، وأخَذَ ثَقَلَ معزِّ الدولة وخزائنَه ، ثم صَالَحه(٣) . وكان يُقَام مأتم عَاشُورَاء ببغدادَ ، ويقع فِتَن كبارٌ لذلك . ثُمَّ مات الوزيرُ المُهَلَّبيُّ سنةَ ٣٥١(٤) ، ومات معزُّ الدولة ، فقام ابنُهُ عزُّ الدولة بَخْتِيار سنةَ ستٍ وخمسين(٥) ، فَجَرَتْ فِتْنَةُ محمد بنِ الخليفة المُسْتَكفي فإنَّه لَمَّا كُحِلَ أبوه فرَّ هو إلى مِصْرَ ، وأقامَ عند كافُور ، ثم قَوِيَتْ نفسُه ، وقدمَ بغدادَ سِراً ، فَعَرَفَ عزُّ الدولة ، وبايعَه في البَاطن كُبَراء ، فَظَفِرَ به عزُّ الدولة فَقَطَعَ أنفَه وأُذُنَيْه ، وَسَجَنه ثُمَّ هَرَبَ هو وأخوه عليٌّ مِنَ الدَّارِ يومَ عيد ، وصارَ إلى ما وراء النَّهر ، وَخَمَلَ أمرُه(٦) .

وفي سنةِ ستين فُلِجَ المُطِيعُ ، وبَطَلَ نِصْفُه ، وتملَّكَ بنو عُبيد مِصْرَ

---

(١) « الكامل » : ٨ / ٥٣٤ .

(٢) « الكامل » : ٨ / ٥٤٠ - ٥٤٢ .

(٣) « الكامل » : ٨ / ٥٥٣ - ٥٥٤ .

(٤) الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون ، من ولد المهلب بن أبي صفرة ، الأزدي ، أبو محمد ، من كبار الوزراء ، لقب بذي الوزارتين : وزارة الخليفة المطيع ووزارة السُّلْطان معز الدولة ، توفي في طريق واسط سنة / ٣٥٢ / له ترجمة في « وفيات الأعيان » : ٢ / ١٢٤ - ١٢٧ . وفي « الفوات » : ١ / ٢٥٦ - ٢٦٠ .

(٥) « الكامل » : ٨ / ٥٧٥ .

(٦) « الكامل » : ٨ / ٥٨٤ - ٥٨٥ .

والشَّامَ ، وأَذَّنوا بدمشق « بحي على خير العمل »(١) ، وغَلَتِ البلادُ بالرَّفْضِ شَرْقاً وغَرْباً ،(٢) وخَفِيَتِ السُّنة قليلاً ، واستباحتِ الرُّوم نَصِيبين وغيرَها ، فلا قوَّةَ إلَّا بالله(٣) ، وقُتِلَ ببغدَادَ ، راجلٌ من أعوان الشِّحْنة ، فبعَثَ رئيسُ بغدادَ مَن طَرَحَ النَّار في أسواقٍ فاحْتَرَقَتْ بغدادُ حريقاً مهولاً . واحترق النِّساء والأولاد ، فعدَّة ما احْتَرَقَ ثلاث مئة وعشرون داراً وثلاث مئة وسبعة عشر دُكَّاناً ، وثلاثةٌ وثلاثون مسجداً . وكثُر الدُّعاء على الرَّئيس ، وهو أبو الفَضْل الشِّيْرازيُّ(٤) ، ثم سُقِيَ ، وَهَلَكَ(٥) ، وأُنْشِئَتْ مدينة القَاهِـرة للمعزِّ العُبَيدي . وَوَزَرَ ببغدادَ أبو طاهر بنُ بَقِيَّة ، فكان راتبُهُ من الثَّلج في اليوم ألف رِطل ، ومن الشَّمع في الشهر ألف مَنٍّ ، فوزر لعزّ الدولة أربع سنين ، ثم صلبَه عضدُ الدولة(٦) . ولَمَّا تحكَّم الفَالج في المطيع دَعَاه سُبُكْتِكِين الحاجبُ إلى عَزْل نَفْسِهِ ، وتسليمِ الخِلافة إلى ابنِهِ الطَّايعِ فَفَعَلَ ذلك في ثالث عشر ذي القَعْدَة سنةَ ثلاث وستين(٧) . وأثبتوا خَلْعَه على أبي الحسن

---

(١) « تاريخ الخلفاء » : ٤٠٢ .

(٢) إشارة إلى بني بُويه والعبيديين الذين يسمون بالفاطميين .

(٣) « الكامل » : ٨ / ٦١٨ .

(٤) العباس بن الحسن ، أبو الفضل الشِّيرازي ، ناب في الوزارة عن المهلبي ، واستوزره عز الدولة ثم اعتقل ، ثم أعيد الى الوزارة سنة / ٣٦٠ / هـ ، وعزل بعد سنتين ونكب ، حمل الى الكوفة محبوساً ، فمات فيها بعد مدة قصيرة ، قيل : مسموماً ، وكان ظلوماً غشوماً . « تجارب الأمم » ٦ / ٢٦٩ - ٣١٣ .

(٥) « المنتظم » : ٧ / ٦٠ .

(٦) وقد رثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري بقصيدته المشهورة :

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيام الصِّلات

(٧) في الأصل : ثلاث وثلاثين ، وهو وهم .

بَخْتِيَار ، وكان يتشيَّع ، فقيل : تابَ في مَرَضِه ، وترضَّى عن الصَّحابة ، وتصدَّق ، وأعتق ، وأراق الخمور ، ونَدم على ما ظَلَم ، وردَّ المواريث إلى ذوي الأرحام . وكان يُقال له : الأقطع . طَارَتْ يَسَارُه في حرب ، وطارَتْ بعضُ اليُمنى ، وسقط بينَ القَتْلى ثمَّ نجا ، وتملَّكَ بغداد بلا كلفة ، ودانتْ له الأمم ، وكانَ في الابتداء تبعاً لأخيه الملك عماد الدَّوْلَة .

مات في ربيع الآخر سنةَ ستّ وخمسينَ وثلاث مئة ، وله ثلاثٌ وخمسونَ سنة .

وقد أنشأ داراً غرم عليها أربعينَ ألف ألف درهم فَبَقيتْ إلى بعد الأربع مئة ونقضت ، فاشتَرَوا جرذَ مافي سُقوفها من الذَّهب بثمانية آلاف دينار .

١٣٤ - كَافُــور *

صاحبُ مصر ، الخادم الأستاذ ، أبو المسك ، كافورُ الإخشِيذيُّ الأسود .

تَقَدَّم عند مولاه الإخشِيذ ، وسادَ لرأيِه وحَزْمِه وشَجاعته ، فصيَّرهُ من كبار قوَّاده ، ثم حاربَ سيفَ الدَّوْلة ، ثمَّ صار أتابكَ أُنوجُور ابن أستاذه وتمكن .

قال وكيلُه : خدمتُ كافوراً ، وراتبُه في اليوم ثلاثَ عشرةَ جراية ، وقد بلغت على يدي ثلاثة عشر ألف جراية[1] .

* المنتظم : ٧/٥٠ - ٥١ ، الكامل لابن الأثير : ٨/٤٤٥ ، ٤٥٧ ، ٥٨٠ - ٥٨٤ ، ٥٩٠ و ٩/١٦٨ ، المغرب في حلى المغرب (الجزء الأول من القسم الخاص بمصر) ١٩٩ ، وفيات الأعيان : ٤/٩٩ - ١٠٥ ، المختصر في أخبار البشر : ٢/١٠٧ ، العبر : ٢/٣٠٦ ، دول الإسلام : ١/٢٢١ ، البداية والنهاية : ١١/٢٦٤ و ٢٦٦ ، ابن خلدون : ٤/٣١٤ ، النجوم الزاهرة : ٤/١ - ١٠ ، حسن المحاضرة : ١/٥٩٧ - ٥٩٨ ، شذرات الذهب : ٣/٢١ - ٢٢ .

(١) انظر « الوفيات » : ٤/٩٩ .

ماتَ الملك أنوجور شاباً في سنةِ تسعٍ وأربعينَ وثلاث مئة ، فأقام كافورٌ أخاه عليّاً في السَّلطنة ، فبقي ستَّ سنين ، وأزِمَّةُ الأمور إلى كافور ، وبعده تسلطَن وركب الأسود بالخِلْعة السوداء الخليفتية ، فأشار عليه الكبار بنصب ابن لعلي صورةً في اسم الملك ، فاعتلَّ بصِغره ، وما التفتَ على أحد ، وأظهرَ أنَّ التقليد والأهبة جاءَتْه من المُطيع ، وذلك في صفر سنةَ خمسٍ وخمسين ، ولم ينتطِحْ فيها عَنْزان .

وكان مَهيباً ، سائساً ، حليماً ، جواداً ، وقوراً ، لا يشبه عقلُه عقولَ الخدَّام ، وفيه يقول المُتَنبِّي[1] :

قَـواصد كـافـورٍ تَـوارِكَ غَيْـره ... ومَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّواقِيَا
فَجاءَتْ بِنَا إنسانَ عَيْنِ زَمانِهِ ... وخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا ومَآقِيا

فأقام عنده أربعَ سنين ، ونالَه مالٌ جزيل ، ثمَّ هجاه لآمَةً وكُفْراً لنِعْمتِه ، وهربَ على البَرِيَّة ، يقول[2]:

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقَوْمُهُ البِيْضُ أَمْ آباؤُهُ الصِّيْدُ
وذَاكَ أَنَّ الفُحولَ البِيْضَ عاجِزَةٌ ... عَنِ الجَمِيلِ فَكَيْفَ الخِصْيَةُ السُّودُ

ودُعِيَ لكافور على منابر الشَّام ومصر والحرمين والثغور .

وقيل : كان شديدَ اليد ، ولا يكاد أحدٌ يمدُّ قوسَه فيُعطِي الفارسَ قوسَه ، فإن عجَز ضحكَ واستخدَمَه ، وإنْ مدَّه قطَب .

(١) الأبيات في «ديوانه»: ٤/٤٢٣ - ٤٢٤ من قصيدته المشهورة التي مطلعها :
كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا
(٢) الأبيات في « ديوانه » : ٢/١٤٧ - ١٤٨ من قصيدته التي مطلعها :
عيدٌ بأية حال عدتَ يا عيد ... بما مضى أم بأمرٍ فيك تجديد

عبّاس الطّالقانيُّ الأديبُ الكاتب، وزير الملك مؤيّد الدولة بُوَيْه بن ركن الدولة .

صحب الوزيرَ أبا الفضل بن العَميد ، ومن ثَمّ شُهر بالصَّاحب(١) .

وسمع من أبي محمد بن فارس بأصبهان، ومن أحمد بن كامل القاضي، وطائفة ببغداد .

روى عنه أبو العلاء محمد بن حسّول ، وعبد الملك بن علي الرّازي ، وأبو بكر بن أبي علي الذّكواني ، وأبو الطيب الطّبري ، وأبو بكر بن المقرىء شيخه .

وله تصانيف منها في اللغة « المحيط » سبعة أسفار ، و « الكافي » في الترسل ، وكتاب «الإمامة»، وفيه مناقب الإمام علي ، ويثبت فيه إمامة من تقدّمه .

وكان شيعياً معتزليّاً مبتدعاً ، تياهاً صلفاً جباراً ، قيل : إنه ذكر له البخاري ، فقال : ومَن البخاري ؟ !! حشويّ لا يُعوَّل عليه .

وقد نُكب ونُفي ، ثم ردَّ إلى الوزارة ، ودام فيها ثماني عشرة سنة .

وافتتح خمسين قلعة لمخدومه فخر الدولة .

وقد طوّل ابنُ النجّار ترجمته .

وكان فصيحاً متقعِّراً ، يَتَعانى وحْشيَّ الألفاظ في خطابه ، ويمقُتُ التِّية ،

= النجوم الزاهرة : ٤/١٦٩ - ١٧١ ، بغية الوعاة : ١/٤٤٩ - ٤٥١ ، معاهد التنصيص : ٤/١١ ، شذرات الذهب : ٣/١١٣ - ١١٦ ، روضات الجنات : ١٠٤ - ١١٠ ، طبقات أعلام الشيعة : ٦٢ - ٦٣ .

(١) انظر حول تسميته بـ « الصاحب » ابن خلكان : ١/٢٢٩ .

ويتيه ويغضب إذا ناظر . قال مرّة لفقيه : أنت جاهلٌ بالعلم ، ولذلك سوَّد الله وجهَكَ .

وله كتاب «الوزراء»، وكتاب « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » ، وكتاب « الأسماء الحُسنى » .

وهو القائل(١) :

رَقَّ الزُّجاجُ ورقَّتِ الخَمْرُ   وتَشابَها فتَشاكَلَ الأمْرُ

فكأنَّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ   وكأنَّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

قيل : جمع الصّاحب من الكتب ما يحتاج في نقلها إلى أربع مئة جَمل ، ولما عزم على التّحديث تاب ، واتّخذ لنفسه بيتاً سمّاه بيت التّوبة ، واعتكف على الخير أسبوعاً ، وأخذ خطوط جماعةٍ بصحَّة توبته ، ثم جلس للإملاء ، وحضره الخلق ، وكان يتفقّد علماء بغداد في السنة بخمسةِ آلاف دينار، وأدباءها، وكان يُبغض مَن يدخل في الفلسفة .

ومرض بالإسهال ، فكان إذا قام عن الطّست ترك إلى جنبه عشرة دنانير للغلام . ولما عُوفي تصدَّق بخمسين ألف دينار .

وقيل : إنَّ صاحب ما وراء النهر نوح بن منصور كتب إليه يستدعيه ليولّيه وزارته ، فاعتلَّ بأنَّه يحتاج لنقل كتبه خاصة أربع مئة جمل ، فما الظنُّ بما يليق به من التجمُّل .

وكان قد لُقب كافي الكُفاة .

مات بالرّي ، ونُقل إلى أصْبهان ، ولما أبرز تابوته ضجَّ الخلق بالبكاء .

---

(١) البيتان في أكثر مصادر ترجمته ، انظر مثلاً : « يتيمة الدهر » : ٣/٢٥٩ ، و « وفيات الأعيان » : ١/٢٣٠ .

طبقات الشافعية الكبرى

لشيخ الاسلام علم الاعلام حجة الحفاظ والمفسرين
سيف النظار والمتكلمين ناصر السنة مؤيد الملة
تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب
ابن تقي الدين السبكي
رضي الله عنه
ونفعنا به

الطبعة الثانية

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١
ص.ب ٥٧٦٩
بيروت — لبنان

ابن عبد العزيز في رد المظالم والمتوكل في احياء السنة وسكت الناس عن ذنوب المتوكل وقد كانت العامة تنقم عليه شيئين أحدهما انه ندب لدمشق أفريدون التركي أحد مماليكه وسيره واليا عليها وكان ظالما فاتكا فقدم في سبعة آلاف فارس وأبيح له المتوكل القتل في دمشق والنهب على مانقل اليه ثلاث ساعات فنزل ببيت لهيا وأراد أن يصبح البلد فلما أصبح نظر الى البلد وقال يايوم تصبحك مني فقدمت له بغلة فضربته بالزوج فقتلته وقبره ببيت لهيا ورد الجيش الذي معه خائبين وبلغ المتوكل فصلحت نيته لاهل دمشق والثاني انه أمر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه وهدم ماحوله من الدور وأن يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وحرث وبقي صحراء فتألم المسلمون لذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه دعبل وغيره من الشعراء وقال قائلهم

بالله ان كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله   هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لايكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما *

(قلت) لقد كانت هاتان الواقعتان العظيمتان في سنة ست وثلاثين ومائتين ورفع المحنة قبلها بسنتين فهي ذنوب لاحقة لرفع الفتنة لاسابقة عليها وكان من الاسباب في رفع الفتنة ان الواثق أتي بشيخ مقيد فقال له ابن أبي دؤاد ياشيخ ماتقول في القرآن أمخلوق هو فقال له الشيخ لم تنصفني المسألة أنا أسألك قبل الجواب هذا الذي تقوله يا ابن أبي دؤاد من خلق القرآن شيء علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أو جهلوه فقال بل علموه فقال فهل دعوا اليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا قال بل سكتوا قال فهلا وسعك ماوسعهم من السكوت فسكت ابن أبي دؤاد وأعجب الواثق كلامه وأمر باطلاق سبيله وقام الواثق من مجلسه وهو على ماحكي يقول هلا وسعك ماوسعهم يكرر هذه الكلمة وكان ذلك من الاسباب في خمود الفتنة وان كان رفعها بالكلية انما كان على يد المتوكل وهذا الذي أوردناه في هذه الحكاية هو ماثبت من غير زيادة ولا نقصان ومنهم من زاد فيها مالا يثبت فاضبط ماأثبتناه ودع ماعداه فليس عند ابن أبي دؤاد من الجهل مايصل به الى أن يقول جهلوه وانما نسبة هذا اليه تعصب عليه والحق وسط فابن أبي دؤاد مبتدع ضال مبطل لامحالة ولا ينتهي أمره الى ان يدعي ان شيأ ظهر له وخفي على رسول الله صلى

الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كما حكي عنه في هذه الحكاية فهذا مماذا لنا ان يقوله أو يظنه أحد يتزيا بزي المسلمين ولوفاه به ابن أبي دؤاد لفرق الواثق من ساعته بين رأسه وبدنه وشيخنا الذهبي وان كان في ترجمة ابن أبي دؤاد حكى الحكاية على الوجه الذي لايرضاه فقد أوردها في ترجمة الواثق من غير ماوجه على الوجه الثابت ولنقطع عنان الكلام في هذه الفتنة ففيما أوردناه فيها مقنع وبلاغ وقد أعلمناك انها لبثت شطرا من خلافة المأمون واستوعبت خلافة المعتصم والواثق وارتفعت في خلافة المتوكل وقد كان المأمون الذي افتتحت في أيامه وهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ممن عني بالفلسفة وعلوم الاوائل ومهر فيها واجتمع عليه جمع من علمائها فجره ذلك الى القول بخلق القرآن وذكر المؤرخون انه كان بارعا في الفقه والعربية وأيام الناس ولكنه كان ذا حزم وعزم وحلم وعلم ودهاء وهيبة وذكاء وسماحة وفطنة وفصاحة ودين قيل ختم في رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وصعد في يوم منبرا وحدث فاورد بسنده نحوا من ثلاثين حديثا بحضور القاضي يحيى بن أكثم ثم قال له يايحيى كيف رأيت مجلسنا فقال أجل مجلس يفقه الخاصة والعامة فقال مارأيت له حلاوة انما المجلس لاصحاب الخلقان والمحابر وقيل تقدم اليه رجل غريب بيده محبرة وقال ياأمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به السبيل فقال ماتحفظ في باب كذا فلم يذكر شيأ قيل فما زال المأمون يقول حدثنا هشيم وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج حتى ذكر الباب ثم سأله عن باب آخر فلم يذكر فيه شيأ فقال المأمون حدثنا فلان وحدثنا فلان الى ان قال لاصحابه يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول انا من أصحاب الحديث اعطوه ثلاثة دراهم (قلت) وكان المأمون من الكرم بمكان مكين بحيث انه فرق في ساعة ستة وعشرين ألف ألف درهم وحكايات مكارمه تستوعب الاوراق وانما اقتصر في عطاء هذا السائل فيما نراه والله أعلم لما رأى منه من التمعلم وليس هو هناك ولعله فهم عنه التعاظم بالعلم عليه كما هو شأن كثير ممن يدخل الى الامراء ويظنهم جهلة على العادة الغالبة وكان المأمون كثير العفو والصفح ومن كلامه لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الى بالجرائم وأخاف ان لاأوجر فيه يعني لكونه طبعا له قال يحيى بن أكثم كان المأمون يحلم حتى يغيظنا وقيل ان ملاحا مر والمأمون جالس فقال أتظنون ان هذا نبيل في عيني وقد قتل أخاه الامين يشير الى المأمون فسمعه المأمون وظن الحاضرون انه سيقضي عليه فلم يزد المأمون على ان تبسم وقال ماالحيلة حتى انبل في عين هذا السيد الجليل ولسنا نستوعب ترجمة المأمون

نحب الاكابر على غير طريق الحرمة حرم فوائدهم * وبركات نظرهم * ولا يظهر عليه من أنوارهم شئ قال بعضهم حضرت مجلس أبى على فتكلم في المحبة وأحوال المحبين وأنشد في خلال تلك الاحوال

الى كم يكون الصد في كل ساعة　　وكم لاتملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه كفاية　　لتفريق ذات البين فارتقبي الدهرا

﴿ ومن المسائل عنه رحمه الله ﴾

قال أبو عاصم ان لابى على كتابا أجاب فيه عن الجامع الصغير لمحمد بن الحسن قال وفيه ذكر انه اذا قال أنت طالق ان شئت فقالت شئت ان كان كذا أو ان شاء فلان قال أبو حنيفة ان كان لشئ مضى وقع وان كان مستقبل لم يقع وبطل خيارها قال الثقفى فيه احتمالان أحدهما يقع في الحال اذا وجد في المجلس والثانى انه يقع في الحالين اذا وجد في المجلس أو بعده وقال أبو على الزجاجى لا يقع بحال (قلت) الاحتمالان غريبان وما ذكره الزجاجى هو المذهب ووراءه وجه في الرافعى عن الخياطى انه يصح تعليق المشيئة ويقع الطلاق اذا قال المعلق بمشيئته شئت ولكن لم يتعرض القائل لهذا الوجه الى انه هل يكون هذا دائما أو يختص بالمجلس وفقه أبى حنيفة دقيق ونظير المسئلة لو قالت الزوجة طلقنى بألف درهم فقال أنت طالق على الالف ان شئت قال الاصحاب في باب الخلع ليس بجواب لما فيه من التعليق بالمشيئة بل هو ابتداء كلام يتوقف على مشيئة مستأنفة قال القاضى الحسين في اول باب صفة الصلاة من تعليقته بعد ما حكى قول أبى حنيفة انه لو نوى في بيته انه يخرج يصلى في المسجد صح وان عزبت نيته بعده مانصه سألت أبا على الثقفى عن هذا فقال عندنا انه يجوز ذلك اذا لم يخطر بباله شئ آخر الى ان يدخل في الصلاة فلو كان الامر كما ذكره لم يبق بيننا وبينه فيه خلاف (قلت) أبو على الثقفى هذا رجل حنفى رآه القاضى حسين أما أبو على صاحبنا صاحب هذه الترجمة فلم يدركه أشياخ القاضى فضلا عنه نبهت عليه لئلا يقع فيه الغلط

(محمد بن عثمان بن ابراهيم بن زرعة الثقفى) مولاهم أبو زرعة قاضى دمشق كانت داره بنواحى باب البريد وولى قضاء مصر سنة أربع وثمانين ومائتين ولم يل بعده قضاء مصر ولا قضاء الشام الا شافعى المذهب غير ابن خذيم قاضى الشام فانه كان أوزاعى المذهب ثم لم يزل الامر للشافعية مصرا وشاما الى ان ضم الملك الظاهر بيبرس في سنة أربع

وستين وستمائة القضاة الثلاثة الى الشافعية روى عنه الحسن الحصايرى وغيره وكان رجلا رئيسا يقال انه الذى أدخل مذهب الشافعى الى دمشق وانه كان يهب لمن يحفظ مختصر المزنى مائة دينار وكان قد قام مع أحمد بن طولون في خلع أبى أحمد الموفق ووقف عند المنبر يوم الجمعة وقال أيها الناس أشهدكم انى خلعت أبا أحمد كما يخلع الخاتم من الاصبع فالعنوه • فعل ذلك أبو زرعة بامر أحمد بن طولون وكانت قد جرت وقعة بين ابن الموفق وبين خمارويه بن أحمد بن طولون تسمى وقعة الطواحين انتصر فيها أحمد ابن الموفق ورجع الى دمشق وكانت هذه الوقعة بنواحى الرملة فقال ابن الموفق لكاتبه أحمد بن محمد الواسطى انظر من كان يبغضنا فاخذ يزيد بن عبد الصمد وأبو زرعة الدمشقى والقاضى أبو زرعة مقيدين فاستحضرهم يوما في طريقه الى بغداد فقال ايكم القائل قد نزعت أبا أحمد فربت ألسنتهم ويئسوا من الحياة قال أبو زرعة الدمشقى اما أنا فابلست وأما يزيد فخرس وكان تمتاما وكان أبو زرعة محمد بن عثمان أحدثنا سنا فقال أصلح الله الامير فقال الواسطى قف حتى يتكلم أكبر منك فقلنا أصلحك الله هو يتكلم عنا فقال تكلم فقال والله مافينا هاشمى صريح ولا قرشى صحيح ولا عربى نصيح ولكنا قوم ملكنا يعنى قهرنا ثم روى أحاديث في السمع والطاعة وأحاديث في العفو والاحسان وكان هو المتكلم بالكلمة التى يطالب بها وقال انى أشهدك أيها الامير ان نسائى طوالق وعبيدى أحرار ومالى حرام ان كان في هؤلاء القوم أحد قال هذه الكلمة ووراءنا حرم وعيال وقد تسامع الناس بهلاكنا وقد قدرت وانما العفو بعد القدرة فقال للواسطى أطلقهم لا كثر الله أمثالهم (قلت) وهذا من حسن تصرفه فانه هو القائل لاهم فصدقت يمينه قال ابن زولاق ولي أبو زرعة مصر سنة أربع وثمانين ومائتين وكان يذهب الى قول الشافعى ويوالى عليه وكان عفيفا شديد التوقف في انفاذ الاحكام وله مال كثير وضياع كبار بالشام قال وكان يرقى من وجع الضرس ويدفع الى صاحب الوجع حشيشة توضع عليه فيسكن وكان يزن عن الغرماء الضعفى وربما أراد القوم النزهة فيأخذ الواحد بيد الآخر ويحضره اليه يطالبه فيقر له ويبكى فيرحمه القاضى ويزن عنه قال ابن الحداد الفقيه رحمه الله سمعت منصور بن اسماعيل يقول كنت عند أبى زرعة القاضى فذكر الخلفاء فقلت له أيها القاضى يجوز أن يكون السفيه وكيلا قال لا قلت موليا لامرأة قال لا قلت فامينا قال لا قلت فشاهدا قال لا قلت فيكون خليفة قال يا أبا الحسن هذه من مسائل الخوارج توفي أبو زرعة القاضى بدمشق سنة اثنين وثلثمائة

ومن مناقب السلطان محمود

أن العراقيين لم يخرج ركبهم الى الحج في سنة عشر وأربعمائة وسنة احدى عشرة فلما كانت سنة اثنتى عشرة قصد طائفة يمين الدولة محمودا وقالوا أنت سلطان الاسلام وأعظم ملوك الارض وفي كل سنة تفتح من بلاد الشرك ناحية والثواب في فتح طريق الحج عظيم فاهتم بهذا الامر وتقدم الى قاضيه بالتأهب للحج ونادى في أعمال خراسان بذلك وأطلق للعرب في البادية من خاص ماله ثلاثين الف دينار وذكر أبو النصر القاضي في تاريخ هراة وليس هو أبو النصر العتبي ذلك أديب متقدم صنف الكتاب اليميني الذى ذكرناه أول الترجمة وهذا محدث متأخر من أقران ابن السمعاني له تاريخ هراة وسنذكره في الطبقة الخامسة أنه لما قدم التاهرتى الداعى من مصر على السلطان سرا ليدعوه الى مذهب الباطنية وكان يركب البغل الذى أتى به معه وكان البغل يتلون كل ساعة من كل لون ووقف السلطان محمود على سر ما دعى اليه وعلم بطلان ماندب اليه أمر بقتله وأهدى بغله الى القاضي أبي منصور محمد بن محمد الازدى شيخ هراة وقال كان يركبه رأس الملحدين فليركبه رأس الموحدين * وحكى عن بعضهم ان رجلا اشتكى الى السلطان محمود ان ابن أخت السلطان يهجم على أهلي في كل وقت ويخرجنى من دارى ويختلى بامرأتى وقد حرت في أمرى وشكوت الى أولياء الامور من دولتك فلم يتجاسر أحد منهم الى اقامة الحد عليه يهابون السلطان فقال له السلطان ويحك متى جاءك بادر باعلامى ولا تسمعن من يمنعك الوصول الي ولو كان في الليل وتقدم الى الحجبة بان أحدا لا يمنعه فذهب الرجل فما كان غير ليلتين أو ثلاث حتى هجم عليه ذلك الشاب فاخرجه واختلى باهله فذهب باكيا الى دار الملك فقيل له ان الملك نائم فقال قد تقدم اليكم بما علمتم فنبهوه فاستيقظ وخرج معه بنفسه وحده وجاء الى منزله فنظر الى الغلام وهو نائم مع المرأة في فراش الرجل وعندهما شمعة تقد فتقدم السلطان فاطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام ثم قال للرجل ويحك أدركنى بشربة من ماء فسقاه ثم انطلق ليذهب فقال له الرجل سألتك بالله لم أطفأت الشمعة فقال ويحك انه ابن أختى كرهت أن أشاهده حالة الذبح فقال ولم طلبت الماء سريعا فقال انى آليت منذ أخبرتنى أن لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أقوم بحقك وكنت عطشانا هذه الايام حتى كان ما رأيت (قلت) وفي هذه الواقعة من هذا السلطان ما يدل على حسن نيته وتحريه العدل غير انها ممزوج عدلها

بالجهل بالشريعة فلم يكن له لو ثبت عنده انه زنى بعد الاحصان أن يتعدى الرجم الى حز الرقبة ثم ليس في الحكاية ما يقتضي ثبوت الزنا عنده فانه لم يشاهده يزنى ولو فرضت مشاهدته اياه زانيا أو انه علم زناه وتحققه بالقرائن فهى مسألة القضاء في الحدود بالعلم ومن هذا وأشباهه يعلم سر الشريعة في اشتراط كون السلطان مجتهدا لان غير العالم اذا تحرى العدل لا يتأتى له الا بصعوبة شديدة بخلاف العالم فانه يعرف ما يأتى وما يذر

شرح حال فتوحات يمين الدولة وغزواته باختصار

كان مبدأ ملكه سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان محببا الى الناس بعدله ودينه وشجاعته ومعرفته فلما مات أبوه وكان من أمر اخوته ماحكيناه في صدر الترجمة قصد محمود في سنة سبع وثمانين بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدى السامانية ودافعهم مرات متعددة حتى أزال اسمهم ورسمهم وانقرضت دولتهم بالكلية على يديه ثم انتهض لقتال الكفار فنهض ليملك ملك الترك بما وراء النهر وذلك بعد موت القان الكبير الذى يقال له بانوا فحدث له معهم حروب وخطوب يطول شرحها وفي سنة ثنتين وتسعين وثلثمائة غزا بلاد الهند وقصد ملكها حيان في جيش عظيم فاقتتلوا قتالا شديدا وفتح الله على يديه وكسر الهنود وأسر ملكهم وأخذ من عنقه قلادة قيمتها ثمانون الف دينار وغنم المسلمون منهم أموالا عظيمة وفتحوا بلادا كثيرة ثم أطلق محمود ملك الهند احتقارا له واستهانة بامره مع شدة بأسه وعظم اسمه فوصل ذليلا مكسورا الى بلاده وقيل انه لما وصل القى نفسه في النار التى يعبدونها من دون الله فهلك * ثم غزا الهند أيضا في سنة ست وتسعين وثلثمائة فافتتح مدنا كثيرة كبارا وغنم مالا يحصى من الاموال وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراسى حين هرب منه لما افتتحها وكسر أصنامها فالبسه منطقة شدها على وسطه بعد تمنع شديد وقطع خنصره ثم أطلقه اهانة له واظهار العظمة الاسلام وأهله * ثم غزا عبدة الاصنام ثالثا في سنة ثمان وتسعين وفتح حصونا كثيرة وأخذ أموالا جمة وجواهر نفيسة وكان في جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا مملوء فضة ولما رجع الى غزنة بسط الحواصل في صحن داره وأذن لرسل الملوك فدخلوا عليه فرأوا ما هالهم وفي سنة اثنين وأربعمائة أو سنة احدى غزا الكفار أيضا وقطع مفازة عظيمة أصابه فيها عطش مفرط كاد يهلك عسكره ثم من الله بمطر عظيم رواهم ووصلوا الى الكفار وهم خلائق لا يعدون ومعهم ستمائة فيل فنصر عليهم وغنم شيئا عظيما وعاد ثم غزا

مقاتلة فرسانا والباقون كانوا رجالة لا يضمهم ديوان وأقبلوا كقطع الليل المظلم فخرج اليهم من عسكر صلاح الدين الامير أبو الهيجاء واتصل الحرب بين الفريقين ودأب الحرب بينهم يومين ثم كانت الدائرة على السودان واخرجوا الى الجيزة وكانت لهم محلة تسمى المنصورة فخربت وحرقت ثم بلغ نور الدين نبأ هذه الاخبار الطيبة فانشرح صدره وأمد صلاح الدين باخيه شمس الدولة تورانشاه (ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة) وفيها نزل الفرنج على دمياط في صفر وحصروها احدا وخمسين يوما ثم رحلوا خائبين لان نور الدين وصلاح الدين أجلبا عليهم برا وبحرا وأنفق صلاح الدين أموالا كثيرة وقال مارأيت أكرم من العاضد أرسل لى مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها وفيها دخل نجم الدين أيوب أبو صلاح الدين مصر فخرج العاضد بنفسه الى لقائه وتأدب ابنه صلاح الدين معه وعرض عليه منصبه (ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة) وفيها عمل صلاح الدين بمصر مدرستين للشافعية والمالكية وخرج بجيوشه فاغار على الرملة وعسقلان وهجم على ربض غزة ورجع الى مصر وجهز بعض جنده الى قلعة ايلة فغزوها في المراكب وافتتحوها واستباحوا الفرنج فيها قتلا وسبيا وكان فتح هذه القلعة واستعادتها من الفرنج أعظم النعم على المسلمين فانها كانت قلعة منيعة وكانت الفرنج قد اتخذوها هى والكرك سبيلا الى الاحاطة بالحرمين الشريفين فقدر الله فتحهما على يد هذا السلطان رحمه الله *ومن كتاب فاضلى من السلطان الى الخليفة يعدد فيه ماللسلطان من الفتوحات ومن جهاد الفرنج ومنها قلعة بثغر أيلة بناها العدو في البحر ومنها المسلك الى الحرمين الشريفين بحيث كادت القبلة يستولى على أصلها والمشاعر يسكنها غير أهلها ومضجع الرسول صلى الله عليه وسلم يتطرق اليه الكفار في كلمات قالها (ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة) فاستفتح السلطان الخطبة في الجمعة الاولى منها بجامع مصر لبنى العباس وأقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية بالقاهرة وأعقب ذلك موت العاضد في يوم عاشوراء في القصر وجلس السلطان للعزاء وأغرب في الحزن والبكاء وانقرضت دولة الفاطميين وكان لها أكثر من مائتى سنة وتسلم السلطان القصر بما فيه من خزائنه وذخائره واحتاط على آل القصر فجعلهم في مكان برسمهم وقررت لهم المؤنة وجمعت رجالهم واحترز عليهم ومنعوا من النساء لئلا يتناسلوا وذكر المؤرخون من نفائس القصور وذخائره مالا نطيل بذكره وانتقل الملك العادل سيف الدين أبو بكر الى القصر

برسوم أخيه فاستقر في نيابة السلطان وكتبت الكتب الى بغداد بالبشارة وأعاد الجواب والخلعة الفائقة العباسية الى السلطان صلاح الدين وفيها قال ابن الاثير حدث ما أوجب نفرة نور الدين عن صلاح الدين وذلك ان نور الدين أرسل اليه يأمره بجمع الجيش والمسير لمنازلة الكرك ليجيء هو بجيشه ويحاصرانها فكتب الى نور الدين يعرفه انه قادم فرحل على قصد الكرك وأتاها وانتظر وصوله فاتاه كتابه يعتذر باختلال البلاد فلم يقبل عذره وكان خواص صلاح الدين خوفوه من الاجتماع به وهم نور الدين بالدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ ذلك صلاح الدين فجمع أهله وأباه وخاله الامير شهاب الدين الحارمى وسائر الامراء وأطلعهم على نية نور الدين واستشارهم فسكتوا فقال ابن أخيه تقى الدين عمر اذا جاء قاتلناه ووافقه غيره من أهله فشتمهم نجم الدين أيوب واحتد وكان ذا راى ومكر وقال لتقى الدين اسكت وزجره وقال لصلاح الدين أنا أبوك وهذا خالك أتظن ان في هؤلاء من يريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رأيت أنا وهذا نور الدين لم يمكننا الا أن نترجل ونقبل الارض ولو أمرنا بضرب عنقك لفعلنا فما ظنك بغيرنا فكل من تراه من الامراء لو رأى نور الدين لما وسعه الا الترجل له وهذه البلاد له وان أراد عزلك فاى حاجة له الى المجيء بل يطالبك بكتاب وتفرقوا وكتب أكثر الامراء لنور الدين بما تم ولما خلا بولده قال أنت جاهل تجمع هذا الجمع وتطلعهم على سرك ولو قصدك نور الدين لم تر معك أحدا منهم ثم كتب الى نور الدين باشارة والده نجم الدين يخضع له ففتر عنه (ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة) فارسل السلطان فيها قراقوش مملوك ولد أخيه تقى الدين عمر الى جبال نفوسة ومعه طائفة من الاتراك فلما وصل الى الجبال اصطحب منها معه بعض المتقدمين ونزل على طرابلس الغرب فحاصرها ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش وسكنها وكثرت عساكره فيها وجهز السلطان شمس الدولة الى برقة فافتتحها على يد غلام له تركى ثم بلغ السلطان أمر ابن مهدى الخارج باليمن وما هو عليه من اختلال العقيدة فجهز أخاه شمس الدولة فافتتح اليمن وتملكها ثم سار السلطان بنفسه من مصر يريد اقتلاع مدينة الكرك من الفرنج وبدأ بها لقربها اليه وكان من أوهن في الاسلام والعظمة في الدين استيلاء الملاعين على الكرك وعلى قلعة أيلة فانهم يمنعون الحاج واشد من ذلك مايخشى على الحرمين الشريفين منهم اذ لم يكن بينهم وبينهما حاجز غير لطف الله وقصدوهما مرات ثم يندفعون بمشيئة

ونظر أوقافها سنة نيف وتسعين وكان القاضي بهاء الدين لا ولد له ولا قرابة وزاد اقبال الملك الظاهر عليه وأقطعه الاقطاعات الهائلة وكان ينعم عليه مع ذلك بالاموال الجزيلة فتكاثرت أمواله فعمر بجانب مدرسة ثم دار حديث ثم أنشأ بينهما تربة وصار يكثر الافضال على طالب العلم والطلبة تقصده من البلاد لثلاث اجتمعن فيه العلم والمال والجاه وهو لا يبخل بشئ منها وطعن في السن واستولت عليه البرودات والضعف فكان يتمثل بقول الشاعر

من يتمنى العمر فليدرع ... صبرا على فقد لأحبابه

ومن يعمر يلق في نفسه ... مايتمناه لاعدائه

وقدم مصر رسولا غير مرة وقد أطال ابن خلكان في ترجمته وقال انه توفي بحلب يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ودفن بتربته * قيد ابن شداد * في كتاب دلائل الاحكام قول الاصحاب ان السلطان أولى بالامامة من صاحب المنزل وامام المسجد بالجمعات والاعياد لتعلق هذه الامور بالسلاطين قال وأما بقية الصلوات فأعلمهم أولى بالامامة الا أن تجمع الخصال المذكورة في الامام فيكون حينئذ أولى ولعله أخذه من كلام الخطابي

(يوسف بن عبدالله بن ابراهيم) أبو الحجاج الدمشقي وجيه الدين الوجيزي أحد الأئمة من مشايخ القاهرة نسبة الى كتاب الوجيز لحفظه اياه

(يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين أبى الحسن محمد بن عمر بن على بن محمد ابن حموية) الامير الكبير الوزير مقدم جيوش الاسلام الصالحية فخر الدين أبو الفضل الجوينى أحد من دان له العباد والبلاد ولد بدمشق سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وسمع بصور من أبى الحسن الطبرى ومحمد بن يوسف الغزنوى وغيرهما وحدث وكان رئيسا عاقلا مدبرا سمح اليدين بالاموال محببا الى الناس حبسه السلطان نجم الدين ثلاث سنين وقاسى ضرا وشدائد وكان لاينام من العمل ثم أخرجه وأنعم عليه وجعله نائب السلطنة فلما توفي السلطان سئل فخر الدين على أن يتسلطن فلم يفعل ولو أجاب لتم له الامر وقيل انه قدم دمشق مع السلطان فنزل دار اسامة فدخل عليه العماد النحاس فقال له يافخر الدين الى كم مابقى بعد اليوم شئ فقال ياعماد الدين والله لأسبقنك الى الجنة فصدق الله قوله واستشهد على يد الافرنج يوم وقعة المنصورة وقيل ان فخر الدين أنفق مرة في العسكر مائتى ألف دينار وكان

يركب بالشاويشة وكان في الحقيقة هو السلطان يقف على بابه ويركب في خدمته سبعون أميرا غير مماليكه وخدمه وأبطل كثيرا من المكوس وجرت على يده خيرات حسان ثم اتفق مجيء الافرنج واندفاع المسلمين بين أيديهم منهزمين فركب فخر الدين وقت السحر ليكشف الخبر وأرسل النقباء الى الجيش وساق في طلبه فصادف العدو فحملوا عليه فانهزم أصحابه وطعن هو وقتل ونهبت غلمانه ماله وضرب بالسيف في وجهه ضربتين وكان قد بنى داراً فاخرة بالمنصورة فخربت من يومها وكان قتله يوم رابع ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة ومن شعره

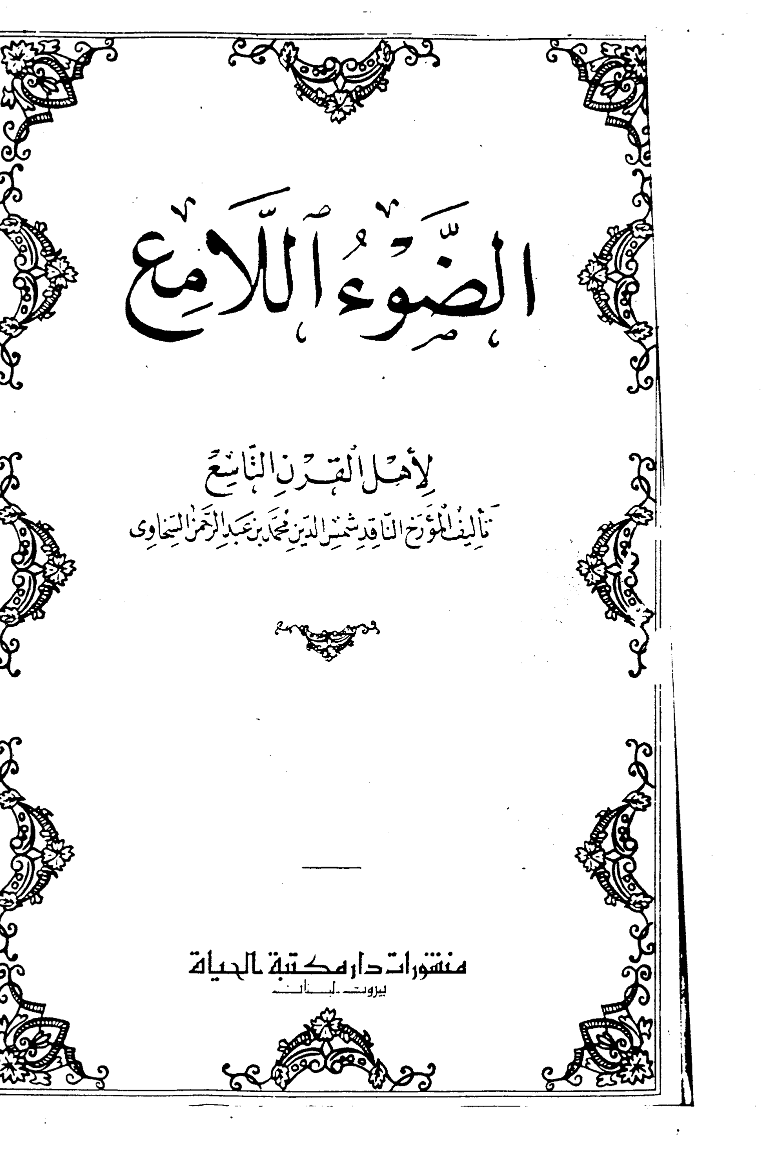
اذا تحققتم ماعند صاحبكم ... من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم ... وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

(يوسف بن يحيى بن محمد بن على بن محمد بن يحيى) قاضى القضاة بهاء الدين الزكى أبو الفضل ولد في ذى الحجة سنة أربعين وستمائة وكان فقيها فاضلا مفتيا متوقد الذهن سريع الحفظ مناظرا محاججاً أخذ العلوم عن القاضى كمال الدين التفليسى وعن والده قيل وكان أفضل من أبيه وسمع الحديث بمصر من ابن رواح وابن الجميزى وبدمشق من ابراهيم بن خليل وجماعة سمع منه الحافظ علم الدين البرزالى وغيره وولى قضاء دمشق بعد ابن الصائغ سنة اثنتين وثمانين واستمر حاكماً الى أن مات في حادى عشر ذى الحجة سنة خمس وثمانين وستمائة عن خمس وأربعين سنة

(يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد) الجمال المصرى هو قاضى القضاة بالشام جمال الدين الشيبى الحجازى المايحى المعروف بالجمال المصرى سمع من السلفى وغيره واختصر الام للشافعى وصنف في الفرائض توفي في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وستمائة

(المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) العلامة مجد الدين أبو السعادات الجزرى ابن الاثير صاحب جامع الاصول وغريب الحديث وشرح مسند الشافعى وغير ذلك ولد بجزيرة ابن عمر سنة أربع وأربعين وخمسمائة ونشأ بها ثم انتقل الى الموصل فسمع من يحيى بن سعدون القرطبي وخطيب الموصل الطوسى وسمع ببغداد من ابن كليب روى عنه ولده والشهاب القوصى وجماعة وآخر من روى عنه بالاجازة فخر الدين ابن البخارى واتصل بخدمة الامير الكبير مجاهد



الضوء اللامع

لأهل القرن التاسع

تأليف المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

ومعجم أبيه، وكذا قال شيخنا وقد ذكره في القسم الثاني من معجمه أجاز لاولادي.

(ابراهيم) بن اسماعيل بن ابراهيم البدر المقدسي النابلسي الحنبلي كان ينوب في الحكم ويستحضر نقلها جيدا ويتقن الفرائض وسيرته مشكورة . مات في رمضان سنة ثلاث وقد ناهز الستين. ارخه شيخنا في انبائه .

(ابراهيم) بن اسماعيل بن احمد السروسي سمع على شيخنا الكثير من سنن الدار قطني .

(ابراهيم) بن اسماعيل بن موسى السهروردي الكتبي نزيل القاهرة ووالد محمود الآتي ولد مزاحم القرن وقدم القاهرة فتكسب بالكتب وغيرها وكان طوالا سكينته يجلس كثيراً بالقرب من الحسينية .

(ابراهيم) بن اسماعيل برهان الدين الجحافي (١) اليماني التعزي. صوابه اسماعيل بن ابراهيم وسيأتي .

(ابراهيم) بن اسماعيل الجبرتي مات سنة احدى وثلاثين .

(ابراهيم) بن بابي – بفتح الموحدتين – صارم الدين العواد المغني كان مقربا عند المؤيد شيخ أبي النفس اليه المنتهى في جودة الضرب بالعود مات في ليلة الجمعة مستهل ربيع الاول سنة احدى وعشرين ببستان الحلي يعني المطل على النيل وكان قد استأجره وعمره ولم يخلف بعده مثله قاله شيخنا في إنبائه . وقال غيره أحد ندماء المؤيد ومغنيه كان اعجوبة زمانه في ضرب العود والغناء ولم يكن جيد الصوت بل كان رأسا في العود وفي فن الموسيقى انتهت اليه الرياسة في ذلك، وهو رومي الاصل وفي حديثه باللغة العربية عجمة وخلف مالا جزيلا.

(ابراهيم) بن الظاهر برقوق بن أنس الجركسي القاهري اخو الناصر فرج والمنصور عبد العزيز وهذا اصغر الثلاثة سكن مع أخيه المنصور بالقلعة فلما ملكوا أخاه بعد اختفاء اخيهما الناصر وعاد الى المملكة استمرا مقيمين الى ان أرسل بهما الى اسكندرية ورتب لهما في كل يوم للنفقة خمسة آلاف ولم يلبث أن مات كل منهما في ليلة سابع ربيع الثاني سنة تسع يقال مسمومين ودفنا ثم نقلا لتربة أبيهما بالصحراء كما سيأتي في أخيه.

---

(١) بضم أوله ثم مهملة مفتوحة بعدها فاء. وفي الاصل «الجحافي» وهو غلط.

(ابراهيم) بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني ابن صاحب الحجاز واخو الجمالي محمد صاحبه وهو أكبر من أخيه الآتي رام بأخرة المخالفة على أخيه وانضم اليه جماعة توجه بهم الى جازان فلم يوافق من صاحبها واصلح بينهما فيما بلغني وهو الآن سنة سبع وتسعين حي منضم لاخيه ورأيته معه في الزيارة من السنة التي تليها.

(ابراهيم) بن بركة سعد الدين القبطي المصري الوزير ويعرف بالبشيري ولد في ليلة سابع ذي القعده سنة ست وستين وسبعمائة وخدم لما ترعرع في بيت ناظر الجيش التقي بن المحب ثم تنقل في الخدمة عند الامراء وغيرهم الى أن ولي نظر الدولة وباشر عند جمال الدين التتري واعتمد عليه في أمر الوزارة ثم استقل بالوزارة بعده الى ان قبض عليه في الدولة المؤيدية في سنة ست عشرة فلزم منزله حتى مات في ليلة الاربعاء رابع عشر صفر سنة ثماني عشرة ولم يتفق له عند القبض ان يضرب ولا تمكنت أعداؤه وكان عارفا بالمباشرة سلك طريق الوزراء السالفين في الحشم والترتيب مع كونه جيد الاسلام بحيث جدد الجامع بالقرب من منزل سكنه ببركة الرطلي .

(ابراهيم) بن برية برهان الدين مستوفي البيمارستان المنصوري وأحد مسالمة النصارى من كتاب الاقباط ارتد عن الاسلام وعرض عليه مرارا الرجوع فأبى بل أصر على ردته ولم يبد سببا لذلك فضربت عنقه بباب القلة من القلعة في سنة احدى بحضرة الطواشي شاهين الحسني احد خاصكية السلطان .

(ابراهيم) بن بيغوث صارم الدين ولي بعد أبيه وكان نائب صفر حجوبية الحجاب بدمشق وداره من أجل بيوتها ومات مقتولا في تجريدة سوار سنة ثلاث وسبعين وكان عارفا بأمور دنياه عاريا عن فضيلة وسيأتي له ذكر في أبيه ولولد اسمه أبو بكر سمع علي بمكة في سنة أربع وتسعين وسيأتي ان شاء الله .

(ابراهيم) بن أبي البركات بن موسى برهان الدين بن سعد الدين بن أبي الهول احد كتاب المماليك واخو خليل الآتي ممن يتردد الي وهو فيما سمعت كثير التلاوة وسافر في عدة تجاريد فاضل جدا .

(ابراهيم) بن ابي بكر بن ابراهيم بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن حسن

الرَّوْضَتَيْن

في أخبار الدَّولتَين

تأليف الشيخ الامام العَالم الفاضِل الصدر الكامل
الأوحَد فريد عَصره وحيد دَهره مجموع الفضائل

شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل
ابن ابراهيم المقدسي الشافعي

رواية الشيخ الامام مجد الدين ابي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي عفا الله عنه

دار الجيل
بيروت

الذى ينبغى ان يكتب على العيون بماء الذهب وبنى بدمشق أيضا دار الحديث ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين
بعلم الحديث وقوفا كثيرة وهو أول من بنى دار الحديث فيما علمناه وبنى أيضا فى كثير من بلاده مكاتب للأيتام وأجرى
عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة وبنى أيضا مساجد كثيرة ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن قال وهذا فعل لم
يسبق اليه بلغنى من عارف بأعمال الشام ان وقوف نور الدين فى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وستمائة كل شهر تسعة
آلاف دينار صورية ليس فيها غير ملك صحيح شرعى ظاهرا وباطنا فانه وقف ما انتقل اليه ووزن ثمنه أو ما غلب عليه
من بلاد الفرنج وصار سهمه قال وأما هيبته ووقاره فاليه النهاية فيهما ولقد كان كما قيل شديدا فى غير عنف رقيقا فى غير
ضعف واجتمع له ما لم يجتمع لغيره فانه ضبط ناموس الملك مع أجناده وأصحابه الى غاية لا مزيد عليها وكان يلزمهم
بوظائف الخدمة الصغير منهم والكبير ولم يجلس عنده أمير من غير أن يأمره بالجلوس الا نجم الدين أيوب والد صلاح
الدين يوسف وأما من عداه كأسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الداية وغيرهما فانهم كانوا اذا حضروا عنده يقفون
قياما الى ان يأمرهم بالقعود وكان مع هذه العظمة وهذا الناموس القائم اذا دخل عليه الفقيه أو الصوفى أو الفقير
يقوم له ويمشى بين يديه ويجلسه الى جانبه كأنه أقرب الناس اليه وكان اذا أعطى أحدهم شيئا يقول ان هؤلاء لهم فى
بيت المال حق فاذا أقنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا وكان مجلسه كما روى فى صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم مجلس حكم وحياء لا تؤبن فيه الحرم وهكذا كان مجلسه لا يذكر فيه الا العلم والدين وأحوال الصالحين
والمشاورة فى أمر الجهاد وقصد بلاد العدو ولا يتعدى هذا بلغنى ان الحافظ ابن عساكر الدمشقى رضى الله عنه حضر
مجلس صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق فرأى فيه من اللغط وسوء الادب من الجلوس فيه ما لا حد عليه فشرع
يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المتحدثين وقلة استماعهم
فقام وبقى مدة لا يحضر المجلس الصلاحى وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين يوسف على
انقطاعه فقال نزهت نفسى عن مجلسك فانى رأيته كبعض مجالس السوقة لا يستمع فيه الى قائل ولا يرد جواب متكلم
وقد كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل كأنما على رؤسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فاذا تكلم أنصتنا
واذا تكلمنا استمع لنا فتقدم صلاح الدين الى أصحابه انه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضر الحافظ قال ابن
الاثير وهكذا كانت أحواله جميعها رحمه الله منضبوطة محفوظة وأما حفظ أصول الديانات فانه كان مراعيا لها
لا يهملها ولا يمكن أحدا من الناس من اظهار ما يخالف الحق ومتى أقدم متقدم على ذلك أدبه بما يناسب بدعته
وكان يبالغ فى ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق والاذى الحاصل منهما قريب أفلا نحفظ الدين
ونمنع عنه ما يناقضه وهو الاصل قال وحكى ان انسانا بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر الزهد والنسك وقد
كثر أتباعه أظهر شيئا من التشبيه فبلغ خبره نور الدين فأحضره وأركبه حمارا وأمر بصفعه فطيف به فى البلد جميعه
وينادى عليه هذا جزاء من أظهر فى الدين البدع ثم نفاه من دمشق فقصد حران وأقام بها الى ان مات قال ويسرق الله
القصار الاعمى فى البلاد الوخمة قلت وذكر العماد الكاتب فى أول كتابه البرق الشامى انه قدم دمشق فى شعبان سنة
اثنتين وستين وخمسمائة فى دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وأخذ فى وصفه بكلامه المسجوع فقال
كان ملك بلاد الشام ومالكها والذى بيده ممالكها الملك العادل نور الدين أعف الملوك وأتقاهم وأثقبهم رأيا وأنقاهم
وأعدلهم وأعبدهم وأزهدهم وأجهدهم وأظهرهم وأطهرهم وأقواهم وأقدرهم وأصلحهم عملا وأنجحهم
أملا وأرجحهم رأيا وأوضحهم رأيا وأصدقهم قولا وأقصدهم طولا وكان عصره فاضلا ونصره واصلا وحكمه
عادلا وفضله شاملا وزمانه طيبا واحسانه صيبا والقلوب بهيبته ومحبته ممتليه والنفوس بعاطفته وعارفته
متمليه وأوامره ممتثله وجده منزه عن الهزل ونوابه فى أمن من العزل ودولته مأمولة مأمونه وروضته مصروبة
مصونه والرياسة كامله والسياسة شامله والزيادة زائده والسعادة مساعده والعيشة ناضره والشيعة ناصره
والانصاف صاف والاسعاف عاف وأزر الدين قوى وظمأ الاسلام روى وزند النجح ورى والشرع مشروع
والحكم مسموع والعدل مولى والظلم معزول والتوحيد منصور والشرك مخذول وللتقى شروق وما للفسوق سوق
وهو الذى أعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام وقد غلب الكفر وبلغ الضر فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها

وأشاع بها شعار الشرع فى جميع الحل والعقد والابرام والنقض والبسط والقبض والوضع والرفع
وكانت للفرنج فى أيام غيره على بلاد الاسلام بالشام قطائع فقطعها وعفى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا
حتى أسر ملوكهم وبدد سلوكهم وصان الثغور منهم وحماها عنهم وأحيا معالم الدين الدارس وبنى للأئمة المدارس
وأنشأ الخانقاهات للصوفية وكثرها فى كل بلد وكثر وقوفها وتررمعروفها وأدنى للوافدين من جنى جنانه قطوفها
وأجد الاسوار والخنادق وأنمى المرافق وحمى الحقائق وأمر فى الطرقات ببناء الربط والخانات فضافت
ضيوف الفضائل وفاضت فيوض الافاضل وهو الذى فتح مصر وأعمالها وانشأ دولتها ورجالها ثم ذكر العماد
فى أثناء حوادث سنة تسع وستين وهى السنة التى توفى فيها نور الدين قال
وفى هذه السنة أكثر نور الدين من الاوقاف والصدقات وعمارة المساجد المهجورة وتعفية آثار الآثام واسقاط كل
ما يدخل فى شبهة الحرام فما أبقى سوى الجزية والخراج وما يحصل من قسمة الغلات على قويم المنهاج قال وأمرنى
بكتب مناشير لجميع أهل البلاد فكتب أكثر من ألف منشور وحسبنا ما تصدق به على الفقراء فى تلك الاشهر فزاد
على ثلاثين ألف دينار وكانت عادته فى الصدقة انه يحضر جماعة من أماثل البلد من كل محلة ويسألهم عمن يعرفون
فى جوارهم من أهل الحاجة ثم يصرف اليهم صدقاتهم وكان له برسم نفقة الخاص فى كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ
ألفى قرطيس يصرفها فى كسوته ونفقته وحوائجه المهمة حتى أجرة خياطه وجامكية طباخه ويستفضل منه ما يتصدق
به فى آخر الشهر وأما ما كان يهدى اليه من هدايا الملوك وغيرهم فانه كان لا يتصرف فى شئ منه لا قليل ولا كثير بل
اذا اجتمع يخرجه الى مجلس القاضى ويحصل ثمنه ويصرف فى عمارة المساجد المهجورة وتقدم باحصاء ما فى محال
دمشق فأناف على مائة مسجد فأمر بعمارة ذلك كله وعين له وقوفا قال ولو اشتغلت بذكر وقوفه وصدقاته فى كل بلد
لطال الكتاب ولم أبلغ الى أمده وشاهد دأبنيته الدالة على خلوص نيته يغنى عن خبرها بالعيان ويكفى أسوار البلدان
عن الربط والمدارس على اختلاف المذاهب واختلاف المراهب وفى شرح طوله طول وعمله لله مبرور مقبول وواظب
على عقد مجالس الوعاظ ونصب الكراسى لهم فى القلعة للانذار والاتعاظ وأكبرهم الفقيه قطب الدين النيسابورى
وهو مشغوف ببركة أنفاسه واغتنام كلامه واقتباسه ووفد من بغداد ابن الشيخ أبى النجيب الاكبر فبسط له فى كل
أسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه سعناده ولفظه وكذلك وفد اليه من اصبهان الفقيه شرف الدين عبد المؤمن بن شوروة
وما أيمن تلك الايام وأبرك تلك الشتوة قال ولما أسقط نور الدين الجهات المحظوره والشبه المحذورة عزل الشحن
وصرف عن الرعية بصرفهم المحن وقال للقاضى كمال الدين ابن الشهرزورى انظر أنت ذلك واحمل أمور الناس فيها
على الشريعة قال ولم يكن لمال المواريث الحشرية حاصل ولا لديوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل فيه لكمال
الدين الحاكم فوفر دنوابه وكثر وه وما كان نور الدين يحاسب القاضى على شئ من الوقوف ويقول أنا قد قلدته على
ان يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط واقفها يأمره بصرفه فى بناء الاسوار وحفظ الثغور
وكانت دولته نافذة الاوامر منتظمة الامور قلت وحكى الشيخ أبو البركات الحسن بن [illegible] بن هبة الله انه حضر مع عمه
الحافظ أبى القاسم رحمه الله مجلس نور الدين لسماع شئ من الحديث فمر فى أثناء الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم
خرج متقلدا سيفا فاستفاد نور الدين أمرا لم يكن يعرفه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلد السيف يشير
الى التعجب من عادة الجند اذ هم على خلاف ذلك لانهم يربطونه بأوساطهم قال فلما كان من الغد مررنا تحت القلعة
والناس يجتمعون ينتظرون ركوب السلطان فوقفنا ننظر اليه معهم فخرج نور الدين رحمه الله من القلعة وهو متقلد
للسيف وجميع عسكره كذلك فرحمة الله على هذا الملك الذى لم يتوقف فى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم بمثل هذه
الحالة لما بلغته رجع بنفسه ورد جنده عن عوائدهم اتباعا لما بلغه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فما الظن بغير ذلك من
السنن ولقد بلغنى انه أمر باسقاط القابه فى الدعاء له على المنابر ورأى له وزيره موفق الدين خالد بن القيسرانى
الشاعر فى منامه انه يغسل ثيابه وقص ذلك عليه ففكر ساعة ثم أمر بكتابة اسقاط المكوس وقال هذا تفسير منامك
وكان فى تهجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد ان أبطل ذلك استحل من الناس فى حل وقال والله ما أخرجناها
الا فى جهاد عدو الاسلام يعتذر بذلك اليهم عن أخذها منهم وعلى الجملة كان نور الدين رحمه الله فردا فى زمانه من بين

وشاورهم في أمر شاور وقال لهم قد علمتم رغبتي في هذه البلاد ومحبتي لها وحرصي عليها لاسيما وقد تحققت ان عند الفرنج منها ما عندي وعلمت انهم كشفوا عورتها وعلموا مسالك رقعتها وتيقنت ان متى خرجت منها عادوا اليها واحتووا عليها وهي معظم دار الاسلام وحلوبة بيت مالهم وقد قوي عندي ان أثب عليها قبل وثوبهم وأملكها قبل تملكهم وأتخلص من شاور الذي يلعب بنا وبهم ويغرنا ويغرهم ويضرب بيننا وبينهم وقد ضيع أموال هذه البلاد في غير وجهها وقوى بها الفرنج علينا وما كل وقت ندرك الفرنج ونسبقهم الى هذه البلاد التي قد قل رجالها وهلكت أبطالها فتجلت الاراء بين الامراء انه لا يتم لهم أمر الا بعد القبض على شاور وتفرقوا على ايقاع القبض به وكان شاور يركب في الابهة العظيمة والجلالة الجسيمة والعدة الحسنة والالة الجميلة على عادتهم الاولى وكان من جملة قواعدهم ان الوزير اذا ركب حمل في موكبه الطبل والبوق وكان شاور قليل الركوب فجعل الامراء يترصدونه ورأى أسد الدين قبل قبض شاور بليلة كأن شاورا دخل اليه الى داره وناوله سيفه وعمامته فتأوله أسد الدين بالقبض عليه وأخذ منصبه ثم ان شاورا ركب يوما في أبهته وجلالته فلما عاينه الامراء هابوه وأحجموا عنه وكان يوما عظيم الضباب وكان خروج شاور من باب القنطرة للسلام على أسد الدين فتقدم صلاح الدين فسلم عليه ودخل في موكبه ثم سايره ثم مد يده الى تلابيبه وصاح عليه فرجله ولما رأى ذلك عسكر الشام قويت عزائمهم ووقعوا في عسكر شاور فنهبوا ما كان مع رجاله وقتلوا منهم جماعة وحمل الملك الناصر شاورا راجلا الى خيمة لطيفة واراد قتله فلم يمكنه قتله دون مشاورة أسد الدين وفي الحال ورد على أسد الدين توقيع من العاضد على يد خادم يأمر فيه بقتل شاور فأنفذ التوقيع الى صلاح الدين فقتله في الحال وأنفذ رأسه الى القصر وبلغ الكامل بن شاور قتل أبيه فهرب الى القصر وخلع العاضد على أسد الدين وقلده الوزارة وأنفذ اليه طبق فضة فيه رأس الكامل بن شاور ورؤس أولاد اخوته ولما خرج منشور الوزارة الى أسد الدين أمر بقراءته على رؤس الاشهاد وفرح به غاية الفرح وأعيدت قراءته عليه عدة دفعات استحسانا لمعانيه واستظرافا لما أودع من بديع الكلام فيه قال ولما اتصل بنور الدين فتح الديار المصرية فرح بذلك فرحا شديدا وواصل الحمد والثناء على الله تعالى اذ كان في زمنه وعلى يده وأمر بضرب البشائر في جميع ولايته وتزيين جميع بلاده وجلس للهناء بذلك وأنشده الشعراء في فتحها عدة أشعار غير انه لما اتصل به ان اسد الدين وزر للعاضد واستبد بالامر في ذلك الصقع امضه ذلك وأقلقه وظهرت في مخايل قسماته وفلتات كلماته الكراهة وأخذ في الفكرة في أمره وسهره ليالي وافضى بسره الى مجد الدين بن الداية حدثني جماعة عن شمس الدين علي بن الداية أخي مجد الدين وحدثني الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي وقد جرى ذكر فتح مصر وان نور الدين ابتهج به فقال والله ما ابتهج به لقد كان وده أن لا يفتح وأن لا يصير أسد الدين و صلاح الدين الى ما صارا اليه ولقد ظهرت الكراهية منه لذلك في ألفاظه ووجهه ولقد أعمل الحيلة في إفساد أمر أسد الدين وصلاح الدين فما تهيأ له لاسيما يوم بلغه حصول صلاح الدين على خزائن مصر فانه أقام ثلاثة أيام لا يقدر أحد ان يراه اهتماما لذلك حتى افضى عليه الهم ولو لم يكن الفتح اليه منسوبا وعليه فضله محسوبا لما صبر على ما جرى ولا [illegible] الملك العادل على القذى ولقد كتب العاضد عدة دفعات في أمر الاسد والصلاح فلم يحصل له فيهما النجاح وكثيرا ما يوجد في كتب نور الدين الى العاضد التعريض بانفاذ أسد الدين ولو أمكنه المجاهرة بالقول لقال فمن بعض مكاتباته (ولقد افتقر العبد الى بعثته وأعوز عسكري يمن نقيبته واشتد حزب الضلال على المسلمين لغيبته لانه ما زال يرمي شياطين الضلال بشهابه الثاقب ويصمي مقل الشرك بسهمه النافذ الصائب) قلت لعل نور الدين رحمه الله انما أقلقه من ذلك كون أسد الدين وزر للعاضد فخاف من ميله الى القوم والى مذهبهم وان يفسد جند دعايه بذلك السبب هذا ان صح ما نقله ابن أبي طي والله أعلم قال وكان أسد الدين لما ولي الوزارة لم يغير على أحد شيئا وأجرى أصحاب مصر على قواعدهم وأمورهم الى ان انقضت أيامه وفنيت أعوامه وكان قرما يحب أكل اللحم ويواظب عليه ليلا ونهارا فتواترت عليه التخم واتصلت به مرضاته الى أن ظهرت بحلقه خوانيق كان فيها تلافه ويقال انه أكل في ذلك اليوم مضيرة ودخل الحمام فلما خرج منها أصابه الخناق قال وكان شجاعا بارعا قويا جلدا في ذاته شديدا على الكفار وطأته عظيمة في ذات الله صولته عفيفا دينا كثير الخير وكان يحب أهل الدين والعلم كثير الايثار حدبا على أهله وأقاربه وكان فيه امساك وخلف

مالا كثيرا وخلف من الخيل والدواب والجمال شيئا كثيرا وخلف جماعة من الغلمان خمسمائة مملوك وهم الاسدية وهو كان مشيد قواعد الدولة الشاذية والمملكة الناصرية وكان ابتداء أمره يخدم مع صاحب تكريت على اقطاع مبلغه تسعمائة دينار وتنقل الى ان ملك الديار المصرية وعقد له العزاء بالقاهرة ثلاثة ايام قلت واليه تنسب المدرسة الاسدية بالشرق القبلي ظاهر دمشق وهي المطلة على الميدان الاخضر وهي على الطائفتين الحنفية والشافعية والخانقاه الاسدية داخل باب الجابية بدرب الهاشميين قال ابن أبي طي وساعة وفاته وقع الاختلاف فيمن يولى الوزارة بين العسكر الشامي ومالت الاسدية الى صلاح الدين وفي تلك الساعة أنفذ العاضد وسأل عمن يصلح للوزارة فأرشد من جماعة من الامراء الى شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين فأنفذ اليه وأحضره وخاطبه في تولي الوزارة فامتنع من ذلك وأشار بولاية الملك الناصر وكان الحارمي أولا قد رغب في الوزارة وتحدث فيها وحصل ما يحتاجه فلما رأى مزاحمة عين الدولة بن باروق وغيره عليها خاف ان يشتغل بطلبها فيفوته وربما فاتت صلاح الدين فاشار به لانها اذا كانت في ابن أخته كانت في بيته وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد بموقع وأعجبه عقله وسداد رأيه وشجاعته وأقدامه على شاور في موكبه وانه قتله حين جاءه أمره ولم يتربص ولا توقف فسارع الى تقليده الوزارة وما خرج شهاب الدين الحارمي من حضرة العاضد الا وخلع الوزارة قد سبقت الى الملك الناصر وكانت خلعة الوزارة عمامة بيضاء تنيسي بطرز ذهب وثوب دبيقي بطرازي ذهب وجبة تحتها سقلاطون بطرازي ذهب وطيلسان دبيقي بطراز دقيق ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة ألف دينار وسيف محلى مجوهر قيمته خمسة ألف دينار وفرس حجر صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية ألف دينار لم يكن بالديار المصرية أسبق منها وطوق وتخت وسرفسار ذهب مجوهر وفي رقبة الحجر مشدة بيضاء وفي رأسها مائتا حبة جوهر وفي أربع قوائم الفرس أربع عقود جوهر وقصبة ذهب في رأسها طائعة مجوهرة وفي رأسها مشدة بيضاء باعلام ذهب ومع الخلعة عدة بقج وعدة من الخيل وأشياء آخر ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب أطلس أبيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وقرئ المنشور بين يدي الملك الناصر يوم جلوسه في دار الوزارة وحضر جميع أرباب الدولتين المصرية والشامية وكان يوما عظيما وخلع السلطان على جماعة الامراء والكبراء ووجوه البلد وأرباب دولة العاضد وعم الناس جميعهم بالهبات والصلات ولما استقرت قدمه في الوزارة والرياسة قام في الرعية مقام من قام بالشريعة والسياسة ونظم بحسن تدبيره من الدولة بددها وجرى في مناهج العدل على جددها وحيعل الى جوده وفضله ونادى الى رفده وبذله وكاتب الاطراف بما صار اليه من السلطان وسر قلوب الاصدقاء والاحباب بما حصل عليه من شريف الرتبة والمكان واستدعى الى حوزته الاصحاب والاهل وزوى بفسيح كرمه من بعد منه وقرب من أهل الفضل وتاب من الخمر وعدل عن اللهو وتيقظ للتدبير وسها عن السهو وتقمص بلباس الدين وحفظ ناموس الشرع المبين وشمر عن ساق الجد والاجتهاد وافاض على الناس من كرمه وجود جوده شآبيب فضله النائب عن العهاد وورد عليه القصاد والزوار وأمر بنفائس الخطب وجواهر الاشعار حدثني بعض الامراء قال أقبل العاضد على السلطان الملك الناصر وأحبه محبة عظيمة وبلغ من محبته له انه كان يدخل اليه الى القصر راكبا فاذا حصل عنده قام معه في قصره اليوم والعشرة لا يعلم أين مقره قال ولما استولى الملك الناصر على الوزارة ومال اليه العاضد وحكمه في ماله وبلاده وحسده من كان معه بالديار المصرية من الامراء الشامية كابن باروق وجرديك وجماعة من غلمان نور الدين ثم انهم فارقوه وصاروا الى الشام وحدثني أبي رحمه الله قال حدثني جماعة من أصحاب نور الدين ان نور الدين لما اتصل به وفاة أسد الدين و وزارة صلاح الدين وما قد انعقد له من المحبة في قلوب الرعايا أعظم ذلك واستكبره وتأفف منه وأنكره وقال كيف أقدم صلاح الدين ان يفعل شيئا بغير أمري وكتب في ذلك عدة كتب فلم يلتفت الملك الناصر الى قوله الا انه لم يخرج عن طاعته وأمره وانه ما فارق قبول رأيه واشارته وأمر نور الدين من بالشام من أهل صلاح الدين وأصحابه بالخروج اليه وطلب منه حساب مصر وما صار اليه وكان كثيرا ما يقول ملك ابن أيوب قلت هذا كله مما تقتضيه الطباع البشرية والجبلة الادمية وقد اجرى الله سبحانه وتعالى العادة بذلك الا من عصمه الله ومن انصف عذر ومن عرف صبر والذي انكره نور الدين هو افراط صلاح الدين في تفرقة الاموال

وانثر دار الدمع من قبل أبيضا ❊ وقد حال مذبنتم فأصبح ياقوتا

فنظمت فى جوابه أبياتا منها

هنيئا لمصر حوز يوسف ملكها ❊ بأمر من الرحمن قد كان موقوتا
وما كان فيها قتل يوسف شاورا ❊ يماثل الاقتل داود جالوتا
وقلت لقلبي ابشر اليوم بالمنى ❊ فقد نلت ما أملت بل حزت ما شيتا

قال وفى هذه السنة قتل العاضد بالقصر ابنى شاور الكامل وأخاه يعنى الطارى يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة وذلك انه لما قتل شاور عادوا فى القصر فكانما نزلوا فى القبر فلولاهم جاؤا الى أسد الدين سلموا وامتنعوا وعصوا فانه ساءه قتل شاور وان كان أمن بقتله ما حاذر قلت الكامل هو شجاع بن شاور وكان له اخوان طى تقدم ذكر قتل ضرغام له والآخر الطارى قال الفقيه أبو الحسن على بن محمد بن أبى السرور الروحى فى تاريخه أخذ ابنا شاور شجاع الملقب بالكامل والطارى الملقب بالمعظم وأخوه الملقب بفارس المسلمين فقتلوا ودير برؤسهم قال ولما ولى صلاح الدين ساس الرعية وأظهر لهم من العدل مالم يعلموه فاجتمع أهل البلاد وكرهوه فأوقع براجلهم وأخرجهم من القاهرة اخراجا عنيفا وأخرج بعد ذلك فارسهم وشتت شملهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا قال ولما كانت سنة ست وستين رفع جميع المكوس صادرها وواردها جليلها وحقيرها وغزا بلاد الشام غزوتين قال ابن شداد وفى المحرم من هذه السنة توفى ياروق الذى تنسب اليه الياروقية يعنى المحلة التى بظاهر حلب قال غيره وفيها احترق جامع حلب وأسواق البز وأخذ نور الدين فى عمارته آخر السنه

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة﴾ ففى أول صفر منها نزل الفرنج خذلهم الله تعالى على دمياط من الديار المصرية قال ابن الاثير كان فرنج الساحل لما ملك أسد الدين مصر قد خافوا وأيقنوا بالهلاك فكاتبوا الفرنج الذين بالاندلس وصقلية يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك مصر وانهم خائفون على البيت المقدس وأرسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضون الناس على الحركة فأمدوهم بالمال والرجال والسلاح واعتمدوا على النزول على دمياط ظنا منهم انهم يملكونها ويتخذونها ظهرا يملكون به ديار مصر فلما نزلوها حصروها وضيقوا على من بها فأرسل اليها صلاح الدين العساكر فى النيل وحشر فيها كل من عنده وأمدهم بالمال والسلاح والذخائر وتابع رسله الى نور الدين يشكو ما هو فيه من المخاوف وانه ان تخلف عن دمياط ملكها الفرنج وان سار اليها خلفه المصريون فى مخلفيه ومخلفى عسكره بالسوء وخرجوا من طاعته وصار وامن خلفه والفرنج من امامه فجهز نور الدين اليه العساكر ارسالا كلما تجهزت طائفة أرسلها فسارت اليه يتلو بعضها بعضا ثم سار نور الدين فيمن عنده من العساكر فدخل بلاد الافرنج فنهبها وأغار عليها واستباحها ووصلت الغارات الى مالم تكن تبلغه لخلو البلاد عن ممانع فلما رأى الافرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين بلادها ونهبها واخرابها رجعوا خائبين ولم يظفروا بشئ وهذا موضع المثل ذهبت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين فوصلوا الى بلادهم فرأوها خاوية على عروشها وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى حكى عنه أنه قال ما رأيت أكرم من العاضد أرسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها قال القاضى ابن شداد لما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم من استقامة الامر فى الديار المصريه علموا ان صلاح الدين يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة والملك فاجتمع الفرنج والروم جميعا وحدثوا نفوسهم بقصد الديار المصرية والاستيلاء عليها وملكها ورأوا قصد دمياط لتمكن القاصد لها من البر والبحر ولعلمهم انها ان حصلت لهم حصل لهم مغرس قدم يأوون اليه فاستصحبوا المنجنيقات والدبابات والجروخ وآلات الحصار وغير ذلك ولما سمع الفرنج بالشام ذلك اشتد أمرهم فسرقوا حصن عكار من المسلمين وأسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يسمى خطلخ العلمدار وذلك فى ربيع الآخر منها وفى رجب منها توفى العمادى صاحب نور الدين وأمير حاجبه وكان صاحب بعلبك وتدمر ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغاف قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا لها فى شعبان من هذه السنة فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية

بحلب فى رمضان فاشتغل قلبه لانه كان صاحب أمره فعاد يطلب الشام فبلغه خبر الزلزلة بحلب التى خربت كثيرا من البلاد وكانت فى ثانى عشر شوال من السنة المذكورة وهو بعشترا فسار يطلب حلب فبلغه موت أخيه قطب الدين بالموصل وكانت وفاته فى الثانى والعشرين من ذى الحجة وبلغه الخبر وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما علم صلاح الدين شدة قصد العدو دمياط أنفذ الى البلد وأودعه من الرجال والابطال والفرسان والميرة وآلات السلاح ما أمن معه عليه ووعد المقيمين فيه بامدادهم بالعساكر والآلات وازعاج العدو عنهم ان نزل عليهم وبالغ فى العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره فى شئ ثم نزل الفرنج عليها فى التاريخ المذكور واشتد زحفهم اليها وقتالهم لها وهو رحمه الله عليه يشن الغارات عليهم من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر الله للمسلمين يؤيدهم وحسن قصدهم فى نصرة دين الله يسعدهم وينجدهم حتى بان لهم الخسران وظهر على الكفر الايمان ورأوا انهم ينجون برؤسهم ويسلمون بنفوسهم فرحلوا خائبين خاسرين فحرقت مجانيقهم ونهبت آلاتهم وقتل منهم خلق عظيم وسلم البلد بحمد الله ومنه وقال العماد أقام صلاح الدين بالقاهرة فى دار ملكه ومدار فلكه ينهض اليها المدد بعد المدد ويرسل اليها العدد بعد العدد يسهر ليله ولا يقيل نهاره وقد أخلص لله سره وجهاره ولا ينام ولا ينيم وعنده من ذلك المقعد المقيم وسبق تقى الدين ابن أخى السلطان الى دمياط فدخلها وكذا خاله شهاب الدين محمود فنزلها واتصل الحصار وتواصل الانصار ودب فى الفرنج الفنا وهب عليهم البلا فرحلوا عنها فى الحادى والعشرين من ربيع الاول بالذل الاكمل والصغار الاشمل وكان لما وصل الخبر الى نور الدين بوصولهم واجتماعهم على دمياط ونزولهم اغتم واهتم واستعصب الملم وأنهض من عنده عسكرا ثقيلا مقدمه الامير قطب الدين خسرو الهذبانى وكان مقداما مقداما وهماما معلما وأمره ان يسير بالعسكر ويخوض بهم بحر العجاج الاكدر فوصل فى النصف من ربيع الاول قبل رحيل الفرنج باسبوع فوقع روعهم من الكفر فى كل روع قلت وبلغنى من شدة اهتمام نور الدين رحمه الله بأمر المسلمين حين نزل الفرنج على دمياط انه قرئ عليه جزء من حديث كان له به رواية فجاء فى جملة تلك الاحاديث حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه بعض طلبة الحديث ان تبسم لتتم السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث فغضب من ذلك وقال انى لاستحيى من الله تعالى أن يرانى متبسما والمسلمون محاصرون بالفرنج وبلغنى ان اماما لنور الدين رأى ليلة رحيل الفرنج عن دمياط فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له اعلم نور الدين ان الفرنج قد رحلوا عن دمياط فى هذه الليلة فقال يارسول الله ربما لا يصدقنى فاذكر لى علامة يعرفها فقال قل له بعلامة ما سجدت على تل حارم وقلت يارب انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى ينصر قال فانتبهت ونزلت الى المسجد وكان من عادة نور الدين انه كان ينزل اليه بغلس ولا يزال يتركع فيه حتى يصلى الصبح قال فتعرضت له فسألنى عن أمرى فأخبرته بالمنام وذكرت له العلامة الا أننى لم أذكر لفظة الكلب فقال نور الدين اذكر العلامة كلها وألح على فى ذلك فقلتها فبكى رحمه الله وصدق الرؤيا فأرخت تلك الليلة فجاء الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك فى تلك الليله

﴿فصل﴾ أرسل نور الدين كتابا الى العاضد صاحب القصر يهنيه برحيل الفرنج عن ثغر دمياط وكان قد ورد عليه كتاب العاضد بالاستقالة من الاتراك فى مصر خوفا منهم والاقتصار على صلاح الدين والزامه وخواصه فكتب اليه نور الدين يمدح الاتراك ويعلمه انه ما أرسلهم واعتمد عليهم الا لعلمه بأن قنطاريات الفرنج ليس لها الا سهام الاتراك فان الفرنج لا يرهبون الا منهم ولولاهم لزاد طمعهم فى الديار المصريه وتحصلوا منها على الامنيه فلعل الله ييسر فتح المسجد الاقصى مضافا الى نعمه التى لا تحصى قلت ولعمارة اليمنى من قصيدة

من شاكر والله أعظم شاكر ❊ ما كان من نعمى بنى أيوب
طلب الهدى نصرا فقال وقاتلوا ❊ حسبى فأنتم غاية المطلوب
جلبوا الى دمياط عند حصارها ❊ عز القوى وذلة المغلوب
وجلوا عن الاسلام فيها كربة ❊ لولم يجلوها أتت بكروب
فالناس فى اعمال مصر كلها ❊ عتقاؤهم من نازح وقريب

كتاب النقائض

نقائض جَرِيرٍ والفَرَزْدَقِ

طبع

فى مدينة ليدن المحروسة

بمطبعة بريل

سنة ١٩٠٥ المسيحيّة

قال فلمّا قَدِموا قالت بنو تميم للأَحْنَف بادِرْ الى هؤلاء القوم قَبْلَ أَنْ تَسْبِقَنا اليهم رَبيعَةُ فقال الأَحْنَف إِنْ أَتَوْكم فَٱقْبَلوهم ولا تَأْتُوهم فإنّكم إِنْ أَتَيْتُموهم صِرْتم لهم أَتْباعًا فأتاهم مالِكُ بنُ مِسْمَعٍ ورَئيسُ الأَزْدِ يومئذٍ مسعودُ بنُ عمرو المَعْنِيّ (ويقال العَتَكيّ) فقال مالك جَدِّدوا حِلْفَنا وحِلْفَ كِنْدَةَ فى الجاهليّة وحِلْفَ بنى ذُهْل بن ثعلبة فى طَيِّئ ابن أُدٍّ فى بنى ثُعَلَ ففَعَلوا ذلك فقال الأَحْنَف أَمّا اذ أَتَوْهم فلن يَزالوا لهم أَذْنابًا ✿ قال ابو عُبَيْدَةَ فحدّثنى عُبَيْرَةُ بنُ حُدَيْر عن إِسْحاقَ بنِ سُوَيْد قال فلمّا أُجيبَتْ بَكْرٌ الى نَصْرِ الأَزْدِ على مُضَرَ (يقول اضْطُرَّتْ) وجَدَّدوا الحِلْفَ الأوّلَ فأرادوا أَنْ يَسيروا قالت الأَزْدُ لا نسير معكم إلّا أَنْ يكونَ الرَّئيسُ منّا فرَأَّسوا مسعودًا عليهم ✿ قال ابو عُبَيْدة حدّثنى مَسْلَمَةُ بنُ مُحارِب قال فقال مسعود لعُبَيْد الله سِرْ معنا حتّى نُعيدَك فى الدّار فقال ما أَقْرَبَنى وأَمَرَ برَواحِلِه فشَدّوا عليها أَدَواتِها وشَوارَها وتَزَمَّلَ فى أُهْبَةِ السَّفَر وأَلْقَوْا له كُرْسِيًّا على بابِ مسعود فقَعَدَ عليه وسار مسعود وبَعَثَ عُبَيْدُ الله غِلْمانًا له على الخَيْل مع مسعود وقال لهم إِنّى لا ادرى ما يَحْدُثُ فأَقولَ فاذا كان كذا وكذا فلْيَأْتِنى بعضُكم بالخبر ولكن لا يَحْدُثَنَّ خَبَرُ خَيْرٍ ولا شَرٍّ إِلّا اتانى بعضُكم به فجعل مسعود لا يأْتِى على سِكّةٍ ولا يُجاوِزُ قبيلةً إِلّا أَتَى بعضُ اولئك الغِلْمانِ بخَبَرِ ذلك عُبَيْدَ الله وقَدِمَ مسعودٌ رَبيعَةَ وعليهم مالِكُ بنُ مِسْمَع وأَخَذا جميعًا سِكّةَ المِرْبَدِ فجاء مسعود حتّى دخل المسجدَ فصَعِدَ المِنْبَرَ وعبدُ الله بنُ الحَرِث فى دارِ الامارة فقيل له إِنّ مسعودًا ورَبيعَةَ وأَهلَ اليَمَن قد ساروا وسَيُهَيَّجُ بين النّاس شَرٌّ فلو اصلحتَ بينهم ورَكِبْتَ مع بنى تميم اليهم فقال أَبْعَدَهم اللهُ واللهِ لا أُفْسِدُ نفسى فى صَلاحِهم وجعل رَجُلٌ من اصحابِ مسعود يقول

لَأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جارِيَةً فى قُبَّهْ تَمْشُطُ رَأْسَ لُعْبَهْ

5 اذّ, so O. 7 O فازادوا. 9 مسلمة, so O. 10 O ما اقربنى, Ṭabarī ما اقدر على ذلك امض انت. 15 O وقدّم.

فخَفَّ وجَمَعَ وأَعَدَّ وطَلَبَ الى الأَزْد أَنْ يُجَدِّدوا الحِلْفَ الذى كان بينهم قُبَيْلَ ذلك فى الجَماعة على يَزيدَ بنِ مُعْوِيَةَ فقال حارِثَةُ بنُ بَدْر بن حُصَيْن بن قَطَن بن مجمع بن مالك بن غُدانة بن يربوع بن حنظلة فى ذلك

نَزَعْنا وأَمَّرْنا وبَكْرُ بنُ وائِلٍ تَجُرُّ خُصاها تَبْتَغِى مَنْ تُحالِفُ

وما باتَ بَكْرِيٌّ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً فيُصْبِحَ إِلّا وَهْوَ لِلذُّلِّ عارِفُ ✿

قال فبَلَغَ عُبَيْدَ الله وهو فى رَحْلِ مسعودٍ تباعُدُ ما بين بَكْرِ بنِ وائِلٍ وبين تميم فقال لمسعودٍ إِلْقَ مالِكًا فجَدِّدِ الحِلْفَ الأوّلَ قال فلَقِيَه فتَراسّا ذلك وتَأَبَّى عليهما نَفَرٌ من هؤلاء واولائك قال فبَعَثَ عُبَيْدُ الله اخاه عبدَ الله مع مسعود فأَعْطَى مَنْ أَبَى المالَ حتّى أَنْفَقَ فى ذلك أَكْثَرَ من مائتَىْ الف درهمٍ على أَنْ يُبايِعوهما وقال عُبَيْدُ الله لأَخيه O 186b
ٱسْتَوْثِقْ من القوم لأَهلِ اليَمَن قال فجَدَّدوا الحِلْفَ وكَتَبوا بينهم كِتابَيْنِ آخَرَيْنِ سِوَى اللَّذَيْنِ كانا كُتِبا بينهما فى الجَماعة فوضعوا كِتابًا عند مسعود بن عمرو ✿ قال ابو عُبَيْدَةَ فحدّثنى بَعْضُ وَلَدِ مسعود أَنّ اوّلَ تَسْمِيَةِ مَنْ فيه الصَّلْتُ بنُ حُرَيْث بن جابر الجُعْفِيّ ووضعوا كِتابًا عند الصَّلْت بن حُرَيْث اوّلُ مَنْ فيه ابو رَجاء العُوذِيّ من عَوْذ ابن سُودٍ قال وقد كان بينهم قَبْلَ هذا حِلْفٌ ✿ قال ابو عُبَيْدَةَ وزَعَمَ محمّدُ بنُ حَفْص ويونُسُ بنُ حَبيب وهُبَيْرَةُ بنُ حُدَيْر وزُهَيْرُ بنُ هُنَيْد انّ مُضَرَ كانت تَكْثُرُ رَبيعَةَ بالبصرة وكانت جَماعَةُ الأَزْدِ آخِرَ مَنْ نَزَلَ البصرةَ حيث بُصِّرَتِ البصرةُ قال فلمّا حَوَّلَ عُمَرُ بنُ الخَطّاب رضه مَنْ تَنَخَ من المُسْلِمين الى البصرة اقامت جَماعَةُ الأَزْدِ ولم يتحوّلوا ثمّ لَحِقوا بعد ذلك بالبصرة فى آخِرِ خِلافَةِ مُعْوِيَةَ وأَوّلِ خِلافَةِ يَزيدَ بنِ مُعْوِيَةَ

2 مجمع, so O. 4 seq. cf. p. 112[12] seq. 7 إِلْقَ, so O: فتَراسّا, see Lisān VII 401[23]. 10 فتَجَدَّدوا, so Ṭabarī — O فجددوا. 11 كَتَبا, so O: كتابًا, O كتلا. 13 الجُعْفىّ, Ṭabarī الحنفى. 15 O حدير. 17 مَنْ تَنَخَ (see Ṭabarī *Addenda*, note on II 450[3]) — O من تبوّح, Ṭabarī من تنوخ.

ذخائر التراث العربي

شذرات الذهب

في

أخبار من ذهب

للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٨٩

يُطلب من

المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

منه يقول حدثني ذلك الرجل الصالح .

و فيها يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون المزني ابن عم عبد العزيز ابن الماجشون روى عن الزهري و ابن المنكدر و كان كثير العلم .

وفيها أمير دمشق للرشيد محمد بن ابراهيم الامام بن على بن على بن عباس العباسي

﴿سنة ست وثمانين ومائة﴾

فيها حج الرشيد و معه ابناه فاعطى أهل مكة و المدينة ما مبلغه ألف ألف دينار و خمسون ألف دينار و كتب كتابا لولديه و اشهد عليهما بما فيه من وفاء كل احد منهما لصاحبه قاله فى الشذور .

وفيها سار على بن عيسى بن ماهان فى الجيوش من مرو فالتقى هو وأبو الخصيب بنسا فظفر بابى الخصيب واستقامت خراسان للرشيد

وفيها توفى حاتم بن اسماعيل المدني روى عن هشام بن عروة و طبقته و كان ثقة كثير الحديث وقيل مات فى التى تليها .

وحسان بن ابراهيم الكرماني قاضى كرمان روى عن عاصم الاحول وجماعة قال فى المغنى حسان بن ابراهيم الكرماني ثقة قال النسائي ليس بالقوى وقال أبو زرعة لابأس به انتهى وقد خرج له الشيخان و أبو داود .

و فيها خالد بن الحرث أبو عثمان البصرى الحافظ روى عن أيوب و خلق قال الامام أحمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة قال ابن ناصر الدين : خالد بن الحرث بن سليمان بن عبيد بن سفيان الهجيمى البصرى - و بنو الهجيم من بنى العنبر من تميم - كان من الحفاظ الثقات المأمونين انتهى.

و فيها سفيان بن حبيب البصرى البزاز روى عن عاصم الاحول و طائفة قال أبو حاتم ثقة أعلم الناس بحديث سعيد بن أبي عروبة.

وفيها - أو فى التى تليها - عباد بن العوام الواسطى ببغداد روى عن أبى مالك الاشجعى و طبقته و كان صاحب حديث واتقان .

وعيسى غنجار (١) أبو أحمد البخارى محدث ماوراء النهر رحل وحمل عن سفيان الثورى وطبقته قال الحاكم هو امام عصره طلب العلم على كبر السن وطوف يروى عن أكثر من مائة شيخ من المجهولين وحديثه عن الثقات مستقيم

وفيها فقيه المدينة أبو هاشم المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى وله اثنتان وستون سنة روى عن هشام بن عروة وطبقته قال الزبير بن بكار عرض عليه الرشيد قضاء المدينة فامتنع فاعفاه ووصله بألفى دينار وكان فقيه المدينة بعد مالك قال فى المغنى وثقه غير واحد وضعفه أبو داود انتهى.

وفيها عبد الواحد بن زياد العبدى مولاهم البصرى أبو بشر ويقال أبو عبيدة وثقه أحمد وغيره واحتج به الشيخان فى الصحيح لكنهما لم يخرجا عنه شيئاً مما انكر عليه كالاحاديث التى وصلها عن الأعمش وكانت مرسلة لديه .

و بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشى مولاهم البصرى أبو اسماعيل حدث عنه اسحق بن راهويه وأحمد بن حنبل وابن المدينى واشباههم اليه المنتهى فى التثبت فى البصرة كان ثقة مشهورا وكان يصلى كل يوم أربعمائة ركعة ويصوم يوماً ويفطر يوماً .

﴿سنة سبع وثمانين ومائة﴾

فيها على ماقاله فى العبر خلعت الروم من الملك الست ريتى وهلكت بعد أشهر وأقاموا عليهم نقفور والروم تزعم أن نقفور من ولد جفنة الغسانى الذى تنصر وكان نقفور قبل الملك يلى الديوان فكتب نقفور هذا الكتاب

---

(١) يقول الحافظ الذهبى فى تاريخ الاسلام «ولقبوه غنجاراً لحمرة وجهه»

ابن صالح واختار من شعرهم الزُّبد دون الزّبد وصنف غير ذلك :

ويحيى بن حسان التنيسى أبو زكريا روى عن معاوية بن سلام وحماد بن سلمة وطائفة وكان اماما حجة من جلة المصريين توفى فى رجب .

ويحيى بن بكير العبدي قاضي كرمان حدث عن شعبة وأبي جعفر الرازى والكبار وثقه ابن معين وغيره قال ابن ناصر الدين واسم أبيه قيس بن أبي أسيد بالتصغير وكان ثقة أخطأ فى اسناد واحد مع كثرة حفظه اه .

ويعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى العوفى المدنى نزيل بغداد سمع أباه وعاصم بن محمد العمرى والليث بن سعد وكان إماما ثقة ورعا كبير القدر .

ويونس بن محمد البغدادى المؤدب الحافظ روى عن سفيان وفليح بن سليمان وطائفة وتوفى فى صفر . قال ابن ناصر الدين : يونس بن محمد بن مسلم المكتب كان ثقة اه .

(سنة تسع ومائتين)

فيها طال القتال بين عبد الله بن طاهر ونصر بن شبيب العقيلى الى أن حصره فى قلعة ونال منه فطلب نصر الامان فكتب له المأمون أماناً وبعثه اليه فنزل وهدم الحصن .

وفيها توفى الحسن بن الاشيب أبو على البغدادى قاضي طبرستان بعد قضاء الموصل روى عن شعبة وحريز بن عثمان وطائفة وكان ثقة مشهوراً .

وحفص بن عبد الله السلمي أبو عمرو النيسابوري قاضى نيسابور سمع مسعرا ويونس بن أبى اسحق وأكثر عن ابراهيم بن طهمان ومكث عشرين سنة يقضي بالآثار وكان صدوقا .

وأبو على الحنفى عبيد الله بن عبد الحميد البصرى روى عن قرة بن خالد ومالك ابن مغول وطائفة .

وعثمان بن عمر بن فارس العبدى البصرى الرجل الصالح روى عن ابن عون وهشام بن حسان ويونس بن يزيد وطائفة توفى فى ربيع الاول بالبصرة .

ويعلى بن عبيد الطنافسى أبو يوسف الكوفى روى عن الاعمش ويحيى بن سعيد الانصارى والكبار فعن أحمد بن يونس قال مارأيت أفضل منه .

(سنة عشر ومائتين)

فيها على ماقاله ابن الجوزى فى الشذور عرس المأمون على بوران ففرش له يوم البناء حصير من ذهب ونثر عليه ألف حبة من الجوهر وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل ونثر على القواد رقاع باسماء ضياع فمن وقعت بيده رقعة أشهد له الحسن بالضيعة وكان الحسن بن سهل يجرى فى مدة إقامة المأمون عنده على ستة وثلاثين ألف ملاح فلما أراد المأمون الاصعاد أمر له بألف ألف دينار وأقطعه مدينة الصلح وقال ابن الاهدل وفى سنة عشر ومائتين تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل (١) بواسط وكان عرساً لم يسمع بمثله فى الدنيا نثر فيه على الهاشميين والقواد والوجوه بنادق مسك فيها رقاع متضمنة لضياع وجوار ودواب ومن وقع فى حجره بندقة ملك ما فيها وأقام أبوها الجيش كله بضعة عشر يوما فكتب له المأمون بخراج فارس والاهواز سنة ودخل عليها فى الليلة الثالثة من وصوله فلما قعد عندها نثرت جدتها ألف درة فقال لها سلي حوائجك فقالت الرضى عن ابراهيم ابن المهدى ففعل ولما أصبح جلس للناس فقال له أحمد بن يوسف الكاتب باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر فى المعركة فقال يعرض بحيضها :

فارس ماض بحربته صادقا بالطعن فى الظلم
رام أن يدمي فريسته فاتقته من دم بدم (٢)

انتهى ماقاله ابن الاهدل . ﻫ

وفيها توفى أبو عمرو الشيبانى اسحق بن مرار الكوفى اللغوي صاحب التصانيف

---

(١) فى النسخة (صالح) فى محل (سهل) وفى هامش النسخة (قوله ابن صالح غلط وانما هو ابن سهل لمحرره داود) وداود هذا أحد مالكى النسخة .

(٢) فى النسخة (من دم من دم) . وهو خطأ ظاهر

عن تعديل رجل وعن جرحه فأبى وقال لا أبطل حقا من الحقوق .

وفيها أبو عمر حفص بن عمر الضرير البصري صدوق .

وقالون القارئ قارىء أهل المدينة صاحب نافع وهو أبو موسى عيسى بن ميناء الزهري مولاهم المدني قال الذهبي في المغني حجة في القراءة لا في الحديث سئل عنه أحمد بن صالح فضحك وقال يكتبون عن كل أحد. انتهى .

وفيها الشريف أبو جعفر محمد الجواد بن علي بن موسى الرضي الحسيني أحد الاثني عشر اماما الذين تدعي فيهم الرافضة العصمة وله خمس وعشرون سنة وكان المأمون قد نوه بذكره وزوجه بابنته وسكن بها بالمدينة فكان المأمون ينفذ اليه في السنة ألف ألف درهم وأكثر ثم وفد على المعتصم فاكرم مورده وتوفي ببغداد آخر السنة ودفن عند جده موسى ومشهدهما ينتابه العامة بالزيارة .

وفيها أبو حذيفة النهدي موسى بن مسعود البصري المؤدب في جمادى الاخرة سمع أيمن بن نابك وطبقته قال أبو حاتم روى عن سفيان الثوري بضعة عشر ألف حديث وكان يصحف قال في المغني موسى بن مسعود أبو حذيفة النهدي صدوق مشهور من مشيخة البخاري تكلم فيه أحد ولينه وقال ابن خزيمة لا أحدث عنه وقال أبو حفص الفلاس لا يروي عنه من ينصف الحديث. انتهى .

(سنة إحدى وعشرين ومائتين)

فيها كانت وقعة عظمى فكسر بابك الخرمي بغا الكبير ثم تقوى بغا وقصد بابك فالتقوا فانهزم بابك .

وفيها توفي أبو علي الحسن بن الربيع البجلي البوراني القصبي الكوفي روى عن قيس بن الربيع وطبقته وهو من شيوخ البخاري وكان ثقة ثبتا عابدا .

وعاصم بن علي بن عاصم الواسطي الحافظ أبو الحسن في رجب سمع ابن أبي ذئب وشعبة وخلقا وقدم بغداد فازدحموا عليه من كل مكان حتى حزر مجلسه بمائة ألف وكان ثقة حجة .

وفيها محدث مرو وشيخها عبد الله بن عثمان عبدان المروزي سمع شعبة وأبا حمزة السكري والكبار وعاش ستا وسبعين سنة وكان ثقة جليل القدر معظما تصدق في حياته بألف الف درهم وروى عنه البخاري وغيره .

وفيها الامام الرباني أبو عبد الرحمن عبد الله بن سلمة بن قعنب الحارثي المدني القعنبي الزاهد سكن البصرة ثم مكة وتوفي بها في المحرم روى عن سلمة بن وردان وأفلح بن حميد والكبار وهو أوثق من روى الموطأ وخرج له أصحاب الكتب الستة قال أبو زرعة ما كتبت عن أحد أجل في عيني من القعنبي وقال أبو حاتم ثقة حجة لم أر أخشع منه وقال الخريبي حدثني القعنبي عن مالك وهو والله عندي خير من مالك وقال الفلاس كان القعنبي مجاب الدعوة وقال محمد بن عبد الوهاب الفرا سمعتهم بالبصرة يقولون القعنبي من الابدال .

وفيها محمد بن بكير الحضرمي البغدادي حدث بأصبهان عن شريك وطبقته وقال أبو حاتم صدوق يغلط أحيانا .

وفيها أبو همام الدلال محمد بن محبب بصري مشهور روى عن الثوري وطبقته .

وفيها الفقيه هشام بن عبد الله الرازي الحنفي روى عن أبي ذئب ومالك وطبقتهما وكان كثير العلم واسع الرواية وفيه ضعف وقد جاء عنه انه قال أنفقت في طلب العلم سبعمائة الف درهم .

﴿ سنة اثنتين وعشرين ومائتين ﴾

فيها التقى الافشين والخرمية لعنهم الله وهزمهم ونجا بابك فلم يزل الافشين يتحيل عليه حتى أسره وقد عاث هذا الملعون وأفسد البلاد والعباد وامتدت أيامه نيفا وعشرين سنة وأراد أن يقيم ملة المجوس بطبرستان واستولى على أذربيجان وغيرها وفي أيامه ظهر المازيار القائم بملة المجوس بطبرستان . وقد بعث المعتصم في أول السنة خزائن أموال الى الافشين ليتقوى بها وكانت ثلاثين الفه

الف درهم وافتتحت مدينة بابك فى رمضان بعد حصار شديد فاختفى بابك فى غيضة فى الحصن وأسر جميع خواصه وأولاده وبعث اليهم المعتصم الامان فخرقه وسبه وكان قوى النفس شديد البطش صعب المراس فطلع من تلك الغيضة فى طريق يعرفها فى الجبل وانقلب ووصل الى جبال أرمينية فنزل على البطريق سهل فأغلق عليه وبعث يعرف الافشين فجاء الافشينية فتسلموه وكان المعتصم قد جعل لمن جاء به حياالفى الف درهم ولمن جاء برأسه الف الف درهم وكان دخوله بغداد يوماً مشهودا .

وفيها توفى أبو اليمان الحكم بن نافع البهرانى الحمصى الحافظ روى عن جرير ابن عبد الحميد وطبقته وكان ثقة حجة كثير الحديث ولد سنة ثمان وثلاثين ومائة ومات فى ذى الحجة وقد سئل أبو اليمان مرة عن حديث لشعيب بن أبى حمزة فقال ليس هو مناولة المناولة لم أخرجها الى أحد .

وعمر بن حفص بن غياث الكوفى روى عن أبيه وطبقته ومات كهلا فى ربيع الاول وكان ثقة متقنا عالما .

وفيها أبو عمرو مسلم بن ابراهيم الفراهيدى مولاهم البصرى القصاب الحافظ محدث البصرة سمع من ابن عون حديثاً واحداً ومن قرة بن خالد ولم يرحل لكن سمع من ثمانمائة شيخ بالبصرة وكان ثقة حجة أضر (١) بآخره وكان يقول ما أتيت حراماً ولا حلالا قط ، أى لم يفعل الا فرضاً أو سنة ، توفى فى صفر .

وفيها فقيه حمص ومحدثها يحيى بن صالح الوحاظى ولد سنة سبع وثلاثين ومائة وسمع من سعيد بن عبد العزيز وفليح بن سليمان وطبقتهما وعين لقضاء حمص قال العقيلى هو حمصى جهمى وقال الجوزجانى كان مرجئاً خبيثاً ووثقه غيره .

(١) فى الأصل مصحفة . وفى التهذيب « عمى » .

﴿ سنة ثلاث وعشرين ومائتين ﴾

فيها أتى المعتصم ببابك الخرمى قال ابن الجوزى فى الشذور أنبأنا محمد بن عبد الباقى أنبأنا على بن المحسن عن أبيه ان أخا بابك الخرمى قال له لما دخل على المعتصم يا بابك انك قد عملت مالم يعمل أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد فقال له سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع أيديهما بحضرته فبدأ ببابك فقطعت يمينه فأخذ الدم فمسح به وجهه وقال لئلا يرى فى وجهى صفرة فيظن انى جزعت من الموت ثم قطعت أربعته وضربت عنقه وقذف فى النار وفعل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح وخرج المعتصم الى عمورية فقتل ثلاثين الفاً وسبى مثلها وطرح فيها النار وجاء ببابها الى العراق فهو الذى يسمى باب العامة انتهى . وتوج المعتصم الافشين ووصله بعشرين ألف ألف درهم نصفها له ونصفها لعسكره .

وفيها التقى المسلمون وعليهم الافشين وطاغية الروم فاقتتلوا أياما وكثرت القتلى ثم انهزم الملاعين وكان طاغيتهم فى هذا الوقت توفيل بن ميخائيل بن جرجس لعنهم الله نزل على ريطرة فى مائة ألف أياماً وافتتحها بالسيف ثم أغار على ملطية ثم أذله الله بهذه الكسرة .

وفيها توفى خالد بن خداش المهلبى البصرى المحدث فى جمادى الآخرة روى عن مالك وطبقته وخرج له البخارى فى التاريخ ومسلم والنسائى قال أبو حاتم وغيره صدوق وقال ابن المدينى ضعيف .

وفيها أبو الفضل صدقة بن الفضل المروزى عالم أهل مرو ومحدثهم رحل وكتب عن ابن عيينة وطبقته وأقدم شيخ له أبو حمزة السكرى قال بعضهم كان ببلده كأحمد بن حنبل ببغداد .

وفيها عبدالله بن صالح أبو صالح الجهنى المصرى الحافظ كاتب الليث بن سعد توفى فى يوم عاشوراء وله ست وثمانون سنة حدث عن معاوية بن صالح وعبدالعزيز الماجشون وخلق قال ابن معين أقل أحوال أبى صالح انه قرأ هذه الكتب على الليث فأجازها له وقال ابن ناصرالدين روى عنه البخارى فى الصحيح وله مناكير

الف درهم وافتتحت مدينة بابك فى رمضان بعد حصار شديد فاختفى بابك فى غيضة فى الحصن وأسر جميع خواصه وأولاده وبعث اليهم المعتصم الامان فخرقه وسبه وكان قوى النفس شديد البطش صعب المراس فطلع من تلك الغيضة فى طريق يعرفها فى الجبل وانقلب ووصل الى جبال أرمينية فنزل على البطريق سهل فأغلق عليه وبعث يعرف الاقشين فجاء الاقشينية فتسلموه وكان المعتصم قد جعل لمن جاء به حيا الفى الف درهم ولمن جاء برأسه الف الف درهم وكان دخوله بغداد يوماً مشهودا .

وفيها توفى أبو اليمان الحكم بن نافع البهرانى الحمصى الحافظ روى عن جرير ابن عبد الحميد وطبقته وكان ثقة حجة كثير الحديث ولد سنة ثمان وثلاثين ومائة ومات فى ذى الحجة وقد سئل أبو اليمان مرة عن حديث لشعيب بن أبى حمزة فقال ليس هو مناولة المناولة لم أخرجها الى أحد .

وعمر بن حفص بن غياث الكوفى روى عن أبيه وطبقته ومات كهلا فى ربيع الأول وكان ثقة متقنا عالما .

وفيها أبو عمرو مسلم بن ابراهيم الفراهيدى مولاهم البصرى القصاب الحافظ محدث البصرة سمع من ابن عون حديثاً واحداً ومن قرة بن خالد ولم يرحل لكن سمع من ثمانمائة شيخ بالبصرة وكان ثقة حجة أضر (١) بآخره وكان يقول ما أتيت حراماً ولا حلالا قط ، أى لم يفعل الا فرضاً أو سنة ، توفى فى صفر .

وفيها فقيه حمص ومحدثها يحيى بن صالح الوحاظى ولد سنة سبع وثلاثين ومائة وسمع من سعيد بن عبد العزيز وفليح بن سليمان وطبقتهما وعين لقضاء حمص قال العقيلى هو حمصى جهمى وقال الجوزجانى كان مرجئاً خبيثاً ووثقه غيره .

(١) فى الأصل مصحفة . وفى التهذيب « عمى » .

﴿ سنة ثلاث وعشرين ومائتين ﴾

فيها أتى المعتصم ببابك الخرمى قال ابن الجوزى فى الشذور أنبأنا محمد بن عبد الباقى أنبأنا على بن المحسن عن أبيه ان أخا بابك الخرمى قال له لما دخل على المعتصم يا بابك انك قد عملت مالم يعمل أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد فقال له سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع أيديهما بحضرته فبدأ ببابك فقطعت يمينه فأخذ الدم فمسح به وجهه وقال لئلا يرى فى وجهى صفرة فيظن أنى جزعت من الموت ثم قطعت أربعته وضربت عنقه وقذف فى النار وفعل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح وخرج المعتصم الى عمورية فقتل ثلاثين الفاً وسبى مثلها وطرح فيها النار وجاء ببابها الى العراق فهو الذى يسمى باب العامة انتهى . وتوج المعتصم الاقشين ووصله بعشرين ألف ألف درهم نصفها له ونصفها لعسكره .

وفيها التقى المسلمون وعليهم الاقشين وطاغية الروم فاقتتلوا أياما وكثرت القتلى ثم انهزم الملاعين وكان طاغيتهم فى هذا الوقت توفيل بن ميخائيل بن جرجس لعنهم الله نزل على ريطرة فى مائة ألف أياماً وافتتحها بالسيف ثم أغار على ملطية ثم أذله الله بهذه الكسرة .

وفيها توفى خالد بن خداش المهلبى البصرى المحدث فى جمادى الآخرة روى عن مالك وطبقته وخرج له البخارى فى التاريخ ومسلم والنسائى قال أبو حاتم وغيره صدوق وقال ابن المدينى ضعيف .

وفيها أبو الفضل صدقة بن الفضل المروزى عالم أهل مرو ومحدثهم رحل وكتب عن ابن عيينة وطبقته وأقدم شيخ له أبو حمزة السكرى قال بعضهم كان ببلده كأحمد بن حنبل ببغداد .

وفيها عبد الله بن صالح أبو صالح الجهنى المصرى الحافظ كاتب الليث بن سعد توفى فى يوم عاشوراء وله ست وثمانون سنة حدث عن معاوية بن صالح وعبد العزيز الماجشون وخلق قال ابن معين أقل أحوال أبى صالح انه قرأ هذه الكتب على الليث فأجازها له وقال ابن ناصر الدين روى عنه البخارى فى الصحيح وله مناكير

ابن ياقوت اتق الله ولا تسلم بغداد بلا حرب فلما أصبحوا ركب فى موكبه وعليه البردة وبيده القضيب والقراء والمصاحف حوله والوزير خلفه فشق بغداد إلى الشماسية وأقبل مونس فى جيشه وشرع القتال فوقف المقتدر على تل ثم جاء اليه ابن ياقوت وأبو العلاء بن حمدان فقالا تقدم فأبى فألحوا عليه فتقدم وهم يستدرجونه حتى صار فى وسط المصاف فى طائفة قليلة فانكشف أصحابه وأسر منهم جماعة وأبلى ابن ياقوت وهرون بن غريب بلاء حسنا وكان معظم جيش مونس الخادم البربر فجاء على بن بليق فترجل وقال مولاى أمير المؤمنين وقبل الارض فعطف جماعة إلى نحو المقتدر فضربه رجل من خلفه ضربة سقط إلى الأرض وقيل رماه بحربة وحز رأسه بالسيف وحمل على رمح ثم سلب ما عليه وبقى مهتوك العورة حتى ستر بالحشيش ثم حفر له حفرة فطم وعفا أثره وذلك لثلاث بقين من شوال .

وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ابن المعتصم العباسى وفى أيامه اضمحلت دولة الخلافة العباسية وصغرت وسمع أمير الاندلس بذلك فقال أنا أولى بامرة المؤمنين فلقب نفسه أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن وبقى فى الخلافة إلى سنة خمسين وثلثمائة ولا شك أن حرمته ودولته كانت أمتن من دولة المقتدر ومن بعده وقد خلع المقتدر مرتين وأعيد وكان ربعة جميل الصورة أبيض مشربا حمرة أسرع الشيب إلى عارضيه وعاش ثمانياً وثلاثين سنة وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة إلا أياما وكان جيد العقل والرأى لكنه كان يؤثر اللعب والشهوات غير ناهض بأعباء الخلافة كانت أمه وخالته والقهرمانة يدخلن فى الامور الكبار والولايات والحل والعقد قال الوزير على بن عيسى ماهو الا لايترك النبيذ خمسة أيام وكان ربما يكون فى اصابة الرأى كأبيه وكالمأمون ومن العجائب أنه لم يل الخلافة من اسمه جعفر الا هو والمتوكل وكلاهما قتل فى شوال وندم

مونس على قتله وقال لنقتلن كلنا ثم بايعوا القاهر فصادر بعض خواص المقتدر وعذب أمه حتى ماتت معلقة وبالغ فى الظلم واستوزر ابن مقلة وكان المقتدر مسرفا مبذراً محق الذخائر حتى انه أعطى بعض جواره الدرة اليتيمة التى وزنها ثلاثة مثاقيل ويقال إنه ضيع من الذهب ثمانين الف الف دينار وكان فى داره عشرة آلاف خصى من الصقالبة واهلك نفسه بيده بسوء تدبيره وخلف عدة أولاد منهم الراضى بالله محمد والمتقى لله ابراهيم والامير اسحق ولد القادر والمطيع لله وذكر طبيبه ثابت بن سنان فى تاريخه ان المقتدر أتلف نيفا وسبعين الف الف دينار .

وفيها توفى الحافظ محدث الشام أبو الحسن أحمد بن عمر بن يوسف بن موسى بن جوصا سمع كثير بن عبيد وطبقته وعنه الطبرانى وحمزة الكتانى وأبو على الحافظ والحاكم حط عليه حمزة الكتانى وأثنى عليه الدارقطنى وجمع وصنف وتبحر فى الحديث قال أبو على النيسابورى كان ركناً من أركان الحديث وقال محمد بن إبراهيم كان ابن جوصا بالشام كابن عقدة بالكوفة وقال غيره كان ابن جوصا كثير الأموال يركب البغلة وتوفى فى جمادى الأولى وقال الدارقطنى تفرد بأحاديث ولم يكن بالقوى .

وفيها أبو بكر أحمد بن القسم بن نصر أخو أبى الليث الفرائضى ببغداد فى ذى الحجة وله ثمان وتسعون سنة روى عن لوين وإسحق بن أبى إسرائيل وعدة .

وفيها الحافظ الجوال أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن عبيد بن جهينة روى عن أبى زرعة الرازى والزعفرانى وعنه أهل الرى وقزوين منهم أحمد بن على بن حسن الرازى وأبو بكر بن يحيى الفقيه وغيرهما قاله ابن درباس .

وفيها أبو العباس عبد الله بن عتاب بن الزفتى (١) محدث دمشق وله ست

---

(١) فى النسخ « الزفنى » بالنون وصوابها بالتاء على مافى الانساب نسبة الى الزفت .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سنة خمسين وثلثمائة [1] ﴾

فيها كما قال فى الشذور وقع برد كل بردة أوقيتان وأكثر فقتل البهائم والطيور انتهى .

وفيها بنى معز الدولة ببغداد دار السلطنة فى غاية الحسن والكبر غرم عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم وقد درست آثارها فى حدود الستمائة وبقى مكانها دحلة يأوى اليها الوحش وبعض أساسها موجود فانه حفر لها فى الأساسات نيفا وثلاثين ذراعا .

وفيها توفى أبو حامد أحمد بن على بن الحسن بن حسنويه النيسابورى التاجر سمع أبا عيسى الترمذى وأبا حاتم الرازى وطبقتهما قال الحاكم كان من المجتهدين فى العبادة ولو اقتصر على سماعه الصحيح لكان أولى به لكنه حدث عن جماعة أشهد بالله أنه لم يسمع منهم .

وفيها أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة [2] القاضى أبو بكر البغدادى تلميذ محمد بن جرير وصاحب التصانيف فى الفنون ولى قضاء الكوفة وحدث عن محمد بن سعد العوفى وطائفة وعاش تسعين سنة توفى فى المحرم . قال الدار قطنى ربما حدث من حفظه بما ليس فى كتابه أهلكه العجب وكان يختار لنفسه ولم يقلد أحدا وقال ابن رزقويه لم تر عيناى مثله . وقال فى المغنى أحمد بن كامل القاضى بغدادى حافظ . قال الدار قطنى كان متساهلا انتهى .

وفيها أبو سهل القطان أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد البغدادى المحدث الانبارى الأديب مسند وقته روى عن العطاردى ومحمد بن عبيد الله المنادى وخلق وفيه تشيع قليل وكان يديم التهجد والتلاوة والتعبد وكان كثير الدعابة . قال البرقانى

---

(١) من حق هذه السنة ان تكون فى آخر المجلد الثانى ليكون فيه قرن ونصف بالتمام

(٢) فى الاصل وفى الميزان « شجرة » بالجيم وفى تاريخ بغداد بالحا. ولعله غلط ه

كرهوه لمزاح فيه وهو صدوق توفى فى شعبان وله احدى وتسعون سنة .

وفيها أبو محمد الخطبي اسماعيل بن على بن اسماعيل البغدادى الأديب الاخبارى صاحب التصانيف روى عن الحارث بن أبى أسامة وطائفة وكان يرتجل الخطب ولا يتقدمه فيها أحد فلذا نسب اليها .

وفيها أبو على الطبرى الحسن بن القاسم شيخ الشافعية ببغداد درّس الفقه بعد شيخه أبى على بن أبى هريرة وصنف التصانيف كالمحرر والافصاح والعدة وهو صاحب وجه . قال الأسنوى وصنف فى الأصول والجدل والخلاف وهو أول من صنف فى الخلاف المجرد وكتابه فيه يسمى المحرر سكن بغداد ومات بها ، والطبرى نسبة الى طبرستان بفتح الباء الموحدة وهو اقليم متسع مجاور لخراسان ومدينته آمل بهمزة ممدودة وميم مضمومة بعدها لام ، وأما الطبرانى فنسبة الى طبرية الشام انتهى ملخصا .

وفيها أبو جعفر بن برية الهاشمى خطيب جامع المنصور عبد الله بن اسماعيل ابن ابراهيم بن عيسى بن المنصور أبى جعفر فى صفر وله سبع وثمانون سنة وهو فى طبقة الواثق فى النسب روى عن العطاردى وابن أبى الدنيا .

وفيها توفى خليفة الأندلس وأول من تلقب بأمير المؤمنين من أمراء الأندلس الناصر لدين الله أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المروانى وكانت دولته خمسين سنة. وقام بعده ولده المنتصر بالله وكان كبير القدر كثير المحاسن أنشأ مدينته الزهراء وهى عديمة النظير فى الحسن غرم عليها من الأموال مالا يحصى، قاله فى العبر؛ وقال الشيخ أحمد المقرى المتأخر فى كتابه زهر الرياض فى أخبار عياض . وكانت سبتة مطمح همم ملوك العدوتين وقد كان للناصر المروانى صاحب الأندلس عناية واهتمام بدخولها فى إيالته حتى حصل له ذلك .

ومنها ملك المغرب وكان تملكه إياها سنة تسع عشرة وثلثمائة ، وبها اشتد سلطانه وملك البحر بعدوية وصار المجاز فى يده ، ومن غريب مايحكى أنه أراد الفصد فقعد فى المجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك واخذ الطبيب المبضع وجس يد الناصر فبينا هو كذلك اذ طل زرزور فصعد على إناء من ذهب بالمجلس وأنشد :

أيها الفاصد مهلا　　بأمير المؤمنينا
انما تفصد عرقا　　فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف وسر به غاية السرور وسأل من أين اهتدى الى ذلك ومن علم الزرزور فذكر له أن السيدة الكبيرة مرجانة أم ولى عهده الحاكم المستنصر بالله صنعت ذلك وأعدته لذلك الأمر فوهب لها مانيوف على ثلاثين ألف دينار .

والناصر المذكور هو البانى لمدينة الزهراء العظيمة المقدار ولما بنى قصر الزهراء المتناهى فى الجلالة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله فى الاسلام البتة وكل من رآه قطع أنه لم ير مثله ولم يبصر له شبها بل لم يسمع بمثله بل لم يتوهم كون مثله وذكر المؤرخ أبو مروان بن حيان صاحب الشرطة أن مبانى قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية مابين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف على ثلثمائة سارية زائدة وان مصارع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسون فتى وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ثلاثة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة وذكر بعض أهل الخدمة فى الزهراء أنه قدر النفقة فيها فى كل يوم بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما . قال القاضى أبو الحسن :ومن أخبار منذر بن سعيد البلوطى المحفوظة له مع الخليفة الناصر فى انكاره عليه الاسراف فى البناء ان الناصر كان اتخذ لسطح القبة التى كانت على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد مغشاة ذهبا وفضة أنفق عليها مالا جسيما وقد مد سقفها به تستلب الأبصار بأشعة أنوارها وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته فقال لقرابته من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا بما صنعه من ذلك هل رأيتم أو سمعتم ملكا كان قبلى فعل مثل فعلى هذا وقدر عليه فقالوا لا ياأمير المؤمنين وانك لأوحد فى شأنك كله وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى الينا خبره فأبهجه قولهم وسره وبينما هو كذلك اذ دخل عليه القاضى منذر بن سعيد واجما ناكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كالذى قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره عليه وعلى ابداعه فأقبلت دموع القاضى تنحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ماظننت أن الشيطان لعنه

وقال السخاوى أصله من قرية بشوف الاكراد تسمى بيت فار ولد بها والبيت
الذى ولد فيه يزار الى اليوم وصحب الشيخ عقيل المنبجى والشيخ حماد الدباس
وأبا النجيب السهروردى وعبد القادر الجيلى وأبا الوفاء الحلوانى وأبا محمد الشنبكى
وقال ابن شهبة فى تاريخه كان فقيهاً عالما وهو أحد أركان الطريقة سلك فى المجاهدة
واحوال البداية طريقا صعبا تعذر على كثير من المشايخ سلوكه وكان الشيخ
عبد القادر يثنى عليه كثيراً ويشهد له بالسلطنة على الاولياء وكان فى أول أمره
فى الجبال مجرداً سائحا وانتمى اليه عالم عظيم قال عمر بن محمد خدمت الشيخ
عدى سبع سنين شهدت له فيها خارقات أحدها أنى صببت على يديه ماء فقال
لى ما تريد قلت أريد تلاوة القرآن ولا أحفظ منه غير الفاتحة وسورة الاخلاص
فضرب بيده فى صدرى فحفظت القرآن كله فى وقتى وخرجت من عنده وأنا أتلوه
بكماله وقال لى يوما اذهب الى الجزيرة السادسة بالبحر المحيط تجد بها مسجداً فادخله
ترفيه شيخا فقل له يقول لك الشيخ عدى بن مسافر احذر الاعتراض ولا تختر
لنفسك أمراً لك فيه ارادة فقلت ياسيدى وأنى لى بالبحر المحيط فدفعنى بين كتفى
فاذا أنا بجزيرة والبحر محيط بها وثم مسجد فدخلته فرأيت شيخا مهيبا يفكر
فسلمت عليه وبلغته الرسالة فبكى وقال جزاه الله خيراً فقلت ياسيدى ما الخبر
فقال اعلم أن أحد السبعة الخواص فى النزع وطمحت نفسى وارادتى أن أكون
مكانه ولم تكمل خطرتى حتى أتيتنى فقلت له ياسيدى وأنى لى بالوصول الى جبل
هكار فدفعنى بين كتفى فاذا أنا بزاوية الشيخ عدى فقال لى هو من العشرة الخواص
ذكر ذلك القطب اليونينى فى ذيله .

وفيها أبو نصر محمد الفروخى الكاتب كان أديباً فاضلا من شعره

يارب عفوك اننى فى معشر   لا أبتغى منهم سواك ملاذا
هذا ينافق ذا وذا يغتاب ذا   ويسب هذا ذا ويشتم ذا ذا

وفيها الشيخ الامام المحدث سيد الحفاظ سراج الدين ابو الحسن على بن أبى

بكر بن حمير اليمنى الهمذانى روى عنه الامام يحيى بن أبى الخير وجماعة من ذى
اشرف البخارى وسنن أبى داود وانتشر عنه الحديث بقطر اليمن وعنه أخذ أحمد
ابن عبد الله القريظى قال الامام يحيى بن أبى الخير ما رأيت ولا سمعت بمثله وله
كتاب الزلازل والأشراط قاله ابن الاهدل

وفيها هبة الله بن أحمد الشبلى بن المظفر القصار المؤذن توفى فى سلخ السنة
عن ثمان وثمانين سنة وبه ختم السماع من أبى نصر الزينبى .

وفيها أبو بكر هبة الله بن أحمد الحفار روى عن رزق الله التميمى وتوفى فى
شوال كلاهما ببغداد .

سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها سار جيش المستنجد فالتقوا آل دبيس الاسديين أصحاب الحلة فالتقوهم
فخذلت أسد وقتل من العرب نحو أربعة آلاف وقطع دابرهم فلم تقم لهم
بعدها قائمة .

وفيها سار نور الدين الشهيد لقتال الفرنج وكانوا عزموا على حمص فترفعوا
وفرق فى يوم مائتى ألف دينار وكتب اليه النواب أن الصدقات كثيرة للفقهاء
والفقراء والصوفية فلو استعنت بها ثم تعوضهم عنها فغضب وكتب اليهم (ان
الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) وهل أرجو النصر الا بهؤلاء وهل
تنصرون الا بضعفائكم فكتبوا اليه فتقترض من أرباب الاموال ثم نوفيهم فبات
مفكراً فرأى فى منامه انسانا ينشد

احسنوا مادام أمركم   نافذاً فى البدو والحضر
واغنموا أيام دولتكم   انكم منها على خطر

فقام مرعوبا مستغفراً مما خطر له وكتب لاحاجة لى بأموال الناس وعاد الفرنج
الى بلادهم .

حنيني لسفح الصالحية والجسر   أهاج الهوى بين الجوانح والصدر

وتوفى بحلب في العشر الاول من شهر رمضان .

وفيها أو فى التي بعدها نهالى بن عبد الله الرومي الحنفي المولى الفاضل المشتهر بهذا اللقب قال فى الشقائق ولم نعرف اسمه وكان عتيقا لبعض الاكابر وقرأ فى صغره مبادىء العلوم ثم خدم العلماء وفاق على أقرانه ومهر فى العربية والاصول والتفسير وكان له نظم بالعربية والتركية والفارسية ووصل الى خدمة المولى محمد بن الحاج حسن ودرس بالمدرسة التي بناها المولى المذكور بالقسطنطينية ثم بمدرسة مصطفى باشا بالقسطنطينية أيضا ثم فرغ عن التدريس وسافر الى الحج فلما أتم الحج مرض فعاهد الله تعالى ان صح من مرضه لم يعاود التدريس وندم على ما مضى من عمره فى الاشتغال بغير الله تعالى فأدركته المنية فى مرضه ذلك بمكة المشرفة ودفن بها .

﴿ سنة ست وعشرين وتسعمائة ﴾

فيها توفى أبو النور التونسى المالكى نزيل المدرسة المقدمية بحلب كان حافظاً لكتاب الله تعالى مقرئا يؤدب الاطفال بالمدرسة المذكورة وكان من عادته انه يقرأ ثلث القرآن بعد المغرب وثلثه بعد العشاء ومن غريب ما اتفق له أنه لما ركب البحر من تونس الى اسكندرية حصل لملاح السفينة وكان فرنجياً حمى غب أشغلته عن مصلحة السفينة وعجز ركابها عن علاج ينفعه وطلب من الشيخ أبي النور ما يكتب للحمى فكتب له فى ورقة (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ولف الورقة ودفعها له فوضعها فى رأسه فما مضت تلك الليلة حتى ذهبت عنه الحمى وتوفى الشيخ بحلب ودفن بمقبرة الرحبي .   وفيها الشيخ أحمد بن بترس الصفدى الشيخ العارف بالله تعالى المكاشف بأسرار غيب الله كان

ظاهر الاحوال بصفد مسموع الكلمة عند حكامها وكان الناس يترددون اليه فيشفع لهم ويقضى حوائجهم ويقربهم ويضيفهم وكان ذا شيبة نيرة وكان اذا أراد أن يتكلم بكشف يطرق رأسه الى الارض ثم يرفعه وعيناه كالجمرتين يلهث كصاحب الحمل الثقيل ثم يتكلم بالمغيبات وكان فى بدايته ذا رياضة ومجاهدة وتوفى بصفد قال ابن طولون صلي عليه غائبة بجامع دمشق يوم الجمعة ثامن عشرى ذى القعدة سنة ست وعشرين وتسعمائة انتهى .

وفيها شهاب الدين أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عيسى بن محمد ابن أحمد بن مسلم الشهاب بن البدر المكى ويعرف كأبيه بابن العليف ـ بضم العين المهملة تصغير علف ـ الشافعى قال فى النور ولد بمكة سنة احدى وخمسين وثمانمائة ونشأ بها وحفظ القرآن والألفية النحوية والاربعين النووية والكثير من المنهاج وسمع بمكة على التقى بن فهد وولده النجم والزين عبد الرحمن الاسيوطى وأبى الفضل المرجانى ولازم النور الفاكهى فى دروسه الفقهية والنحوية وبالقاهرة من الجوجرى وغيره ودخل القاهرة مرارا قال السخاوى وكنت ممن أخذ عنه بها وبالحرمين وتكسب بالنساخة مع عقل وتودد وحسن عشرة وتميز ومع ذلك فلم يسلم ممن يعاديه بل كاد أن يفارق المدينة لذلك قال وأغلب اقامته الآن بطيبة على خير وانجماع وتقلل ونعم الرجل انتهى وألف لسلطان الروم بايزيد بن عثمان الدر المنظوم في مناقب سلطان الروم ومدحه وغيره من أمرائه فرتب له خمسين دينارا فى كل سنة ومدح السيد بركات الحسنى صاحب مكة واقتصر على مدحه وحظى عنده لبلاغته حتى صار متنبي زمانه ثم أصيب بكثرة الامراض فى آخره ومن نظمه الفائق القصيدة العجيبة التي منها :

خذ جانب العليا ودع ما يترك   فرضا البرية غاية لا تدرك

واجعل سبيل الذل عنك بمعزل   فالعز أحسن ما به تتمسك

اقامته بمصر بعداً عن روائح القتلى وحذراً من المكيدة الى ان مهدها ثم ولى خير بك أمير الامراء على مصر وولى الغزالى على الشام وولى بمصر القضاة الأربع وهم قاضى القضاة كمال الدين الشافعى وقاضى القضاة نور الدين على بن يس الطرابلسى الحنفي وقاضى القضاة الدميرى المالكى وقاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن النجار الحنبلي واستولى على الارض الحجازية وغيرها ورتب الرواتب وأبقى الاوقاف على حالها ورتب لأهل الحرمين فى كل سنة سبعة آلاف أردب حب ثم عاد للقسطنطينية وقد أصرف غالب خزائنه فأخر السفر عن بلاد العجم ليجمع مايستعين به على القتال فظهر له فى ظهره جمرة منعته الراحة وحرمته الاستراحة وعجزت فى علاجه حذاق الاطباء وتحيرت فى أمره عقول الألباء ولازالت به حتى حالت بينه وبين الامنية وخلت بينه وبين المنية فتوفى رحمه الله تعالى فى رمضان أو شوال بعد علة نحو أربعين يوماً وذكر العلائي فى تاريخه أنه خرج من القسطنطينية الى جهة أدرنة وقد خرجت له تلك الجمرة تحت ابطه وأضلاعه فلم يفطن بها حتى وصل الى المكان الذى بارز فيه أباه السلطان أبا يزيد حين نازعه فى السلطنة فطلب لها الجرائحية والاطباء فلم يدركوه الا وقد تأكلت ووصلت الى الامعاء فلم يستطيعوا دفعاً عنه ولا نفعا ومات بها ودفن بأدرنة عند قبر أبيه انتهى . وفيها تقريبا عبد الله بن ابراهيم الفاضل العلامة الشهير بابن الشيشرى الحنفى قال فى الكواكب قرأ على علماء العجم وبرع هناك فى العربية والمعقولات ثم دخل بلاد الروم وعين له السلطان سليم كل يوم ثلاثين عثمانياً وعمل قصيدة بالفارسية نحو ثلاثين بيتاً أحد مصراعى كل بيت تاريخ لسلطنة السلطان سليمان والمصراع الثانى من كل بيت تاريخ فتح رودس وله حواش على حاشية شرح المطالع للسيد الشريف وشرح على الكافية ورسالة فى المعمى فارسية انتهى . وفيها تقريبا أيضا جمال الدين عبد الله بن أحمد

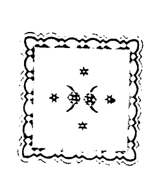
الشنشوري المصري الشافعي الامام العلامة له شرح التدريب للسراج البلقيني رحمهما الله تعالى . وفيها جمال الدين عبد الله بن عبد الله بن رسلان البويضى ـ من قرية البويضة من أعمال دمشق ـ ثم الدمشقي الشافعي الشيخ الامام العلامة ولد سنة احدى وخمسين وثمانمائة وكان رفيقا للشيخ تقي الدين البلاطنسى على مشايخه وأخذ عنه الشيخ موسى الكناوى صحيح البخارى وغيره توفى بالبيمارستان النورى يوم الخميس سادس أو سابع ذى القعدة وصلى عليه اماما رفيقه البلاطنسى ودفن بمقبرة باب الصغير جوار الشيخ نصر المقدسى بصفة الشهداء . وفيها قاضى القضاة بدر الدين أبو البقاء محمد بن محمد بن عبد الله بن الفرفور الدمشقى الحنفى قال فى الكواكب اشتغل يسيراً فى الفقه على البرهان بن عون ثم ولى كتابة السر عوضاً عن أمين الدين الحسبانى ثم استنزل له عمه قاضى القضاة شهاب الدين بن الفرفور قاضى القضاة محب الدين القصيف عن نظر القصاعية وتدريسها وأسمعه الحديث على جماعة من الدمشقين ثم ولى قضاء قضاة الحنفية بالشام مراراً عزل عن آخرها فى شوال سنة ثلاث عشرة وتسعمائة انتهى .

وفيها المولى زين الدين وقيل زين العابدين محمد بن محمد الفنارى الرومى الحنفى العالم الفاضل أول قضاة القضاة بدمشق من الدولة العثمانية قرأ على علماء عصره منهم المولى الفاضل علاء الدين الفنارى ثم وصل الى خدمة المولى ابن المعرف معلم السلطان أبي يزيد ثم تنقلت به الاحوال الى أن صار قاضياً بدمشق ثم بحلب قال فى الشقائق كان عالماً فاضلا ذكياً صاحب طبع وقاد وذهن نقاد قوي الجنان طلق اللسان صاحب مروءة وفتوة محباً للفقراء والمساكين يبرهم ويرعى جانبهم وكان فى قضائه مرضى السيرة محمود الطريقة انتهى وذكر ابن طولون أن سيرته بدمشق كانت أحسن منها بحلب وتوفى وهو قاض بحلب فى أول ربيع الاول .

كِتَابُ
اَلْبَدْء وَاَلتَّأْرِيخ

لأبى زيد احمد بن سهل البلخى

قد اعتنى بنشره وترجمه من العربية الى الفرنسوية
الفقير المذنب كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسوية
وكاتب السرّ ومترجم الحكومة المشار اليها ومعلّم فى مدرسة
الألسنة الشرقية فى باريز



يُباع عند الخواجه أرْنِسْت لِرُو الصحاف
فى مدينة باريز

سنة ١٨٩٩ ميلادية

وَجَ ولانّـه [1] كان يُفْشى سِرّ رسول الله صلّه ويُطلع الناسَ عليه ومنها أنّه أقطع الحارث بن الحكم مهرقته موضع شرقى المدينة وكان النبيّ صلعم لما قدم الى المدينة ووصل الى ذلـك الموضع ضرب برجله وقال هذا مُصلّانا ومستَطَرُنا ومخرجنا لأضْحَانا وفطرنا فلا تنقُضوها ولا تـأخذوا عليها كِرى لعن الله من نقض من بعض سُوقِنا شيـأ ومنها أنّه اقطع مروان بن الحكم فَدَكَ قرية صدقة رسول الله صلعم وأعطاه خُمس الغنائم من افرِيقية فقـال عبـد الرحمن بن حنبل الجُمحىُّ [متقارب]

أحلِفُ بـاللّـه ربّ العِبا — د ما ترك الحقُّ شيـأ سُدَى
ولكن خُلِقْتَ لنا فتنـةً — لكى نُبتلى بـكَ أو تُبتلَى
فما أخـذا درهمًا غِيـلَـةً — ولا أعطيا درهمًا فى هَوَى
وأعطيتَ مروان خُمس العباد — فهَيْهاتَ شاؤُكَ ممّن سَعَى [2]

ومنها انه أعطى عبد الله بن خالد بن اسيد بن رافع أربعمائة الف درهم وأعطى الحكم بن [أبى] العاص مائة الف درهم ومنها أنّ

[1] Ms. ولعنه, singulière erreur du copiste, corrigée en marge.

[2] Glose marginale ancienne : هذا كلـه ما اظن ان يكون من فعل عثمان رضه وانما يشبه ان يكون من فعل معاويه وتعليماً له.

عُبيد الله بن عمر قتل الهرمزان بأبيه عمر وقتل ابنين لأبى لؤلؤة عليه اللعنة فلم يُقِدْهُ [1] ومنها انـه عزل عُمّال عمر وولّى بنى أميّة وانتزع عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبـد اللّه بن سعد بن أبى سرح وانتزع سعد بن ابى وقّاص عن الكوفـة واستعمل [fo 193 ro] الفاسق الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيْطٍ وهو اخوه لأُمّه فوقع فى الخمر فشربها ويصلّى الصلاة لغير وقتها فصلّى بالناس يومًا الفجر أربعًا وهو ثَمِلٌ فلما انصرف قـال أزيـدكم فإنّى نَشِيطٌ فشغب الناسُ وحصبوه وفيه يقول الحُطَيْئة [كامل]

شهِد الحُطيئةُ يومَ يلقى ربَّهُ — انّ الوليد أحقُّ بـالعُـذْر
نادى وقـد تـمّتْ صلاتُهمُ — أأزيـدكم ثمِلًا وما يَـدْرى

فلما شكاه الناسُ عزله واستعمل عليهم شرًّا منـه سعيد بن العاص فقـدِم رجلٌ عظيم الكِبْر شديـد العُجْب وهو أوّل من وضع العُشور على الجسور والقناطر ومنها أنّ ابن ابى سرح قتل سبعمائة رجل بِدَم رجُل واحد فأمر بعزله ولم يُنكِر عليه ومنها انـه جعل الحروف كلّها حرفًا واحدًا واكره الناس على مُصْحفه ومنها انـه

[1] Ms. يَقِده.

ثم خروج أخيـه ابر[هيم] بن عبـد اللّه بالبصرة فى ثلاثين ألفًا ويقال فى سبعين ألفًا واشتدّت [1] مخافـة أبى جعفر وأعدّ الرواحل للهَرَب ونقل ديوانـه وأهل بيته الى دمشق وبعث عيسى للقاء ابرهيم ويئس ابو جعفر من الأمر وقـال أترون أنّ هذا الـذى بلغنا باطلًا انّ الأمر لا يزال فينا حتّى تلعب بـه صبياننا فقال له سهل لا بأس فانّ الظفر لكم فلم يلبث ان جاء عيسى برأس ابرهيم فتمثّل ابو جعفر بقول الشاعر [طويل]

فالقَتْ عصاها واستقرّ بها النوى   كما قرّ عينًا بالاياب المُسافرُ

[Fo 216 ro] ومن ثَمّ مرّ ادريسُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن [2] ابن على بن ابى طالب الى المغرب فهُمْ بها الى اليوم ،'،

خروج استادسيس بخراسان قالوا واجتمع من الغُزّية نحو ثلثمأية الف مقاتـل من أهل هراة وباذغيس وكنج•رستاق [3] وسجستان ونواحيها ومعهم المرور [4] والمساحى والفُؤُوس ورئيسهم استادسيس

1 Ms. استدّت.
2 Ms. الحسين.
3 Ms. وكنجر ورستاق.
4 Ms. المدور.

وغلبوا على عامّة خراسان فوجّه ابو جعفر خازِمَ بن خزيمة فقاتلهم قتالًا شديـدًا وقتل منهم فى المعركة تسعين ألفًا وهزمهم وفرّق جمعهم وسبى ذراريَهم ،'،

قتـل عمر بن حفص بن ابى صفرة بافريقيـة كان ابو جعفر ولّاها إيّاه فخرج عليه ابو عادى وابو حاتم الاباضيّانِ فى أربع مأية الف رجل من البربر والمغاربـة منهم ثلثمأيـة وخمسة عشر الفًا رجالًا وخمسة وثمانون الفًا فرسانًا فغلبوه وقتلوه وغلبوا على المغرب فوجّه ابو جعفر يزيد بن حاتم فى خمسين الفًا وانفق على ذلـك الجيش ثلثة وستّين ألف ألف درهم يكون بالأوقار الفى وِقر وثمانين وِقرًا وكلّ وقر ثلاثون الفًا فقُتل ابو عادى وابو حاتم وحُمل رؤوسهما إليه واستوَتْ له بلادُ المغرب وبنى أبو جعفر مدينة بغداذ سنة خمس وأربعين ومأيـة وبنى قصر الخُلْد سنة سبع وخمسين ومأيـة ونقل الأسواق من مدينة السلام الى باب الكَرْخ وباب المحوَّل وخندق على الكوفة وسوّرها وكذلك البصرة خندق عليها وخلع عيسى بن موسى وعقد البيعة لابنـه محمّد المهدىّ [1] ولعيسى بن موسى من بعده ومات ابو جعفر فى طريق مكّة ببئر

1 Ms. محمّد بن المهدىّ.

كلّه صائرٌ إليكم على يدى هذا وذلك أنّ الخَرَميّة لا يُصبحون ولا يُمسون إلّا على توقُّع الحركة فأتبعوه قومُه وصدّقوا المرأة على شهادتها وأمر بابك أصحابَه من النواحى والقُرى وكان فى قِلّة وذلّة وأعطاهم سيوفًا وخناجر وأمرهم أن يرجعوا الى قُراهم ومنازلهم وينتظرون ثُلُثَ الليل الأخير فإذا كان ذلك الوقت يخرجوا على الناس فلا يَدَعُون رجلًا ولا امرأةً ولا صبيًا ولا طِفلًا من قريب وبعيد الّا قطعوه وقتلوه ففعل القوم ذلك فأصبح أهلُ تلك القُرى قَتْلَى بأيدى الخرّمية لا يدرون مَنْ أَمَرَهم بذلك ولا ما السبب فيه ودخل الناسَ رُعْبٌ شديدٌ وهولٌ عظيم ثم لم يمهل أَنْ بعثهم الى ما نأى عنه من النواحى فيقتلون من أصابوا من الناس من أىّ صنف كان كان صغيرًا أو كبيرًا أو مسلمًا او ذِمّيًّا حتّى مرن القومُ على القتل وانضوى اليه القُطّاع والحُرّاب والذُعّار وأصحاب الفتن وأرباب النِحَل الزائغة وتكاثفت جموعُه حتّى بلغ فرسانُ رجاله عشرين ألف فارس سِوى الرجّالة واحتوى على مُدنٍ وقُرًى وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهاك فى الفساد وقلّة الرحمة والمبالاة وهَزَم جيوشًا كثيرةً للسُلطان وقتل عدّة قُوّادٍ له وذكر فى بعض الكتب انّه قتل فيما حُفظ

ألفَ ألف انسان من بين رجل وامرأة وصبى وذُكر فى التأريخ أنّ جميع مَنْ قتَل بابك مأيتا[1] الف انسان وخمسة وخمسون الف انسان وخمس مأية انسان والله أعلم فندب المعتصم الافشين لقتال بابك وعقد له على الجبال كلّها ووظف له كلّ يوم يركب فيه عشرة الف درهم صِلَةً ويوم لا يركب خمسة آلاف درهم سِوى الأرزاق والانزال والمعاون وما يصل اليه من عمل الجبال وأجازه عند خروجه بالف الف درهم فقاومه الافشينُ سنةً وانهزم بابك من يديه غيرَ مرّة وعاوده بابك يلتجئ الى البذّ[2] وهى مدينة حصينة فلما قرُب أجله وضاق أمره خرج هاربًا بأهله وولده الى ارمينية فى زىّ التجار فعرفَه سهل بن سنباط[3] النصرانىّ أحدُ بطارقة ارمينية وكان فى إسارِه فافتدى نفسه منه بمال عظيم فلم يقبل منه بعد ما ركب من أمّه وأختِه وامرأتِه الفاحشة بين يديه وكذا كان الملعونُ يفعل بالناس إذا أسرهم مع حرمهم فقبض عليه وبعثه الى الافشين وكان المعتصم جعل ألفى الف لمن جاء به

[1] Ms. مايتى.
[2] Ms. السد.
[3] Ms. اسباط.

حيًّا والف الف لمن جآء برأسه فحمل الى سهل بن سنباط [1] ألفى الف وسوّغ له عُمّال ناحيته وحمل الافشين [fo 222 ro] بابك الى المعتصم وهو بسُرّ من رأى فأمر به فقُطعت يداه ورجلاه وصُلِب سنةَ ثلاث وعشرين وزعم قوم انّ بابك الملعون لمّا قُطعت يدُه لطخ وجهَه بدمه وضحك يُرِى الناسَ أنّه لم يُؤْلِمه القطعُ وأنّ روحَه ليس تُحسّ بشىء من ذلك وكان ذلك من أعظم الفتوح فى الاسلام ويومَ قبِض عليه كان عيدًا للمسلمين وكان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين ومأيتين فرفع المعتصم قدر الافشين وتوّجه وألبسه وِشاحَيْن منظومين بالدُرّ والجواهر وسوّره سِوارَيْن ووصله بعشرين ألف الف درهم وأمر الشعراء بمدحه وجعل صِلَتَهم عنده فممّا قيل فيه [رمل]

كلّ مجد غيرَ ما أثّله ... لبنى كاوُوسَ أولاد العجمْ
إنّما الافشين سيفٌ سَلّهُ ... قَدَرُ الله بكفّ المعتصمْ
لم يدَعْ فى البذّ [2] من ساكنه ... غير أمثالٍ كأمثال إرَمْ

وفى أيّامه خرجت الرومُ فنزلت زبطرة فتوجّه المعتصم اليهم وفتح

[1] Ms. اسباط.
[2] Ms. البِيد.

عَمُّورِيَّة وقتل ثلاثين ألفًا وأسر ثلاثين ألفًا وفى ذلك الفتح يقول الطائىّ [بسيط]

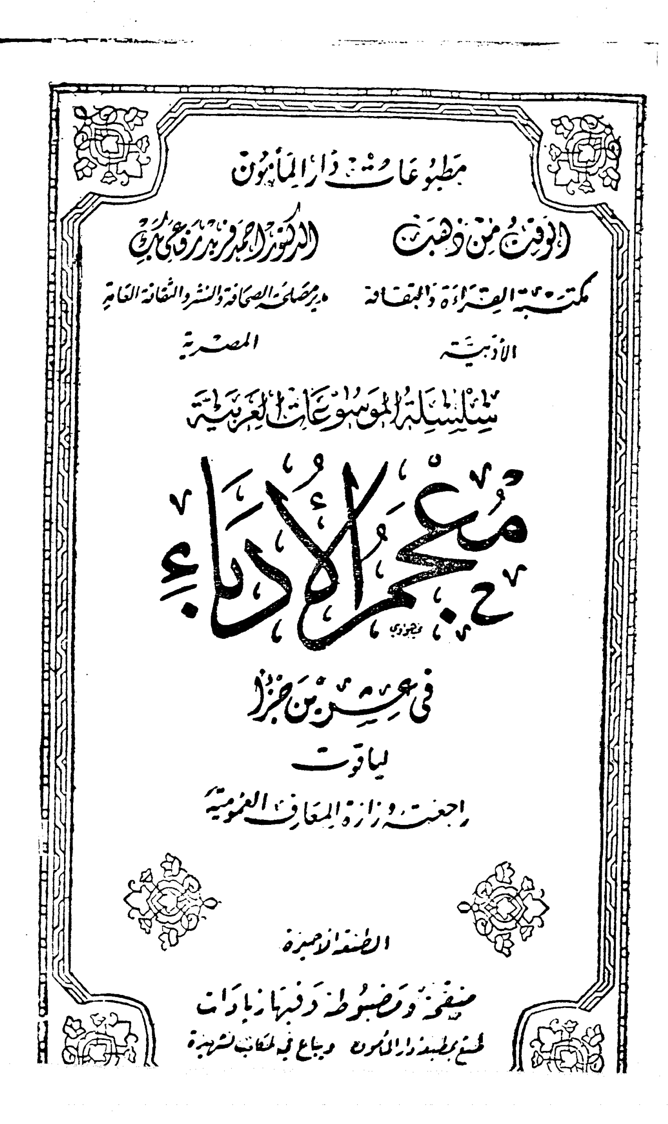
السيفُ أصدَقُ انباء من الكُتُبِ

وقال غيره فى ذلك [متقارب]

أقام الأمامُ منارَ الهُدى ... وأخرس ناقوس عَمُّورِيَهْ
فقد أصبح الدينُ مستوثقًا [1] ... وأضحَتْ زِنادُ الهُدى مورِيَهْ

وخرج عليه ابو حرب المبرقع بالشأم فوجّه اليه جيشًا فقتلوا من أصحابه عشرين الفًا وحملوه الى المعتصم وهو بسُرّ من رأى وصلبوه وكان يقول بتناسخ الأرواح ثم غضِب المعتصم على الافشين وذلك انه كاتب مازيار [2] اصفهبذ طبرستان وسأله الخلاف والمعصية وأراد ان ينقُل المُلك الى العجم فقتله وصلبه بإزآء بابك ووجده بقُلفته لم يُختَن وأخرجوا من منزله أصنامًا فأحرقوها [3] ومات المعتصم سنة ستّ وعشرين ومأيتين وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية

[1] Ms. مستوسقًا.
[2] Ms. مازداماز.
[3] Ms. فأحرقوه.


مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

لهجائه ، فلما مات ابن الرومي ، عمل كتابا في تفضيله ، ومختار شعره ، وجلس يمليه على الناس ، وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست ، فقال : كان يصحب محمد بن داود ، بن الجراح ، ويروي عنه ، ثم توكل للقاسم بن عبيد الله ، بن سليمان وولده .

وله من الكتب كتاب المبيضة (١) ، وهو في مقاتل الطالبيين ، كتاب الأنواء ، كتاب مثالب أبي نواس ، كتاب أخبار سليمان بن أبي شيخ ، كتاب الزيادة في أخبار الوزراء ، لابن الجراح ، كتاب أخبار حجر بن عدي ، كتاب أخبار أبي نواس ، كتاب أخبار ابن الرومي ومختار شعره ، كتاب المناقضات ، كتاب أخبار أبي العتاهية ، كتاب الرسالة في بني أمية ، كتاب الرسالة في تفضيل بني هاشم ومواليهم ، وذم بني أمية وأتباعهم ، كتاب الرسالة في المحدب (٢) والمحدث ، كتاب أخبار عبد الله بن معاوية الجعدي ، كتاب الرسالة في مثالب (٣) معاوية .

(١) أعلام الطالبيين كانت بيضاء ، فسموا المبيضة . وأعلام العباسيين سوداء ، ويقال لهم المسودة (٢) الذي في الفهرست : في أمر ابن الحرز المحدث (٣) أي العيوب ، جمع مثلبة

وذكره أبو عبد الله المرزباني في كتاب المعجم فقال : وذكر أنه مات في سنة عشر وثلاثمائة قال : وهو القائل :

وعيرتني النقصان (١) والنقص شامل
ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل ؟
وأقسم أني ناقص غير أنني
إذا قيس بي قوم كثير تقللوا (٢)
تفاضل هذا الخلق بالعلم والحجى (٣)
ففي أيما هذين أنت ؟ فتفضل
ولو منح الله الكمال ابن آدم
لخلده (٤) والله ما شاء يفعل

وذكر ابن نجيح أبو القاسم الكاتب قال : كان الوزير أبو الحسن ، علي بن محمد ، بن الفرات ، قد أطلق في وزارته الأخيرة للمحدثين عشرين ألف درهم ، فأخذت

(١) في بعض الروايات : أعيرتني بالنقص ، ويكمل مرفوع على أن الفاء للاستئناف أو السببية من غير عمل ، ويكون خبرا لمبتدأ محذوف — فهو يكمل ، ومثله فتفضل في البيت الثالث
(٢) اى كانوا قلة (٣) الحجا — العقل
(٤) أي لما حكم عليه بالموت ، لأن الموت من النقص .

قال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم : وبعث أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها والدي ، يوسف بن إبراهيم ، بخدم فهجموا الدار ، وطالبوا بكتبه ، مقدّرين أن يجدوا فيها كتاباً من أحد ممّن ببغداد ، فحملوا صندوقين ، وقبضوا عليّ وعلى أخي ، وصاروا بنا إلى داره ، وأُدخلنا إليه وهو جالس ، وبين يديه رجل من أشراف الطالبيّين ، فأمر بفتح أحد الصندوقين ، وأدخل خادم يده ، فوقع يده على دفتر جراياته [1] على الأشراف وغيرهم ، فأخذ الدفتر بيده وتصفّحه ، وكان جيّد الاستخراج ، فوجد اسم الطالبيّ في الجراية . فقال له وأنا أسمع : كانت عليك جراية ليوسف بن إبراهيم ؟ فقال له نعم : يأيّها الأمير ، دخلت هذه المدينة وأنا مملق [2] فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار ، أسوة بابن الأرقط ، والعقيقيّ ، وغيرهما . ثمّ امتلأت يداي بطول [4] الأمير ، فاستغنيته [5] منها ، فقال لي :

(١) أي عطاياه (٢) أي فقير معدم

(٣) زاد الصفدي في ترجمة يوسف : ومائة أردب قمحاً

(٤) الطول : الانعام (٥) استغنيت : طابت منه الاذلة منها

نشدتك الله أن لا قطعت سبباً لي برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وتدمّع [1] الطالبيّ ، فقال أحمد بن طولون : — رحم الله — يوسف بن إبراهيم ، ثمّ قال : انصرفوا إلى منزلكم ، فلا بأس عليكم ، فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا ، وحضر ذلك العلويّ ، وقضى حقّنا ، وقد أحسن مكافأة والدنا في خلفيه .

قال أبو جعفر : أحمد بن أبي يعقوب ، يوسف بن إبراهيم ، يعرف بابن الداية ، من فضلاء أهل مصر ومعروفيهم ، وممّن له علوم كثيرة في الأدب ، والطبّ والنجامة ، والحساب ، وغير ذلك . وكان أبوه أبو يعقوب ، كاتب إبراهيم بن المهديّ ورضيعه ، ألّف كتاباً في أخبار الطبّ ، مات أحمد بن يوسف ، في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة ، وأظنّها سنة أربعين وثلاثمائة . وله من التصانيف : سيرة أحمد بن طولون ، كتاب سيرة إلى أبي الجيش خمارويه [2] ،

(١) تدمع : سالت دموعه

(٢) كانت في الاصل : « أبي الجيش حمد » فأصلحناه إلى ما ذكر

فرائصه كانت ترتعد ، وجوانحه كانت تصطفق[1] ، إلى أن يعلم ما يريده منه ، ويخاطبه به

وتظامت إليه امرأة من صاحب لفولاذ بن مانادر ، وذكرت أنه ينازعها في حق لها ، فما زاد على أن التفت إلى فولاذ ، وكان في موكبه يسير خلفه ، فبهت وتحير وارتعد ووقف ، ولم يبرح إلى أن سار كافي الكفاة ، ثم أرسل مع المرأة من أرضاها ، وأزال ظلامتها ، ومثل هذا كثير يطول الكتاب ببعضه ، فكيف يتسع لكله[2] .

وأما أسبابه وحاشيته ، وهيبته ورتبته ، فإن من أيسرها أنه كان له عدة من الحجاب ، منهم من على مربطه ثلاثمائة رأس من الدواب ، أو ما يقاربها ، وكانت أحوال باك الحاجب ، تزيد على ذلك زيادة كثيرة ، فإنه كان على مربط خليفة له يعرف بيزيدة ، كثير[3] من الخيل العتاق الموصوفة ،

(١) اصطفقت جوانحه : اهتزت واضطربت ، من اصطفقت الأشجار : اهتزت

(٢) كانت في الأصل : « في كله »

(٣) لم تكن هذه الكلمة في الأصل . فزدناها .

وكان لا يستغني عنها ، لأنه كان موقوفا على حفظ[1] الطرق ، وطلب الأكراد ، وأهل العيث[2] وصيانة السابلة[3] ، وكان ما يخرج لكافي الكفاة في سنة ، في وجوه البر والصدقات والمبرات ، وصلات الأشراف وأهل العلم ، والغرباء الزوار ، ومن يجري مجرى ذلك ، مما يتكلفه ويريد به صيت[4] الدنيا ، وأجر الآخرة ، يزيد على مائة ألف دينار .

وانتقلت الوزارة عنه إلى أبي العباس ، أحمد بن إبراهيم الضبي ، وأبي علي الحسن ، بن أحمد ، بن حمولة ، والسياسة التي قد سنها هو باقية ، وحشمة[5] الوزارة ثابتة ، والأمور على ما عهد في أيامه جارية ، وكان لهما من الحشم والحاشية ، والتجمل والزينة ، مثل ما كان له ، بل كان فوقه في الغنى والثروة ، وإن لم يلحقاه في الفضل والمكرمة .

(١) في الأصل : « مرصوفا لحفظ »

(٢) أي الفساد

(٣) أي المارة في الطريق

(٤) الصيت : الذكر الحسن الجميل

(٥) حشمة الرجل ، وحشمه : خاصته ، يستعمل كلا اللفظين للواحد والجمع

أخرى ثم يكون على الباقين أثمان على هذا التفصيل الى آخر النهر وعندهما المؤنة عليهم اعتبارا من أول النهر الى آخره لان لصاحب الاعلى حقا في أسفل النهر وهو تسييل الفاضل عن حاجته من الماء فيه فاذا سد ذلك فاض الماء على أرضه فأفسد زرعه فبهذا تبين أن كل واحد منهم ينتفع بالنهر من أوله الى آخر والدليـل عليه أنه يستحق الشفعة بمثل هذا النهر وحق أهل الاعلى وأهل الاسفل فى ذلك سواء فاذا استووا فى الغنم يستوون في الغرم أيضا وهو مؤنة الكراء وأبو حنيفة رحمه الله يقول مؤنة الكراء على من ينتفع بالنهر بسقى الارض منه (ألا ترى) أنه ليس على أصحاب الشفة من مؤنة الكراء شيء واذا جاوز الكراء أرض رجل فليس له في كراء مابقي منفعة سقي الارض فلا يلزمه شي من مؤنة الكراء ثم منفعته فى أسفل النهر من حيث أجراء فضل الماء فيه وصاحب المسيل لا يلزمه شئ من عمارة ذلك الموضع باعتبار تسييل الماء فيه (ألا ترى) أن من له حق تسييل ماء سطحه على سطح جاره لا يلزمه شئ من عمارة سطح جاره بهذا الحق ثم هو يتمكن من دفع الضرر عن نفسه بدون كرى أسفل النهر بأن يسد فوهة النهر من أعلاه اذا استغنى عن الماء فعرفنا أن الحاجة المعتبرة فى التزام مؤنة الكراء الحاجة الى سقى الارض فرع بعض مشايخنا رحمهم الله أن الكراء اذا انتهى الى فوهة أرضه من النهر فليس عليه شئ من المؤنة بعد ذلك والاصح أن عليه مؤنة الكراء الى أن يجاوز حد أرضه كما أشار اليه فى الكتاب لان له رأيا فى اتخاذ فوهة الارض من أعلاها وأسفلها فهو منتفع بالكراء منفعة سقي الارض مالم يجاوز أرضه ويختلفون فيما اذا جاوز الكراء أرض رجل فسقط عنه مؤنه الكراء هل له أن يفتح الماء لسقى أرضه منهم من يقول له ذلك لان الكراء قد انتهى فى حقه حين سقطت مؤنته ومنهم من يقول ليس له ذلك مالم يفرغ شركاؤه من الكرى كما ليس له أن يسكر على شركائه فيختص بالانتفاع بالمأذون شركاؤه ولاجل التحرز عن هذا الخلاف جري الرسم بأن يوجد فى الكراء من أسفل النهر أو يترك بعض النهر من أعلاه حتى يفرغ من أسفله قال وقال أبو حنيفة رحمه الله فيما أعلم ليس على أهل الشفه من الكراء شئ لانهم لا يحصون فمؤنة الكراء لا تستحق على قوم لا يحصون ولانهم لا يستحقون الشفعة لحق الشفعة ولانهم اتباع والمؤنة على الاصول دون الاتباع (ألا ترى) أن الدية فى القتيل الموجود فى المحلة على عاقلة أصحاب الخطة دون المشترين والسكان قال والمسلمون جميعا شركاء فى الفرات وفي كل نهر عظيم أو واد يستقون منه ويسقون منه

الشفه والخف والحافر ليس لاحد أن يمنع أحـدا من ذلك لان الانتفاع بمثل هذه الانهار كالانتفاع بالطرق العامـة فكما لا يمنع أحد أحـدا من التطرق فى الطريق العام فكذلك لا يمنعه من الانتفاع بهذا النهر العظيم وهذا لان الماء فى هذه الانهار على أصل الاباحة ليس لاحد فيه حق على الخصوص فان ذلك الموضع لا يدخل تحت قهر أحد لان قهر الماء يمنع قهر غيره فالانتفاع به كالانتفاع بالشمس ولكل قوم شرب أرضهم ونخلهم وشجرهم لا يحبس عن أحد دون أحد وان أراد رجل ان يكرى منـه نهرا فى أرضه فان كان ذلك يضر بالنهر الاعظم لم يكن له ذلك وان كان لا يضر به فله ذلك بمنزلة من أراد الجلوس فى الطريق فان كان لم يضر بالمارة لم يمنع من ذلك وان كان يضر بهم فى المنع من التطرق يمنع من ذلك لكل واحد منه من ذلك الامام وغـيره فى ذلك سواء فكذلك فى النهر الاعظم فان كسر ضفة النهر الاعظم ربما يضر بالناس ضررا عاما من حيث أن الماء يفيض عليهم وقال عليه الصلاة والسلام لاضرر ولا ضرار فى الاسلام وعند خوف الضرر يمنع من ذلك لدفع الضرر وعلى السلطان كراء هذا النهر الاعظم ان احتاج الى الكراء لان ذلك من حاجة عامة المسلمين ومال بيت المال معد لذلك فانه مال المسلمين أعد للصرف الى مصالحهم (ألا ترى) أن مال القناطر والجسور والرباطات على الامام من مال بيت المال فكذا كراء هذا النهر الاعظم وكذلك اصلاح مسناته ان خاف منه غرقا فان لم يكن فى بيت المال مال فله أن يجبر المسلمين على ذلك ويخرجهم لان المنفعة فيـه للعامة ففى تركه ضرر عام والامام نصب ناظرا فيثبت له ولاية الاجبار فيما كان الضرر فيه عاما لان العامة قل ما ينفقون على ذلك من غير اجبار وفى نظيره قال عمر رضى الله لو تركتم لبعتم أولادكم وليس هذا النهر خاص لقوم ليس لاحد أن يدخل عليهم فيه ولهم أن يمنعوا من أراد أن يسقى من نهرهم أرضه وشجره وزرعه لان ذلك شركة خاصة (ألا ترى) أنهم يستحقون به الشفعة بخلاف الشركة في الوادى والانهار العظام فانه لا تستحق به الشفعة ثم فى الشركة الخاصة التدبير فى الكراء اليهم ومؤنة الكراء عليهم فى مالهم وان طلب بعض الشركاء فللامام أن يجبر الباقين علي ذلك لدفع الضرر فأما اذا اتفقوا على ترك الكراء ففى ظاهر الرواية لا يجبرهم الامام على ذلك كما لو امتنعوا من عمارة أراضيهم ودورهم وقال بعض المتأخرين من أصحابنا رحمهم الله يجبرهم على ذلك لحق أصحاب الشفه فى النهر قال أبو يوسف وسألت أبا حنيفة رحمه الله عن الرجل استأجر النهر يصيد فيه السمك أو استأجر جهة يصيد